

د.خولة حمدي

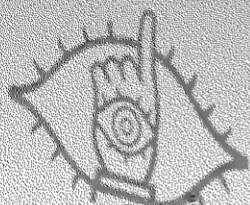
رواية

# يا أسيرة يا للعودة



د. خولة حمدي

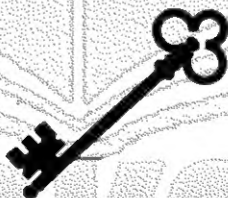




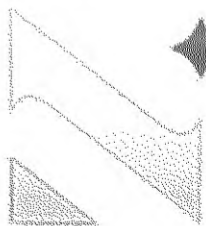
إهداء



إلى مفتاح ضللت بعيداً عن أبوابها  
عسى أن يجتمع كل مفتاح بقله، ولو بعد حين



BOOKS



## باريس، أبريل ٢٠٠٨

خلال السّنوات الأربع التي قضتها ياسمين في باريس أصبحت لديها عاداتها الباريسيّة الخاصّة بها؛ مثل المشي بين الأشجار الباسقة في حديقة «اللكسمبورغ» يوم الأحد، وتناول كوب من المتلّجات عند محلّ «أمورينو» الإيطالي المعروف في الحيّ اللاتيني، والجلوس لساعات على ضفاف نهر السين ومراقبة السفن الشّاحنة التي تمرّ عبر عباب الماء.

كما أنّها تبنّت بعض عادات هيثم التي أحبّتها فصنّعتها إلى لائحة أنشطتها المفضّلة.. فتسلّق كلما سنحت الفرصة مصبة «مونمارتر» الشّاهقة، لتجلس على الدّراجة الحجرية البيضاء التي تقدّم كاندرايّة «القلب المقدس»، وتأمل بنايات باريس من علّ، أو تعزل أمام طاولة منفردة في ركن قصي من مطعم عربيّ عرّكها عليه هيثم أيضاً- في الطابق الأرضي للمركز التجاري الذي يترّبع وسط ناطحات السحاب، في منطقة «الديفونس» التي تعمل بها.

- طبق شاورما عربيّة، من فضلك!

وقفت لدقائق قليلة، ترقّب أن تجهز وجبتها، ثم رفعت الطبق واتّجهت إلى مائدتها المنفردة، مثل العادة.

مطعم «البيت الصغير» لم يكن مميّزاً إلى درجة كبيرة، بل لعله أقلّ أناقة من معظم المطاعم التي يتخم بها الطابق العلويّ للمركز التجاري. كما أنّه يقدّم أكلات سريعة لا تمتّ بصلة إلى الاكلات العربيّة الدّسمة، دون أن يكون في مستوى منافسة العمالقة الأمريكيين المختصّين في المجال. لعلّ ميزته الوحيدة هي تخصّصه في الأكل «الحلال» ممّا يجعل طاولاته العائلية وشرفته المظللة تمتلئ كل ظهيرة بزبائن من نوع خاص: المسلمين!



كانت ترى أشكالاً مألوفة في ذلك الفضاء الصغير، تؤنس غربتها؛ بشرات متوسّطة لوّحتها الشّمس، سيّدات محجّبات يشبهنها، ورجالا يطلقون اللّحي، وألسنة تنطق العربيّة، وتلقي بحتيّة الإسلام.

كانت باسمين تحمل كتبها ومسودّاتها وتقضي استراحة الغداء هناك، معظم أيّام الأسبوع، تدوّن أفكارها وتحليلاتها، وتسرّح في موضوع أطروحة الدكتوراه خاصّتها. أحياناً تنضمّ إليها ميساء -شقيقة هيثم- حين تنتهي دروسها الصّباحيّة في الجامعة مبكراً، وحين لا تشغل باسمين نفسها بزيارة ميدانيّة أو اجتماع عمل أو غداء جماعي لموظفي الشركة. لكنّها لم تكن تتناول الأكلات السّريعة كل يوم، بل كثيراً ما تجلب معها وجبة صحيّة منزليّة التحضير وتكتفي بطلب كوب من عصير البرتقال الطازج أو فنجان قهوة محلّة، تحتسبه على مهل لتطيل الجلسة.

وأصبح هيثم يطلّ عليها من حين لآخر منذ اكتشاف محبّاتها ذلك، من باب الإحراج لا أكثر! وبضيعة أخرى، أصبح يعرف أين يجدها إن احتاج إلى مناقشتها في بعض تفاصيل حفل الرّفاف الذي عدا وشيكا.

لم يستعجلا الأمر. ربّما استعجل هيثم، لكن باسمين لم تفعل. بعد أن أعطت موافقتها المنتظرة، أعلنت الخطبة الرسميّة بمباركة جميع الأطراف. كانت خطبة تقليديّة، استنكرتها بداية، ثمّ تقبّلت شخصيّة هيثم تدريجياً. المواقف التي جمعت بينهما جعلتها تستشّف أصالة معدنه وصدق مشاعره تجاهها.

رغم محاولات زهور -والدة هيثم- وميساء شقيقته، وفاطمة -والدة باسمين- بتحريض من هيثم تعجيل إجراءات الزواج، إلا أن باسمين ثبّت على رأيها. بعد طلاق والديها، وطلاق والدها الثاني من زوجته الفرنسيّة إيلين، منذ فترة قصيرة، وجدت أن التّأني أسلم للجميع. وفترة الخطبة في نهاية الأمر ما جعلت إلا ليدرس كل طرف الآخر ويتحقّق من التوافق. ومع رسالة الدكتوراه، بدت بطيئة في دراستها.

لم يحاول البروفيسور كمال أبدا التّأثير على موقف ابنته، لأنّه من جهة أدري بالهوّ التي تفصل ميولاتها -الرّجعيّة المتخلّفة الأصوليّة- عن

قناعاته -المتفتحة المتحصّرة المتأثرة بالثقافة الغربية- ومن جهة أخرى، كان على اقتناع بأنّ مسألة الزواج مسألة شخصية بحتة يتحمّل المعنيّ بالأمر مسؤوليتها الكاملة وعواقبها الوخيمة! وعليه أن يعترف، مع زواجين فاشلين في رصيده، لم يكن الطرف الأنسب لإسداء النصائح بهذا الصّد.

ولكن حين تعلّق الأمر بالحفل نفسه الذي استمرّ انتظاره ثلاث سنوات كاملة، لم يكتم البروفيسور كمال شروطه ومطالبه، فالعروس في نهاية الأمر ابنته! وشكل الاحتفال يجب أن يكون مناسباً لمقامه ومقام ضيوفه ذوي المراكز المرموقة!

بين العرس التقليدي الذي تمسّكت به زهور يديها وأسنانها، وحفل الاستقبال الرسمي الذي لم يتنازل عنه البروفيسور عالي الشأن، ضاعّت جهود هينم وباسمين التوفيقية، فاستقرّ الرأي في نهاية المطاف على الاحتفال المزدوج، عقد شرعيّ ووليمة في المسجد بعد عصر يوم الجمعة.. واحتفال فسوي بحت في السهرة. ثم عقد مدنيّ في قصر البلدية صباح يوم السبت.. يليه عشاء رسميّ في مطعم باريسيّ فاخر.

- أنت هنا!

رفعت رأسها مبتسمة حين جاءها ذلك الصّوت المألوف.

- كأنك لا تدري؟

رفع كفيه مدّعياً البراءة.

- جئت أطلب غداً، لا غير.

- إذن خذ غداًك وارحل.

- تطرديني؟

- أحتاج بعض الهدوء لأركز.

- قاربت على الانتهاء؟

تصفّحت بحركة عابرة مسوداتها التي تزيد على المائتي صفحة وقالت:

- ما زال الثلث.

- يا إلهي! إذن أتركك لعملك.. أريد أن أتزوج في الوقت المحدد!

التهبت وجنتاها حياءً، تجاهله هيثم وهو ينحني ليخرج من حافظته ورقة بيضاء مطوية بعناية. وضعها على الطاولة في حركة بطيئة وقال بغموض متعمّد:

- حين تجددين بعض الوقت ألقى نظرة على هذه.

توترت أصابع ياسمين على الطاولة دون أن تجرؤ على لمس الورقة وتمتمت في ارتباك:

- ما هذه؟

- خارطة توزيع المدعوين على موائد المطعم.. ماذا ظننتها؟!

- لا شيء.

أخفى الابتسامة حتى لا يجرحها أكثر، مع أنه يتعمّد إخراجها ويمتنعه أن ينجح فيه. يدرك أن حركته أوجت بمراسلة سرّية ما، لكنه يتجاهل مدّعي البراءة. أضاف وهو يتتعد نحو نافذة تسجيل الطلبات:

- أخبريني حين تجهز قائمة ضيوفك.

حيّاه ثم وقف في طابور الانتظار موليا إياها ظهره ومفرجا عن ابتسامته التي جاهد لكتمانها أمامها. يخترع لنفسه أساليب مبتكرة لصنع جوّ خاصّ بينهما، يعوّضه عن الغزل الممنوع والأحاديث الغرامية المحرّمة التي يمارسها العشاق العاديّون. سرّه أنها لم تتغيّر مخابها، بعد أن اكتشف بشيء من الغبطة ارتيادها لمطعمه المفضل والقريب من مقرّ عمله أيضا. أصبح ينتهز الفرصة ليحيّيها من حين إلى آخر. لا يكثر من الزيارات حتى لا تملّ مطاردته وتفرّ إلى غير رجعة.

أحيانا يسوق بعض زملائه إلى ذلك المطعم بالذات ويجلس في ركن بعيد متظاهرا بالجدية، كأنه لم يلمحها. وأحيانا يتوقّف للسؤال عن أحوالها باقتضاب ثم يمضي إلى طاولته. لكنه في أحيان أخرى، لا يعلم أحد غيره عنها شيئا، يمرّ أمام المحلّ دون أن يدخله. يلقي نظرة سريعة ليطمئن إلى وجودها هناك ثم يتتعد.

تابعته ياسمين وهو يتخذ موقفا في طابور الانتظار، وخفت حمرة وجنتيها تدريجيًا. ثم ألقت نظرة على رسوم الموائد المستديرة التي خصصت كل منها لخمسـة أشخاص وعقدت حاجبيها.

كانت تظنّ الأعراس العربية أكثر تعقيدًا من غيرها حيث يمتدّ بعضها لأسبوع كامل بين عقد القران والولائم اليومية وحفلات الخناء النسائية وصولا إلى الشهرة الأخيرة التي يجتمع فيها العروسان. لكن ذلك الأسبوع برمّته لا يضاهي تعقيد العشاء الرّسمي الوحيد الذي يحرص عليه الفرنسيون! فستان ما بين العفوية التي تجمع الأقارب والأحاب حول أكلة كسكسي تونسي بلحم الخروف منزلية التحضير. وبين الدقة التي يجب توزيع قائمة المدعوين بها على الموائد في حفل فرنسي! لا يوضع اثنان على خلاف على نفس الطاولة.. ولا يفترق بين صديقين، ويجب الحصول بصفة مسبقة على تأكيد كل فرد مدعو. وتعويض كل من يعتذر بالشخص الذي يليه على قائمة الانتظار، حتى لا يبقى مقعد واحد شاغرا!

ثم تظهر معضلة جديدة لحشر المدعو الجديد في الطاولة المناسبة! وهكذا يستمر الضغط حتى اللحظة الأخيرة! لأنّ الطباخ سيعدّ مائة طبق مقبلات ومائة طبق رئيسي ومائة قطعة حلوى بلا زيادة أو نقصان! أطباق فرنسية فاخرة تناسب ذائقة ضيوف البروفيسور كمال!

مطّت شفّتيها في ضيق. لقد حارب هيثم طويلا ليقنع صاحب المطعم بالتزوّد من لحم مذبوح على الطريقة الإسلامية، بعد أن رفض والد العروس إقامة العرس في مطعم عربي. إنّها تقدّر له حقًا احتواءه لنزوات والدها، وتقبّله لشروطه المشدّة، إكراما لها.. وحفظا لماء وجهها.

كلّ ذلك يجعله يكبر في عينها. وتزداد غيظا لكونها ابنة البروفيسور كمال.. أو «سامي كلود» كما أخذ يسمّي نفسه منذ زواجه من إيلين كلود! فكّرت، هل تراه يغيّر اسمه ثانية بعد الطلاق؟! ابتسمت في تهكّم وهي تهكم في رسم علامات على المقاعد. لقد تقاسمت وهيثم الطاولات

العشرين بالتساوي. ستمنح والدها أربع طاولات لضيوفه، لا أكثر. وتُبقى الستّة الأخرى لضيوفها وبعض معارف والدتها. صداقاتها محدودة في باريس، رنيم -شريكتها في السّكن- ومرافقها، دافيد المشرف على رسالتها، وحفنة من الزميلات.

ولأنّها لا تطمع بأن يرد كل من إيلين -طليقة والدها- وشقيقها باتريك على قائمة البروفيسور كمال، فيجب أن يكونا على قائمتها هي، فهما يعتبران من العائلة رغم كل شيء. إيلين كانت أكثر من صديقة، لقد قبلتها في بيتها وعاملتها بودة، ولم تحمّلها وزر نزوات والدها. أما باتريك، فقد كانت البداية بينهما. حسنا، فلتقلها.. سيئة! لقد كان أكثر تحاملا من شقيقته. لكن الأمور قد غدت على ما يرام الآن. ماذا عن ابني إيلين، سارة وريان؟ على أية قائمة سيكونان؟

أسندت ذقنها إلى كفيها وزمّت شفيتها في تفكير. إنها تحاول إحسان الظنّ بالدها، لكنها ترحح لومه! سيحاول استغلال كل الفرص لتوسيع قائمة ضيوفه. تخيله يبادرها في استغراب:

- ألم تضعي أخويك على قائمة ضيوفك؟ إنهما على مسافة متساوية بيني وبينك من حيث درجة القرابة، فلا تغابي يا عزيزتي!

وسيكون محقًا، بالتأكيد. البروفيسور كمال دائما على حق. ثمّ اليس من المنطقي أن يكون ريان وسارة على مائدة أمهما وخالهما؟ إذن فلتبادر وتملأ الطاولة بنفسها.. إيلين وباتريك، سارة وريان، والمقعد الخامس لصديقة باتريك. لا شك أنّه سيرغب في اصطحابها.

ماذا عن والدها.. هل تراه يصطحب صديقته الروسية الجديدة؟ حين رفعت رأسها، لمحت هيثم وهو يصافح رجلا ما. تقرّت بقلمها على الطاولة ثم أخذت تدوّن على حاشية الورقة قائمة مرتجلة لمدعوها. لديها متسع لخمس وعشرين اسمًا بعد. توقفت فجأة، ورفعت عينيها مجدداً لتحقّق في الرّجل الذي يتحدّث إلى هيثم. كيف أخطأته في المرّة الأولى؟



ارتبكت. ماذا عليها أن تفعل؟ هل تقف لتحية وتسأل عن حاله؟ أم أنها ستعرض نفسها لنوبة غيرة أخرى -غير مبررة- من هيثم؟  
عمر الرشدي!

غار منه هيثم قبل أن يعرفه وقبل أن تقبل هي بخطبته لها. غار منه منذ عرف بوجوده. منذ عرف أنها بكت لحبسه. ثم ظهرت تلك الغيرة للعبان في مناسبات عدة بعد ذلك. حرص على متابعة تفاصيل القضية عن قرب حتى لا يغيب الرجل عن عينيه. وحين أطلق سراح عمر قوام هيثم عنها بتوصيل صكّ التعويض الذي تركته رنيمة.  
ومنذ اللقاء الأول، نشأت صداقة ما بين الرجلين!

تكذب لو أنها أنكرت تسأل الذكريات القديمة إلى فؤادها بين الفينة والأخرى. تستعيد تلك الأيام البعيدة، حين كانت تركب المرو في «ليون» وتترقب وصول «توام عقلها». لم تكن تعرف اسمه في تلك الآونة. كان مجرد وجه، وعقل وكلمات! يشاركها ولعها بالقراءة، ويناقشها في كتبها المفضلة، ثم يفترقان، بلا وعود أو عهود.  
ولقد افترقا، إلى غير رجعة، ذات صباح.

ولم تدرك أبداً أن ما فَرَّقَ بينهما كان أشجع من أسوأ كوابيسها.. حتى ملأ الخبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة!

حادث مختبر الكيمياء.. العملية الإرهابية المزعومة، وكبش الفداء: المتهم العربي الذي كان حاضراً على عين المكان! لقد عاش عمر الكارثة، وحيداً، أصيب بحروق بالغة في الحادثة، وعانى من آلام فتاكة.. ثم حين أخذ يتجاوز محنته، وجد نفسه في غرفة حجز انفرادي، وقد وُجِّهت إليه تهمة التفجير الإرهابي!

تلمح تلك التدبة البارزة أسفل عينه اليسرى. لم تفلح الجراحة في إخفائها. ستبقى شاهداً دائماً على المأساة. استمرت المحاكمة المضنية ثلاث سنوات كاملة، وقد استبسلت رنيمة كمحامية دفاع، حتى أثبتت براءته.. بعد حكم أول بالإدانة، واستئناف يائس! لقد صنعت تلك

العمومة المعجزة، وقد توارثت في القصص حتى النخاع، مهتبا ووجدانيا،  
نعم، يا لغيرها! لقد كُتبت هي ورفقتها، ثم بكة سكها، بالرجل  
ذاته!

لكنَّ الظنَّ قد اختلف، لم يكن عمر يحتاجها هي باسمي  
في حصة، بل قد كان في حصة إلى راسم المحاسبة، لا حصة ونهارها،  
ليست هو...

هل كانت تصعب عليك أن تتد خلقتها الوليد، ولحم النعان الوليد؟

وهل كان يدعها خيال الحوا؟

أنها لم تكن واثقة أن كان عمر يدعها أملا، وهل يكثر من يعيش  
محبته في وجه معهل كان يرافقه في رحلة السروا، وخطهم خالوا السار  
من المصوم مستطوع لتسجهم بالحوائط المستطعة المعلقة ويستدون  
فوقها قصورا من الرمال، والله كانت هي خالصة السار، معتلة الوجدان  
لألسانها، مظاهرة عاطفة حاملة!

لذلك حثرت أن تكون واقعة عملة، ولحفظ ماء وجهها،

قدراك الآن أنها لم تدر وجهها لوجه، منذ سنة على الأقل، منذ اللحظة  
الصغيرة، احتما بياضه، قل ستن، تقاطعت طرفهما يصنع عزات،  
لقد أن قصيرة حاطقة، لا يحسب مقاربه بحوارات المترو الحالية.  
في تلك اللحظة، ارتفع ربي هاتفها، قالت: تغلبت به عن الشهد أمامها.

- باسمين، أين أنت؟

ارتفع تبضا أكثر عن قبي قل وهي تود في تلغيم؛

- أنا في البيت الصغير، ماذا عليك؟

- ستكون عندك خلال دقائق.

الغلبت راسم الخط قبل أن يتمكن باسمين من التعليق، هل كان عليها  
أن أخبرها أن هناك غير اعتيادي في المطعم؟ حتى رفعت باسمين  
رأسها أن الرجال على بعد خطوتين من طاولتها. حياها عمر بأدب في

حين ظل هيثم يمسك بكفه في ألفة وودّ.

- كيف حال رسالة الدكتوراه؟

- بحر.. قريبا أنهى منها.

علق هيثم في حفة:

- إنها تعفد الذعر نشر أعصابي!

ضحك عمر في حين احتج باسم:

- إله سالع. هل نطني أسمع بأطالها؟

- مرحبا!

التفت الجمع حين جاءهم صوت رسم الذي جعل في الصرح بالدفء، وهي بهرول في اتجاههم. وطلعت بحصورها الطاعن مثل باقة زهر بريّ فوّاحة، أو حوفة عصافير كساري صلدية.

- الرّحام اليوم لا تطاق، وألحو حائق بشكل لا يصدق.. وبحر ما يرال في شهر أبريل! سطرنا صف حاز أكثر من العلاء!

كاتب تكلم، وأناملها بعثت بحصلاتها المرسلة على كفيها، مثل حبوب حرير ملقّة في بهابها، بينما تراقص أفراطها القاسية الطويلة في عومة وحادثته. حتى في ضففا وعصفتها، بدّق من كباتها سحر لا يقاوم. لطالما نساءت باسمين، هل يمكن لمنز أبا كان، ألا يقع في عرام ربيع؟

لم تكن رسم قد اسهبت إلى الرجل الذي يصف إلى حوار هينم فتصرّفت على سحتتها. وما إن التفت العمور وحصل لتعارف حتى نوّثر الحقّ فحاة. نوقعت الكلمات على شفتيها وفقد وجهها ألوانه. كان عمر أسرع منها في نمالك نفسه. سألتها بيهجه معاندة:

- كيف حالك أسادة ربيع؟

تمنمت بصوت محسوق لا ندري كيف نحاوّر حلمها:

- بخير، وأنت؟

- بخير. شكرا لسؤالك.

كان يبدو باردا ولا مباليا لدرجة لم تتحلقها. دون أن تشعر، أحدثت نعت في عصبة بالحاتم في سراها. في الأثناء، كان هينم قد استلم رماح الحديث ليحكو سطوة الارثا الذي سيطرت على الجميع. تحدثت بأمور عاقمة بعيدا عن المسائل للشخصية، ثم دعا عمر لحضور حفل الزفاف.

- سأحضر لك مكبا على طاولة العراف، حتى تلعب أسماء الغنيات العازيات!

ضحك هينم لمرحه.. لكن أحدهم لم يحاره. الاسم انتسب انسابا مستحقة على وجوه ثلاثهم. كان بحلول إصغاء بخضر المرح، لكن رؤات الفعل حانت مضطربة ومركبة. بدا أن أتت من محاولات لم تنجح في تجاوز المرارة التي غدت مسطرة على العلاقات التي جمعهم في التناق. غالب رسم وفد المهم أن عليها الإجابة أولا:

- كان من الحميل رؤيتكم حبيبا، لكن لدي عمل مستعجل.. يجب أن أذهب الآن.

ثم أصافت محاطة باسمي:

- أراك مساء!

أومأت باسمي باسمي، ولوّحت نودعها. لم يحاول أحدهم استنقاءها. وكان رجيلها كان أمرا ضروريا ومسلما به. استدارت على عقيها وانعدت بخطوات متعثرة حتى نوارت في رحام المركز التجاري. بعد دقيقتين، قال عمر وهو يشير إلى كيس الطعام في يده:

- لدي بعض الأعمال. سأخذ طيفي وأساوله في الطريق.

أوما هينم متفهما ثم رافقه حتى المرح.

تهدت باسمي حين أصبحت بمفردها. عادت إلى محطط موائد الحفلة وحرصت على طاولة في أقصى اليمين اسم ريم، ثم احتارت أقصى طاولة ناحية الشمال ودوّنت عليها اسم عمر.

دخل عصر عرقه المزدق وهو شعر بصق شديد. وصنع ملففه على  
 المصيدة العرسه وفك ربطه عفه وفتح يافه قصصه، ثم اسلف على  
 السرير المردوح وهو سفد. لم يكن يرتدي المدلات الزمعة وربطات  
 الخلق حنا بها، لكنها الأنسب في وضعه: غالبية العالمة والاكمام  
 الطويلة يعطى مساحات جلده المخرق بشكل كافٍ  
 رغم كل العنتاب الحراثة التي أحرأها، فإنه لم يحصل على جلد  
 جديد بعد! ليس الأمر سهلاً أو بسيطاً، وذلك الدبة لم يمل عليه  
 اليسرى، قد لا ينجح في إحطائها أبداً. لكن صفه الروم لم يكن يسب  
 الحروق. لقد غشيها كالحزن السحاب الأربع على الحادثة. لقد ألب  
 حالته الجديدة ونعود منهج الجلد المكتمل المحقد المشوّه.  
 لم يعد ذلك يؤثر فيه؟

ليس بالصسط. لكنه تفعل انلاؤه ونعابض معه. لم يعد شبر دعره  
 مثل الآتام الأولى لتخلصه من اللعاقاب القطنة البضاء. ولم يعد  
 صدره يقبض ويقشعر حسمه كلما التقى راحة يده بملمس تضاريس  
 جلده المشع. لم يعد مسافر شرته يؤلمه ولا حراجه تؤرق نومه. لكن  
 الوجد الحسدي لم يكن ألقى ما عاباه بعد الحادثة.

بعد النطق بالحكم الأول، عرف كيف يكون الوحده حقاً. امرأان كانا  
 عوباً له في فترة نوبته في المستشفى، اجتمعا في نفس الوقت نمرين.  
 كارولبي وريم. الأولى لم يكن يعتمد عليها كثيراً، لكن رباتها سررت  
 عنه بعض الشيء. أما الثانية، فقد كانت كل شيء... المحامسة والضدبفه  
 والأمل!

لا بدكر أنه قد ونق في أحد من قبل مثلما ونق بها. أو اقتقد أحداً



من قبل مثلما افقدها لم يكن هناك شيء أو غير معقول واحد  
لوحظها المفاجيء وهو لم تكلف نفسها حتى أن تخلق واحدا حتى  
جورج وليس مكسها لم يملك أن يوضح شيئا قال إنها راجلت فقط  
هكذا وبدون مقدمات.

ليائها مائة فراما فحما في وحدته، تزامن ذلك مع انتقال إلى سطح  
الإفصاح، حيث وضع في بداية الهوائية، لم يحلف بحدته هناك هي  
وحدتها الصلطي أو من ضمن الإفصاح، لكن الأصل هو الماري، لم يصد  
زيتهم المخلط بله بأخبار حذيفة وأقترانان، ويطن: إن في العجلة لم  
بعد تدخّل على أحد، أعما السحان حاملا للطاقات الخدماء التي بله وغير  
المصنعة.

وطوال عقد أسير تلاعبت به اليواخير، رفع الاستاء أن تكون مقروءة  
فه أمهات بعض أقراء عائلتها، أو أن تكون ضلوك السخنة السائلة قد  
لمنلا برصة وأفعدتها عن العمل، أو أن يكون المأمور الصلة قد ورطها  
في مخالفة ما حتى يتم طردها من سلك المحاملة أو توفيقها عن ممارسة  
المهنة

لم يكن هناك غير تلك الاحتمالات المفجعة التي بإمكانها إبعاد زيم  
عن اللطفة أو هدا ما يقه لرمز طويل، حتى أخيره جورج بلهجة  
هائلة:

- اسم رجعت إلى مصر، لن هو؟ هل تفهمي؟ أنا محاملك الآن -  
سقوم بعمل جيد معا، تو يا

شرا عمر في صدمة، أفداته في وقت متأخر إلى صله العاطفي إليه  
لكنه اعتمد طويلا أنه سيتجاهل تلك المشاعر وينسحبها لمحرك أن تنهي  
الصعامة، كان يحسب أنه يصك بمرام الأمور وسيتخذ قرار الانسحاب  
نفسه عن وعي كامل وقاطع، حين يصبح الوقت مناسباً لكنها لم  
لميله، قرّرت، ثمه ولاصحت من تلقاها لها لمتكة في التسلسل عالي  
المحليها كخيانة فاسية، لم يتخطاها إلا بصعوبة

لكنها كانت فرصة سايحة، لمخص قاعانه ومادته. لقد كان ذلك هو الصواب. الطُروف الشائكة: الحس والوحدة والحاجة إلى الركفة، هي سب الناس مشاعره. ما أحس به حاجة محابته ليس إلا امتنان.. وما كان منها ليس إلا شفقة وتعاطف. مهما بدا ذلك فاسيا، فإن وضوح الرؤية أمر محمود. وعمر ما يحلّقه من فراع في الوحل، وخواء في الروح.

ثم ظهر السوم. مثل رؤيا اشقّ عليها الصابا طهرت هكذا في تلك الظهيرة. راحا للمرة الأولى منذ إطلاق سراحه. للمرة الأولى بجمعهما فعلا مختلف عن السحر والتمسّخ وقاعة المحكمة. لم بعد تربطهما علاقة الحامية وموكلها. كانت مختلفة. لا بقصد نكبتها، فهي حميدة ومألوفة كعاديها. لكنها لم تكن وانقه ومحبته مثل زهر التي عرفها. بدت مدعوره وهشة. كأنها رأت شيئا! نعم، لقد كان هو ذلك الشبح. ولقد ألمت بظلالها، الفرعة تلك. لم تسعد برؤيته.

لم تكن سطر منها نرحسا حارًا أو مشاعر حارقة، لكنه نمتى لو يهاجن في عبيها شيئا عمر الصدمة باسمين فتاه المنرو كانت سعيدة برؤيته خارج السحر، فلماذا لم تُد ريم قدرا صنبلا من التروور، كصديقه؟ نعم، لقد أسه إلى الخاتم في بياها، فهي لم تقصر في شد الانشاء إليه. لكن ذلك لا يترز شيئا على الإطلاق. لم يكوبا عذوبس يوما.. لماذا

ادن؟

...

لم ندر كيف تمكنت من الوصول إلى شقها، فقد كان كل شيء في الطريق صلبًا وعائيا من خلال دموعها. لم نرجع إلى المكتب لأعمال نشعلها كما ادّعب. كانت قد فرغت فترة الظهيرة من أجل بعض النسوق، ولعلها كانت لتسحب باسمين من بس أوراها لتراقفها. لكن كل محطّاتها انهارت في اللحظة التي التفت فيها عباها بعبيها.

بحاورت عرفه الحلوس وألقت حبه يدها باهمال، ثم هرولت إلى

عرفنها، وأعلقت بابها بإحكام، رغم أنها كانت بمفردها في الشقة. أثنأت عليه وأبغضتها تهذج في اضطراب. هل نحاول إحصاء أبواب قلبها، لتبقي مشاعرها الجارفة خارجة؟

كانت حائفة برنعد، كأنها ترفض حبسها إلى عاجز حسنة فد اندثر، حتى داهمها على حن مرة. سبط شديد، ابرلق طهرها على امتداد الباب الحشوي حتى استقرت حائفة على الأرض. حس لأمس حسدها الحلم البارد، وصعدت وجهها من كفها والعطفت في بكاء مريب.

كانت روبة عمر السوم أمرا غير متوقع أو مأمول. مصب سبتان مذ أنه للمرة الأخيرة في قاعة المحكمة، حتى رافعت في قضية للمرة الأخيرة. كان ذلك لغاها، هما الوحيد خلال التسويات الثلاث الماضية. لم يره قلبها أو بعدها، بعد أن هددت كل السيطرة على محرمات حبسها. حس عادت بارز من قبل ثلاث سنوات، كسبت حتى نفسها بعودة سريعة. إحارة قصصها مع عائلتها ثم تعود إلى عملها.. وإلى عمر. لكن أبنا من ذلك لم يحدث.

لقد بهت من دانك يا رسم.. وفقدت الوصلة!

لقد كان رحيلها الأول اضطرابا.. لكن استحباها من حياه عمر كان احتبارا. نستعد الآن تفاصيل ذلك اليوم الأسود. يوم قررت دامعة إلى المطار، بعد أن ساومت والدها على نكاح صحتها. سسافر إلى مصر، للتفاهة، مقابل صك بقيمة خمسين ألف يورو! لقد أرادت لعمر أن يتنعم بذلك الصلح، فيقوم بالحراة التحملية لدوبه إتان الإغراع عنه.

كانت حالة قلبها الوحيد المتفقة قد بدهور، بعد أن تزعمت بكنسها الأولى، لحنها الأول.. مبال! نصحك الان من نفسها. لشذ ما كانت عنه! لقد بهتت في عاصفتها أكثر مما يقبله عمل. صحت بكتابة من أحل مبال.. وافترضت صلحا لا تقدر على سداه من أحل عمر!

والآن ماذا؟

لقد تخطت كليهما.. أو هكذا حسبت.

## القاهرة، أبريل ٢٠٠٥

حطت الطائرة في مطار القاهرة عند العاشرة لبلا. كانت مرهقة من الرحلة، مستعدة الطافة بعد يومها المندم في المحكمة. قال لها والدتها بحفاوة لم تتعودها، وعامليها الصمع بحق وموذه.

- ريم، حسي.. ما نال وجهك بهذا الشحوب؟

التمصت في يموه:

أنا بخير.

سكنوس كذلك.. بخاحس الغلل من ابراحه. اب هاذو وصكهه بشأن العمل.. مثل والديك لتمام.

لم نشعر يومنا بالقرى من والديها. كانتا حين عروحتا تحت سقف واحد. طفلة مكرمة ترستها لثمرته، ولم نصاحبها في مراهقتها ونسائها، بل انشغل عنها بالتادي وستدائه الهاي كلاس، ومافسانهن الصحافة حول الموضة والمكياج والمجوهرات والممتلكات.. ولم نظمع في أن بتعتر ذلك فحاة.

بيئت بعد ذلك أن الثعير المباحن كان ساء على نوحها والدها بمقتضى بقاها الحدينه. كانت تلك السملته المرحله للاسحام العائلي صمر حظه سكتيف كهها يدرجتا.

أمصت أنا ما هانته من الترهة على شاطئ البحر والاسترخاء المريح في عرفنها، في ناله الإسكندرية. كانت استراحة مسحقة، بعد جهد مصي في فصيتها الشائكة. وقد ساعد الطقس الربيعي المضمض على بحسن مراحها بشكل كسر.

كانت عائله كلها قد رافعها في إحارة جماعنة، لأول مرة مد.. مد الأول! لا نذكر قط اجتماع عائلها الضعيرة المتسافرة من أجل الإحارة في العقبين الماصين.. والداها وهي وشقيقتها رانيا.. ولا أحد غيرهم!

لكنّ بالها ظلّ مشغولا بشدة. كانت تتفقد رسائلها الإلكترونية عنده  
مِزَان في اليوم ، وأملها في كلّ مرة أن تصلها بئري من جورج بشأن  
الاستئناف. كانت قد سجلت شهادة كارولين وحارس الشركة -التي يصرص  
بها أن نصنع قارفا واضحا- وعهدت إلى رئيسها في مكتب المحاماة أن يرفع  
الطلب إلى المحكمة. لكنّ كارولين نفسها اختفت ، والشهادة لا قيمة لها  
في ظلّ غياب صاحبها. وكان على جورج أن يصغر في إثرها. ومع تعالفا  
الآثام دون وصول العمر المرحوم. أحدث نشر موضوع الزميل من جديد  
قال ذلك الضاح على مائدة الإفطار وهي صنعت الامتياز:

- الله.. لقد كانت إجابة رائعة.. مصي رمز بعيدا من حبيبكم بالاسترخاء  
هكذا الآثام طويلة دون أن أفعل شيئا  
رمفها واندها بنظرة جسيمة وهو يلوّن لظن من الأسماء. ولم يعلّق.  
فأصافت:  
- أنظري قد أحدث نصبا كافيا من الحمول.

استمرّ نحاها وهو ينشر إلى مدبرة المنزل بأن تسكب العريد من  
النّاي في قدحه. سما تكلم راسا التي لم يمارق عباها جهاز الهاتف  
من يديها، لنقول في سحرية:  
أفصحي يا أختي العريضة.. فوالى أنت برعس في العودة من حيث أتيت،  
فالتصيح لر بعدي

رمفها رسم نظرة حادة. وقالت في نسي محاطة والدها:  
عندي فصبا معلقة.. والعمل ينطري.

قال في لا مبالاة:

سندتروا أمرهم.

هبت على الفور:

- إنهم لا يفعلون! أنظر صد آثام منخذات فصبة هامة.. هامة  
حدا.. لكنهم لم يفعلوا شيئا بشأنها.. إن لم أهتم بالأمر بمفسي



فسوف نخسر القضية!

ضرب بقبضته على المائدة في حزم:

- فلنذهب الفصبة إلى الحبيب! أنت لن ترحلي إلى فرنسا أبدا!

فغرب فاها عن مصدقه. لكن والدها كان صارما أكثر مما توقع. استمعت إلى مرافعة الطويلة عن ضرورة بل فسط وأقر من الراحة لأنها هبط صحتها طويلا وحملت نفسها ما لا تصح. ثم أعيد بلوحة خاطئة:

- سنعود إلى الإقامة مع العائلة بشكل نهائي في القاهرة.. فهذا مكانك الطبيعي! تريدن مكسا وفساسا هامة! ستحصلين عليها.. لا تقلقي! حاولت الاعراض باسمه:

- لكن مصري المهنة وباريس كانت في أوجها.. والجنبي عن إحاطي السابعة في هي! التوجهت لخصم بعني البد، من الضمير! فليكن! لن نعرزي عما مره أخرى. لقد قررت وانتهى!

لم يسمع كل حجبها: العقلية والمطقة، المهنة والذاتة. كان والدها قد عدا أصغر أمام رجانها عن المحدي. حين انصرف إلى حصة العولف حاضنه، التفت إلى والدها، يحاول استئمانها عليها بكفل بإفاعة، فعالت السيدة ناريمان بانسامه:

- عزيزي، لقد أصبحت في سن ملائمة جدًا للزواج، وعليك ألا تؤخر ارتباطك أكثر مما فعلت. إلا نواقص الرائي!

كانت قد بلغت السابعة والعشرين. وكان يفرض بها أن تتعري إلى شات «ماسب» من حيث المعايير المجتمعية. وبما أنها لم تحصر عرسا احباريه نفسها، فقد صار عليها أن ترضى بطريقة العاري العليدية.. «زواج الصالونات»!

عصت على نفسها السمل وهي نرن كلمانها التالية. الأمهات عاليا منقلمات لعواطف ساهن. ربما ليس والدنها هي، وربما لم نختر مدى نفهمها من قل. لكنها قد ندم إلى الأبد إن هي لم نحاول. قالت في

تردد:

- في الحقيقة.. هناك شخص ما في حياتي!

التفت إليها ناريمان بعينين متسعيتين دهشة وتحقرا:

- حقا؟ اصلا لم تطفئ صد الدابة؟ هل هو مصري؟ من نوع عائلة؟  
أي مركز يشغل والده؟

أغرب في صفي. ما إن شرع في الشرح، سنفقد مساندتها المحنطة على  
الممر.

- ليس مصرياً.. إنه من المغرب! ولا أعرف شيئا عن طائفته، لكنه دكتور  
في الفرياء، ومنتمٍ في محاله!

حدثتها بشأن عصر وفجسته التي كانت تعمل عليها في المبرة العاصية،  
عن الانحار الثعري الذي حطم حياته، وصحة ظلمها وهماها، ورحتها  
بأن يساعدها في إقناع والدها بالسماح لها بالرجوع إلى باريس. وكانت  
حدفنا ناريمان تسعان صدمة ودهولا مع كل كلمة. حين أنهت ربيم  
روايتها، كانت ملاصق ناريمان عاسة حادة. لم يكن هذا ما توقعه.  
- دعيني أفكر.

لكن ما حصل فيما بعد، والذي اعتبرته ربيم حياته لسرها، كان أبعاد  
ما يكون عن التفهم والمساندة. فقد نقلت والدتها الحوار تفاصيله إلى  
والدها، ليدلف إلى عرفها في مساء اليوم ذاته، وقد استجبت أوداحه  
واشغلت عيائه حمما. صرح فيها في جنون:

- مسألة العودة إلى باريس أصبحت طبي الإنسان! ولا سبيل إلى مراجعته  
هذا القرار!

تكوّن ربيم على نفسها في سربرها، مخنقة بالعبرة، وهي تستعيد  
كلمات والدها بحقٍ عمر. كان ارتناطها به مرفوضا تماما، فهو لم يكن  
مصرياً أولاً، وعائلته لا تنتمي إلى الطبقة المحملية ثانياً، وهو محكوم  
بالسح أحيرا. وتلك صفات لا يمكن بداركها!

## القاهرة، مايو ٢٠٠٥

مررت رسم بصره انهار وإحباط شديد. انقضت الإجازة التي أنشيت  
عند جدواها، ورجع الجمع إلى القاهرة، يحزون أديال حبة ونشيت  
وسافر!

أغلقت عرفت على نفسها وأصعبت عن الحديث إلى والديها. حررت  
إصرار الجوع لأبام معرضة عن أطباق الطعام التي كانت تحبها مع  
الخدمة. ثم أنشيت بيتها معوله بانسة، فلم يكن ذلك ليخرج والدها  
عن موقفه قيد أنملة.

لكن معوياتها لم تجدها صر وردها اتصال مفاجئ من جورج:

- عزيزي رسم، أين أنت؟ عندي لك مفاجأة مذهلة!

- قل أي شيء بعيد إلى الأمل يا جورج.. أتوتل إليك!

ضحك وهو يقول في مرح:

- أين روحك القتالية يا أستاذة رسم؟ لم أعهدك مستسلمة هكذا!

همست في مرارة:

- ذلك أتني لم أعرف الإقامة الحرجية ولا إصرار الجوع أنها! دعك من

هذا.. هل ظهرت كارولين؟

- ليس كارولين.. لكن هل تذكرين البروفيسور ستيفان غارديان؟

- بالتأكيد!

إنها تعرف كل شاهد في القضية، ماضيه وحلفائه وبياناته الشخصية،  
ونحفظ كل كلمة قبلت في نص شهادته!

- لقد رارني بالأمس في المكتب.. هل تصدق أني جاء يبحث عنك.

ليرفع قضيته على شريكه كريستوف بوارو<sup>١٩</sup>

كريستوف وسيفان، كانا بائعين في نفس المركز الذي يعمل به عمر. كانا شاهدين رئيسيين في القضية.. شاهدي إدايه وخها له تهمة سرقة بحاربهما البحتة وبحريهما، مما أدى إلى حادثة الاسحار

سيفان الذي اكتشف من خلال محاكمة عمر وجود ملف أبحاث لأن عمر ذلك الذي نرى منه، ذهب للقاء البروفيسور سامي لود كمحقق مطّاع وأيضاً كضاهد في القضية وطلب الحديث معه عن أبحاث عمر. كان عمر قد أرسل نسخة من أبحاثه إلى البروفيسور سامي كلاود والد باسمين قبل حصول التحليل وتجميع المحررات. لم ير سيفان من وجود اختلاف جوهري بين البحثين، يدّعي أن غريده كريستوف هو الذي أحرى إليه بإتراء من مكتور عمر كـ... سعى منذ إدايه إلى سرقة أبحاثهما المشتركة.. لذلك تمزج ووجه إليه بهما السرقة العظيمة في قاعة المحكمة

لكن كريستوف الذي اطمأن إلى الحكم المسلط على عمر، احتفى فحاه دون إعلام سيفان بوجهه، وبجاهل أي تخطيط للعمل المربح لاستكمال خطوات مشروعهما المشترك.

كل ذلك أثار ربه سيفان.

فقام على الفور باتصالات كتبه شبكة علاقاته في مجال الأبحاث العلمنة وقد استند به الشكوك. حتى اكتشف نشاط كريستوف الجديد مع شركة سويسرية لها فرع محلي في مدينة «غروبول» الحدودية. ولم يطل نفذه حتى استوعب أن كريستوف باع حقوق بحثهما المشترك إلى تلك الشركة بالإضافة إلى أبحاث عمر التي استولى عليها

ولأن الملفات التي صارت بحوزة سرته وحصرية فقد أدرك أن عليه التصرف بسرعة قبل أن تصبح المشاريع قيد السبيل. كان يريد الانتقام من كريستوف بأنشع الطرق، وكانت قضيه عمر هي الفرصة المناسبة. لم يكن وانقا من بورط كريستوف في قضيه المحررات، لكن بهه

مشروع عمر لشركة أحسنة كان كافيا للشك بشأنه. والفصيحة سندقر  
مستقلة المهني وتبني تعافده مع الشركة السويسرية. لذلك فقد دخل  
مكتب المحاماة ملوفا بالمستندات الجديدة وهو يهتف:

- أين تلك المحامية؟

رغم أنه جورج سلفه حين علم فحوى الهدنة التي جاء بها سيبان،  
ولم يتوّد بإعلامه عن شهادة الحارس بخصوص لواء كاروليس على غير  
المكان متكنما عن اعترافها التي لم يكن بالإمكان توثيقها حتى تلك  
الليلة. لكن سيبان صاح على الفور:

- بعكسنا إنسان وجود علامة وثيقة بين كريستوف وكاروليس بسهولة.  
نواجد كاروليس يوم الحادث في الشركة وسرفه كريستوف لأنجان عمر  
وبعها لشركة أحسنة.. كل هذا يسمح بفتح ملف القضية من جديد!

هتفت ريمم عم مصنفهم

- هذا مدهل يا جورج! بعكسنا التقدّم بطلب الاستئناف حالا

- متى نرجع إلى إدس؟

كنمت عصّة في حلقها وهي تقول في مرارة:

- ألم أحرك؟ أنا رهس الإقامة الحربية! ابدأ الاستئناف بدوي.

...

تالعت ريمم المستندات عن طريق اتصالات جورج المواترة. صدرت  
بطاقة جلب دولية بحق كاروليس، فتم إيفاعها في مطار هينرو البريطاني في  
عصون شهر واحد، في حين كان كريستوف يحصع للاستجواب بخصوص  
سرفه الملكية العلنية. وما إن علمت كاروليس بأن أمر كريستوف قد  
انكشف، تدفقت الاعترافات من شفتيها بلا أدنى احتراز أو مواربة. لم  
تكن تدرك أن كريستوف يقاضي بشأن الترفه وحسب وأن شهادتها هي  
التي ورطته بصفه بهانية في فصّة التفحيرات!

انتعشت ريمم في مفاها. كالت الأبحار تصلها أوّلا بأوّل. ورويدا رويدا



بدأت نخرج من عزلتها وقد أعادت الأحبار الحياة إليها. وبدأت العمل على خطة محكمة لم بكر لها من هدف وراءها إلا إقناع والديها بالسماح لها بالسفر لحضور المحاكمة الجديدة!

صارت ترافق والدتها للأمسيات الاجتماعية التي كانت تقدمها خلالها بفخر على أنها معاصنة ناجحة عائدة من تجربة باريس مألوفة. ثم كانت تلك الشهرة.

وصلت برفقة والدتها قبل الساعة العاشرة. كان هو العلاء الذي تقام فيها حفلة «الزواج» تلك فصلنا عن أحره، بالأمهات، الخجرات والشبان الأنيقين والفنيات المرفقات في الزينة. وكان ناريماز يحرص على الوصول متأخرة عن الجميع، حتى يكون لديها وريث أنثى في نفوس الحاضرين، فتستدير الأعلى المضولية والقبوة للزيت بالشمع مقدم الحسنة التي يتكلم للمهميئة، توصيها ناريماز يحرص:

- تكلمي كآنك في باريس! العرسية لغة راقية وبعينها ذات ربي حذاب.. ثم اعتدري بحقة وقولي.. «لقد سببت همي، ناريماز أصححت حرا، مني»!

وتفهمه ربيما في استمتاع! كانت حطط والدتها لاصطباذ العريس ندهلها وتعرفها في صحك هسنري. لكنها كانت تتعمد أن تفقدها أعصابها.. فهي الوقت الذي تخطو فيه ناريماز إلى الهو، رافعة دفنها في حبلاء، تتخلف عنها ربيما حطونين، ثم تسحب وتعب وسط الحموع، قل أن تتكبر من تقديمها بالأسلوب المنعطر الذي ترنصيه.

كانت قد تركت المقاعد الوئيرة المنقرضة في الهو والشرفة، وارتفعت برشافة - رغم فستان السانان الضويل - لتجلس على حافة الحدار المحمص المظلل على المسح. الناطهر بالنافه والتراتم الإينيكيت من أحل إعراء رجل ما - أو والدته - بالنقاط الطعم لم بكر صمر نوابها. هل تحتاجين شيئا من البوفيه؟

التفتت حين وصلها ذلك الصوت الرحالي. فألعت شانا برندي قميصا

أبيض وسطالا أسود. بدا مثل بادل. قالت بعفوية:

- عفوا.. هل الاستهلاك إجباري؟

حدق فيها الشاب في دهشة، ثم قال موضحا:

- كنت أهتم بإحصار شيء لقصي، ولاحظت أنك لا تحملين طبفا..

فعرصت الحذمة

ضحكت من نفسها في حرج وقالت:

- أنا صفة.. المطاعم في باريس لا تسمح لك بالجلوس ما لم يطلب

شئنا.. لذلك اعتمد أن الأمر ينطبق على هذه الحالة.

انتم وهو يقول مداعبا:

- أه.. إذن الأنثى كانت تعش في باريس؟

التهمت وحساسة وقد ارتدت جرحها. ها أنها تطبخ دون قصد محطط

والدتها في التفرغ لها نفسها. بل وقد لاحظ صفها:

- الطعام هنا جدد.. في الحديقة، لا أحضر إلا من أجل الوجبات الصحائية!

ضحكت عصبا عنها، ثم فقررت بحفة عن الحدار وهي تقول:

- حساء، لهد أفغني.. سأنتهي شئنا أكله!

سارا بانحاده البوقية، اختار كل منهما بعض الأصناف، ثم عاد برفقتها

إلى الحدار. نهاب.. كان ذلك اسمه. أسر إليها بأنه بصحب والدته مكرها

إلى تلك الشهور، لأنها لم تتوقف عن محاولة إيجاد عروس من أحله.

نحذنا بساطه عن كل شيء ولا شيء بدون تكلف أو اهتمام. لم يسألها

اسمه من تكون وماذا تعمل وهي لم تهتم بمقدار ثروة والدته والعلامة

التجارية لحدائه وساعته الأبيض، وكان ذلك مناسباً لكليهما.

حين انتهت الشهرة، وحين موعد المغادرة، سألها بساطة:

- هل أطعم في لفائفك -صدفة- الأسعوف المفضل؟

ضحكت وهي تقول في غموض:

- ربّما!

حين انهدت بها ناريمان في السبارة أحيرا، هتفت في استنحان:

- لقد رأيتك برفقة شهاب صادق.. بدونما مسحمين!

قالت في لا مبالاة:

- إنه شات لطيف.

- وعائلته تربية! إنه مناسب من كل التواحي.. دكتور حراج، لقد عاد لنومه من أمريكا بعد أن أنهى تخصصه!

قالت ريم في سحرية:

- لقد أجدت التفصي.. هل تعرفين مفلس حدائه؟

- كوبي حادة فليلا! والدته حامت لتحذني بحد أن شهب إليك.. من الواضح أنك نعجبتها!

لم يكن ذلك ما حظت به، لقد أصبت أصعب جئدة وحسب. هزنت كتفها استهانة، محملا تواصل ناريمان:

- هل تعرفين أن والده يمتلك مصانع أحذية نصدر إلى السوق الأوروبية؟ وعقده...

لم نعد نصغي عند ذلك الحد. سرحت سطرانها عبر التافدة. فُكرت في صيق.. هل يعتقدون أن لقاء عاسرا في سهرة اجتماعية سحيقة، قد ينسبها عمر؟

\*\*\*

تكرّر لقاءها بشهاب «صدفة» بعد أسبوع. كانت تعرف عنه الكثير هذه المرة، بقدر ما زنت والدينها في أدبها بشأنه.. وبدأ أن والدته قد لقنته كل المعلومات التي جمعتها عنها هي الأخرى! قال بتلقائية:

- محامية إدس؟

هزنت ريم حاسيها، وقالت بلهجة ذات معنى:

- هل بعترض الدكتور الحراج على الاحتصاص الأدبي؟

رفع كفيه علامة الاستسلام وقال بأسلوب مسرحي:

- سأعترف بكل شيء.. إذا ضمنت محاكمة عادلة!

صحكت، وقد بدا لها الحوار بشكل ما مكرّرا. لقد سمعت القصة  
دانها، عن لقاء الرجل «العلمي» بالألثني «الأدبي».. حين تعارف باسمين  
وهيئتم! علم الاحتماع والحاسب الآلي.. والان، الحمامة والطب. انتلعت  
مرارها مع جرعة الفصحى وهي تقول في نفسها ساجدة.. لقد قرع الحث  
باني وبابك ما عرس، لكننا اتهمنا إلى رواج الصالوات!

ما رأيك في هذه النعمة.. لحدثيني عن أكثر قصته عملت عليها إنارة،  
وأحدثك عن أكثر عملته جراحته أحرصها نعمة!

لم يرفها الفكرة، لم يكرس لها أن تحدث عن قصتها الأهم قصة  
عمر، في الوقت الحالي. لذلك قالت مظاهره بالقرآن:

- عملت جراحته ودماء، ويطون مضوح وأعضاء خارج الجسم؟! لا  
شكرا، لسبب مهمته!

ابتسم شهاب، ثم قال يهدوء:

- لا ندين في مزاج حشد اليوم!

رشف ريم من عصرها في صمت. شعرت بالضحك فجأة، فقالت في  
ملل:

- لن تكون هناك «صدفة» أخرى.. لقد فزرت التمرد. لن أحضر سهرات  
سحبته بعد الآن!

أوما شهاب مؤثرا:

- فرار شعاع!

- خطأ موقعا إد.

- ماذا لو حدثت حدودك؟

رفعت حاجبها:

- هل الابن المطيع قادر على التمرد أيضا؟

- فلنقل أنني وجدت بعض الحجج.. بفضلك!

- آها؟

- سأحفظ بها لقمي في الوقت الحالي.. لكنني سأحرك بكل شيء، إذا وافقت على لقاء آخر.

روت ما بين حاحسها في شك، فسارع بقول:

- كصديق!

لم يكن لدى ريم أصدقاء في تلك الأونة. كانت قد حلفت باسمين وعمر وجورج في باريس وانقطعت عن العالم منذ رجوعها. أما معارفها المحددة، فلم ينر أي منهم رجلا كان أم امرأة اهتمامها عدا شهاب. لذلك لم ترفض، قالت في صنع مصطع:

- سأفكر في الأمر.

- جمل.. نادي الفروسة؟ السب القادر.. على الشاعرة الشاعرة عصرا؟

وقد كانت في الموقعة. ثم تفاعع والداها أنداء، بل أنداء عطية عارمة لعلاقتها المرفقة بشهاب. رافقه ريم بصع مرات إلى نادي الفروسة، فتعرفا على بعضهما بعضا بين الحولات على صهوة الحيات العربية الأصيلة.

كان شابا محترما وعلى قدر من الوسامة والحادية، لم يعارلها بوقاحة ولم ينحج برونه ومكانه الاجتماعي، إضافة إلى كونه مستمعا جيدا.. وهي كانت بحاجة إلى التمسك عن مكروبات صدرها. شكك له عباد والديها ومنعهما إياها من السفر للانتهاء من قصبتها، لكنها سكنت عن مشاعرها الحاضرة تحاه عمر. فوجدت فيه تشجيعا ومساندة.

ثم وصلنها دعوة مفاجئة من والده شهاب على العشاء!

- لا تحشي شيئا.. إنها مجرد وجبة عشاء عائلية!

قال مهوئا عليها وهو يلصق صدرتها.

- ما الذي بطئه والداك بشأني.. أصدقني القول؟

- إنهما بطآن ما يريدان أن بطأه. أوبس كل الأولياء بهذا الشكل؟

طمأننها اسماءه. إنها تعرف نوقعات والديها أيضا. لكن علاقتها  
بشهاب لم تتعد الصداقة الريبة. أخذت بقسا عميقا وقالت:

- ما الذي سيحصل لو اعتذرت؟

- لا شيء! لا شيء حقا.. أنت لست مجبرة. لكن...

- لكن ماذا؟

- فبذلك سيكون حذمه في ذلك.. لا مزيد من الشهرة الاحتفالية  
الصحفية.. أليس كذلك؟

فكّرت للحظات. لقد كان محفّا. تهتت وهي تقول:

- أقل وأمرني الله!

حين أغلبت ذلك الغضب أعظم والديها لمر الدعوة، فزانت علامات  
الفرح الطامع على ملامحهما. كانت تلك لحظة سعيدة فقد كانت قات  
فوسين أو أدنى من الأزمات الصخرية لم نمر بارتباك تلك الليلة وهي  
تغلب في حراة رسم، تنقي عنها الفنان المناسب للفناء رسم بحانها  
المستقبلية!

في الأثناء، كانت إجراءات الاستئناف تتقدم وأصبح مسألة السعر  
ملحة أكثر. وقد كان توقيت الدعوة مناسباً للغاية. حين رجعت من  
صياغة عائله شهاب، تحدثت بشهاب عن الاستقبال العاخر والطعام  
الشهي والحفاوة البالغة.. تركت لوالديها المساحة الكافية ليهنأ نفسيهما  
بالمصاهرة الثمينة التي تلوح في الأفق. لكنها بدت شاردة ومهمومة على  
عائده الإفطار في العبد. استحوذتها باربعين في شك:

- هل اتصل شهاب؟ هل قال والداه أننا بشك؟

هزت رأسها علامة النفي. فتهدت والدتها في أرباح ثم رمقتها في

عتاب:

- بفرص بالعريس الموعدوه أن يكون أكثر تألعا.. أم أن الشهرة أروعك؟

تهتت رنيم في ضيق وهي تقول:

- لقد تحدّد موعد المرافعة في الفصّة بعد أسوعين.

احتلست نظرة متوقّنة إلى والديها، وهي نصيف برفرة حارة:

- أشعر بأنّي إن لم أفض في قاعة المحكمة هذه المرة، لأنهي ما بدأنه..  
فسأندم بميّة جبار!

ينهل عرب - وموقع في أن - كان والدها التي عويكة وأكثر نفيمها هذه  
المرة:

- إن كان الأمر يعني لك الكثير، فلا بأس.. يمكنك المرافعة لمرة أخرى  
في هذه الفصّة!

فقرت عبر مصدّفة لعلفه بحمار وبهجة. بسرور: وحظتها للمحكمة  
أما أكلهما أحراراً! تكلمت كأنها تشعر بنفي، من الضيق لامتلاكها شهاب،  
من أجل نحسب عليها.

أعاد إليها والتجّأ حولها في العبد بعد أن أسرع منها وعدا بأن  
تمكنت أسوعاً واحداً، وترجع بعد النطق بالحكم صابرة ودور بأحرار.  
كانت يدرك أن علاقتها بشهاب هي الضمان الرئيسي بالمسعة إليه وليس  
الوعد الذي قطعته!

...

سافرت إلى باريس مرة أخرى.

عكمت مع جورج على إعداد المرافعة طيلة الأسوع، وسحب لها هذه  
المرة أيضاً بأحد الكلمة. كانت تندی من الاستمالة فدارا لا بدع للشك في  
حذبتها محالاً.

دمعت عيناها وهي تدلف إلى قاعة المحكمة من حديد بعد إحازنها  
القسرة. ظهر عمر عبد مصّبه الدّفاع. كانت قد غابت عنه قرانه الشهور  
الستة! فرأى في عيبيه الذهنه والمعاناة، وهو براها تخذ مجلسها إلى  
جواره، كأنّ شيئاً لم يكن!

كانها لم تتركه كلّ تلك الحنّه للهواحسن نهشه!

تلقي التحنة بساطه، كأنها قد نخذلت إليه بالأفس!

نأخذ الكلمة ليصدق صونها في قاعة المحكمة مثل الأتيام الحوال! لم يكن يعلم كم نطلب الأمر من نصحات ومعاناة حتى نلقى ذلك الموقف من جديد. ولم يكن ليحذر كم حاهدت لتعلب عرنها وتماسك أمام القاضي والمختصين، ووجهة التاصح بالمرارة والعسوة بلوح لها مع كل التفاته.

شكرا لاسماعكم!

أنهت مراقبتها. ألق بها في حبتها على مسامع الحاضرين، ثم فزت خارج قاعة المحكمة.. وقد علبها العيره. وصعنته كلبت على صدرها، تسيطر على اضطراب نصها، ولهفه وفؤادها وخرقة أنفاسها. لقد فعلت ما توسعها، والأمر الآن من يدى الله!

- لقد عاد المحفلون

باداها جورح وهو ساعد مهرولا.. لكنها انسمت في وهر وقالت:  
- اذهب أنت.

هل توسعها أن نتحمل الوقوف على المضه لحظه إصافية؟ نتحونها فدماها لا محاله، مهما كانت سحه الحكم!

...

سيطر الذهول على مشاعره ذلك اليوم.

رأها ندخل قاعة المحكمة، بدت أكثر لحافه وأشد شحوبا. لم يحره جورح بقدمها، ولم تشارك في جلسات التحصر للاستئناف. وصلت من أحل المرافعة النهائية.. دخلت مثل ربح عاصف، صدحت بخطبتها العصماء، بصوت وانق مزلزل، ثم دارب على علبها لتعادر نفس الكرياء والأنه!

كأنها تذكره بأنها محاماة لا أكثر، وأنها تصع مسافه بينها وبين موكلها الذي يدأب علاقها به نخبد عن المسار الحاذق. لقد عادت من أحل



المهمة وحدها!

وهل يمكنه أن يلومها؟

لكن ذلك لم يكن كل نصيبه من الصدمات!

في مقاعد العتقور في قاعة المحكمة، لمح وجهها بأولها آخر.. فراه  
المحرم التي تسمه واسمها إليه تكشفها المصمومين لحدود ان الجهد  
نفر حرم العتقور، بعد مداعبات قصصه مثل العتقور الأول المنطق  
بالحكم، بعد ذلك عتقورهم اسرعة مداعباتهم شوم فهل يكون  
بشرى حرم هذه السراة!

...

انتظرت وانتم حارج المهمة وهي تفتان في العتقور والعتقور  
داخلها، كانت الوقور لفة هذه المرة، لكن لا يمكن ان  
فجاءه، تعالت صيحاته عالية في العتقور.. فهو قلمها عم قدمها لم  
تفتانك نفسها، والتصلت في لفة باسمه، قبل ان تطو الكلمة واحدة،  
وضلعها صوتها اللابص فرحاً، يهف في صرورها،  
- صارك ما يسم صارك! بركة!  
- حقا لله!

انصت في ذلك وقد تركت العتقور الدموع الاثراج وحسبها الشكة.

- لكن أين أنت! لا أراك في قاعة المحكمة.

كفكت وانتم دموعها تفر همست صوتة:

- لا تفهمي بشأني.. ولا تعني الإمامة!

تفر أبهت المكالمه، وأبصت الهاتف.. وصمت إلى العتقور.

\*\*\*

براءة!

ظن أنه لن يسمع تلك الكلمة أبداً.

انهيار عمر على القعد، وأجهش بكاء مزم. لقد انفص الكاوس! أخفى وجهه بين كفيه، فلامسنا أنار الحريق على بشرته. هل انتهى الكاوس حقاً؟ إنه هباء في كل مكان من حسده، وهباء أيضاً داخل صدره. تهتد بحرفة. هذا الكاوس لا ينهي.. ولن ينهي أبداً.

لقد نرك بصقة أنثى في كل إرض من كبابه!

أحاطت به جموع المهتس، حورج في الصفقة، ووحوه أخرى مجهولة عربا وفريستون، صحفون وناشطو حقوق إنسان، ومواظون عاديون، رجال ونساء.. وبين كل هؤلاء، كان وجه فتاة المبرو يطلعه مطمئناً باسماته ودبعه. بجوب عيابه بين الضحايا الأحياء، ثم يعود لحظاً على ملامحها الذائفة والمطمئنة.

من العريب أن يحف وجهها بصفته ابتداءً وانتهاءً.

باسمى. كان ذلك السمي. وقد عرفه أخيراً. بعد حين. وبعد قواب الأوان!

كاتب آخر شخص فكر فيه قبل أن يحصل الانفجار، وبعد ما بفارب السنين، كاتب أول الوحوه التي رُحِبَ به في عالم الطفلاء. لا شك أن فترة السج الطويلة بلدت إحساسه. لم يعرف أي نوع من ردود الفعل كان يحدر به أن يدي.. لذلك فقد اكتسب ملامحه بالذهول وحده!

لم بدر كيف وصى وصلتها أحارته حتى جاءت من «لبون» حيث حلفها. لنحصر محاكمته. ولم يكر يوسعه أن يسأل، فقد كان يرفقها حطبها. هينم.

كان ثقب مظلم قد انتلعه طيلة فترة الأمر ولم يلعظه سوى اليوم.. لكن الحياه خارج نفعه الأسود كانت قد استمرت، غير عانة بعابيه! رغم صبايئة أفكاره وأرساك حوائه أمام سمفونية المشاعر المصاربة التي تعصف بوحدايه، وقد نساءل فحاة.. هل كان مهدراً له أن يسجن حتى تذهب هي في سبيلها؟

هل هذا ما يسمونه «المكتوب»؟

ماذا نراه حلّ لها لو كان سبق القدر وتقدّم إليها قبل ساعات من الانفجار؟

لم يشأ أن يحلّ في آخه الاحتمالات الممكنة وغير الممكنة، لأنّ أيّ شيء من ذلك لم يعد مهماً.

• يحب أن يحلّ

كان حبيب من الطمّح، وشغفه الحزوني أنّه لو كان قد كان معيّناً، لأنّ الحدث لا يهمه، بل هو السهم في وجودهم، ولا حرج صدق له بما حله. هل عاش روحه أثناء التحرك، كما عاد يعرف سرّاً ولا حرجاً.

كانوا قد أمضوا أملاً من أجله، تناولوا وجبة طعام في مطعم عربي قريب، كانوا متعبين، لم يناموا، وفيها هو يقف أيضاً بشكل لا يمكن تفسيرها رغم الدعوات السخية التي تلقاها، صعب وحيد إلى قعره فلدوا، لوجههم طريح قريح، مذابب الاستغناء، وسفحة ثقيلة تظهر يظلّ إلى «القول» صباح الحد، كان قد ظلّها معه.

قبل أن يرحل من المطعم، لمحو به هيلم غم باصية الشارع، وضع في كتفه ظرفاً معلقاً، فخلّق له عمر مسانداً.

• ما هذا؟

• لعوض بسيطاً عن كل الألم الذي عشته، لعلّه لن يحلّ ما حدث... لكنه سيساعدك على بقية جديدة، ثقّية صقي، ليلالة عن كل الأشخاص الذين لا تعرفهم... لكنّ أموك يهمهم.

ليست وانما فاد لرهة. هذا رجل غريب ترك للصحة الأولى، لكنّ شعاعه لدم صادق وقراءة من القلب، لم يكن هذا هو الموت الموفق «حد» من أخرج هيلم بظافته الشخصية ووضعها في كتفه أيضاً.

هذا رقم هاتفي.. اتصل لي متى شئت، سيئون شرفاً لي أن تصح صديقي.

ابتسم في ودّ وامتنان.

لقد أحسنت فتاة الصبر اختيار رجلها.

باب في عرفة القديق ليلة واحدة قبل أن يسافر إلى شقيقه في ليون.  
انضم إليه جورج ذلك الصاء، ونحننا طويلا. اتهمت المحكمة، لكن  
المعدلة الحفظة بدا الان. قال جورج في صميم:

- لا يحب أن يمر الحادث مرًا بمراته. بإمكاننا الإفادة من الأرملة، إذا  
عرفنا كيف يوجه الذهب لصالحها. طبعاً، لا نتحدث عن التعويض الذي  
قصبت به المحكمة. كرسوف سدفع.. لكن من تكون الوصي؟  
أصغى إليه عمر في اهتمام. كان مهكاً من التحريه البنية، ولم يكن  
يحلوه له الاستعراي في المكاء على الأطلال.. لكن أفهم جورج كان يستحق  
الاشاء. ONEPIECE

- هناك جهاد هجوم يحب أن ينف عليها. الحادث والعسوفته  
القانونية فيه، بالشكل الذي عنه أنت نعيم. حادث عمل.. الحادث  
مدنر، نعم. لكن المواد الأولية متوفرة في إطار العمل. وهو متاح  
بحرية كمائية، وهذا من صميم محيط العمل. الان، المحتر قد يدقر  
بالكامل، وشركة التأمين ستنتهي فيما إلى دفع التعويضات للمتضررين.  
هناك عائلان الضحايا.. وأنصاء، يحب أن يكون لك نصيب لا بأس به  
سها! للضرر الحسدي والثقتي سوبال سطالب بأكر قيمة ممكنة.. وهم  
سسته أصفار، إن كنت تفهمي!

سكت جورج برهه، بترك لمحدنه مهله لاسعاب الفكرة:

- أما الجهة الثسة، فهي مهاجمة مؤسسه الثسة العمومية، ومن وراثتها  
الدولة الفرنسية! محاكمه الضحته بنهمه الإرهاب وسننا سحر لمصاب  
بحرور من الذرحة الباننة.. لا يمكن عرض الطرف عن هذا! سرفع  
قصبة نهمه البحر والتعامل بأسس عنصرية.. القدي ونشويه السمعة،  
وسنبت الضرر التقني الذي عايت منه طيله سبب من الحس

الظالم.

أوماً عمر في تركيز، بينما تابع جورج:

- هياك سابعة فصائته نحصرى.. في ١٩٩٢، احططف موظفون دبلوماسيون من الفصائفة الفرنسية بالحرائر، وانهم في تلك الحادثة خطاء من المعارضه الحرائرله بغمون في باريس.. حوكموا على الفور، ودشت وكانقر تبت إدانهم لور بظهور. مدد سبوا فلة، في ٢٠٠٢، تمت التذلل في الأدلة وأعيت برامه المنهم، تم حكمت لمحكمة بعوض هائل.. ملايير الوروب! هر فهم ما أعبه؟

لصى عمر أنموع في سون، رتب حلائهما لصوره دون حماس أو اهتمام. بخلص من محتويات الشفة وثانها جميع حيايه الأساسية وكنه ومراحعه العنقه في حفسس. وشاور إلى المنعرج.

حظ في مراكش، فيه علفه عانته. كان أصغر إخوانه الأربعة، أحبه وأندبه على كبر، بعد ثلاثة دكور وأبني واحدة. تم رحل والديه وحلفاه مراهقا بالقاء، لصى عانته بأمره مثل أسها المكر.

سام يوما عصفا، في لينه الأولى في مراكش، على حنقة صوفته ملقة فوق حصر حلاء، في عرفة المؤوبة من مرل شفقه، احنار تلك العرفة الفصبة، ليكون مصوده. كانت أطول يومه عرفها، مدد أمد بعيد. ولم يكن يريد أن يستغفط. لم يكن هياك ما بدعوه إلى الاستغفا!

لم يكن حظ اجتماعي الطبع، وقد اعتاد العرلة والعنقة فره الحس. كان قليلا ما يعادر العرفة الثانية التي دفع في السماء الحلفي للبيت، ولم يكن أحد بفحم عليه مفاه.. باستثناء عانته، حين فحصر نه طعامه أو نذكره بدوانه، أو نحاول مسامره.. فلا تحد منه إلا إعراصه.

بطل عليه وبداهها بالافعال من حين لآخر في قصول، بسخراف النظر عبر شق الباب إلى الحال المهاجر الذي لم يرهها مدد سس، تم بنهامسان نشأه لرهة قبل أن يسحبا دون الحرؤ على محاطته.

- ألن تنضمّ اليوم إلينا على العائلة؟

استوى حالسا حين انفرج الباب وعبر شعاع الشمس التي عدت في كبد  
السماء مساحة انزوائه.

- إحنوك هيا.. اتصل بي حامد مساء أمس حين عرف بعودتك. إنهم  
قلقون بشأنك!

اسم في سحرية. لنسوا مثالا للعائلة الملاحمة. حتى أن عساه لن تلت  
سنوات ماله لم يرق فنفهم أو حتى فصولهم! لا شك أنهم لها صو  
فيها منهم كم يعطون دائما:

- عمر مخطوط.. إنه سقم بحنة أوروبا، سما نحن مدفونين بالحياه  
نوما في اسلام:

- سأل بعد قليل!

ترك مرفده بعد انصرافها. حر قدميه بالبحر المصاه بالحوش  
الخارجي. عمق ومهله الماء وصح على شعره، عل بروده اللادعه بنه  
حواسه الحامله. رفع رأسه إلى السماء. إنها رجه ونسعة، تحلق فيها  
الطير بحماح منرعس، وسطلق إلى الحرية.. أما أنت يا عمر فرغم  
حرمتك التي بحسب نفسك استعديها مكمل بأصفا من نوع آخر.

لقد خرجت من الشجن الماذي، لكنك محبوس وراء قصان الأس. ما  
أنت اليوم؟ لم تعد سوى نقابا ذات محطّم، معطوب الحسد والزوج.  
عمر الفاء ومضى في أنحاء الضالة المفتوح بابها، وقد اسدلت ستارة  
بحسب الوحوه وسمح بمرور الأصوات.

- ما الذي جاء به؟ هل تكلم عن التركة؟

كان ذلك صوب أحبه الأكبر حامد! ما زال على حنعه القديم.. لا  
بعسه نيه، عدا التركة. بعد سارل لهم عمر عن حقه المنروع في إرن  
والده، يوم فزر السهر والانشاع بصحة الموسكو.

قال حامد يومها:

- من برد بصا من الأرض عليه أن يرويها بعرفه! أنت تريد أن تكون

مهددا أو دكتورا أو ما شئت من المهن «التطبعة»، تحفظ كفاك من  
 الحقد والحماق والعمل الشاق في القط والصفيع.. وتقتصر بصرك  
 من ريعها آخر السنة لا بأحبي، هذا ليس عدلا! نحن صخبا، وفقرنا  
 البقاء في الأرض، نعرفها ونحرنها وسقمها ونحصدها.. أما أنت فلا  
 تريدنا! لذلك ارفع يديك عنها، الآن وإلى الأبد!  
 وقد فعل.

لقد اختار طريقه لذلك، ولم يراجع. لكن رجوعه المألوف وهذا  
 عمله وأعلن مسده لا شك يحفهم السهم في نهكم يسوا حافس  
 عليه، كما حذر بالأسقاء أن يفعلوا، حتى يكمل أفعولهم في محبة،  
 بل معاذ ذراعه لرفع الشارة، لكنه يرضى مكانه في وجهه صوب  
 عائشه، دافئا وصارما، كما عرفها دوما، أنظر دوما ونيا حاشه:

- أخوك ليس بحاجة إلى ما لديك حامد.. بل إلى قلبك، وحبك، ووقوفك  
 إلى حاشه! أهذا كل ما تفكر فيه الآن؟ انكره؟ بولا ذكرى المرحوم أبي،  
 وفدرك كأخ أكبر، لما سمحت لك أن تحطو داخل بي مرة أخرى!  
 بدخل غمار، مهدنا النفوس المموتة:

- روبندك يا عائشه.. حامد لا يقصد ذلك.. قلبه أبيض، لكن لسانه  
 بريء منه!

همّ حامد بالاعتراض، فشذ سعيد على ذراعه وأشار عليه بالتكوي،  
 فناع غمار:

- المهم الآن، ما الذي يحتاج إليه عمر؟  
 - لا أحتاج شيئا منكم!

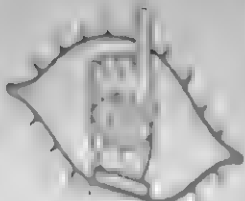
دخل عمر وفي عييه نظره كروبا، مرفعه، شتحت الملامح وعامت  
 النظرات بدخان النور والارباب.

- نعال وسلم على إخوانك يا عمر.. سعدى ثم سحذت.  
 كانت عائشه من تكلم.

- نَسَمَ ومَعَدَى، لكن لا تَحْذَن! مشاكل أحلها نفسي. اطمئنوا، لم  
أب لأَعْكُر صفو حياتكم. إنها محرّرة رِياضة عابرة.. اعلموني صيفا، عابر  
سبيل.. أمكث أياما، ثم أمضي لشأني!

- بل هذا سنك يا أحي.. تأتي متى أردت وترحل متى أردت!

كانت عائشة قد ورّكت منزل والديهم، بعد أن تازلت بدورها عن  
نصيحتها من الأرض الملاحنة. ربا إليها عمر في امتار، في حين لم يزل  
الإحود في صو. ساءلوا العدا، في صمت، ثم رحلوا. علم أنه لن يري  
أحدهم قريبا.



...

- يجب أن نخضع للعلاج يا عمر!

كانت عائشة تلخ عليه للمرة الألف.

أمضى شهرين لا يعمل شيئا، كأنه قد ألب الوحدة والفراع، ولم يعد  
بإمكانه العسر خارجهما. كان الاحتمال بالعالم الخارجي يفسد توازنه  
الهنس.. أو نسه الثوار المربك الذي انتهى إليه.

لوقت طويل، لم يفكر في الصكّ الذي دي السنس ألف موزو الذي  
سأله إياه هينم قبل رحيله. نام الضك بين دفتي كتاب، حتى نُصِّل به  
حورج ليسرّه بحصوله على التعويض المرحوفا

- احصم أعباء المكب أولا.

- طعا، سأفعل.

صحك حورج، وقد سره أن جهده ورسم لم يذهب هباء. كانت  
الفصنة بعسا من مكتب الصّد على انعام، بتقابل رهد. ولم تكن بأمل  
حين فليها آية أرباح حصفته. ومع ذلك فقد حارى رسم في حماسها.  
وبهذا التعويض المحري، لن يذهب سنان من العمل المصفي في مهت  
الريح.

- هل ستزور باريس قريبا؟



- لا أدري بعد.

- عليك أن نحصر نفسك، من أجل إنهاء المعاملات والتوقيع على الاستلام.

إن كان قد نجح في إحياء الضك عن عائشة، فلم يكن بمقدوره إحياء أمر الاتصال الذي كان تحت أسماها. فلم تذخر جهداً في إحيائه بضرورة خضوعه إلى الحراجه.

- ستسقى، وسرّج مثل سابق عهدك.

- أنا بحير هكذا.

كان قد انتهى إلى حال من السلافة واللامبالاة بوصفه مستقلاً في صاقي عن التفكير في جعل شكله.

- لسبب بحير! أنا أراك، وأعلم أنك لسبب بحير.

ترددت قليلاً ثم أضفت:

- حتى لو نقلت ما حصل وتعايشت معه.. فملا عن روجه المستقل؟

رفع حاجبيه في سحرة مرة:

- روجه المستقل؟ عمّ تتحدثين؟

- أنت في الثابتة والفلانج.. ما يزال العصر أمامك. علمك أن تفكر في

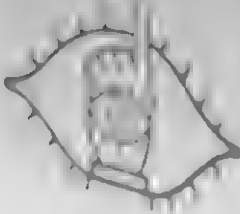
المستقل!

أصص في ألم. وهل ما زالت في نفسه رعة بالزواج؟ هذا الحسد المشوّه وهذه الزوج الداوية لم يعودا بصلحاً لشيء.. وحاضة لساء عائلة

لكنها لبنت تلخ وتلخ. نزل عند أذنيه مثل نحلة عاملة سحرة، حتى استسلم لرغبتها. سيعود إلى باريس، بلنهي جورج ويستلم التعويض.. ثم يبدأ رحلة الحراجه التجميعية المصيبة!

باريس، ديسمبر ٢٠٠٥.

أحكمت باسم إغلاق مصطفها حين لسعتها الروده الفارسه، لخم  
سارت باتجاه محطه قطار الانفاق، بوضعت عند مكسه المحطه. كانت  
تظالع الواحه في اهتمام، حين رن هانفها. كانت مساء.



- هل وصلت؟
- ليس بعد.. لقد عادت المكيب للنو.
- لا تأخرى.. سبرد العشاء.
- حسا.

كانت مساء، بهم بإغلاق الحظ، حين استوففتها باسم في حرج:

- مساء.. فولى.. أي نوع من الكب بفضل أحوك؟
- كتب!

انفجرت مساء صاحكه.

- هينم، يقرأ؟ ما عدا كتب الرحمه، لا أذكر متى رأيتنه يقرأ آخر مره..

لحظه تدكرب! لقد كانت قصه «داب الركاء الأحمر»!

صحكت باسم بدورها، ثم قالت في فنور:

- حسا.. اذهي في سبيلك إذن!

- إن كب بغيري في هديته، فسأحرك بما يعجبه.. ألعاب الفيديو!

- ماذا؟

هتف باسم في صدمه، ثم قالت صهيه الموضوع:

- أراك لاحقا إذن.

أنهت الاتصال وسرحت من حديد عمر الواجعه. كانت مدعوته للعشاء في منزل الحالة رهور، وهي دعوه متكرره، قبل الحطه وبعدها. لكنها أصبحت تستغل الزياره، التي اكسبت طابعاً رسمياً نوعاً ما، ولم نعد بالعقود التي كانت عليها انها. تكلف الحالة رهور نفسها مشقة بالعه من أجل كرام وفادتها، ومضي ساعات في المطبخ لإعداد أصناف كثيرة، ثم نحت باسم الحور الذي يرفقه علاماً، أنه راد القاصه.. وقد كنت يرهت موهها! كذله، برصه، برور من حصار فكرت في انها هبه. كانت موهه سبراء انكم، لديها أنوار فيها في برصها، لم تسعه مكسها الصغره، فتدسها قرب الحدا، كذا في هضم لا يشارتها وبها بالبر.

دلفنت إلى الفحل الصغره. فلتا في ركن العاده السحر كفا، أنشأت عليها مساه، لصر كفا كبره بها، وكان من العاد أن سقى قوصاً ماساً. بعد دقائق طويله من الحديق في غلب الألعاب، استدارت من حديد لبواحه الكتب.

توقفت فحاه عند عوان ندها بشكل حاض: «العاق من الضمه». قرأت العوان الفرعي باهتمام: كيف تحاور الضدمات البسته. أمسك الكتاب من كفا وأحدث ثقت صفحاه باهتمام، ثم توقفت عند البض القصير على العلاي الحلقن:

«قد تكون تعرضت لحادثه سناره، لأعداء أو كارهه طبيعته. مد ذلك اليوم، احتلف كل شيء.. لا تغدري الأمر..» بعد انهي..» يسمع تلك البضائح من محطتك. الكلمات سهله، لكن التسيار مسجل. تطلق بسطر عليك، ولا أحد يفهم حراكك إلا أطلعه.

حسب أمرها. دفعت نصر الكتاب ووضعه في حفسها، ثم مرت على المحر واحبارت قطع كعك من أجل زيارتها.

\*\*\*

كالبوا جميعا متعلقين حول مائدة العشاء، العَمَّ عند الحصيد والحاله زهور، هنم ومبساء ووانل أحر العفود... بالإصافه إلى باسمين صفة السرف. لكرب مساءء باء من مرفقها، وأنث ارب سنانها باتجاه والديها، فهرب باسمين رأسها في إشاره مطفئة، وهي نهمن:

- ساحتها بعد العشاء.

أخذ هانها هرب في حفسها صعب. ألقب بطره سبعة، كان الزلم محمولاً. عمدت حاحسها في حرة، ثم اعندوب ووقعت لرد على الانصاف.

- الأتة باسمين؟

- نعم؟

- اتصل سائر الإعلام.

- اه، نعم.

كالب قد شغل أعلاما عن حل عرقه ربيم التي عدت شاعره، وعرضه عند يقال الحن وفي مدحل الساب. لم بعد بإمكانها تحفل كلمة الشفة بمفردها. ربيم كالب يدفع ما عليها في الفترة الأولى، لكن بعد انتهاء المحاكمة، وبقيها من اسحاله عودها، أعلصها بأن الشفة كالب لها وحدها الآن. لذلك فقد صار عليها أن يحد شريكه سكن حديدة.. أو تنقل إلى شفة أصغر.

- هل يمكنني أن ألق بطره على الشفة؟

- نعم بالتأكيد... متى ساسك؟

- عداء في الرابعة عصرا؟

- بالتأكيد.

عادت إلى مجلسها، تحب بطراب هنم المايعة لحركاتها. قالت بساطه:

- ربما أكون قد وجدت مستأجرة للفرقة أخيرا.

برأودها إحساس دائم بأن عليها طمأنة هينم بشأن علاقتها واتصالاتها.  
لم يكن في صالحها التصرف بعموص.. فذلك يفتح باب العبرة  
- ماذا؟

هتفت ميساء بارتجاج. هزت باسمين كتصيحها وأومأت في اعينها. سيما  
اكتسبت ملامح ميساء ضحا عر مقتر.

كانت تحاول منذ شهور إفراغ والديها بالسماح لها بالسكر مع  
باسم. لكنهما لم يفتحا أبدا. كانت قد أنهت دراستها الجامعية منذ  
سنة أشهر.. ولم تجد عملا بعد. شرعت في تعلم التصميم والحياطة  
وحلم بافتتاح متجر لملابس المحضات. وحتى ذلك الوقت، كانت  
تلمي نفسها ببعض الاستقلالية عن والديها.  
حاولت باسم أن يحقق عنها، فهاكت:

- هل يمكن ليحسب لي تكنت عيني في العطلة؟

- حساء لا بأس.

قالت رهور بالنساعة. سيما عفت هينم:

- متى ستقابلين الصناجرة؟

- عدا عصرا.. لماذا؟

- من الأفضل ألا تكوني بمفردك.. من بدري.

- هينم على حق.. العالم لم يعد لها بأمني.

قال هينم من جديد:

- سأوصل ميساء عندك فيين الزابعة إذا.

هزت رأسها موافقة وواصلت الأكل في صمت. وإحساس بالذوق  
بملوها. كان شعرها باهتمامه بنقى الطرق، وكان يسبقها دائما في التفكير  
بأمها وسلامتها. لو كان الأمر بيده، لما سمح لها بالإقامة بمفردتها في  
تلك الشقة.

- سلمت يدك يا خالتي!

- عسى أن يكون الطعام قد أعجبك؟

- جدًا.. لا أكل جيّدًا إلّا حين أزوركم!

- إذن بلعّدك بعض علب الغداء، تأخذينها معك.

حاولت باسمي أن أسمع، لكنّ الكلمة الحسنة كانت رهور. قال هبثم مداعبًا:

- أليس نحتك أكثر مما نحتي! لا نصب لي من علب الغداء؟

قال رهور في لهجة حافة:

- العلب لمن يقدّها حتى يهرها! أليس بأسد أن تحاول طعام البيت أمام رملانك؟

هتف واثق ذو اللبقة عطر وبها:

- راحت عليك يا رهور! سأتّ يوم بأحد فيه علب باسمي إلى العمل ولا بندقر!

ضحك ميساء وقالت:

- علب باسمي؟ عسى أن نحد باسمي وفنا لطبخ لنفسها!

قال رهور في حذبة:

- وهل سستمرّ في دراسها إلى الأبد؟ فربما تأخذ الشهادة وتفترّ في بيتها.

قالت ذلك في لهجة حاسمة، ثم وقفت. نادى هبثم وباسمي بطراب صامنه ومنوثة، ولم يعقب أحد. نقلت ميساء وباسمي بين مائدة الطعام والمطبخ جمعاً صحوون 'لعشاء.. ثم أحضرت رهور العصير وقطع الكعك إلى عرفة الجلوس. قالت ميساء، في لهجة مشاكسة:

- يخلّوا.. باسمي كانت تريد نراء كتاب لهنم!

انفجر الجمع ضاحكين، بينما أراداد حبل باسمي. أضاف واثق:

- أذكر حين طلبت منا المعلّمة تلخيص رواية السه الماصة، قال

هئيم : لا تصنع وفلك في القراءة، وشاهد الشريط !  
 تعال الضحكات من جديد، سيما راقهم هئيم باسماء عامضة،  
 ثم قال بهدوء:

- قد أفاحكم جميعاً، لقد انشرب كتاباً الأسعوس العاصي

جذعوا فيه في عدم تصديق، ثم قالت مساء محذمة:

- هل هو (م) برمجة حاسب

هؤ راسه علامة الش.

- ماذا إذن؟

- ثقافت عامضة

- لا أصدق.. ما إذن حصل لك؟

رمى نظره سريعاً على الجدران ثم قال:

- هناك مرة أولى بكل شيء،

صقر وانزل في إشارته ذات معنى ثم قال:

- الحث بصنع المعجرات

لمره رهور ليكف عن مساعيه سفيهه الأكر، ثم ساد صمت قصير،  
 رثما راح كل منهم ساؤل قطعة الكعك الحاضه به ثم، ومثل كل  
 مرة، اسحب الحصى واحداً إلى الآخر من كوفه الخلوس، لتروكوا لهم  
 وباسم صاحبه كافة تحدث حاص. قال هنم أحراً وعلى لفنه  
 نفس الاسماء المنصحة:

- في المرة القادمة، إذا فكرت في شراء هئيم، لا تستري مساء.

ارداد وجهها احمراراً واضطربت أنفاسها. قالت مغيرة الموضوع بعد أن  
 رشفت من كوبها ببطء شديد:

- ما اسم الكتاب الذي تقرؤه إذن؟

اتسعت انفساه هئيم، وسهد وهو يقول:

- ظننت أنك لن تسألني أبدا!

وقف على الفور وعان للحطبات داخل عرقته، ثم عاد وبس كفيه  
كيس ورقى ملوّن.

- لقد أنهيت.. يمكنك استعارته!

سَلَّمَت الكيس في دهشة لقد فاجأها بصادقته غير الموقَّعة. كانت  
تفكر في إهدائه كتابا، فإسهر بها لأمر تنفسي كدات منه في الساعة  
الناشطة، أوصنها هنم ومساء، إلى شقها، مثل كل مرة يرورهم فيها  
كان هنم صامتا طيلة الطريق، سما كانت السنن يحططان لعظمتها  
المشركة في سعة باسم.

حين أحلبت باسمي نفسها أحمر، فتحب الكيس وتخرج الكيس  
فترات العولن. ثم تشعت عساها دهشهم وقف ثم أسامة  
هنم: **ONE PIECE**

«أسرار الحيات الروحة الناحية»

...

كان يوم الخميس يومها المفضل في الأسبوع. عالما ما بصرف دافد  
مكثرا، من أجل اجتماعات حارج الشركة، وبسمح لها بأحد استراحة  
طويلة فترة الظهيرة. كانت الساعة قد تجاوزت النابضة ظهرا، حين  
استقرت في مقعدها الاعسادي في مطعم «السب الصغير».

بفصلها ساعات عن موعدا مع الصاخره المحملة. كانت قد واعدت  
ميساء وهنم على اللقاء في المطعم، ثم برافعها إلى الشقة. بصفتها  
أوراق عملها في ملل، ثم رعب عيسها إلى واجهه المطعم الزجاجته. كان  
الثلج قد أخذ يتساقط في "الحارج. اسألها الحماس فعاه. جمعت دوابرها  
وانجھت إلى الشرفة الخارجته. وقفت في الحره المكشوف، وهي بعرض  
كفها العاربه لسدف الثلج الناصعه اليي تحدر سطا بحوها، فما أن  
لمس بشرها الذافنه حتى تدوب على الفور وبصر قطرات ماء.



كم تحبّ الثلج، والبرودة!

لست ساهمه لرهف، وقد غابت في لحنه أفكارها. ثم نهدت وهي  
تعود لتستقرّ على أحد مقاعد الشرفة. كانت تلمح من مجلسها باطحات  
الصحاب البيضاء التي تحفّ الساحة مرابيه الأطراف، ومدخل محطة  
قطار الأماق الذي يهرع إليه المارة للاحتماء من نهطل الشح المراد.  
أخرجت من حفسها الكتاب الذي القته بالأمس، وأرسلت على  
سفتها أسامه. سآخذ استراحة في الهواء الطبع، وبهرفه فليلا.  
لا تدري على وجه الأرض ما الذي جعلها تبحر ذلك الكتاب بالذات. لا  
يمكنها أن تذكر، لقد سقط على يديها منذ أيام الخوار. البعاف من  
الصدمة. ومن عهد عاش ملأه ألمه وصدمة هدمته؟ لقد نساء لت  
كثيرا، بعد أن عرفته ما مرّ به من أهول، كيف أصبح الحناء في عيني  
من بُدلى مثله التي كواله من حرقى ساء بومه، وفي فواحش نلامه في بهاره؟  
ولأنّ حبّالها، بقاصر لا يمكن أن يحيط بالواقع مهما حاولت، فقد انكثت  
على الكتاب، سائله، عنه يعرف أكثر ممّا يعرف!

- البعاف من الضدمة!

رفعت عنها مفروعه، حين وصلها تلك الكلمات بصوت مألوف.  
حذفت في الرجل المائل أمامها، في دهول وإرسات. كان معظمه الضوف  
الطويل معطى الكتفين بظفة رفيعة من الثلج، وبدأ شعره الأسود منبلا  
لامعا، كأنه يرف هياك سد أمد.

لم تكن تتخلّل! لقد كان هو، مرة أخرى. يقرأ عدوان كتبها بصوت  
مسموع، لتلقي العمود بعد لحظات وقد عسنتها الذهنه.

- عمر!

\*\*\*

عبر الممبني الفاصل بين محطة القطار والمركز التجاري على مهل. كان  
الثلج ينساقط، وكانت البرودة اللادغة التي تصاحبه معبته لحوائسه. لقد

فقد القدرة على تحسس الأشياء في مناطق عذبة من جسده، فلم تعد  
شترته بمنزلة الرد أو الحر.. إلا في درجته القصوى. وهذه الرودة التي بهز  
مها الناس فليحذروا إلى النفقات المسفوفة أو باطن الأرض، هي بعين  
بالنسبة إليه!

أعصر عصبه، مستلماً، مثل شجرة معروسة في الصحابة، فبعضها  
طقت بضعاً، ناعمة من التدف الهنه، ووجهه إلى أعلى، سائل هب  
النساء.

حتى فتح عصبه، برأت أمامه لافته المطعير المصنعة: «البيوت  
الضخيرة».. لقد كان هذا الأمر، ولم يكن الطعام سكتاً. الساعة  
أقرب من الثالثة، وهو لم يسأل عدائه بعد، سألته قدماء خطوة  
بعد خطوة في اتجاه المني. وفي الشرفه الخارجة المطاطة، ظهر أمامه  
شبحها. تلك المساء ذات الحجاب، المكنة عن كعابه، نقرأ وكأنه كل  
عالمها، فلا تشعر بشيء، مما حولها.

يسحصر في لا وعيه من هذا ممانلاً. فناء المرو، يقف فائته، وجهها  
عائت وراء كتاب، وكفها يمسك بالعمود المعدني، يحاول الحفاظ على  
نوارس هشة تلاعب به هزأب المرو المتكررة مع كل فرملة مفاجئة. ثم  
بعده، يحمل نواربها وسقط الكتاب، ويظهر وجهها الضعير المرسك.  
- التعافي من الضدمة!

وقعت بإسمن مثل المسووعة، وسقط الكتاب على الأرض. تقدم عمر  
في هدوء، وانحنى ليلفظ الكتاب الذي تدحرج عند قدميه، على قيد  
خطونين من مجلسها.. وفي ذاكرته - وذاكرتها - يركز المشهد بداعبره.  
- «الهويات الفائقة»!

لقد كان كتابها الأول سوءة لمسقبله. فهل نواصل قرائنها، ويحد  
التعافي له سبلاً؟ بسم، في مريح من الحمى والمرارة، والشرور، للقاءها  
عبر المنوقع. بدت وحشاها موزدنج.. بفعل الرودة رتماً؟

- عمر.. أنت في باريس؟!

- نعم، وصلت منذ أسبوع.

سمع رئيس اسمه على لسانها، للمرة الأولى. باسمي. لا بحرفي على  
النطق باسمها، حتى سله ومن بعده. حتى أن بطرق أبوابها لأحضر له  
عصاها. لا تزال الكتب من راحته، يتساعل به، غاضبا بمره عنها.

- لم أوفق رؤيتك هنا

- أنت تعرف هذا المصمم

- لقد اكتشفته مد يومين.. هنم دعاني على العشاء

- ٥٥

هينم! لقد رآته بالأمس. كنت صدمته في حين أهله! أو قلها إلى الشقة  
مساء.. لكنه لم يفلح حرجا واحدا عن لعنه وشمه

- هل يتعلق الكتاب بحيت

بحاول أن تجد تفسيراً منطقياً لوجود ذلك الكتاب بين يديها. تفسير لا  
يأخذ أفكاره إلى مسارات الممكن والمأمول. لكنها قالت في أرمك واضح:

- لا

اكتف بالتمني، دون إثبات من أي نوع. كأنها تحفظ سببة الإحالة  
لنفسها. كأنها تحفي شيئا لا تريد أن يواجهه به، أو لا تحرف حتى على  
مصارحة دانيها به. ولم يكن يحذر به أن يسأل أكثر. فلا معنى لأني شيء  
مما برأوده من رجاء. قال بها وسعه من رباطه حاس:

- أتركك لمرءتك إذن.. سأطلب عذائي.

كان يهفم بوضع الكتاب على الطاولة الصحفصة إلى حوارها، والاسحاب  
فعل أن يفقد السيطرة على.. كل شيء! لكنها ناديه بسرعة:

- يمكنك الاحتفاظ به!

رفع نصره إليها معوها. سما كالت نظرانها بلمصق بالأرض، في حرج

جلي.

لقد أدركت أنها ما اشترت الكتاب إلا من أجله. هل كانت تأمل رؤيته  
قريباً؟ لم يكن هناك ما يدعوها إلى الاعتماد بعودته، ناهيك عن لقائه  
صدفة! لكن كل ما رحت به وهي تلثم صفحات الكتاب، أن تجد تلك  
الكلمات طريقها إلى عيني. وأن تطبط عليه، ولسترق عنه، ويحد سبلاً  
إلى النعالي.

اعذري... على الانصراف الآن!

التقطت حقيبتها، ووثقت مدرته على الممر، دون أن يسمح له برؤ أو  
اعتراف.

لبت برهة بعد، في شرفه المكسوف، بعد أن أحسبت عند مدخل  
المحطة، والكذب يس بعه. لا تحكه تفسير ذلك فعره إلا نألم بوش  
صدره من الفاجعة.

لقد فانتك العطار ما عمراً

...

تأخرت عليكم

طهرت عند شرفه المطعم محطته بأكياس مضمرباتها، بانسنامه  
معدرة. تطلعت حولها في حذر. لم يكن هناك سوى هينم وميساء  
باسطارها. لمد انصرف، كما أظن.

- وصلنا مد خمس دقائق وحسب.. هنا حتى لا تأخري عن موعدك!

- هاني عك.

تركب هينم بأحد عنها الأكياس، ويسمفها إلى الممراب، بينما سارت إلى  
حوار ميساء على مهل.

- كيف تتوقعين أن تكون، المستأجرة؟

- لكننها بدت لي أجنبيّة.

- عربيّة، رَيمًا؟

- رَيمًا! حين نطقت اسمي، سدّ الحروف لُبّة على لسانها.. نعرفين،  
ليس مثلما ينطقه الفرنسيّون!

- فهمت.

توقّعت الستارة قرب مصيف السابعة، وصعد ثلاثتهم إلى الشقة في  
الطابق الثالث. عند المدخل، كانت هناك سنده في مصيف الحمر،  
أضجع قُبَعه صوفيّة على رأسها. استدارت بانعاههم، وسألت:

- ياسمين؟

- نعم! أنت.

- سكينة.. اتصلت بك من أجل الغرفة!

- أهلا بك! بقطي.

سدّ في مصيف الأربعينيات وعلى قدر من الحمال، وكانت لكنها  
العربيّة المنرفقة وأصحّه الآن، وفي عبيها غلاله حرر عامصة. فنحنت  
باسمين الماب ودلف أربعهم. جلس هينم ومبساء في الضالة، بينما  
فادت باسمين سكينة في حولة بين العرف.

- أنت المتأخرة؟

فكرت أنّها رَيمًا نرور الشقة بابعة عن اسنها. كانت في سنّ ماضية  
لتكون لديها ابنة بافعة نرناد الجامعة.

- نعم، أنا.. لعلّك توقّعت طالبة جامعة؟

صحكت سكينة، بينما قالت ياسمين في حرج:

- بالفعل.. الموقع قريب من الجامعة، لذلك توقّعت طالبة عالما.

- أنا مدرّسة أطفال.

سألت ياسمين في حذر:

- هل لديك عائلة في فرنسا؟

فهمت سكينه السؤال، فقالت:

- كانت.. أنا مطلقة.

- آه، أنا آسفة.

- لا عليك.

لم تكن نحتل أن نكون شريكها الجديدة في السكر ستده بكرةها بعقد من رثما. لعزل ذلك لن يكون مريحا كما نرجو. لعلمها من التوقع الذي بأي إلى استمر في وقت منكر ولا بحث الإرعاح، أو العكس، رثما تطلق الكنبر من الزيارات، لو كانت طالبة فتنة بمسكون بوسعها أن تعرض القوايب التي ساسها، لكن ماذا عن ستها في عمر والدتها أو نكاد؟ عشت على نفعها التخلي في تكبير. لم تكن لي وضع يسمح بكنبر نردد. فحناح شريكة سكر تحف عنها حمل الإحالة النقبل. وهذه السبدة العرصة بمل بالهوصيا

- هل أعنتك الشقة؟

- مصارة. متى بمكي الانفال؟

- متى أردت.

- الأسوع المفل إد.

تصافحا وانفقا على تسجيل العفد في الوكالة العفارية بدابة الأسوع.

—•—

«السؤال الذي يطرح في أغلب الأحيان في وجه الضدمة هو «لمادا».

«لمادا تعرضت للإساءة والاعتداء أو لماذا تعرضت لهذا الحادث؟ لماذا،

لمادا، لماذا؟».

الأشخاص العربون يحاورون الإجابات المشعرة بالذنب من «لمادا» إلى

«من أحل لماذا». بمعنى آخر: فم سيعبدي هذا الحدث؟ بما أني لا

أسنطع صحوه من حبابي، فما الذي يفتمه لي؟ الصدمة تسلب الراحة

النفسه لكنها تترى النقصه، وتضر معنى كل ما يحيط بك».

أعلق عمر الكتاب، وفي السؤال برّد في رأسه. ما هي العرة التي عليه استخلاصها من التجربة؟ وما هي المعاني التي عليه إصاها في الأشياء من حوله؟ أين يمكنه أن يصنع طاقته المصفية؟ لأنّ هدفه؟  
لم يملك معه. شرع في المراه على الفور، قبل أن يصل إلى عروجه المدهشة. ما كان يدعو إلى العوض في الكتاب، دون تأخير.. العروان أنواله وحمايه قدامه المرو

كان قد بدأ برنا يجر عليه وصحائها، فصل بتعويضاته التي تلقاها. لم يكن معه العمل لكسب فوب بوجهه، بل كان يركب مرهه مناسقه في ريف عراكس، وإدارتها بشفة حذره، بل هو حذره - تارة فارهه، أو الشعر حول مناعه.

لكنّ نأ من الملوحة يهف حباله معنى

إنه لا يرى بعد كيف يمكن للحادث أن يصنع منه شخصاً أفضل.

خط بالحاء بهو الاستفهام ثم ركب المصعد حتى النطاق الخامس، دلف إلى عرقه، سرع مع المعطف النشل وربطه العنق، واستوى حاساً على المنفعد الوتر فإله النرقه، واستمر في الشراء.

«فقال غاماً أنك لست مرمياً بمفردك. من خلال الشهادات والشعر الدائيه والذرائع العليمه، حذرت ثلاث فمم أساسيه مساعده: اللطف والعاطف وتلقي الحث من الأقراء، أو من شخص خارجي...».

نهّد وأغمض عييه.. استمحص في دهمه وجهه شقيقه عائسه.. وجه صاحبه الكتاب! فليقة هي التمييز المصنطقه من حوله. لكنّه ما فبق سلفى الاهتمام.

«كيف تترك طافيك في مسار نافع؟ البعض يشارك الآخرين بحريه لمساعدتهم على تجاوز صعوباتهم، والبعض الآخر يبتني جمعته حريته أو يصنّ إليها، للذفاع عن حقوق الأفراد المساهمين له...».

فَكَرَ فِي سَحَرِهِ.. هَلْ نَوْحِدَ جَمْعَتَهُ نَعِي بِالْأَحْسَنِ مِنَ الْإِنْفَحَارَاتِ  
الْكِبْمَاتِيَّةِ وَالْمُتَهَمِينَ بِتَدْبِيرِهَا؟ أَوْ صَحَابَا الْعَصْرِ بِنَةِ وَالْحَوَادِثِ الْكُبْرَى؟  
لَعَلَّ عَلَيْهِ أَنْ يُنْشِئَ وَاحِدَةً!

انسه على رنن هاتفه معلما وصول رسالة. بطلع إلى الشاشة، لشعر  
رغم عائشه. انسم في حيان، وهو بطالع كلماتها:

«الحب الماروق عمر بن الخطاب إلى موسى الأشعري رضي الله عنه  
يقول: (أنا بعد، فإن الحر كله في الزمنا، فإن استطعت أن ترضي، وإلا  
عاصرا)».

حذوق في الزمنا طويلا، يسسعر كلماتها بقل «تودعه». هذا حديث  
عمر بن الخطاب، سمته. وهذه رسالة يحاطله دون غيره، كلما كتب  
من أحله!

هذا قصاء الله عز وجل بعد أصابه.. وليس من قصاء الله هربا! لقد  
نمزع في نعمه في سابق أيامه، فحمد الله دائما.. والأز هو يعيش هذه  
اللبته، عليه أن يحمد الله أيضا.. ويرضى بما قسمه الله له من حير  
ونشأ!

تدحرجت العراب على وحسه يهدوء. النظر سهل، لكن داخله  
يحرق، لم نطفئ ناره بعد.

لقد فزّر سلوكك تلك الطريق الآن، يهدهد حلم بأن العد سيكون  
أفضل. لم يصل إلى مرحلة النفس. لا يؤمن بصنقله كما يحذر به أن  
يفعل.

لعله لم يرض بعد.. لكنه سيصبر!



ثالث، ديسمبر ١٩٩٥

فتحت سكة الضور فتدفقت المياه بقوة داخل الحوض. عرضت  
كفها للتيار تتحسس حرارته ثم حركت المصير لتتحكم في مقدار  
السخونة. حس انطأبت إلى اعدائها، أربك الماء بحري ليضلل الحوض  
ورفعت صوتها مادته:

- هيا يا أولاد، حان موعد الانحمام!

جرى الولدان في اتجاه الدنر محدثين الكثير من الضحك ثم نادفعا  
بانحاء الحمام وهما لا يفتان عن الضراح. حدثتهما سكة بظرة صارمة  
وأرسلتهما المظلم. فالتفتا نديها نزع عيهما ثيابهما، ثم عمرا داخل  
الحوض في مرح طفولي.. يتراشقان بالماء ويعنان بفقايع الصابون.  
انسمت سكة وجلست على مفربه، نراقبهما وهما يلهوآن. سمعتهما  
بعض الوقت قبل أن تلبثهما وتغسل شعريهما.

كان حاسر قد بلغ الخامسة من عمره. ولد حول وساكن معظم  
الأحياء. لكن رامر المشاعب الذي يصعره سنة ونصف، كان بشري في  
شقيقه روح المرح والمشاكسة، فتسري فيه عدوى الضحك حين يلتقيان  
في لعب أو شجار. كما كَلَّ حبانها وضعلها شبه الوحيد طوال اليوم.  
حين رصت ترك عملها كمدربه ابتدائه في حلب السورة ومرافقة  
روحها في هجرة إلى مدينة باب الفرسية. كانت تعلم يقيناً أنها ستودع  
الحياة الاجتماعية والعلاقات الأسرية إلى أمد غير قصير. ولم تكن جعلها  
المدفع باللعبة الفرسية ليحقق عنها وطأة العربة والفراع.

اشترى لها حبيب، روحها، كتاباً حبها بعنوان «الفرسية للمدنيين»،  
كانت تقرأ فيه بصع صفحات كل صااح. لكن فرص التطبيق كانت شبه

متعددة. فهي لم تكن تغادر السقة إلا لتقصم المقالة القريفة، حيث  
لم تكن تضطر إلى كلام كثير، يكفيها أن تدقوا في المصروعات وتقرأ  
لافتات الأسعار ثم تحسب المبلغ الحالي في ذهنها حتى لا تملك أمام  
الصندوق.

حينه حل جالس المدوية التحضيرية ضد ستم، صليت قرايج معه  
دروسه وتعلم منه، أدملتها طاقة استعجابا صغير وتعلم لغة  
بشكل سريع. كان في كل مرة يخالها بكلمة جديدة لا تعلم إلى جمعها  
البسيط، فلعلدت قوارا لمتابعة دروس في اللغة.

كان عليها أن تضع نصب بالاطالها لك الغريبة، بأن تصد خاصة  
للأطفال في أوقات غيابها. وما أن ستة الشهر قبل مازت بعد بدأت  
دروسها، شعرت أنها تعود الحياة إلى قلبها، تلك التاروس جعلها  
تعود إلى صديقاتها، جددت، تضمنت عرباتك، والأخريات صديقات،  
روميات، تركيات، البعض جاء فريدا الدراسة أو العمل، والبعض الآخر  
مثلها كانت بيوت. تلك السقة التورية كانت، بالنسبة إليهم كهو ملاقة  
أصا، بتاذل في أفكارهم وهوسهم، بقولية معية وقارات مهشمة  
الأوصال. ثوب أن يخالجهم أحد يسيل من الكلمات غير المفهومة، يقلل  
من الإشارات ويخرج من لغاتهم الأصلية. لكن يتمكن من التواصل،  
وبعد من في تعلم القريفة بشكل متناوب.

اللمع ربح هاتف السقة فجأة، كانت سكية قد انتهت من عمر  
الولدين بشامبو الشعر ولم يتبعها هذا، لكن الهاتف كان أكثر الجاهل.  
فسلت كفيها وحفظتها لم قالت محذرة.

لا تعلقوا الحوض، ستعود مريعا.

لأهت أنها أصوات العزك والتاجر المرح التي تواصلت بعد مغادرتها  
وهي ترفع السماعرة من غرفة الجلوس.

مرحبا ذابا.. كيف حالكم وكيف الأولاد؟ اعذرني، أنت قلت قليلا فلم  
أتصل هذا الأسبوع...

ايهمك في حينها مع شقيقها المصلة من البلد، فقد كانت أحبار  
الأهل في البلد دائما لدية. قالت أكثر من مرة وهي بهمة تقطع المكالمه  
«الأولاد في الحوص، يحب أن أنهى نحبهمها»، لكنها كانت تستحب إلى  
نكته أخرى أو حمر آخر تلقفه دائما فتصحك من حديد وتستمر المكالمة.

وحالها، سمعت دوى ليطام عصف ثم علا بحسب طفل معجوع  
من لعبه. في منهي الهذع، أفكت سكيه سماعه عاصف وركضت إلى  
الحمام وقلها بكاد يوقف عن السدى. وسط الحوص، لمحب حاسر  
الذي التصق بالخائط وهو يربح فرعا وسبحه بمواصل يمزق بباط  
قلها. للوهله الاولى، ثم بر رامر. كاد أنعاسها يقطع وهي بحث عنه  
بعينها ليطمن إلى سلامه. ثم ارتدت، نظرتها إلى الأرض المبلطه، قرب  
المعسله. هناك عند قدمها، كان حسد الولد هابطا بلا حراك، وعند  
رأسه بقعة دم سوداء، كانت تسع.. وتسع.

صاحب. وتولت. ثم أحبت على الحسد الصغير ترفعه يدين  
منعزفين. بحثت وحها لما تفارقه الحرارة وصدرا لم تعد تراوده  
الأنفاس، ثم يكسب شعرها بكفين محضنين بدمائه الركبه.

لا ندرى كم مضى من الوقت وهي تنكي بشكل هسيبي، فل أن  
نسه إلى ولدها الآخر الذي ضحك من أنز الضمة. فخرت يالهام من  
الله. أخرجته من الحوص ووضع بعض الشاب عليه، ثم لف رامر  
في لحاف خشن وحرب بهما خارج السفة. لم يكن هناك وقب للاتصال  
بأحد. إن كان هناك أمل بإقاده، فهي وحدها المقادير على ذلك. هلع  
سائق ساره الأخره حين فصر أمامه على الطريق وهي بذلك النكل  
المرعب من القوصي والابهار.

- إلى أقرب مستشفى.

دعت الله كثيرا طوال الطريق وهي بصم رامر بكف، وبصعظ على  
كف حاسر المصدوم بكف أخرى. حين دخلت إلى قسم الطوارئ،  
ابهارت على الأرض وهي تصرخ وتشر إلى الحسد المسحى بين ذراعها:

- أنقذوا ولدي.. أنقذوا ولدي...  
لم تكن تعلم أن الروح قد فارقتك منذ دقائق عدة.



BOOKS

أداره المصباح في فعل الباب، ثم دلمت إلى الشقة. ألفت حبيبته يدها  
على الطاولة المحففة ووضعت على الأريكة في إحصاء. ثم ما لبست أن  
استبحت حس سوزن إلى أنفها رائحة شهية لا بدري ماها.

- يا أمي! لقد رحت منكرا

وقعت باسم في دهنه حس وصلتها تلك الكلمات، وهي التي عليها  
الأم. لا لبست ريم! لمحت سكب، في مربية المطبخ. واستلمت مربية  
على سكبها. لقد سبت أمها!

- سيكون العدا، حافرا خلال دقائق.

لقد وقعت العدا، وسلمها سحرة من مفتاح الشقة. لم يدرك في  
عمرة اشغالها أنها ستكون قد انقلت بالفعل. استمت وقد أحد نعيها  
بنلامي ندرجتا. لم يكن هناك أفصل من وجه شهية لسفح عنها  
وعناء يومها!

اقربت في فصول لسيد مرفعها إلى المائدة وتلعي نظرة على ما أعدته  
سكب. في دهنها، كانت تسرح في حبس تفاصيل حياتها الشافعة ورسم،  
لكن مع قلب الأدوار! لم تكن ريم ندرجت المطبخ إطلاقا.. وكانت هي  
تسفلها بأطباقها السطة فلمح علامات الانهار في عينيها. الآن جاء  
دورها لحذف مأخوذة في ما أعدته سكب.

- ما هذا؟

- كنة مقبلة!

- وهذا؟

- برف!

- وتلك؟

- مسقعة بذنجان!

ضحكت سكيبة أمام دهشة ياسمين وقالت:

- أنت لا تعرفين شينا عن الطبخ السوري؟

هتت باسم رأسها بضا.

- قد أعلمك إذا أردت.

تاولت باسم قطعة كتفه حارة ودوفها في حذر، ثم التهمت ما  
تبقى في ثلثد.

- أريد أن أعلم هذه!

أعدت سكيبة المائدة، وجلستنا نأكلان ونحدثنا في حصة، مثل  
صديقين قديمين، لم نجد باسم صعوبة في فتح حصبة سكيبة،  
وعم فاروق السر، بل ألتها ألمها فربة من حصتها.. هادنة ورصينة،  
حانية ومرحة.

- هل لديك أطفال؟

سألها في فصول بينما تناول قطعة الكتف الزائفة. سكنت سكيبة،  
وشعرت باسم بأفلاط سحبها. عامت نظراتها فحاة وخفت بريق  
عبيها. تمهدت بحرارة ثم نعمت:

نعم.. ثلاثة أطفال.

كانت المرارة والحسرة حلتين في صوبها. همست باسم:

- لا شك أن العيش بعيدا عنهم مؤلم

عد تلك الكلمة، ففدت السيطرة على انفعالها. عطت سكيبة وجهها  
بكميها ونزكت العنان لدموعها المكنومة وصارت تنحب بشبح منقطع.  
احتصنها باسم مواسبة، وهي لا تدرك ما عليها فعله. استكالت المرأة  
بي درايعها، في اسسلام. مصت دقات طويلة، وسكيبة لا تكف عن

البكاء. لعلها كاسرت طويلا، دون أن نحد كنهنا نكي عليها. نركبها باسمين  
نفس عن حريها، ولم تقاطع عرائنها، حتى هذأ أحياء وانتظمت  
أنفاسها.

رفعت سكة رأسها وقد نورمت عباها واستند احمرار أنفها.  
- أنا أسفة.

- لا تكوي إذا أردت الحدت، سأكون في الاسماع.. وإن لم نرعي، فطري  
أسالك شينا.

ابتسمت سكة في اسماء، وبدأ عبيها التفكير. نمر قاتل في شدة  
السمامة:

- إننا فضة طويلة!

بأدليها باسمين الانتسامة وقاب:

- وعدا إحصاءة موهرة طويلة.

...

«اسمي سكة، من مواليد حلب، سنة ١٩٦٦. عشت حياه بسيطة ولا  
شيء مثرا فيها مع عائلتي المكونة من والدي وشقيقي سامر وشقيقي  
داليا. كان حلمي أن أصبح مدرّسه أطفال، وقد أصبحت. أحبت الأطفال  
كثيرا واستمتع بتعليمهم وملاعنتهم وانتظرت بفارغ الصبر أن يأتي  
أطفالي إلى الدنيا.

في سنّ الثاية والعشرين تزوجت. وبعد سببي، جاء ابني حاسر إلى  
الدنيا. بعد سنة ونصف كنت حاملا بطفلي الثاني رامر، حين فزّر روجي  
أنّ علبا السفر إلى فرنسا حيث حصل على فرصة عمل ممتازة. بعثت  
حباي ضد ذلك الحب.

في مدمه باب الفرنسيه، بدأت نعلّم لعه أهل البلاد. رملاني في  
الذّراسه كنّ معارفي الوحيدات. روجي كان يحل من تقدمني لأصدقائه  
الفرنسيين وروحيهم، لأنني أنطق بشكل معوخ على حدّ قوله. لكنني

كنت راضية وفاعلة. كان ولدائي يكرران وسعادي بهما تكبر. كانا كل حبانى.  
لذلك حين حصلت الفاحشة، فقدت صوابى مرة واحدة.

كان رامر فى الثالثة والنصف من عمره حين حصل الحادث المشؤوم.  
تركب الولدين بلعسان فى حوض الحمام وحرحت لأرد على اتصال من  
شفيفى دالسا. فى عباى، حاول رامر الخروج من العوض ليجلب لعة  
سقطت على الأرض أثناء لهوه مع أخيه. لكن قدمه رتب على السلاط  
الرقى المنزل وربطم رأسه بمحسلة السراميك. كانت النوفاه أسفة. حاسر  
أصيب بضمة بالعه.

حين سمعت صراحه هرعبت إلى الحمام، حميت الولدين وهولت إلى  
المستشفى. هناك أحسروى بأن رامر قد نوى، ويقوموا جاسر على الفور  
للعلاج من الضمة. لم أزه بعد ذلك لولدى طويل.

بينما كنت مصابة في نوبة الإنطار، وصل موظفان من إدارة الإرشاد  
الاجتماعى. رجل وامراه. طرحا على الكنر من الأسئلة. رعم مصابى  
تمكنت من لعلمة فرسبتى الصعرة وكوتت حملا مفهومة. لم أدر كم  
مضى من الوقت قبل أن يصل روجى. كنت قد طلبت من استقبال  
المستشفى أن يوتلوا الأمر، لأنى لم أدر بأي وجه سألفاه. حين وصل،  
كان وجهه محنفا من العصب والسكاء معا. صرخ في أمام الناس وحطى  
المسؤولية. ولم بكر الوحيد.

في العبد، عاد موظفا الإرشاد الاجتماعى. لم بكر قد شمع لى برؤية  
حاسر بعد. فى هدوء، نام سطا كما من الأوراق أمامى. كان من المطلوب  
متى أن أثارل عن حضنة حاسر لصالح 'الدولة'

كنت ألنعت إلى روجى كالصغبت، لأنى لم أكر أفهم شينا، لكن  
عيبه الرانغبس عتربا عن دعر يمانل دعرى. كان ما فهمته صحبها.  
المرشدة الاجتماعى قصت بأنى أم مهملة. إهمالى ذهب بحياة اسى  
الأول، ولمصلحة الطفل الثانى، سينم الاحتفاظ به فى رعاية الإرشاد  
الاجتماعى، رينما يحدون له عائلة حاصمة! أصافت برود أنى سأكون



محظوظة إن لم يقع محاكمتي ومعافيتي بالسحر!

كنت على مشارف الانهيار.

با أيها الناس! أيها السرا لقد فقدت ولدا للموا أنا أم نكلى، ولدها رجل دون أن يقدر على فعل شيء، لإبقائه، فهل بداوون حراحي بأحد الولد الثار متى؟

تمزعت في الأرض، بدت وجهي بأطافيري، بمتكك شهاب المرشدة، ورجوعها، بونلت إليها أن يرك لي حلسر. راصر رجل، لم يعد باليد حيلة. لكن حلسر 'امادا' بحرموني منه بتلك الساطة 'روحي' كان بحلسر حامدا كالصحرة. حين عاشرت المرشدة وهي ناسية تحلى موقعها لا ترحلح، نظرني في حقد لم أنصور أنه قادر على مثله وفقال: ليت النساء وهكذا، من عننة وصحفا هقد الولدين.

بعد صدور الحكم كرسني لمحب حصانه حلسر متى، وكنت محاميا ورعيت دعوى لاسترداده. أقول رعبت، لأن روجي كان كالمعتب عن الواقع. صار بعيب كثيرا عن السن ولا يكاد يكون هناك حديث سنا. سدي الوحيد وحده في رصلااب الدراسة. من بيهن كانت هناك فسان جامعيات ولهن علاقات اجتماعية ومهنية، فأرشدني إلى محام قتل نمبلي أمام المحكمة بأحر رهيد. في الأثناء، لم سمح لي برؤية حلسر مرة واحدة. كان قد مكث في المستشفى لفترة عبر قصيره للعلاج النفسي من الضدمة. ثم اسفل إلى العيش عند عائلة هرسبة لا أطفال لديها.

بعد مرور شهرين، رأته في المحكمة للمرة الأولى. كان يبدو بصحة جيدة وفحسى به. حين رأي، ركض في اتجاهي وهو ينادي «ماما». لكن أمه الحديدة معه، فحسى. رأيت ولدي يسي، فكببت.

نعامل روجي مع المسألة بفلسفة غريبة. كان بمكسي من المال الكافي كلما طلبت، لدفع نفقات المحامي والإجراءات الصانبة، لكنه لم يكر براقصي إلى المحكمة أو يحصر الجلسات. كان سلوكه متاعدا بشكل

مغيظاً، كأنَّ الولد لم يكن ولده!

بعد أسابيع من شبه القطيعة بساء، فاجأني بالتعير عن حقيقته شعوره بعد أن برد العصب وحقت حذنه مع تعاقب الليل والنهار. قال إنه يؤمن بأنَّ ما يحصل معاً هو عقاب إلهي، على أخطاء ارتكباها وديوب اقترفاها. وأنَّ علينا التوبة والرجوع إلى الله حتَّى يعود لنا حاسراً!

أذهني تأويله. في نظر الجميع، كنت أنا المسؤولة عن الحادثه، وهذا هو دمي الحلبي. فما دسه هو في الأمر حتَّى نفشل العصاب بكلِّ تلك السكينة، شككت في تلك الفترة بأنَّه كان علي عيابه بامرأة أخرى خارج إطار الزواج، وقد آتته صميره حتَّى أنفست بكه قد تار حواءه الذي يستحق.

لش لحاً زوجي إلى الإيمان لمصر نفسه على التأسل التي حلت بها، فإني قد سخرت كلَّ تفهيم من وفني لاسترجاع ولدي. لبس الإيمان أن نسلم ونسسلم وتقع مكتوف الأيدي في انتظار المعجزة التي تعلن عن الضمح! كان إيماني الذي يحركني حتَّى أنس السماء والأرض في سبيل استرداد الحق المعنص. ألم يكن حرماي من ولدي ظلما سافرا لا حدال فيه؟

لم أكن أصرب أولادي قط أو لأودهم جسدياً أو معويّاً بأي شكل من الأشكال!

كان ما حصل حادثه! حادثه با عالم!

إذا نعرص شخص ما إلى حادث سبارة، فمات أحد أولاده ونحنا الولد الآخر، فهل يسحبون من الحصانة لأنَّ سلوكه يمثل خطراً على الأطفال؟ أم بعنر الجميع ما حصل حادثه فبعزونه في القفد ويهشونه بسلامة الناحي؟

كنت أفقد صوابي أحياناً في قاعة المحكمة حين يتمادي المدعي العام في اتهامي بالإهمال وعدم المسؤولية. كانت حادثه واحدة، تعلمت منها

درس عمري، لكنهم كانوا مصرّين على إعدامي أخلاقياً وندميري نفساً.  
بعد شهر، سمحوا لي برؤية حاسر. كانت مفاسلات قصيرة ومزمنة  
بمواعيد محدّدة وقصيرة المدى، ونحن مرافقة لصيفة من «والدي»  
حاسر الحاضرين. في اللقاء الأول، كان الأمر صادماً. حاسر كان ينادي تلك  
المرأة «ماما»، ولم يحرف بما يحب عليه أن يناديني! كنت وحدها مألوفة  
بالنسبة إليه، لكن يبدو أن كلاماً كثيراً قيل له في عابٍ وحفظه بحدار  
من الذكريات القديمة التي سخلها دفاعه عن «أمه الشائقة». وبين  
المعطبات الجديدة التي جعلني نحصا عرباً وعبر مرعوب فيه ربّما!  
كان عليّ أن أعمل على استرداد ثقته في تلك المصالحات الموحرة  
والمقابلة.. لكن إحساساً بداخلي بأنني يوم بعد يوم تاهي كمن  
أفصده وإلى الأبد.

العائلة التي عهد إليهما بحاسر كانت مسخرة لمصالحته. جعلني ذلك  
على الأقل أطمئن إلى أن آسلي لن يشأ ملحد أو منحرفاً بسبب بريرة  
مهاولة أو مانعه. مع أنني كنت أؤمن أنها بريرة «مؤمنة» إلى حد عودته  
إليّ. الوالدان كانا دمنين ومفهمين، لكنهما كانا يعملان على الاحتفاظ  
بحاسر بهائياً، ووجودي يفره على الدوام كان بالنسبة إليهما عاملاً مشوّشاً  
ومثيراً للضيق. بعد فترة، طلبا مني أن أوقف عن المجيء، لأنّ حاسر كان  
يعاني من كوابيس بعد كل زيارة، فيسقط من يومه مزاجاً بصرح. كانت  
رؤيّي تعيد إلى ذاكرته تفاصيل الحادثة وما تلاها من صدمة!

كان قلبي يتمرّ وأنا أحدي أضطرّ إلى استراق النظر إلى ولدي من بعيد  
وهو يلعب في الحديقة أو يسير في طريقه إلى المدرسة.. كان عفاً شديداً،  
أن أطلّ بمسأى عن حياته، وأترك له المجال لبسائه، ويسمى مأساه  
طفولته معي...

بعد ثلاث سنوات، كانت حماي حاسراً الروحانية قد استعادت قدراً  
من الاستفزاز. المأساة وما بعدها أضعباً على علاقتنا نوعاً من الروحانية.  
طريقة تناول روحي للأزمة كانت التوجه إلى التوبة وطلب العفو والتأمل

واللجوء إلى الله.

كنت امرأة مؤمنة، لكن علاقتي بالله كانت على العترة، بدون قوة أو حرص. كانت فرصة لراجع أنفسنا ونحاسها على السنوات الصاعدة. في تلك الفترة التزمت بالحجاب الإسلامي.

بعد مرور ثلاث سنوات، أحببت أنني ملو. فترة حمل بها كانت تتصف بالسكسة والطعاسة. كنا قد قررنا أن نحوض بها حرمانا الذي طال ونشئنا نشئة حسنة وسو آلام العاصي. محبتها المرفق راد من أحمتنا وبمسكنا وأعاد إسا إيمان أحبا بالآخر، كاتها طعسا الأول. كان ذلك قبل أن نسيقط من أوهاما الواهة.

بعد أسوع من ولادة مبار، دخلت علسا أمرشدة الاحتماتة لاسراع الأمل الأخير. كان علسا أن تأخذ مبار أيضا ونصعها علسا حاصة أخرى كلس علسا علسا أن نهمه «الأم غير الصالحة» نسيقط علسا بالثامد» لكن بدا أنه لا معز من أن نسع كل أولادي تلك اللعة. «لعلني». لعة سقمت حياتي وانتهت بي إلى قعدان الأمل.

بعد أسوع من أحدهم لمبار، عادر روعي البيت دون رجعة. طلب الطلاق دون مقدمات. لم نعد هناك حياة محكة يسا. المشكلة هي أنني كنت منقسكة ناسرجاج حاسر ومن بعده مبار، وهذا بقصي بقاني في فرنسا حتى أطالب بحقي فيها أمام المحاكم الفرنسية. وطالما بقيت على الأراضي الفرنسية قلن بمكسي أن أنتحب أطفالا أحري وأستقيهم، إلا إذا امنعت عن نسحبهم في ملفات السجل الصدي!

كانت الطريق مسدودة. روعي نعب ومل ورهد في وفي الأولاد. كل تلك الزوحيات والأواصر العتية انهارت في ساعة. الساعة التي تلت خروج سار من الست.

بعد الطلاق واحفاء روعي العامص، تابعنت رحلتي وحدي. عرفت فترة من الصباع والنشرك بعد أن انقطع علسا مورد رربي الوحيد: مرتب روعي. لم تكن السفة الصنبلة التي نفضل علسا بها من باب الشفقة لا أكثر

كطلبه بدون أولاد - لكي إبحار الشفة الواسعة التي كما تسأجرها في الماضي. اضطربت إلى تركها بسرعة. بقيت لصعة أسايح عند صديقات، كن همة من الله في وقت المحبة تلك. ثم بدأت مهنة البحث عن عمل. كاتب الدعاوى الشافقة لاسرجاع حابر فد أرففت مراسمها المواقعة، وطلبني لم يكن مصعباً لتست حديد بين المحاكم من أجل مهار. كان قد استسلم قبل المعركة. أما أنا فما إن وجدت عملاً حتى انصرفت بالمعاشي من جديد.

تفكرت من إبحار وطعمه كمدرسه في قسم الحماية التابع لمدونة عريته في ناس. استقلت بعدها للعيش في شقة هشة مع مدرسين آخرين. فصلا عن كتب مورد مالي يسمح لي لاستخدام مصيكا، مكسي العمل من الانعقاد في أنشاء أخرى بتحقيق من حطري، وحاشية الاتصال المومن بالأطفال. كتب أحسنهم واحدا وأحسب أنصح ثلث رؤوسهم في حمار وأوزع عليهم أنكوني. الأعظم في ضعف وأنصاع برفقتهم التي صلات فراعى وسدت ولو حرضا النعرة العمقة في فؤاد الأم الشكلي في أولادها الثلاثة التي كسها.

الإحراء الوقائي الذي قص به أمدك، كان أن ترخبت صاحب العمل ألا يستلني ضمن الموظفين الرسميين لديه. لم أكن أصن أن تدخل علي المرشدة في أي وقت من الأوقات وتدعي أنني خطر على أطفال الآخرين مثلما كنت خطرا على أطفالهم ومع أنني شرحت أساي الحفصة دون موارد، فقد وجدت من صاحب العمل نفهما ونعاونا لا مثيل لهما. أصبحت المدرسة وأهلها عائلة جديدة بالنسبة إلي. كانوا يعرفون جميعا بناساني ويعاطفون معها، وقد بصحني إحدى الزميلات حسها بالنوحة إلى جمعيات حقوق الإنسان ومختلف المنظمات الإنسانية، فدأت رحلة جديدة من الماشادات والمراسلات.. دون حدود.

في ذلك الوقت، كتب قد أحدث أرو حابر من جديد. كان قد سبني تقريبا أو بكادا لم نعد رؤيتي شير لديه الكوايس أو الهوايس.

في الحديقة لم تعد تثير أبة عاطفة كانت. كنت أقدم إليه كصدفة للعائلة ليس ملوما بالخلوس إليها بصفة خاصة. كنت أراقبه في معظم الأحيان وهو يلعب أو يحلّ دروسه وأنحدث إلى حاصنه التي نجيب على أسئلي في انصاف ونمئل منظره اصراقي بفارغ الصبر.

كان ذلك واضحاً.. لم أعد أمه.

زارني باب بعد نوعاً من التطفل على الحياة العائليّة المسفرة التي يحضر بها ثلاثتهم. أهموي ذلك بطريق شئ، باللمحات والنظرات أولاً، ثم بالملاب العائمة التي يتداولونها بينهم دون أن أدعى إلى المشاركة فيها، ثم بصرح العمارة أحيراً حين قال لي: «سبحه يوم».

- إن الولد بكر وهو في صحه جيدة وكلّ حاجاته مثبالة، وأب لم يعودي نعمتي شيئاً به. فلماذا لا يرحل؟

نكبت تلك الليلة لا أجد وأباً أكرم شهفاً عن حارات التسكر. لم بكر قد قال شيئاً جديداً عليّ، كان ذلك واقعاً أعينته، لكنني رفضت الاعتراف به حتى ذلك الوقت.

«لم أعد أعني له شيئاً».

فكرت حبها، لو أن والده كان أكثر شجاعة وتمسك به منلي، ربّما طلّت صورتها في ذهنه أكثر تكاملاً كروح وبؤس، لكن وجهي وحده كان مرتبطاً بالضدمة التي يريد سبائها.. وقد نجح في ذلك.

كانت معركتي النافية هي مبار. لم بكر مصدومة ولا نحمل عني ذكريات سته. لكنها أيضاً لا نحصل عني أي نوع آخر من الذكريات أحدها من أحصاب في أنامها الأولى. لعلها افقدت رانحفي التي نشاق إليها بالعريضة، لكنها بالتأكيد ستكون قد نسبتها حين طال العناء.

سار، كنت حريصة على رؤيتها مرة في الأسبوع. رغم أنها تقبم على مسافة ساعة مع عائلتها الجديدة، ورغم ما بكلفني إياه الثقل من مصاريف، إلا أنني لم أحلف موعداً واحداً إلا لطروف طاعبة. ورغم أنه لم بكر يسمح لي بلمسها أو حملها بين ذراعي، لأنني «خطر» عليها

بالطبع. كنت أكتفي بالجلوس قرب سريرها، أنحي بانحائها بقدر لا يتجاوز الحد المسموح به، وأهمس لها بكل الأحاديث التي أريدها أن تحفظها في ذاكرتها، عني وعن أبيها وأخيها، عن بنتا الصغير الذي لم يعد له وجود، وعن وطننا سوريا الذي أرحو أن أحدها إليه يوما.

حاصتها كانت واضحة في تعليماتها منذ البداية. قالت:

- لا أطلب منها أن يادبك به فاما « حتى لا تحلط، لأمر عليها. أنت صديقة، نأسي لملاعبها نمر وجود كل مكمنا إلى حياتها. هممت؟

وكان يحب أن أفهم وأفقد. طوال سنوات، كنت عريضة مطفنة عني حبلا ولدتي. حاولت إعتاكه أن يحطلي أرحع إلى طبعي بغير أن ففدت الذعوى إنر الأخرى، لكنني كنت أرفض بشدة وأبكي كلها أبدا أحدهم الموضوع. إلى أن جاء سافر إلى فرنسا لمعني بالترجيع معه.

أحده معي في رايه لثوكتهم على طريق العودة فكت له:

- هل هناك أم في العالم سحلت عن أطفالها بإرادتها؟ وهل بذخر جهدا لاسترجاعهم ما دام برؤد في صدرها نفس؟  
عني، وبكيت. نمر سافر إلى سوريا بدوي.

السأس الحاراف دفعني إلى الإقدام على عمل حسوي، في صائفة سنة ٢٠٠١. كانت ميار قد أنمت سمها الثالثة، وكان قلبي يحرق من أجلها كل يوم. كنت أدرك أنهم سيطلون مني قريبا أن أحقق الربارات، لأنها سيدخل المدرسة ويحلط بعالم آخر، فردد بعدا عني. فمزرب أن الأمر لن يكون كذلك!

في عقله من حاصتها "لني بركتي لرهة مع ميار في الشرفة ودخلت إلى المطبخ، أقدمت على الفعل الممنوع.. حملت ميار بين ذراعي دون تفكير وركبت بانحاه الباب لا ألوي على شيء. احتظمت اسني!

لم أكر أدري أني يمكن أن أذهب أو أحفيها عن الأنطار. ركنت سبارة أجرة وصار لا تكف عن الكاء والنحط بشكل يحلب الانشاء، نمر بوخمت

إلى محطة القطارات لأشتري تذكرة إلى أي مكان.. كنت أفكر في الانعقاد بها لا غير. لكنها كانت محاولة بانسة حقاً، لأن حاصنة مبار انتهت إلى عباها بعد مصي حمس دقائق على معادربا فقط. اتصلت على الفور بالشرطة وإدارة الإرشاد الاجتماعي، فلم يكن من الصعب عليهم إيقافي على رصيف المحطة وأنا أهم بالركوب إلى باريس.

كذب أواجه عقوبة السجن. لكن المحامي أئب أنني كنت أمًا مكلومة تعاني من حالة انهيار، فأكعب المحكمة بالحكم علي بالانعقاد الكلي عن أولادي والنوقف الهائي عن رؤيتهم وزيارتهم.

لم يعد مسموحاً لي بالاهتراء من مكان سكنتهم أو زيارتهم لمسافة مائة متر! فعرفت انهياراً حقيقياً حينها. كنت على مشارف الحسوة، وكنت أعرف في وحل الإدمان بعد أن أصبحت أفسس على الأقراص المؤمنة التي يهوي هادنه وحالمة...!

رفرت سكبتي في ألم، ولم تكن باسمي نعد الكلمات الماسية لنحفظ عنها. لم يكن هناك من كلام قد يفتح في مواساة لم حرمت من أطفالها الثلاثة!

- مرت أربع سنوات مد حرمت من رؤية ولدي.. كنت خلالها كالمنبنة! لكنني استبقيت من سباتي مد شهرين.. أندرس لماذا؟

هزت باسمي رأسها في حيرة، فابتعت سكبتي وفتح انفسامة برتس نعرها:

- لقد اكتفيت من السكا، على الأطلال، وصار علي أن أنظر إلى المستنقل.. والمستنقل الذي كان بعيداً مد أربع سنوات، قد عدا قريباً الآن.. خلال شهور، سبلع جاسر سن الثامنة عشرة سبصح راشداً في نظر القايون، وسكون بوسعي أن أحاطبه دون أن يسمعني أحداً! لقد تقصت أخباره، وعلمت أنه التحق بالجامعة في باريس.. فحنت أحداً في إنره! سأبحث عنه، وأحدهم. وحين يبلع السن القايونية، سأكون في انتظاره!



وقد وعودها وعادت إلى مصر.

لكن بدا أن روحها قد فارقتها هناك، في فناء الزحف بمطار باريس  
أولاً. عادت وقد فقدت اهتمامها بكل الأشياء وكل الأشخاص. انقطعت  
عن التهراب والحفلات وأبصرت لاري القروسة، وعن شهاب.

عاشت عائلتها في حيرة وصعها الحديد. لقد استمكت في المحاولة حتى  
حصلت على فرصة السفر. لكنها رجعت وكانت لم يرحب الفصح! وكلها  
لم تصنع معجزة! وكانت لم يفلح الموارث في المحاكمة الأكثر شهرة  
في فرنسا ذلك العام ورتباً مد حادثه تولد منه اسم ثم بعد لديها  
هدف تحارب من الجثة. ثم بعد الحياه نعي بها ضمنا.

لكن شهاب أدهشها بإصراره. معرفتهما السطحية العابرة لم يعر لها  
شيئاً، لكنها مثلت أكثر من ذلك بالسنة إليه. بعد محاولات واتصالات  
كثيرة فأنشأ، ترك لها رسالة صدمتها.

«أنا أعرف كل شيء!».

انصلبت به على الفور وهي تقول في عدا، لا صر له:

- ما الذي تعرفه بالضبط؟

قال بساطة:

- هناك شخص ما يهتك أمره في باريس.. لكن أمراً حصل. قد يكون  
نورك، وقد يكون عائلتك عبر راحبة عنه.. لكن كل ذلك لا يهم. لقد  
عذب الآن، وحياة أخرى جديدة ستطرك هنا. وأنا أريد أن أساعدك على  
النسيان وتجاوز هذه التجربة!

\* حدث صاعق كان يعتمد بكونه هجوماً إرهابياً، فمن أن تسبب الحفلات عبر ذلك.

أحبتها المفاجأة، لأول مرة كانت تشعر بأن فواجلها مكشوفة. بل أكثر من ذلك، كان بإمكانها أن تدرك بذلك الشخص وتصارحه بما يعتزل داخلها.. كصديق قبل كل شيء.

- نادي الفروسيّة إذن؟

تهدأت في نفسها، لقد طقت كل شيء، ولم يعد هناك ما يسرّعها اشتاؤها.

- لم نعد إلى رغبة في التواجد الأمثل، الاتحادية.. أريد أن أعمل شيئاً معجولاً أريد البقاء غير مسجوداً هل تعلم؟  
- أفهيك تماماً، توفيني أمثلة!

كانت تسهر بالوصول ما بقي قد يماثلها معها في  
تصل بها بعد يومين، قرأته إلى الحيرة، كل شيء من الأهمية  
الاستوائية، فكل شيء كان صغرة خاصة حتى طفت فوق المظقة  
الألوانية القويّة، حدثت ريم في الأعضاء السبع لجها، غير بؤنة  
الطائرة المشرقة، وهمت البصلة صوتها رغم هدير المحرك، الملاح  
- هذا جنون!

صحك شهاب وهو يهتف بلهجة،

- اليس هذا ما أريد؟ تلك بعض الإثارة يا عزيزي!

- لم أكن أفكر في هذا!

كانت تهرل بالمظلة للمرة الأولى في حياتها، لقد كانت مجنونة حقا  
لتجاري شهاب! أخذت بها عصفاء، والهودة الخائف بطر شربها وبصر  
توانتها.

- أنت حاضرة؟ سقمرا

- لا أستطيع!

- بل أستطيع، أمشي بي، إن تكوني بصرفك!

رست إلى عبيبه الوائنين. كان عليها أن سلّحه أمرها، رغم ارتحافها.  
أومات في نوثر، ولركت كفها بين أصابعه بفص عليها بقوة.. ثم، كانت  
تحلقا كانت لحظة ساحرة. وجهها إلى الأرض، نصرا أهرامات الحيرة  
العملاقة، وفواصل السباح تهادى على ظهور الحمال تحترق الضحراء  
العاصفة. والقاهرة وحمارها الكثيف في الأفق البعيد.

ظارت في الحاه شهاب، فالفقه يسم مشجعا. رغم أنها معلّقة بين  
السماء والأرض. وسدفع نحو الفاع بصره هائله، فإنها كانت تشعر  
بالارتجاج بشكل غريب. كانت نظمت إلى شهاب. أبيض بآنها قد عدت  
تبقى به. ربما أكبر من أي شخص آخر في محيطها.  
- انتهى، سهط!

شد المفضل المتصل بحفصه ظهره، ففطنت مثله، استبح المظللان  
فوفهما دفعه طحده، وتجاهلوا كترول فحاه. أخذ أحدها بأرجح برفق  
وهي بغرب من المساحة الزميلة الفقرة التي احتارها للهوط، ثم ما  
لثنت قدمها أن لامسا الزمال الساحة، وبدرجت في فوصي، حتى  
استقرت ساكنة وقد لفنها المظله بشكل لولي، وهي تهبه في حيون.  
هرول شهاب إليها ما إن استعاد بواربه وهيف في قلق:

- أنت بحر؟

- أنت محبون! وأنا أحت هذا!

ثم استعرفت في الضحك محذدا.

...

بعصل شهاب، استعادت بواربها سرعا.

كانت قد علمت عن طريق جورج بوجيل عمر إلى المغرب. أبقت  
حبها أن عودتها إلى باريس لن يعثر شينا. لقد فقدته إلى الأبد، دون أن  
نودعه حتى. عراؤها الوحيد هو أنها محته حريته كما وعدت. وهكذا  
بدأت تعود نفسها على فكرة البداية الجديدة، ورغم صعوبة الأمر

انحدث فرازا صارفا بسيان عمر وكل ما يتصل به.

اضمنت عن الرد عن ممثلي القنابات الفصائية والصحافة الدولية  
الذين طاردوها للحصول على حوار حصري بخصوص دورها في القضية.  
ويدو أن عمر اعتمد سياسة التعميم داتها، فلم يظهر نصيحاته في  
وسائل الإعلام. لكنها عاصت عن طريق جوج أنه نح في الحصول  
على نفوس من الدولة العربية عما طاله من أدى نفس وحسن.  
فاطعانت إلى أنه لن يحتاج إليها بعد ذلك.

بذات مرحلة جديدة من حياتها، بعض معثرة. لم يجد صعوبة في  
الحصول على وظيفه في مكتب محاماة معروفة في القاهرة وساعدها  
العمل على تجاوز أزمته النفسية. وكان شهابا واحدا وصعوبا بشكل  
محرج، لكن دون ضغط أو مصافحه. كانت تترك ألتها في تلك العلافه.  
كانت تتلقى صافحه واهتماما، لكنها غير قادرة على إعطاء دورها!

رأى م التي به وقت أن تكون الطرف المصغي والمعطاء، وحدث نفسها  
شجبة فحده أمام سحاء شهاب! لم يكن هناك إلا نفس واحد.. لم  
تكن مشاعرها بحاله بالمؤه الكافه.

في ذلك الوقت، كانت العوده إلى باريس قد عدت طبي السيان. لم  
تكن تحرر على التفكير فيها حتى في حلوانها. في الحقيقه، لم بعد هناك  
حافر. لكن شهاب استمر بهاكتها. قال ذات يوم، سما كاتا بنمئبان  
على صفاى النبل، ويقصمان أكوار التدره:

- هل تشعرين بأنك مرافه؟

هتفت في صبق:

- طول الوقت! أرى ذلك الرجل الذي يرمدى بطارات سوداء؟ إنه وراءنا  
منذ شارعين على الأقل!

همس وهو يطالع الرجل بطوره حاطفه:

- أنت جادة؟

- وأكثر! أشعر باستمرار بأن هناك عيسى حقيقي تابعان أدنى حركة أنديةها.. لس أفاعاً إذا عرفت أن أي وضع مرافق لي!
- وما رأيك في من ينقذك من كل هذا؟

ضحك في مرارة وقالت تجاريه:

- سيكون خطي بلا شك!

تضحك مظاهراً بالتمكر ثم قال:

- هذا لقب حدير بالمحاولة! إذن إنك الأمر.. وصلتى مد أنام عرض لرماله في مسننن أوروته.. وقد أضدب إلى الشفر..
- قال في نرود، وعساها تتعلمان بصفحة الماء والشفر المباحنة:

- أه.. هل سعبت كثيراً؟

- عنبره أشفر.
- إنها مده طوبه!

- نعم إنها كذلك.. ما رأيك إذن؟

- لا شك أنها فرصة حته.. لمسملك العهي. أليس كذلك؟

- إنها كذلك بالفعل.. إذن؟

ضحك في حرج وهالت:

- ماذا الآن؟ هل نطلب إذن للشفر؟

- لبس نماما.. أسألك إن أردت مرافقي!

التهب وحنها فحاه وقالت بلعنم:

- ماذا نعي؟

- لبس بالشكل الذي فهمته!

ضحك ثم أردف في استمتاع:

- لم تسأليني، أين تكون الوظيفة؟

- أين قد تكون؟

- في باريس!

التفتت إليه في حقدٍ واهتمام، ثم ما لبثت حملتها أن فرت، وردت في سرود...

- لم لا؟!

لم يعد دريس نفس الحادثة في عيها. لقد فقدت كل روعها، حين ثارت عن ماضيها هناك، بكل رجعة وألمه. عهد شهاب حاجبه في شك. هل رهدت ربيع باريس حقاً؟ هل يعني ذلك أنها من شبح علاقة ينتظرها هناك، لكنه كان يدرك في قرارة نفسه أنها لن تتخلص من عبدة العاصي إلا بموحيته.. ومن سنعيد حريتها بحيلة الإرجس نطلق صراح عقلها من سجن الذكريات.

- ماذا قلب إذن... هل تكفي لتخلص من الرقابة لعص الوفاء؟

- هل يعني...؟

أوما برأسه علامة الإبحار، ثم أخرج من حسه عليه محطبة حمراء، فهتفت ربيع في دعر:

- لا، أنت لا تعني هذا قل لي أن العلة فارعة.. أو عنها أي شيء، عدا ما يعرض به أن يكون!

أشار إليها بهدوء:

- على رسلك.. لا نمضي بتك مراقبة ردة الفعل العصية هذه لا تناسب الموقف!

ضحكت رعباً عنها، بينما واصل شهاب:

- هذا الحانم ليس فبدا.. إنه طوق بحاه! يتظاهر بالارسط، وسافر إلى باريس.. عشرة أشهر، فترة حرية سنحقي التصحية، أليست كذلك؟ كانت تقلب المكرة في رأسها في حرة. لكنها لم نجد بداً من الهناف:

- أنت مجنون! لا أدري لماذا تفعل هذا؟

فتح شهاب العلبة واستاماة معربة نرتس شففيه. اتسعت عينا ربيم دهولا وإعجابا. كان حانما ماسبا دا حجر كريم بحجم حبة السارلاء! كان مدهشا وبريقه الأصلي لا يقاوم. دون أن نشعر، أمسكت بالعلبة وهي نقول:

- شهاب، هذا الحاتم ساوى نروة!

- إنه كذلك!

رفعت عينيها إلى وجهه وهي تردف:

- سأقول شيئا، وحاول ألا تأكله بشكل خاطئ.. أي امرأة عادية كانت

لشعر بأنها أميرة إلى جولوت.. مخطوطة هي التي مسحى سودك!

انقسم في صو، ثم قال:

- أي امرأة.. فاشها (سمر شاكرو، نقصدين؟)

- قلت امرأة عادية.. وأنا لست عادية!

- يا لعزورك يا عزيرتي!

استحرت ضاحكه، ثم قالت في مرارة:

- لقد فهمتني خطأ.. قصدت أي امرأة طسعبة، سلمية التفكير صحيحة

العقل.. لكنني امرأة معقدة! هذا كل ما في الأمر.

- سنشفي.. أعدك بذلك!

تهتد، ثم حاول أن يسعيد استاماة:

- دعك مني الآن، المهم هو أن هذا الحاتم امر حقا! هل يمكنك أن

أحرته!

ترك العلبة بين يديها بابتسامة جذلي:

- إنه لك، على أية حال!

- يمكنك أن أستعيه لفترة؟

قالت وهي تضع الخاتم في سحر بصاها وترفع كفها لبناًق بريقه  
تحت شعاع الشمس.

- هل يعني هذا أنك قبلت العرض؟

- نعم، قبلت. أقول نعم!

ثم أضاف:

- لن تكون هناك خطبه رسمية، أليس كذلك؟

- يمكننا أن ندعى صق الوقت، على أن يحتفل بعد فترة البعثة.

- ترتبنا حشد. شهاب صديق، أهنئك بعد فكريت في كل استعصبل بشكل  
مدهش.

سارت أمامه وهي تتأمل الخاتم ماحوده ونفكر في رحلتها المرتقبة إلى  
باريس.

بينما سيطرت فكرة واحدة على عقل شهاب. أمامه عشرة أشهر،  
ليجعلها نعتراً رأبها، ويحفظ مكانه إلى الأبد!



طربع للسبب بشكل موقع، وانطمرت وعباها شعدان حماسه وما إن  
فتحت دقة السبب، حتى كسبت وهي بهت:

- مفاحة!

لكنها نسقرت مكانها حين لمحت الوجه العرب الذي استغلها. قالت  
في حرج:

- أليست هذه شقة باسمي؟

ابتسمت سكبته وهي تقول:

- نعم، إنها كذلك.. لكن باسمي ليست هنا!

شعرت ريم بالحرج. لقد رفعت عرص شهاب بمراقبته إلى الصدق،  
وهزلت من المطار صائره إلى الشقة.. لقد ذلك الموقف المروّع  
محقاتها الثمينة أمام سيدة عربية نظالعهما في هصول.

- تقصلي، باسمي لم ياحر.

- هل يمكنك الاتصال بها؟ لقد وصلت إلى السلا للثوء، وليس بحوزتي  
خط هاتف بعد!

♦ - بالتأكد سأفعل.. هل أساعدك في إدخال الحفان؟

أفسحت لها سكبته المجال لسحب أعراضها واحدا إثر الآخر وترصفها  
في مدخل الشقة. رفعت ريم عسيها لنحوها في أنحاء الضالة التي يركبها  
مدد سنبين. كانت هناك لمسات غريبة في كل مكان. ليست لمسات  
باسمين بكل تأكيد.. إطارات ملونة ترين الحدران ومفارش «كروشيه»  
مبسوطة على الماصد وموائد المقاعد.. وبيات ريم!

عادت لتراقب السندة التي يروح ونحيء في المطبخ والهاتف عند

أديها. هل هي شريكة سكر حديد؟ يا للهول! أنت تخرجين نفسك يا  
رسم! باسمين تحطت، لقد استبدلتك! وأنت تحسبن أن رؤيتك ستشكل  
فرقا بالنسبة إليها! جلست على الأريكة وهي تستنعر الضيق بتمامي في  
صدرها.

- باسمي في القربى، ستكون هما خلال دقائق.

أوقات برأسها تذكره ربما عنها أن تصرف؟

- هل تفرس، تلى؟

- شكر.. لا يعني لعمري

- ما من بعد يا عربي.. لقد حفرته بالفعل، فتم إنسانا لكي هذا  
الصبح؟

عادت وهي تحمل صبيته عليها أكوام السكر والصح كعت. اسمها  
رسم دعما عنها. لقد وجدت باسمي العربي الماسية لها! اسرجعت  
بحبر جاري لخطابتهما الحبيبة في تلك الضعة. لم تكن أي من  
أصباتهما تملو من ضاي باسمي وكعكها.

- ريم، لا أصدق! هذه أنت!

دلت باسمين عبر الباب، وهروب إبيها بعافها. من أخصابها، شعرت  
رسم بأن عربيها ثلاث، وأنها قد وصلت إلى أرض الوطن! لقد تعيرت  
أشياء كثيرة في عابها، لكن باسمي هي هي. وأحبابا بحول الوطن في  
حصن دافق وقلب صادق.

- لماذا لم تحربي بمحنتك؟

- اسمها مفاداة يا عربي!

- وهذه مفاداة رائعة ومدهشة! هل يعودن للاستقرار في مارس؟

- ربما أفعل.. سأكون هما لمدة عام على الأقل.

- هذا مدهش.. لا أسوع أنك عدد حصص!

عاقبتها من حديد، نثر جلسنا حسا إلى حب على الأريكة، بينما غابت  
سكينة داخل العرفة. أنارت رسم برأسها وهمست:

- شريكة سكنك الجديدة؟

- نعم، سكينه لشاركي الشقة مدسة ونصف!

أطرفت رسم في حرج:

- كان عباءة متى أن أنوقع أن بطل العرفة في انتظاري.

- أنت تعلمين، الإبحار مرهق لمرأيتي.. لست محامية مشهورة، بل  
محترقة طالبة دكتوراه!

نثر ما لست أن شهقت بصوت عالٍ وعسجدت بفعل على كتف ربيع  
التي برمتها حاتم ماتي مدهل. هتفت غير مصفوفة:  
- لقد فعلتها! لا أضيق، ربيع ناكرو.. لقد أحببت دون علمي! هذه  
حلته!

ضحكت رسم وهي تقول في لا مبالاة:

- ليس بالأمر الحاذق.. إنه.. محترق هدنة!

- هل حسنت؟ حاتم مثل هذا؟ أي رجل بفذر لامرأه حاتم «سولينير»  
مدهل، إن لم تكن نوابه نجاهها حلته؟!!

هزت رسم كتمها اسبهانه وقالت:

- ربما هو كذلك.. لكنني لا أشعر بشيء، بعد.

- ماذا يعني؟

تهتد ربيع وأحدث شرح:

- باسمين، أنت تعرفيني جيدا.. حس أنورط في علاقة، وإنني أفعل كل  
شيء.. أقدم كل شيء.. أصحى بكل شيء! لكن مع شهاب، لا أشعر بأي  
قد أفعل هذا. رفقه مصعة وشخصيته حذانة، وهو يفعل الكثير من  
أجلي. لكن.. في داخلي، لا أحد صدي لمشاعره!

ابتسمت باسمين وهي تريت على كفها:

- ذلك لأنك تعينين علاقه طبعية، أحرا علاقه لا تقوم على  
التصحيات، لا تشعرين فيها بالخطر باستمرار، ليس سلامتك أو سلامه  
على المحنة، ليس هناك مسألة حياة أو موت، هل تدرين؟ هذه هي  
العلاقه الصليه 'المثالية' هذا الرجل يعاملك بالغيرة.. وعلمنا أن يذري  
ذلك، ويسعدني به. لا أن سعي وراء، إنارة موهومته، لأن العناه العائليه  
أناحيه نحاح استمرارا ورده.

حذفت رسم فيها يعقو نم هصب:

- هل هذا ما تشعرين به مع هصب؟ هل يعاملنك بالغيرة؟ وتلكت فلتت  
الزواج به.

ارمكت باسمين ولا أت وحدها.

- نوعا ما.. تكلم.. أنا لا أرى.. لكن ليس ذلك كل شيء... إنه رجل  
صالح من كل جانب.. هناك تكافؤ بيننا، وإسراح مبادل...

هتفت رسم عر مصدقه:

- إرساح؟ أه يا عرسى، حلال ثلاث سموات لم نحاورا حابه الارساح؟  
أنت مبؤوس منك؟

صحك باسمين ثم قالت:

- المشاعر تأتي بعد الزواج يا عرسى، فلا داعي لاستفعالها قبل الزواج.

مطبت ربيم شمسها في عير اقصاع. إنها نحت باسمين، لكنها تدرك  
مدى التاعد بين أسلوبيهما وطرق تفكيرهما.

أردفت باسمين معتره الموضوع:

- دعك مني، لمد نوزطت وانتهى الأمر، الزفاف حلال أشهر فليله. والأز،  
أخبريني كل شيء عن شهاب هذا.

فوجئت بسكبه وقد حرجب من عرفها وهي سحب حصه صغيره.

وقعت على الفور لسدّ طريقها وهبعت في استعراب:

- إلى أين، في مثل هذا الوقت؟

قالت سكينه بابتسامة حانية:

- لقد جهمت أن هذه ربيع، شربتك الشاي في السكر.. لا ضلّك أن  
سكنما أحاديث كثيرة وتحتاجان إلى الخصوصية سأترككما على راحتكما  
إذن، بإمكان قضاء الليلة عند بعض الأصدقاء.

هتفت باسم بلهجة قاطعة:

- لن يحدث هذا.. همد شفق كما هي سقي، لن يحدث هذا. ربيع  
سشاركي العرفه اللله، ربيعاً بعد تدبيراً صلباً.

وقفت رسم في حرج:

- بإمكان الذهاب إلى القدي، إن كان وحدي سبباً ليكنه شفق.  
بهرتها باسم في صرامه:

- لن يعاد أحد.. هل سمعنا؟ سبدر أمراً في الفتره المقبله.. يمكن  
أن نتعابش ثلاثاً.. نعم، بعد أشهر سأكون أنا المعادرة على أنه حال..  
ويمكن لربيع أن يأخذ عرقي.

سكنت رسم في ارعاج. لم يكن صم حطّها أن نشارك شفقها مع  
سبده عريه. لكنها مضطرة إلى التارل الآن. قالت بانضمامه محامله:  
- بمكني النوم على الأريكة.. إنها مريحة كعابه.

بهرتها باسم:

- لن ينام أحد على الأريكة! سأخبري مرنه أصعها على الأرض في  
العرفه.. وسناحدين أنت الشرب. هل انقفا؟  
أومات ربيع في استسلام.

لم تكن تتوّقع أن تكون في علاقه ثلاثية من حديد فور عودنها إلى  
باريس.. وهذه المرة، تافسها امرأه على صداقة باسم!

أدار عمر المصباح في الفعل ودفع الذقة ثم أفسح لهنهم المجال  
واسماها واسعة برنس محتاه.

- بسم الله.. ما شاء الله!

أجال هنم بطرته في أنحاء انهو الواسع الذي استقبله حال ولوجه  
السف في استبحار وإعجاب طاهرين. تقدم بصح حضور وهو بعز  
كفه على الصادق الكربيه الكثرة التي ملأ المباحة سكذنه بعضها  
فوق بعض.

- يبدو أنك لم تصنع اتوق!

كان الحماس يحضر من قسماط عمر الذي سغه إلى الداحل وهو بشر  
إلى قطع الأثاث التي لم يتم تركيبها بعد والأجهزة الكهربائية التي كانت  
قد أخرجت من عليها للمعاسة.

- لم أعد أستطيع الانتظار. لقد توقفت حماني لوقت طويل، والآن  
أريد أن أبدأ العمل على الفور! سأنتظر العمال بعد ساعة لتركيب  
الأثاث ووضع التجهيزات في مكانها.. وحالما نصلها المواد الأولية ونحضر  
التصاريح اللازمة من الجهات المختصة سيمكن من بدء العمل.

- ممتاز!

بعد سنوات من الركود والنعود، كانت عريمه عمر في أوج تألقها. في  
أيام قلمه، حفظ ورثب لأكثر مشروع مباشره في حياته. مخبره الحاضر،  
بالأمس كان مجرد فكرة عاربه عن الواقع. مرة أخرى، تلمس بالدليل  
الواضح أن الإرادة حين تهنر بالموارد المادية الكافية، لا يمكن أن تقف  
أمامها أية عقبة.

حالت من هنم النفاة إلى العرفة الداحلة التي كان بابها مواربا. من

خلال الفحة، لمح مرئنة لشخص واحد وصعت على الأرض ولحافا  
مكوما في فوصى فوفها. سأل عمر في فصول:  
- هل تركت الفندق؟

صحك عمر في استمناع وقد أدرك ما يعنيه وقال:

- لم أهد أسنطع الصرا أمام في الليل وأن أحلم بالمحسر وأسقط  
صاغا لأقصر بطرد على أدواني الحسة التي أهميتها لوقت طويل. لذلك  
أسفلت إلى هـا. ما رأيك في شقة العروبة الجديدة؟  
- أنت لا تتعلم الدرسه ألميس كذلك؟

كان القلق ناديا على ملامح هنم وهو يحجج محضه بطرد حادثة  
اسم عمر في نفهم وقال في هدوء:  
- بقصد الحادث؟ لا بحف، لم أقيم هـا بصوم الفحة. فقط في المرة  
الأولى حتى أركب أموري.

ثم تحرك لبسفه إلى الداحل. أراح السائر وضع الباعدة لبحدد هواء  
العرفه، في حين احس هنم على مجموعة الكتب التي صفت في عاية  
قرب ركن التوم المرنحل في مكتب رئيس المحنر المستقلى.  
- ماذا تقرأ؟

- كتاب عن التعافي.. أعيد قراءته للمرة العشرين ربما. أشعر بالارتياح  
كلما قلنت صفحانه!

هز هنم رأسه وأخذ يصفح الكتاب في اهتمام. فحاة، توقفت حركته  
ونسقرت بطرانه على الصفحه المصوحه أمامه في شك. بهدوء، ساول  
القصاصه المطوئه التي يستعملها عمر كفاصله كتاب تحدد الصفحه  
التي توقفت عندها قراءته. ترك الكتاب حاسا وضع الورقة حتى فردها  
تماما. لم يحطن حدسه. رفع رأسه بانحاه عمر الذي كان مهتما في  
ترتيب بعض الأوراق التي نثرها السيم المسلل من الباعده على الأرض،  
وهتف في ذهول:

- عمر، ماذا يفعل الصك البي الذي سلمتك إياه منذ سنتين هه؟  
رفع عمر رأسه ليلقي نظرة عابرة على الصك بين يدي هينم وقال في خجل:

- أعلم أنكم تكندتم عمة من أحلي، لكنني.. لم أنعود فبول الضدفة!  
والحقيقة أنني كنت أفكر من رمز في كنفة إعاده الصك إلى أصحابه.

استمع إليه هينم في صمت ثم هز رأسه في لفهم. على كل حال لم  
يعد الآن في حاجة إلى الصلح. فقد حصل على حقه في المحكمة. قال  
دون تمكبر:

- هاته إذن.. سأعيده إلى ربيم.

توقفت بدا عمر عن الحركة والعبث إلى هينم في الاستغراب عند ذكر  
ذلك الاسم عمر المتوقع.

- ما علاقه ربيم بالصك؟

لم يهدر هينم على الإنكار بعد أن رآه لسانه.

- لقد كانت فكرة ربيم.. قبل رحيلها. لم تكن تعلم أنك قد حصلت  
على تعويض كاف، فبادرت إلى جمع التبرعات. أظن أنها ستعرف كيف  
تعيد الصالح إلى أصحابها.

أصب عمر باهتمام، ثم انتهى وقال:

- بل دعه معي.. سأعيده إليها بنفسى. أظني لم أشكرها بشكل لائق  
عن كل ما فعلته من أحلي.

...

حين عادرا الشقة كان الوقت عصراً. عرجا على الجامع الشريف، للصلاة.  
كان عمر قد أبحار صاحبة «إفري» الحيوية لإقامة محفلة لبعدها عن  
رحام العاصمة، بالإصافه إلى موقعها قرب مدرسة للمهندسين، وجامع  
كبير.



نصافحا عند باب المسجد ثم افترقا. كان عمر يهمل بالعودة إلى شقته، حين اقرب منه أحد المصلين وحباه بانسامة. كان يلمح بعض الوجوه المعادة، كلما ارتاد الحامح في الأسابيع الأخيرة. بادلهم النجبة ولا يسترسل في الحديث. أوماً برأسه مثل العادة، لكن الرجل كان قد فُزِدَ غير ذلك. وقف يستد سبيله وقال بحفاوة:

- لقد عرفتك منذ رأيتك قبل أيام، لكنني ترددت.. أنت الرجل الذي  
تعرّض لمحاكمة منذ سنين، أليس كذلك؟

اتسم عمر في حرج. صافحه دون حريرة، وهم بالانسحاب. لم يكن يشعر بالارتباك لتلك الشهرة عبر الممرضة التي كرخت في مواقف عمر متوقعة مع العراء. لكن الرجل يمتك بكفة وهو يقول:

- معرفة الرجال أمثالك نرف عظيم والله، فلي مدعو على الشاي عندي،  
نفضل معي. أرجو.

حاول عمر الإفلات، لكن الرجل أقسم بأعط الأيمان، وحره حمله حراً إلى بيته القريب.

دلف عمر في حرج إلى الشقة الواقعة في الطابق الأول. كان الساء محادياً للحامح، على معدة شارعين وحسب. وكان المنزل بسيطاً ودافئاً، مثل بيوت البلد. شعر عمر بالأكفة على العور، وهو يتحد محطسه على المقاعد الواطنة المرضعة على السخاد الصوف. احتض الرجل لثواب وحيرة، ثم أقبل منهّلل الأسارير، ولسانه لا يهتر عن ترديد عبارات الترحاب والاحتفاء.

- هل أنت متزوج يا بني؟

نتم عمر في حرج:

- لا يا عم.

- وهل لديك عائلة هنا؟

- لا والله، لقد انتقلت إلى الحي منذ وقت قصير، وأنا أفيم بمفردي.

- كان الله في عولك يا ولدي! اعتبرنا أهلك منذ اليوم. مهما كان ما  
نحتاجه، لا نردّد في طريق هذا الساب، فسنجد أصحابه نحن أمرك!  
- جزاكم الله خيرا.

أطرق عمر في تأثّر، سلما تابع الرّجل:

- مخاطبك محمد العربي.. من فلسطين.

أشرفت ملامح عمر وهو يردّد في سرور:

- ونعم الناس أهلنا في فلسطين!

تعالّت طرفات حافته على باب العروة، ثمّ هفت فتتّ شاة تضع  
عناءه واسعه وحمارا. ألقت الحبة سيرة حافته، ثمّ وصفت طوي الشاي  
على المصدة الفروية.

- سلّم يداك يا سي.

لم يبطو عمر بكلمة حتّى انصرفت الغماه، ولم يرفع عيبه عن  
السجاد أعامه جباء.

- ابني الوحيدة، أبه.. لديها محسر في اللغة الإبحرية!

- ما شاء الله.. بارك الله لك فيها.

- لقد ربّتها مثلما ربّي سائنا في البلد، على الحضة والزّانة.. في بلاد لا  
نعرف الله، إنّها لمهمّة شاقّة والله!

- أي والله!

- حتّى لو أحرقتنا الطّروف على ترك أوطاسا، فإننا لا سارل عن مادنا..  
البيت دخلت الجامعة، لأنّي لا أرضي لها بالدّويّة في زمن يقدّس العلم..  
لكنّها احتارت البقاء في البيت بعد ذلك، فحنن لا يرضى لناثا النعرص  
للفتن والاختلاط بالأجانب دون حاجة...

أوما عمر دون أن يعلّق، وقد بدأ إحساس بالصّبق بساوره، بسما  
استمرّ الرّجل يعدّد مميزات ابنه وصافها وما بدله في نرستها وتعلّمها.

تمتم عمر معتذرا:

- أستاذك منك يا عمر محمّد.. وبارك الله فيك على الصّباغة. لكنني على موعد مع عمّال التّركيب، سيكوبون في النّقطة قريباً، ويحب أن أكون في استقبالهم.

- طبعاً بالتّأكيد.

وقف الرّجل ليرافقه حتّى المدخل، ثمّ قال وهو بصافحه:

- في المرة القادمة، أودّ أن نتحدّث عن مشروعك الحثي.. لقد سمعنا الكثير من الصحافة، لكنني مهمّم بالاستماع إلى أفكارك مباشرة. رفع عمر حاجبيه دهشة. لم يكن يتوقّع انضمام علمنا من الرّجل. صحك العمر محمّد أمام مطربة الدهشة وقال:

- أيا مهندس كهرباء يا وليدي، لكن سنوات العمل في الصّباه وتركيب التّجهيزات أنقذني من الحرّ، الإبداع في الهندسة.. أشتاق إلى حديث علمي بجمعنا.

ظهر الاهتمام في عيني عمر وهو يقول بحرارة:

• حمّاه، بسعدني أن نتحدّث بالأمر في وقت قريب.

...

رغم عيائها الطّويل، استقبلها جورج بحفاوة ولّحّاب. رارت المكتب ذلك الصّباح، محاولة ألا ترفع سقفا توقّعاتها. تظاهرت بالآلا مسألة حين نادرها مستفسراً:

- هل قرّرت بشأن العقل؟

- لقد وصلت مند أسبوعين، لم أرثب أموري بعد. أحاول الاستمتاع بباريس دون ضغوطات!

- أنت تعلمين أن مكانك محفوظ بسا.. إذا شئت العودة، الباب مفتوح لك في كلّ وقت!

لمحت علامات الامتعاص على ملامح شريكته فيبيان. لم نحتها المرأة أبدا. لكنها كانت في حاجة إلى العمل الآن. إن واصلت على ذلك التسوق المصغلت، فستد مدحراها القليلة في وقت قاسي. رسمت على وجهها ابتسامة لبقة وهي تقول:

- أنا ممتنة لك جدا يا جورج.. متى يمكني العودة إلى العمل؟

- الآن إذا أردت!

ضحكت ثم أضافت:

- أنت محظي جدا.. هل لديك فضية من أحلي؟

- لقد حررت يا عزيزي. هناك فضة ماسة لك تماما، نحلص النوع الذي يحبسه! هل يواصل الحديث في مكتبك؟

ابتسمت وهي تلقي نظرة عابرة على وجهه وهو الممتنع، ثم حنتها بإيماء وهي تلحح جورج إلى مكتبها القديم. سرعان ما انتهكت في مطالعة تفاصيل القصة ومعابرة الأدلة والوثائق، ثم اتصلت بمكتب المدعي العام لطلب موعدا للقاء موكلها. رفعها جورج بظرة رصا، ثم انسحب وقد اطمأن إلى استجابتها الفورية لمحفرات العمل.

خلال أسبوع واحد، كانت قد انعمت في نشاطها وكآتها لم ترحل قط. استعادت عاداتها القديمة بلا أدنى صعوبة، كان ذلك مكانها الطبيعي الذي نحد فيه راحتها.

كانت تهتم بمعادرة المكتب ذلك المساء بعد يوم مصي من الانشغال التي لا توقف، حتى ارتفع ريس الهاتف. ترددت للحظات، ثم عادت أدراجها ووضعت حقيبة بيها على الطعد وهي ترفع الساعة:

- مرحبا.

- أستاذة زيم؟ أخيرا تمكنت من الاتصال بك!

- معذرة، من المتحدث؟

- ماسلد دوري، يا عزيزي! هل أحركك باصالي؟

رون ربيم ما بين حاحيها وفد بعركت على صوت الشفراء المبحوح.  
نعم ، أحرها جورج بأنصالاتها الكثيرة والمنكررة التي أمطرت بها المكتب  
لفنرة طويلة. طئت الأمر قد انتهى وأصبحت فضها صم الماصي.  
لكس يبدو أن مقدمة برامج تلفزيون الواقع لم تكن قد بنست أو بنست.  
فالت مايلد فاطمة التست:

- لذي عرص رانع لت أسادة ربيم ، صعب حطك المنهه مائة  
ونمانس درجه'

قال ربيم في حرم:

- شكر العروصك ، لكني راصيه بحطني اناها ، والتي بطني عدم  
التواصل مع وسائل الإعلام والحماط على كرتة الصبا التي أعمل  
عليها.

- ربما تدركي أنني أريد منك لقاء حصري بخصوص الفصيه الشهرة  
التي لم نخط إلى حد الآن نعطية إعلامية لانقة. بعد مرور سنين..  
لكني أعرض عليك وطبعه أيضا ، ندر الذهب!

- أرحوك سبدي. لس يكون هياك لا لقاء ولا وطبعه. والآن اعدربي ،  
فعلي المعادرة.

لم ننظر نعليفا من محاضنها ، بل أنهت المكالمه وهي نطلق رهيرا  
مهيا. لم يكن عليها أن نرد. لطالما كانت المكالمات المناخرة مصدر  
مناعب.

لقد عادت إلى باريس للتو ، وهذا الطيب بنقديم حوار صحفي عن  
فصيه عمر لم بأن في الوقت المناسب. في الحقيقة ، لم يكن هياك  
وقت مناسب مطلقا لعرض هذا الأمر. نك بأنها سرفص ونو بعد عشر  
سنوات. لقد كان لقاءها به صدقه مد يومين في «البيت الصغير» مريكا  
كقابة.

فتحنا باب النقه ودلعت إلى الزدهه وهي نرهر محذدا. كانت على

موعد مع شهاب لتناول العشاء. ستعبر ثيابها ونحرج مرة أخرى. بعلم الله كم نخاح حقاً ساحا وحصة نديك في تلك اللحظة لتستعيد استرخاءها ومزاجها الطيب. لكن المصاحبة التي كانت تنتظرها في مطبخ الشقة لم تكن تبقي بقرب الفرج.

- انظروا من جاء!

حذفت في القناة التي وقعت خلف المصطبة وهي ترتدي مريلا الطبخ وتضع قمارات المردي عدم تصديق.

- ألا ترحبن بي؟

نقلت نظراتها إليها وبسبب باسمين وسكب الشمس، ثم هتفت في صدمة:

- رانيا؟ كيف وصلت إلى هنا؟ ما الذي جاء بك؟

- أبي أعطاني الأوراق وأخذت سيارة أجرة، مثلما يفعل الناس.

- سيارة أجرة؟ وأن، أين هو؟ هل جاء معك؟

- طبعاً لا! لم أعد طفلة!

بهزنها باسمين على الفور وهي نحيبها من دراعها لتجلسا معا على الأريكة:

- كم يا ربيم، هل ترحبن بشفيك هكذا؟

انتهت ربيم في تلك اللحظة إلى الحقائق الكثيرة التي كانت متراصة عند الباب. وففت على الفور وهي تشر إليها في دعر وهتفت:

- ما كل هذا؟ كم سئبي هنا؟

- ربيم!

احتج باسمين بينما اسمت راسا في رهو وهي تقول:

- سأدرس اللغة الفرنسية في جامعة باريس ديدبرو لمدة سنة واحدة..

ثم أفكر في الاختصاص الذي يناسبني.

- يا إلهي! سنة كاملة؟

فرصتها باسمين بقوة هذه المرة، فصرحت رنم من الأكم، في حين قالت باسمين بلهجة ودودة:

- رانيا كانت تساعد سكية في إعداد العشاء.. أطبا ستبقى كثيرًا وبمضي أوقاتًا ممتعة.. بحر الأريكة!

- هل تقولين أنها ستقيم معنا؟ أين؟ هناك عرفناك فقط في الشقة أنا وأنت تشارك غرفة الآن، هل سبت؟

قفزت رانيا في انحنائها وهي تهف:

- يمكنك النوم على الأريكة، لا تقلق بشي!

يا لملك الأريكة التي ما تمكّ نحد منظر عبي للنوم عليها! حدثت رنم أختها في عدم تصديق. هل نرعى الصخرة للعدالة بهذا القدر الضئيل من الراحة؟ فاطعت باسمين أفكارها وهي تقول:

- يمكنك أن أنرك لكما العرفة وأمام على الأريكة، فأنا سأعادر على أبة حال حلال شهوور قلبلة.

- هل حقا نفعلين؟

ندخلت رنم بسرعة لتضدّ وهم شقيقتها التي لم تفط في مبادرة باسمين السحبة:

- لا لن نفعل، أبنها الاستغلابة الصغيرة! إن كنت تريدن البقاء فسننامن على الأريكة!

حدثتها بطرّة عاصفة، رنما نوح في نومها منذ البداية فتعادر قبل انقضاء الفترة!

تدخلت سكسه على الفور:

- هياك نرتب مناسب، سنأتي باسمين إلى غرفتي.. وتشاركين أنت وشقيقتك الغرفة الثانية.. ما رأيكن؟

- من قال بأنني مستعذة لمشاركة عروتي مع هذه المرعجة!

كانت نعيم شفيقتهما الصغرى فتاة مدللة عديمة النفع. السنوات التسع التي تفصل بين ولادتهما، كانت كافية ليسي والداهما قواعد التربية الحكيمة - التي لم يمتلكاها يوما بالخاصة، نظرا لاعتمادهما على المربية منذ ولادتهما - ويعرفان الصغيرة التي جاءت في وقت كاد يأسف فيه من إبحار طفل ثمين بدلال لا مثيل له. وكان فارق السن بالإضافة إلى الصغرة التي نعمت من ربيهم حين وجدت شفيقتهما نعيم باهتمام لم يعرفه هي في طفولتها، كما عاين باعدا كثيرا من الستين. ثم جاء رجل ربيهم للدراسة في الخارج ثم للعمل ليضعها قطيعة شبه نهائية بينهما. لم تكن هناك اهتمامات مشتركة ولا حتى محادثات مصطنعة. في الحفلة، كما قد تبادلنا قبل صنبلا من الكلمات العادية التي يتبادلها حتى العجباء في مرة الإقامة الإحصائية التي قرصت على ربيهم في السنتين القاضيتين، من قبل «صاح الحبر»، «نصح على حبر»، «هل حصر العداء»، «شكرا».. ربما كان حداهما ذلك الصاء بحقوق رقما قياسيا من حيث الكلمات المتبادلة.

لذلك فإن زيارة رانيا المباحنة وقرارها بالإقامة معها، كانا في غاية العراقة والإرعاج. نساء ل ربيم حبها كيف سمح والداهما لصغيرتهما المدللة بالانبعاد عنهما؟ لن كانت تجربتها الدراسية والمهنية مرصنين، فإن سلوكها العاطفي لم يكن مثالا يحذى بالسنة إليهما، فكيف يعهدان إليها بمهمة الاهتمام بالنقبة الصغرى؟

أم أن شهاب هو الضامن الأوجد، مرة أخرى؟

أه، لقد عرفت! لقد حسب نفسها فرت من الرقابة، فأرسلنا مراقبة لصانعتها عن كتب!

تذكرت مع ذلك الحاضر موعدها مع شهاب. وقفت على المور وهي تقول في فتور:



- عذراً يا فتيات، تناولن العشاء من دوبي.. لدي موعد.

هتفت رانيا على الفور:

- مع شهاب.. طمعا! بما أننا حَصَرنا الطعام، ما رأيك في دعونه للعشاء  
معا؟

صحكت ربيع، وهي تلقي مطرة ساخرة على شقيقنها. رحل؟ في هذه  
الثقة؟ يا للضعيرة الساذجة. إنها لا تعرف باسم وسكية بعد! لا  
تعرف أن العالم الذي حطت إليه بمحض إرادتها مختلف عن عالمها  
الصغير المنالي في القاهرة. قالت في لحظة منشفة ر  
- الإقامة هنا نرصح لقوانين صارمة.. سأترك لك اسمك ياها. إذا  
قلت بعدها بالبقاء.. فسندحت!

ثم سارت إلى الغرفة متجاهلة علامات الصدمة الجنية على ملامحها.

... ONE PIECE

- مرحبا شهاب، هل بمكي أن أراك اليوم؟

جاءها صوت شهاب ملولاً نارداً على الطرف الآخر للحظ:

- أسف رانيا، لديّ مياومة ليلّة ابتداءً من الساعة مساءً.. ربّما في فرصة  
أخرى.

- أكيد.

رَدّت في فتور ثم أنهت الاتصال. هل هو حادّ في اشتعاله بالعمل، أم  
أنه سبّلني ربيع اللثة ولا يريد أن تعسّد عليهما الأمسية؟ ربّما أكثر  
من الاتصالات بشكل لافت حتّى بات يتهرب منها!

مدّ صعرها كانت تميل إلى الأكبر سناً. ربّما لأنّ والديها أبحاها على  
كبر في حين كان أبناء الأصدقاء والمعارف قد قطعوا سنوات في رحلة  
العمر محلفين إياها وراءهم، فشأن في سباق مع الزمن، تحاري الكمار  
ونقلدهم مستعجلة الوقت الذي تصح فيه بدّا لهم.

حين بلغت الخامسة عشرة، كانت تصاحب طلاب الجامعة. ولم يكن أحدهم يعتبرها «طفلة» أو «صغيرة». كانت تعرف ماذا تفعل وكيف تتكلم ونمكر أيضا. شعرها المحقق الكستنائي القصير وبطاراتها الحادة الأنيقة، فساتينها الصيفة والسترات الرسمية التي نصعها عليها، أحدثتها ذات الكعوب العالية، وبرجها الحفيف اللاف.. كل ذلك كان يضيف على شكلها لصحا غير مبدل، فتبدو ببساطة في مكانها الطبيعي بين شباب العشرينيات.

في المقابل، كانت تصبى درعا بطلاب الثانوية الذين يسعون لمصادفتها وكسب ودها، فتعظمهم من حولها كالدباب. لم يكن ذلك يكثر منها بمقدار ما كان استياء من الحاحر العمري الذي ينفذها بحجة لسوات طويلة في مدرستها الداخلية مع أطفال في أحساد مراهقين لا يعرفون من الدنيا أكثر من ألعاب الفيديو ومباريات كرة القدم.

حين انتهت من دراستها الثانوية، ألفت آتيا فرصتها للانطلاق وهك الفيود. كان أصدقائها «الكار» قد تجاوزوا مرحلة الجامعة وانتشر معظمهم في أرجاء الأرض، وهي ندرك أن عليها أن تقوم بالمنزل حتى لا ينتهي بها المطاف مع نفس السمها، الذين نلتكأ النصح داخلهم مثل سلحفاة بطنية.

احترار باريس، لأنها علمت أيضا أنها الوجهة المصمومة التي لن يمايع والداها بشأنها. نمر لأنها ستري ضباب محددًا ومثل العادة. خلال السنين الماصنين، كانت تقحم نفسها في الجلسة حين تصادف ريارنه لتناول العشاء أو فضاء الشهره مع أفراد العائلة عطنتها الأسبوعه.

كان نوعا من الأشخاص الماصجين الدروس الذين يحولون انتباه الحصور إليهم دون جهد يذكر. كان يكرها نائفي عشره سنة. وهي وقعت في شرك حادبيه دون مقاومة. ولم تكن الوحيدة، فكل العائلة كانت تحت تأثير شخصيته الساحرة.

تعزى في داخلها أن فكرة الاسنحواد على انشاء خطيب شقيقتها كانت

سَيِّئَةٌ مِنْذُ الْبِدَايَةِ. نَعْلَمُ أَنَّهَا لَنْ تَحْتَلَّ مَكَانَةً رَنِيمَ فِي حَيَاتِهِ بِبَسَاطَةٍ. فَهَإِذَاكَ اعْتِسَارَاتُ احْتِمَاعِيَّةٍ وَرَسْمِيَّةٍ تَقِفُ حَاحِزًا أَمَامَ تَحْقِيقِ رَغْبَتِهَا، بَعْضُ النَّظَرِ عَنِ التَّحَدِّيِّ الْكَامِنِ فِي مُحَاوَلَةِ اسْتِمَالَتِهِ عَاطِفِيًّا فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى. نَعْلَمُ أَنَّهَا سَتَكُونُ مُحَارَفَةً حَظِيرَةً لَنْ تَضَعِ الْعَلَافَاتِ الْأَسْرِيَّةَ عَلَى الْحَبْكِ وَحَسْبُ، هَلْ لَعَلَّهَا قَدْ نَفَّصِي عَلَى كُلِّ فُرْصَةٍ فِي الْحَصُولِ عَلَى حَوَائِثِهَا وَإِطَالَةِ الْإِقَامَةِ فِي بَارِيَسَ لِسَنَوَاتٍ أُخْرَى. إِنْ كَلِمَةً وَاحِدَةً مِنْ شَهَابِ لَوَالِدِيهَا عَنْ سُلُوكِهَا الْمُنْبِرِ أَوْ عَنِ اللَّائِقِ سَبَّوِي بِهَا إِلَى قَعْرِ سَحِيقٍ قَدْ لَا يَهْمُ بَعْدَهُ مَطْلَمًا. كَانَتْ تَفَكَّرُ فِي صَرْفِ الْبَطْرِ عَنْ الْمَوْضُوعِ، لَكِنَّهَا كَانَتْ تَنْتَظِرُ بَسْلَةً أُخْرَى يَمْلَأُهَا وَحَقْلُ انْتِشَاهِهَا. إِلَى أَنْ تَأْتِيَ تِلْكَ السَّلْبَةُ، سَتَسْتَمِرُّ فِي مُصَافَقَةِ غَهَابٍ وَتَعْبِيرِ مَرَاكِحِ رَنِيمَ. قَفَرَتْ مِنْ مَكَالِهَا حِينَ سَمِعَتْ بَابَ عَرْشِ رَنِيمَ يَفْتَحُ. كَانَتْ تُشْفِقُهَا فِي كَامِلِ رِسْمِهَا وَقَدْ لَسَعَتْ لِحَارُوحَ. عَاوَدَتْهَا مَهْكَوكُ السَّابِقَةِ. هَلْ يَحْطِطَانِ لِلْقَاءِ بَعِيدًا عَنْ عَجَبِهَا الْعَصُولَتَيْنِ؟

- إِلَى أَيْنِ؟

التفت رِيمَ فِي ارْتِيَاكِ حِينَ وَحَدَّتْ رَأْيَا تَقِفُ أَمَامَهَا فَاطِعَةً عَلَيْهَا الطَّرِيقَ. قَالَتْ فِي صَيْقٍ:

- لِلسَّوْقِ.. بَرَفَةٍ بِاسْمِي.

- هَلْ يُمْكِنِي أَنْ أَتِي؟

- طَبْعًا. إِذَا أَرَدْتَ.

- سَأَكُونُ حَاهِرَةً حَلَالِ دَقَاقِ!

رَمَتْ رِيمَ شَفِيفِيًّا فِي انْتِصَاصٍ. تَدْرِكُ أَنَّ عَوَاقِبَ مُوَافَقَتِهَا تِلْكَ سَتَكُونُ وَحِيمَةً.

\*\*\*

- نَجْتَلِي.. لَمْ يَعْجَبْهَا شَيْءٌ! كُلُّ شَيْءٍ كَانَ نَاهِطًا أَوْ مَكْشُوفًا أَوْ مَالِعًا فِيهِ!

اسْتَرَتْ رِيمَ نَشْكَو بِاسْمِي إِلَى سَكْنِهِ عَلَى مَائِدَةِ الْعِشَاءِ. نَقْدٌ أَمَضَتْ

ثلاثتهما ساعات بحس بين محلات نياح الرقاف، وعدد بحفي حبس.  
بما لم بحر أيّ التصابيح على إغراب باسمين، فقد وجدت ربيع  
صعوبات حمة في إيفاف رابعا عن اقتناء كل ما تقع عليه عباها من  
فسائس الشهرة.. لنتهي الحولة شجار نرس بين الأخن.

وصعت رأسا التماعات في أدبيها واسحمت مع الشجيرة المسعت من  
هاشها. كانت تلك طريقها في الإعلان عن عضها ومقاطعتها لشفقتها.  
قالت سكية مفرحة:

- ما رانك في التفصيل؟

- تفصيل؟

- نعم، تفضلني العنسان الذي باسمك حمام أنا أعلم أن أغلب  
الفسائس المعروضة ليست محتشمة، بالإصاها إلى السجوها المشطة.. إن  
استقر رأبك على الخطيرة عند فيمكنني تفصيله من أحلك.  
حذعت فيها باسمين عبر مصدقة:

- هل أنت نابعة في ذلك؟

حدثها سكية نظره متعاليه ومسنكره، كأنه من الحرم الشيك في  
مهاربها. قالت في ثقة:

- سأفرك على بعض نصيبياني، ثم يمكنك أن تعزري.

احتفت سكية داخل العرفة لرهة، ثم عادت وبين كفيها ألوم كامل.  
هتعت باسمين وهي تنهد الصور في اسهار:

- أنت مذهلة.. هل يوجد شيء لا تحديبه؟ سكية، أنت صدوق  
مفاحات!

ابتسمت سكية في مرارة، ثم قالت:

- كيف حسني أغلب نفسي في السوان السع الماصية؟ بعد أن تركت  
التدريس في «بانت»، فعلت كل شيء ممكن، الطبخ وبوريج الأكل على

المطاعم العربيّة، ثمّ تعلّمت التفصيل والحبابة.. الأرياء الشرقيّة  
التقليديّة كانت مطلوبة وأسعارها حثّة...

ثم أضافت في حماسة:

- أعرف محلّ أقمشة في حيّ «نازناش»، صاحبه مغربيّ، لديه أقمشة  
«سوارية» مذهلة ونماذج مذهلة لل«فقطان» العاجز، يمكنك إلقاء نظرة  
عليها.. هل فكّرت فيما ستردينه في العشاء الزمعيّ؟

حذفت فيها باسمي في دهول، بينما استمرت سكبنة نشرح ما عليها  
فعله. فقطان لعقد الفران وستان أبيض بسيط بتطريز باغم للعشاء.

- سأعتمد عليك إذن!

هتفت ربيم في استياء:

- لا أفصد الإهانة عريزي سكبنة.. لكن باسمي أنسقي ناريس، عاصمة  
الموصلة! تركي كل التّصاميم الفريدة والمميّزة، وتحبطين ثوب رفاقك؟

فترت حماسة سكبنة على الفور. قالت معتدرة:

- ونيم على حق.. هذا رفاقك، وأنت تستحقين الأفضل.

أحدث تجمع صور التّصاميم في إحاط، فسارعت باسمي لتمسك  
بكمّها وتقول:

- أبدأ.. كلّ هؤلاء المصمّمين المحترفين لا يستوعون حاجتي وفسانيهم  
الفاحرة لا تناسب دائقي.. بالعكس، أنت تفديني من هذا المارق! أريد  
أن أعتمد عليك في هذا.

حذفت باسمي في عيبتها نفوّه، فانسمت سكبنة في امتنان، بينما هزّت  
ربيم كتفيها في صبق وهمت:

- أنت حرّة!

تدخلت رانيا فجأة لتسأل في فضول:

- هل هذا ما تفعله طوال النهار؟ تصمّمين الملابس؟

ارتبكت سكينه، وقالت في حرج:

- لم أعد أفعل ذلك الآن.. هناك مسألة أخرى تشغلي، لذلك أريد  
إجازة من العمل هذه الفترة.

هتفت باسمين فحاة:

- ربيما هل يمكن أن أتحدث إليك؟ بعد إيدك سكينه، كيف لم يحضر  
لي هذا عن قبل.. ربيما محاميه فلة، وقد يكون مفيدورها المساعدة!

تعلقت النظرات بوجه سكينه الساحب. نعمت في فنور:

- لقد حزن المحاميين الكثيرين مهم، لكن ذلك لم يحضرها.

لكن باسمين تالعت بحماس:

- ليس كل المحامين سواسية! أنت لا تعرفين ربيما.. حتى تصنع هدفا  
نصب عبيها فإنها نجد لتسهيل لتحقيقه لا محالة!

نوردت وحيثما ربيما خجلا من إطرأ باسمين، ثم تبحرت وهي تقول:

- ما المسألة إذن؟

كانت سكينه نصارع التردد والخرج. لم بعد نريد أن يتعلق قلبها  
بالأمال الكادية. لقد حزن كل شيء، مفكر، وهذه المحاميه الشائنة هل  
تكون أقوى حجة من أولئك المتمرسين الذين سلبوها مدحرات عمرها  
دون تحقيق شيء، تذكر؟ هل تلقي نفسها في دوامة الأمل والحيلة التي لا  
تنتهي، مرة أخرى؟

وقفت رابعا وهي تصنع سماعات أديها من حديد، وقالت قبل أن  
تعيب داخل العرفة:

- نبدو مسألة قانونية مملّة.. أنا في غنى عن هذا!

أطرفت سكينه مفكرة، ثم استجمعت شجاعتها وهي تقول بصوت  
أحس:

- إليك القصة من البداية.

استمعت إليها رنيم في اهتمام بالغ وهي تقصّر تفاصيل الحكاية المؤلمة، حتّى إذا فرغت من اعترافاتها، قالت في حدّبة:

- لا يمكنني أن أعدك بشيء الآن.. مضى زمن طويل منذ درست قانون الحصانة، أحتاج إلى مراجعة المراسيم الحديثة بالتفصيل، والاطلاع على السوابق القانونية والقضايا المشابهة.. ما رأيك لو نمرّس عيّن بالمكتب بعد يومين؟ سأكون قد استعلمت أكثر بشأن القضية.

أوعأت سكبنة في قلّة حيلة.

ستحرق المحاكم مئة أخرى، طالما لم نفلح رطف منهنها عن حاسر حتّى ذلك الوقت.



BOOKS

- دبابا!

وقفت ربيع على الفور وهي تلمح الشابة المقعدة تدلف إلى المكتب وهي تدفع عجلات مفعدها المنحرك. عانقتها سود وهي تقول في لهجة معانجه:

- ما الذي جاء بك؟ قلت أنني سأصل حالما أصل إلى بي بي بي.  
- لم أستطع الانتظار.

كانت عيناها دامعتين ومحتقنتين.

تعرّفت إلى دبابا منذ ثلاث سنوات، حين كانت تذهب إلى رواجها من شات حرائري وصل إلى فرنسا على متن أحد مراكب الصوت. لعل وحدة دبابا الفضة المقعدة، وحاجة نادر إلى أوراقي إقامة رسيّة كانت السدان الأول والثاني لإتمام رواج حسنت ربيع أن مصيره الحتمي هو القفل. لذلك لم نقاحاً كثيراً حين وردها اتصال دبابا بالأمس، ننتها باحنماء روحها بعد أن احتطف طفلها!

- لقد حاولت الاستعلام عن حركات السعر عن طريق أحد المعارف في المطار.. سأوافيك قريباً بما توصلت إليه.

- الأستاذة ربيع موجودة؟

نحاورت مابلد دويري مكتب الاستقبال دون أن نستطردّ السكرتيرة وافتحمت مكتب ربيع وهي تطرق الأرض بكعبها العالي في مشية منعطسة. وقفت ربيع وراء مكتبها وطلعت الشفراء ذات الطران الحادة الملبنة بالثقة وقالت في اسناب:

- سيّدة دويري، هل يمكنك الاضطرار حارحاً رينما أنهي هذا الحوار مع موثقي؟ أرجو منك إظهار بعض الاحترام لهذا المكتب وعملائه.



- يا إلهي.. إنها مانيلد دوبري الحقيقية! من برنامج «الحقيقة الكاملة»!

ابنسمت مانيلد في رهو وهي تلحظ علامات الإعجاب واللهفة في ملامح ديايا التي استدارت بكرسيها المنحرك لترفق الجملة التلغرية عن كتب. نقلت ديايا بظرائها بين ربيم التي أرنكها ندخلها وبين مقدمة برامج «تلغزيون الواقع» فخطرت بهاها فكرة لم تكن لتراودها حتى في أحلامها، لكن بأس اللحظة و ظهور الأمل الصاخن أسعفاها تنطق تلك الكلمات الحريفة دون تفكير كثير:

- ربما يمكنها أن تساعد في البحث عن حليل! يا إلهي، سيدة دوبري، يحب أن تساعدني في إيجاد أبي.. أرحوك!

- سيكون ذلك من دواعي سروري، أحريبي عن تفاصيل الأمر!

قالت مانيلد ذلك وقد التفتت في عيها نظرة طاعية ثم انحنيت إلى المقعد الشاغر كإلهة ديايا دون انتظار إذن من ربيم التي وفقت منرددة لا تدري بما تستقبل مبادرة مانيلد المنيرة للشكوك.

- بحس متروحان مد ثلاث سنوات.. ولدي حليل بلع من العمر سنتين. أمس احتفى هو ووالده مع حفية ملابس. أشك بأنه حطفه وسافر إلى الجزائر، حيث لا يمكنني أن أصل إليه.

- أه سيدتي، هذا أمر فظيع.. أنا وبرامحي تحت أمرك. نحن في خدمة مواطنينا في مثل هذه الحالات الحرجة.. ثم إنني حنت اليوم إلى الأستاذة ربيم لأنني أحتاج وجودها في برنامجي، فإن وافقت على الحضور ستكونين أنت وهي صفتين عديا لنبت شكواك على الهواء، حتى تكون عمليّة البحث أكثر نجاعة!

كانت تمسك بكف ديايا التي كاد الأمل المتدفق إليها عبر كلمات المديعة يجعلها ترفرف في مكانها.

- كل هذا رهس موافقة الأستاذة ربيم على التعاون معنا.

كانت عيونهما تتجه الآن إلى ربيم تنتظر ردّها، ديايا في رجاء المثهم

الذي ينظر حكما بالبراءة، وماتيلد بالنسامة واثقة حريئة نمت ريم لو  
نصفعها من أجلها. كانت تساومها برحها في موقف حرج أمام موكلتها.  
بعد صمت قصير، قالت في شبه استسلام لم نعتري به نظراتها  
المتحدبة:

- ما المطلوب مني بالضبط؟

اشرحت أسارير ماتيلد التي وقعت من محلها في حمار وهي تهف:

- أن نسحق لي تحويلك إلى بحمة تشرية!

- عفوا؟

كانت ماتيلد قد تابعت عن كثب مراحل قصة عمر وشهدت مرافعات  
ريم الحاصبة كلها. وجدت في تلك الحاصبة الشابة ذات الحمار الشرقي  
الحذاب، شخصية مختلفة وحسورا لافنا. كانت مسجودة على الاشاه  
حي يصح حوكها في علة المحكمة، وكانت نظراتها المعجمة بالصدق  
تؤثر ونشد وتغر شعاعا من الدفء. مواصفات نادرة ومواقفة لما يطلبه  
الجمهور! تابعتها مرة بعد مرة ورعة عارمة في صفها إلى فريق برنامجها  
تلخ عليها. لكن عباب ريم وحفاها مع وسائل الإعلام كانا بؤحلان  
مشروعها إلى وقت غير معلوم.

- أحناح وجها حديدا في برنامج «الحقيقة الكاملة» وأنت مناسبة جدا  
لهذا الدور! إن نم الاتفاق بيا، فسنحل الحلقة الثانية للموسم  
الحديد عن موضوع احتطاف الطفل.

حانت منها نظرة إلى دبابا. لم تكن تريد لأي كان أن يؤثر على قرار  
بحض حبانها المهيبة، لكن بطرات دبابا الصعطفة أجهز على البقية  
المافية من مقارومتها. سألت فحاة وقد أدركت أن في الأمر خدعة ما:

- ماذا عن الحلقة الأولى؟

- لا تكوي سادحة با عريزي.. الحلقة الأولى سنكون عن قصة عمر  
الزيبدي طعنا لقاء حصري وأحار مفرمسة حاصة بالبرنامج!

لوت ربيع شفيها في امعاص. هذا هو المص إدس. لم نبأس مانبلد بعد، ولعلها سنستعد كل حبلها للحصول على متعاهها. لم تكن قد نظمت الرد في دهها بعد، حين طرفت السكريرة الباب وقالت:

- الدكتور عمر الرندي هما.

- دكتور عمر الرندي! إنه يوم سعدي لا محالة! فليفضل على الفور!

ألقيت ماسد دوسري التعليمات إلى موظفة الاستقبال، كتبتها صاحبة المكان ثم هتب لتستقل عمر في زحاج بالع واساناه وسعة نشلي ووجهها. نظر إنها عمر في دهشة، ثم ألصق إني لهما ورسم في شكله تكلمت دبا أولا وعد استوعبت هوشه على الفور.

- دكتور عمر! ودب لو التمس في ظروف الحصول. سادر لا يتسنى أبدا صيغتك معه وسحدثت عنك باستمرار.

شرحني ربيع العوقفة تكلمت محصورة لسدد الانساس. استمع إليها عمر في دهشة متراصة، فل أن تقاطعها مانبلد من جديد:

- دكتور عمر، إن لقاءنا اليوم هما رساله من الفدر، أليس كذلك؟

حددها عمر سطرة مرتابة كأنه يتساءل في سرته «من هذه المحبوبة؟» ثم سأل دبا:

- إدس، هل تفكنتم من الأنصال سادر؟

- للأسف، هانعه مغلق مد الأمس.

نفضت دبا بصوت مهذح ملؤه التأثر، فأحدث ربيع الكلمة رعم حرجها وقالت في هدوء:

- إنها عملية احتطاف واضحة. اتصبا بالسك، فنتج أنه قد قام بسحب كامل مذكراته مد يومين. ظلمت من بعض معارقي في شرطة الحدود التأكد من سفره خارج البلاد.. سطر أن بأنسا الحر بين لحظة وأخرى. دبا يرفض التسليم عن عملية الاحتطاف. لكن بما أن المحتطف هو الأب، ولم يحصل طلاق أو خلاف على الحصانة، فإن الشرطة لن تأخذ

الملاع على محمل الحدّ قبل بعض الوقت..

تتحب مايلد وقالت وقد اكتسب صوتها مسحة من الحدبة:

- اتفقت مع السيدة ديانا والأسنادة ريم على تصوير حلقة خاصة عن عملية الاحتطاف ونعيم صورة حبل ووالده على القنوات التلفزية، وربما يكما ذلك من جمع بعض الشهادات من أشخاص رأوهم في مكان ما.

ثم أضاف في فكرها الحديدية العنصرية:

- وإذا لمتر أن والده قد أحده إلى الحرائر بالفعل، فتتأفرون جميعاً على بقة البرنامج - مع فريق تصوير لمناعة حلقة الحبل تجاهلها عمر والنه في ديانا ليقول في استهجن:

- هل تريدبن أن تظهر حناك الخاصة على شاشة التلفزيون الواقع والنشهر بروجك ووالد الملك؟ نعلمبن أنها وسيلة فحة لافحام خصوصيات الناس وانتهاك حميتيها!

كان يعلم أكثر من أي شخص آخر سانح تلك الشهرة غير المرغوبة التي قد تستمرّ سواب، دون أن يكون بمقدرته فعل شيء لعكس التأثير المشؤوم! اعترضت مايلد في حرارة:

- هذا البرنامج سيمكّن الأم من كسب لعاطف الرأي العام وبالتالي الصعط على السلطات، سواء العربية أو الحرائرية للتدخل من أجل استرجاع ولدها! راحوا تاريخ برامج تلفزيون الواقع لندركوا سمة الحرائم التي أسهمت في حلها.

التمعت عينا ديانا بحراب ندبة وهممت في مرارة:

- حين نفقد الأم ولدها، فإن أبه وسيلة نمكها من استرجاعه هي وسيلة جيّدة.

أردف عمر في غير اقتناع:

- إن كانت السيدة يريد المساعدة، فليكن تنوطين موارد البرنامج

للتفصي عن مكان نادر بأسرع وقت، ولتبقى الكاميرات مطمأنة!

مطّت مانبلد شعنيها في امتعاص، ثم قالت:

- أنا مستعدة لكل ما تريد.. لم أرد إلا المساعدة. طالما توافق والأسنادة

ونيم على تصوير الحلقة!

- عي أي حلفة تتحدثين؟

هتف عمر في احتجاج، هرفته مانبلد ببطارة مستعطفة:

- سنحصل ذلك من أجل فضيلة عادلة. هذه الأمر نحتاجك لاسترداد

ولدها!

ثم لوحنت بكفها ودارت على عفيها لتترك العروة، وهي ندرت تعاماً أن  
ديانا وريم مستهين مهقة إقناعه.

عمّ الوحوم لبرهة بعد أن غاب ظلّ مانبلد هويدي عن المكتب. كانت  
ديانا أول من حاور قطع حال الصمت:

- أنا أسفة من أجل الإحراج الذي نستيت به.. لكنني في حاجة إلى  
مساعدتك الآن! أمل أن تقدر موفقي، أنا أمّ فقدت صغيرها، ولن أهون  
أي فرصة تساعد على استعادته!

أصغى عمر في تفكير. لم يكر الانصباع إلى رغبة المدبعة الفضولية  
من دواعي سروره. بل لعلّ داك الطلب بحطّم السائر الذي بناه طيلة  
عرضه، كحدّ فاصل بين المحالين العلم والحاض الذي يحرص عليه..  
وقد ارداد حرصه بشكل حادّ بعد الحادثة! لكنّ الطّرف الإنسانيّ الذي  
بواجبه بدفعه دفعا إلى مراعاة حسانيته. كان في موقف عسير، بين  
التّصحية بخصوصيّة حياته الشخصيّة والتّنكر لأمّ مكلومة نرجو منه  
العون. حسر أمره أخيرا:

- فليكن. إن كانت تلك المقابلة سنتمكّن من استعادة حليل، فلا بأس..  
أنا أوافق!

نهلت أسارير ديانا وهتفت غير مصدفة:

- هل حقًا تفعل؟

- بشرط واحد.. انقي بعيدا عن استديو التصوير! بإمكان مانبلد دويري أن تساعدك بأشكال كثيرة غير عرض مأساتك العائليّة على المضائبات! أطرقت ديانا في ألم، ثمّ قالت:

- لم أفكر في ذلك إلا كحلّ نهائيّ إذا شدّت السّل.. لكنك على حقّ. أنا عذينة لك بهذا أبصا.. طالما لم أعرف حقيقة الأمر، فاصح نادر فرصة للمصالحة. لن أفقد كلّ شيء بأفحام الإعلام في مشاكلنا.

أوما عمر في استبحار.

- أمل أن نصلك أخبار مطمئنة قريباً.

تدخلت ريم منبهة المسألة:

- جيّد.. سأبني مانبلد بأنفاسي أدري.

حبّها ديانا بحرارة، ثمّ دفعت بعجلات كرسيّها المنحرك معادرة. ساد الصمت من حديد حين حلت العرفة إلا من ريم وعمر. عندئذ اقترب عمر من الكتف بهدوء، وقال وهو يضع الضّك السيّ على سطحه:

- جئت لأعبد إليك هذا.

- أه!

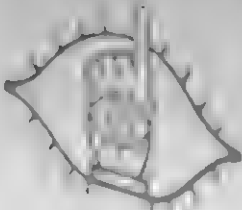
فوحنت ريم بالضّك السيّ أمامها، بينما واصل عمر في ساطة:

- أنا ممترّ حدّا لكلّ من اهتّم لأمرّي وساهم في جمع هذا الملّع.. لكنّي لم أفكر لحظة واحدة في قبوله، سواء قبل حصولي على التعويض أو بعده.

هرّت رأسها في تفهم وانتسامة صغيرة نطلّ على شفيتها. كان يحب أن ندرك ذلك. عمر لن يقبل شفقة ولا صدفة من أحد. قالت وهي تشهّد:

- حساً إدن.. لك ذلك. سأعيدها إلى أصحابها.

- هناك شيء بعد.



رفعت عينها إلى وجهه، فالتفت نظراته المباشرة. كانت قسماته تتصح  
سكينة وطعانية. لم يبق أثر للهجة العدائية التي لصنتها في لقائهما  
السابق، في «البيت الصغير».

- لقد أدركت أنني لم أشكرك بالشكل اللائق على كل الجهود التي  
بدلتها.. من أجلي.

قالت على الفور محبة ارنالكاها:

- جورج أحري أنك دفعت الانعاب، مع أنه لم يكن بسعي أو تفعل.

- المال ليس كل شيء! نعم، لقد دفعت.. لكن شعرت أن من واجبي  
أن أعتز عن امتيالي بشكل شخصي.. ولذلك أتيت هنا اليوم. لقد سارت  
القضية على ما يرام. والفضل كله يعود إليك.. وقد استعذت حريتي  
وفدرا من صحتي وحصلت على تعويض مائتي محرر.. ولا شيء من  
كل هذا بدعوى إلى الوكيل الذي أتعرف به في حضورك.. ألسنت محقاً؟

رسمت ريم في اضطراب. لقد كانت كلماته بسيطة وصرحة. ولقد  
كان على حق. لقد تحطت كل ذلك، هكذا عاهدت نفسها، لكنها تلثاً في  
التفبد. وها هو عمر نفسه بدعوها إلى التماور والتطبيع!

هل سيكون توسعها أن تعامله بشكل طبيعي، مثل أي موكل سابق  
قد تلثبه صدفة في وقت لاحق؟ إنها تعلم وهو يعلم بالتأكيد أن  
صداقتهما وباسمهم وهينهم ستجعلهم يحتمعون في مناسبات كثيرة  
مضلة، فلا شك أن نصفية الحسابات هو الجبار الأمثل.

قالت وقد تماكنت نفسها:

- نعم، أنت محق.

- جميل. سأصرف إذن وأنا مرتاح البال.

شبعته بطراتها حتى احتفى، ثم نهالكت على مفعدتها في إبهاك.  
حذفت في الصك الذي يستقر على مكتبها ثم انسمت وهي تقول في  
نهكم:

- ها أنك قد قبضت حمسين ألف يورو بيسر يا ربيع!

قاطع صوت السكرتيرة استغراقها:

- أستاذة ربيع.. السيدة سكية في قاعة الانتظار.

- دعيتها ندخل.

جلست سكية في أرنساك داخل المكتب العاصي، وجلست على المقعد المقابل لربيع. بدت المحامية الشابة مشوّنة وقد عليها الترحاح.

- هل جنب في وقت غير مناسب؟

نقضت ربيع عنها نظما الاضطراب، وناولت طرفاً قشنة سكية وهي تستعبد تركيزها:

- لاء، أبدا.. لقد فكرت ملياً في قضيتك. في الحقيقة، لم أجد أي ثغرة قانونية في الملف يمكن من استئناف الحكم.

أطرفت سكية في إحباط. ثم بكر عليها أن تصع أمالا عريضة على محاولة ربيع. لقد سبق أن طرفت كل الأساليب.. فما الحديد الذي بوسعها أن تأمله؟!

لمعت فكرة حوشية في رأس ربيع بشكل مفاجئ، فهتفت وقد اشتعلت حدوة حماسها:

- لكن أماناً وسيلة أخرى، بعيداً عن المحاكم.. وهي تتطلب شحاعة كبيرة منك. فهل أنت مستعدة؟ —

حذفت فيها سكية عبر مصدفة. هل تقول أن هناك حلاً ممكناً؟  
أشرفت سحتها وهي ترمو إلى ربيع في لهفة، مثل عريق متعلق بمسألة:  
- أنا مستعدة لكل شيء!

- إذن أنصني جيداً.. سأحرك بما عليا فعله.



حين دأبت رايا إلى الشقة كانت الساعة قد اقتربت من الثامنة مساءً.  
ألقت باسمين بمفردها في المطبخ، نادرتها حال وصولها:

- هل تناولت عشاءك؟ أحضر بعض الشطائر الحمضة.. نشاركيني؟

أومأت رايا شاكرة، ووقفت نرافها وهي نهى ترصيف الشطائر مع  
السلطة في الأطباق.

- فلننني سامصي الأمسية وحيدة.. حثد آيك جنت منكراً حلومي،  
سيبدأ البرنامج بعد حين.

لوت رايا شفيتها في امعاص. البرنامج! صاروا هم جميعاً يرفوه  
بكل هذه الكلمة، شهاب أيضاً اعتذر عن الحروح الليلة -مرة أخرى-  
لأنه سيشاهد البرنامج! وما معنى أن يظهر ريم على التلفاز؟ ستتحث  
عن العمل، وهذا ليس مسلياً. رفرت وهي تلقي بحفتها وترمي على  
الأريكة، ثم جاءت باسمين لتسفر إلى حوارها ومعها أطباق الأكل. بعد  
لحظات، ظهرت شارة برنامج «الحقيقة الكاملة»، ثم احتل وجه مابلد  
دوري الشاشة.

- مرحبا بكم مشاهدوا الكرام في هذا الموسم الجديد من برنامجكم  
«الحقيقة الكاملة». كما وعدتكم، سيطهر هذا الموسم بشكل مصر من  
خلال مواضع شيقة وتقارير حصرة. وأبدأ بتقديم الوجه الجديد الذي  
سيرافنا بتحليل قانوني محترف طيلة حلقات هذا الموسم.. رحبوا معي  
بالأسنادة ريم شاكر.

نحزكت عذسة الكاميرا لتسفر على وجه ريم التي حلسن بهدوء  
إلى المائدة المستديرة التي تجمع ضيوف البرنامج وانتسامة وديعة  
على شفيتها. كانت تمدو أبيفة مثل عادتها، وقد أصافت إليها لسان

مصقفة الربامح نألفا وحادية. هزّت رأسها محتبة مصبفنها، بينما كانت مانبلد تقدّمها وتحدّث عن مسيرتها المهنة بعمارات ربانة لا يحصى فيها الإعجاب. بعد دردشة حفيضة بين المرأبى، نهولت الكاميرا إلى وجه عمر الذي كان يجلس عر بعيد عنهما إلى نفس الطاولة.

- بشرفنا اسوم بحضوره أبصاء الدكتور عمر الرشيدى الذى سطنت فضيسته الرأى العام العربى ضد مسسى، لكنه صن عيسى بانى ظهوره إعلاني. لذلك نحن ممنون به كثيرا بواحدة مسا اليوم.

وابنسمت مانبلد محتبة صفها وهي تدرك أنّها في تلك لحظة قد سجلت نقطة فارقة لصالحها سنتر عيط مافسبها من الإعلاني النبر سعو لشهور طويلة إلى هذا اللقاء الضخم الحصري. أخذت تطرح أسئلتها على عمر ناعا، عجزها بلغة وهي حماسه حتى ظهرت في عسيها تلك النظرة العاتية وهي ترمق صفيها بطور شاملة ونهول بصرح: - بالإضافة إلى القصبة الساكنة التي لا شك تثير الاهتمام، أعلم أن مشاهديا يتحركون شوقا لمعرفة بعض التفاصيل الشحيصة عن صفيها الحاضري اليوم.. وهذا سؤال وردنا من المشاهدة ساندري على القيسوك نقول: «هل هناك علاقة عاطفية بين الأستاذة ريم وموئلها الدكتور عمر؟».

صحتك مانبلد منطهرة بالمزاج، ثم أردفت:

◆ - لم أكر لأثجرا على طرح السؤال ذاته، لكنّ احشاء كما عن العيون كلّ هذا الوقت ثمّ ظهوركما معا على بعض الركح المشرق يساهم في ترويح هذا النوع من الشائعات كما أنّي حين زرت الأستاذة ريم في مكتبها، كان الدكتور عمر موجودا هناك، فب لها من صديعة إلا إذا لم يكن الأمر مجرد شائعه بالطبع.

التمعت في عبي مانبلد نظرة دهاء بينما اردادت عيسى عمر فتامة وهو بنحقر للإحانة. لكنّ ريم التي بدا أنّها نهولت أحد الكلمة بيانه عه في فاعة المحكمة، سارع برسم انسامة مهادية وهي نقول في ساطة:

- من الطبيعي أن تنتشر هذه الشائعات وتروح هذه التساؤلات حين تكون المحامية شابة وموكلها في مقتل العمر أبصاً، وحين يحدث احتفاء بحبيب أمل وسائل الإعلام، تكثر الأقاويل.. لكن دعيني أوضح لك وللمشاهدين أمراء، فاحتفائي واحتفاء الدكتور عمر كانا لسببين مختلفين وكل ما قضى فترة السحاب في بلد مختلف، فالدكتور عمر كان في حاجة إلى فترة بغيه مطولة للعلاج من مخلفات الحادثة الجسدية والنفسية في المضرب، بينما دعيت لأسباب عائلية إلى الالتحاق بمصر لفترة غير قصيرة، ومن ثمّ التحضر لرواحي المرنقب...

- أه، هذا رائع! لقد لفت انتباهي حاتمك المميز بهنما القليلة أستاذة ريم على رواحك الغريب وكل أميال السعادة بك ولشربك حباتك.. فاصل قصير ويعود.

استدنت ريم إلى جدلي المصق وأحدث ترشعا موهبت المرة سطا. لم تكن تصور أن تكون السبب المباشر مرهفا إلى تلك الدرجة. كان عليها أن ترسم انتسامة على الذوام ونجد الإحباط الصاسية والمفجعة بشكل يحميها ويحمي عمر. دون وعي منها كانت تصرى كأنها محامنه من حديد. فليعرف، لم تكن يوما غير ذلك لذلك، فإنها تتحد وصعبة الدفاع تلقائيا. وتلك الـ «مايلد»، إنها مرعجة بشكل لا نحتمل! ما إن لمحتها فادمة من مقصورة استراحتها حتى هتب تقطع طرفها.

- عريبي ريم، أرحو أن تكوني مسبعة بالحلمة! حوار لطيف، أليس كذلك؟

قالت ريم في صبق:

- ليس هذا ما أتعفا عليه! طلبت حوارا بخصوص القصة، لذا التزمي رجاء بموضوع الحلمة.. ليس من حقك طرح أسئلة شخصيته!

- هوّي عليك با عريبي.. نحن بقدم ما بطله المشاهدون، والجمهور يهتم للتفاصيل الحاسية والحكايات السزّنة الحاصّة بالصوى...

- لا يهتمي ما يطلبه المشاهدون. ألبس دور الإعلام الارتقاء بالذوق العام وتوجيهه؟

ابتسمت ما تبلد في نملق وقالت مهدئة:

- أنت على حق، لا مزيد من الأسئلة الشخصية.. أعدك!

قالت ذلك وهي نمدّ كفها مصافحة، علامة الصلح. رفرت ربيم في ارتياح، ثمّ نعتها إلى استديو التصوير. لم يكن عمر قد عادر مقعده، واكتفى بكون ماء ارتشعه يهدوء لبغالب اضطرابه. ابتسمت وهي تستقرّ على المقعد المحاور وقالت مطمئنة:

- لم بق الكثير.. سينهي الحوار خلال دقائق قليلة  
هرّ رأسه في تفهم ولم يعلق.

بعد لحظات، كان العرض المماثر يُسأف، رجعت لقمها مرّات عدّة ذلك المساء بعد كل تدخل بالعت فيه في حمائه.. رتما يطنها تحسه غير قادر على التعبير عن نفسه، أو نشك في بلاعته وملكنه اللعوية؛ لكه حين أحد الكلمة وتحدّث بإسهاب عن يوم الحادثة وما تلاها من تأثير نفسي وحسديّ عليه، أبقى الحاضرين والمشاهدين بأسلوبه البسيط وكلماته النفاضة المعبرة. لم يكن محامياً صوّها، لكنّه مدا إنساناً إلى أبعد الحدود.

انتهى البث المماثر، لكن مهفة ذلك المساء لم تنته. عادرت ربيم مقعدها، وحطت بأنحاء الممرّ. لكنّ ما تبلد بدت مشعلة بإعطاء تعليمات لطافمها من أحل التسجل التالي. وفمت نهراً ساقها في نوثر ونرقب. مرّ بها عمر في طريقه معادراً استديو التصوير.

- كتب رائعة هذا المساء!

- شكراً.. وأنت كذلك.

- حساء، لقد انتهيا من هذا.. أرحو أن يكون ما فعلناه مقبداً لقصة ديانا.. تمنّيّاتي لها بالتوفيق.

- سأبلغها أمنيائك.

هرّ رأسه في نحيب صامتة، ثم استدار ليعادر منى المحطة.

رفرت ربهم في ارتباح. لم يكن ما فعلته هذا المساء بخلاف كثيرا عن مراقبتها في المحكمة. لقد كانت مابلد بمثابة المدعي العام، والجمهور مثل هيئة المحلفين! ولم يكن عمر سوى موكلها مرة أخرى. انضمت وهي تفكر بأنها تنصر بالسلام داخلها أخيرا. لم يكن من الصبح أن كرك ونحاده كما حالت.. طالما حافظت على الأسلوب ذاته. ستقع بموقع الحمامة، ونفقه في حارة الموكّل. تلك فسحة عادلة!

نظرت إلى ساعتها. لقد تأخر الوقت، وهي ما تزال تقطر حراة مابلد من مكالمه هانفتة لحادثها بشأن دبابا، وبأمر آخر بشغلها. لكن ما بال موكلتها قد تأخرت؟

ردّ هانفها بغير مهزوم قائلة: وهي نردّ على اتصال شهاب:

- كتب مذهلة اليوم!

- أحمًا؟

- هل نشعر؟ أنت نجمة الحلقة دون مزارع! لعلّ منتج البرنامج يستعني عن مابلد دوبري ويرشحك مكالمتها!

أرضت كلامه عروها وأشعنت كرباءها، لكنها هبت صاحكة:

- لا تبالغ!

- أنا لا أفعل! إنه إحساسي الصادق! مابلد عخور بحب أن نحال إلى

التقاعد، وتترك المجال للمواهب الشابة!

ضحكت ثانية في بسلية، ثم صاد الضمت الحطاط قبل أن تقول في لهجة معتدرة:

- شهاب!

قاطعها على الفور:

- لا تقولي شيئا.. لا أحتاج إلى توضيح.

كانت تدرك أن تمنحها بحانمه على الهواء وهي بعد لم تُحب طلبه  
بعتر وفاحة لا مثيل لها! لكنها كانت في مأرق، وكان عليها أن تمدو مقبعة  
أمام عبي مابلد الطفيليين والماكرين!

- اعتبريني حارسك الشخصي.. كبسك الهواء.. أو حتى ترسانتك المسلحة!  
يمكنني تلقي الضربات مكانك متى شئت!

ضحكا معا، صحكات رغم مرحها. لظاهر في طبانها كنبر من الكآبة.  
لساءلت ريم في حيرة، ما الذي بدوع رجلا مثل شهاب إلى الرضا بصدافة  
مهينة كتلك التي نفيه في حانها؟ إنه يستحق الأفضل.. وأمرأها ذلك  
يؤتب ضميرها المنعاني!

- هل تناولت عشاء؟

- أخذت وحة حبيبة قبل الحطة.

- هل تودبر مشاركي عشاء متأخرا؟ لدي مساوية لبلية نبدأ بعد ساعتين.

- ما رلت في المحطة، أمامي بعض العمل بعد.. شكرا لدعوتك اللطيفة،  
لعلنا نفعها في فرصة أخرى!

كانت تعذر عن لقائه معظم الوقت. بعد أن لعبت دور الدليل  
السباحي خلال أسابعه الأولى في باريس، أحدث نسحب تدريجيا. صارت  
تكتفي بالاتصالات المتفرقة، من طرفه غالبا. كان ذلك أفضل بالنسبة إلى  
مفهوم «الصدافة» الذي تحاول إرساءه بينها وبسه. كان الأمر محتلما في  
الفاهرة. لقاء انهما كانت مهربا لها من حليم المرافقة العائلية، ووسيلة  
إقناع للحصول على حريتها! أما وفد عدت ظنيفة، فهي تحافظ على  
مسافة أمان حتى لا يعلو سقف توقعاته نجاهها!

انتهت في تلك اللحظة إلى حلية في العمر سيما ارتفع صراح امرأة فحاة.  
أنهت الاتصال على وعد لقاء قريب ككل مرة، ثم اندفعت في أنحاه  
الضوت في فصول، فألعت سكبنة تحتط في صراع مع أدرع رجال أمن

المحطة التلفزية الدبى يحاولون حرّها حارج الصق!

هنعت حبى لصحنها:

- أستاذة رنيم.. أستاذة رنيم!

هرعت رنيم إليها في حرج، بينما خرجت مانبلد وقد استرعى الصراح  
استاهها.

- ما اندي بحدث هيا؟

- هذه موكلتي، كنت في انتظارها بالتاحل.. لكن أمر الاستدو مني  
دحولها!

حدّعت مانبلد في شكل سكبته، ثم رجعت سطران في رنيم في ابرصاح:  
- لم تتفق على المزيد من الحالات الإسبانية!

- لم بفعل.. بعد!  
تدخلت سكبته في لهفه:

- سيدة دوسري.. أرحوك، بحب أن تسمعني إلي.. أنا أم بانسة، وأنت  
أصلي الأخير...

لم تكن أذرع رجال الأمن الضلّبة قد تركنها بعد، ولم يبد على مانبلد  
الاهتمام بذلك. قالت في برود محاطبة رنيم:

- أستاذة رنيم، لقد وافقت على مساعدة السيدة دبابا، لكن برنامجي  
ليس جمعة حبرية! وهذا الشكل.. أقصد هذه السيدة، ليست مناسبة  
للسنّ الصانر!

ما إن طبقت تلك الكلمات الخافّة حتّى أخذ رجال الأمن بحزور  
سكبته في أنحاء المخرج.

تدخلت رنيم في اندفاع:

- انزكوها، أنتم تؤلمونها.. مانبلد، الأمر هامّ ومستعجل.. ودبابا  
تراجع عن طلبها بالظهور على الهواء. سكبته في حاحة إلى هذه الفرصة

أكثر منها!

كانت ربيم تدرك أن تفاعل مانبلد مع قضبة دبابا لم يكن إنسانياً بقدر ما هو مهني واحترافي. كانت دبابا وجها مثاليا لتأبث الربامج.. شفراء فرسيّة عاحرة، وروحها أحمي حائر! أما ملامح سكية العربيّة وهندامها الذي يخفي تهويّتها فلا يخدمان قصّتها في شيء!

- حسنا سنسمع إلى فضتها!

تأخّضت مانبلد واستدارت على الفور لتعود إلى مقصورتها. هرولت سكية خلفها وهي تسوّي قبعة رأسها التي مالت جانباً ليكشف حرها من شعرها بعد صراعها لأذرع رجال الأمن. قالت حين استقرّ المقام بمانبلد أمام طاولة ربتها ومصفحة الشعر تعمل جانباً مدفة لتعبر التسيّرجة قبل نسجيل مصفحة الخلفه الحديّدة:

- لقد أخذوا مني ولديّ يا سكية! وأمسعوي من رؤيتهما مد سوات!

قالت مانبلد في لا مبالاة:

- من فعل ذلك؟ روحك؟ عائلتك؟

كانت قد استسلمت لأصابع المصفقة وأعمصت عينيها في شبه استمّاع.

- إنها الذولة الهرسيّة.. قالوا إنني أمر عبر حديرة وسلموي نور جباني.

فاطعتها مانبلد بحفاء دون أن تفتح عينيها:

- وما الذي بمكسا فعله إن كان الفصاء قد سحب منك ولدك؟ لا شك أنك كنت مهملة بشكل كبير...

- كانت محرّز حادثة! لكن أحداً لم يسمع إلى طيلة أربع عشرة سنة!

تدخلت ربيم لتسرد تفاصيل القصة بما أمكنها من احصاء، ثمّ قالت برحاء:

- لقد استنفدت كلّ الشّمل.. انها الأكبر قد بلع سنّ الرّشد مد سنة، وهي تحاول الوصول إليه...



هتفت سكبنة مؤيدة:

- لست أطلب استرجاع حصانة الولدين، بل محرّد رؤيتهما. لقد انقطعت أحوارهما عني منذ زمن.. لا أعرف أين يقومان ولا كيف تكون ظروفهما. صحيح أنّهما لم يعودا بحاجتي، لكنني بحاجتهما.. أريد رؤيتهما وسرد الحفلة على مساءتهما وأطلب الصفح...

كانت سكبنة قد أحدثت شيخي بحرفة سماء رسمت ما تبدد تكشيرة مناقمة. همتت ربيم في حدة:

- لقد وعدت بتخصيص حلفة لخدمة إسائبة لفة الحوار مع الدكتور عمرا دهايا تراحتت عن تسجل الحلفة الحاضفة لها، وهذه الأمر المكلومة أحق من أي شخص آخر بهذه الفرصة! أقول هذا لكوني شريكه جديدة في إعداد البرنامج.. إلا إذا كنت مؤدب الاستعلاء عني ونحن لم بدأ بعداً انتبهت ما تبدد إلى التهديد المطر في كلمات ربيم. رفرت في صبق ثم قالت في برود:

- حسن، سنستحل شهادتهما.. لكن إن لم أحدها مفعلة بشكل كافي فلن يتم نهله فهمت؟

انهارت سكبنة على الأرض وقد حانتها قدمها من فرط سعادتها، في حين انسمت ربيم في رصا.

...

- هدوء.. استعداد.. بدأ حلال ٢، ١، ٢، تصوير!

اردرد سكبنة ريقها الحاق ثم أحدثت نفسا عميقا. التهمت إلى ربيم تستقي من عينيها شجاعه وطمأينة، فشحنها نظرتها الوانفة باطافة الكافية لتطلق لحكي فضها. استمرت في سرد محطات مأسابها، متحرّبة الوصوح والدقة.. ولم تكن ما تبدد في حاجة إلى حثها لاستثارة تفاعل المشاهدين، فقد كانت لهجة سكبنة، رعم لهاكها، عوايا للصدق والسفاقة.

- إني أعيش منذ أربع عشرة سنة في انتظار هذا اليوم. لقد بلغ ولدي حاسر السنة العاشرة الثامنة عشر، سنّ الرشد. لقد أصبح ولدي حرّاً في قراراته واختيار مسار حياته في نظر القانون الفرنسي. منذ أكثر من سنة أحاول الوصول إليه، بلا حدود.. يمكنك أن أتوجه اليوم إلى حاسر بالخطاب دون أن ينعني أحد، لأنه لم يعد طفلاً يخشى عليه من تأنيب «أم غير صالحة». حاسر، هذه الرسالة موجهة إليك. إن كنت تسمعني يا ولدي، فلتعلم أنني لم أذكر جهداً في البحث عنك منذ عثرت «عائلتك» مكان سكناها. لكنني قبلت الحيلة، فصيرة الدراع. لم يعد أمامي سوى هذا الحلّ حتى أصل إليك. حاسر نبي، تريد دليلاً على سعي أمك؟ تعال لأريك الألبومات الصور التي جمعتها في حلب وبلغات قبل عامك الخامس، وأنحدي من يدعور أنهم عائلتك أن يظهروا صورة واحدة بك قبل هذه السن! حاسر، أرجوك أن تسمع مني وتعرف حكايتي وما عشته من عذاب قبل أن تحكم عليّ. فإني بعد كل هذه السنوات لم أعد أطلب من الدنيا سوى أن أحتضنك وأحنك وأطلب منك العفوان.. فقد نشررتما بسبي.

...

وقعت رابيا إلى حوار باسمين أمام المعسلة وراقبتها وهي تنهي جلي صحو العشاء. قالت على حين عزة:

- ريم لم نقل الحقيقة!

استدارت باسمين تحاها في استعراب:

- ماذا تقصدين؟

- لم نقل الحقيقة، بشأن علاقتها بموكلها.. الدكتور عمر!

اردردت باسمين ريفها في ارتباك. ثم قالت في هدوء وهي تعود إلى صحنها:

- وما أدراك؟

دبت رابيا صها أكثر، كص بهم بالسوح بأسرار حظيرة، ثم قالت بلهجة  
لا نحى فيها نرة الإثارة والاستنماع:

- لقد أحرث والدي عه.. ونسنت في أرمه عاتلة حفيقة! والدي صحتها  
من العودة إلى باريس لاستكمال المحاكمة، فأصريت عن الطعام! لقد  
كانت بأئسة.. ومنيرة للشفقة.

ارتحفت باسمي رعا عها، لكتها قالت سساعة وهي بحف كقها:

- لقد كان ذلك في الماضي.. الآن هي مرشقة بالذكور نهاب.

- من بدري!

- ماذا تقصدين؟

هرت رابيا كنفها وهي تستطرد:

- لقد عادت إلى باريس الآن.. وانفت حبسها الغديتها، ولما تعود المباء  
إلى محاربتها.. لا لظن!

عانت باسمي للخطات في أفكارها. رسم لم نحدثها قط عن تلك  
العنرة من حبانها، إبان عودتها إلى القاهرة. لم تعرف أبدا عن خلافها  
مع عاتلها. لقد عادت فحاة وفي سحر بمائها حاتم حطمة.. وظلت  
حبيبات نحولها من حال إلى حال طي الكنمار. قد تكون رابيا محقة.  
ولما تعود المباء إلى محاربتها.. فرسم ليست مفسعة شهاب شكل نام،  
ولفاء أنها المنكرة وعمر قد يفتح الأبواب المغلفة. انسمت وهي تقول  
بمساطه:

- ما يمكن أن يحصل ليس من شأن ولا من شأنك. فليترك رسم سدر  
أمر علاقاتها!

هرت رابيا كنفها ثم اسحبت لرمي على الأريكة محددا، بقلب بين  
المحطات التلفزة.. سيما وفقت باسمي ساهمه لصع لخطات إصافته.  
رسم وعمر.. لقد اسحسبت تلك العلافه في وف ما، وأهدتها ماركها.  
كانت سدر مائلته في ذلك الوقب. لكتها في هذه اللحظة، نشعر بصق

مفاجئ. مع إنه لا يحق لها أن ترعج! ما شأنك يا ياسمين لو أن رنيم تركت شهاب وارتبطت بعمر؟ لقد تسألتي إليها فباعة خفية مدد ذلك الوقت، بأن علاقتهما مصيرها الفشل.. وأن الأمور سارت إلى الأفضل. وهي تكرر على نفسها صبغها، فيرداد الكدر تراكما على صدرها.

\*\*\*

دلفت رنيم وسكينة إلى المصعد. توافقتا إلى الشقة بعد الانتهاء من تسجيل شهادة سكينة. صعدت رنيم على رقم الطابق في شروود، في حين كانت سكينة تسألها في نوثر للمرة العاشرة:

- هل سيئون السحب في الحلفة القادمة؟ هل تظنين مايليم دوبيري بقي بوعدها؟

قالت رنيم في نغمة:

- ستمعل. أعينك بذلك؟ سأفعل كل شيء حتى يتم السأ

فعل أن ينحرك المصعد، فوحننا سيدة تهزول باتجاههما وهي تسحب حقيبتين ثقيلتين. هتعت نستوفعهما:

- هلاً انتظرنا، رجاء!

انصمت إليهما السيدة داخل المصعد، وهي شكرهما بانسامة ممتنة. كانت في منتصف العقد الخامس رتماً. تصع بطارات طبية على عيها، ويعطي شعرها وشاح حريمي أبيض طالعنها رنيم في فصول ونسائل. لم نر مسلمين كثير في المني السكتي. سألتها:

- أي طابق؟

- الرابع

ما لبثت الدفتان أن أفلتا وبدأ الضدوق المعلق رحلة صعوده.

سألتهما سكينة في ألفة:

- هل أنت في ريادة لأحد سكان الطابق الرابع؟

- نعم، ابنتي تقطن هنا.

- آها.

تبادلَت سَكْبَةُ وَرَبِيمَ بَطْرَةَ مَسَائِلَةٍ. أَيَّ سَاكِنَاتِ الطَّاقِ نَصْلِحُ هَذِهِ  
السَّيِّدَةَ وَالِدَةَ لَهَا؟

- هَلْ يَفْهَمَانِ هَا أَبْصَا؟ أَتَمَّا عَرَبِيَّانِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

- نَعَمْ، أَمَّا مِنْ سُورِيَا.. وَهِيَ مِنْ مِصْرَ.. بَحْنُ شَرِيكُنَا سَكْر.

- «أَيُّهَا الْإِلَهِي.. أَنْتِ سَكْبَةُ» وَأَنْتِ رَبِيمُ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

حَدَّثْنَا قَبْلَهَا فِي اسْتَعْرَابٍ، فِي حَبْنٍ وَاصِلَتِ فَاطِمَةُ بِأَسْمَاءَ مَخْرُجَةً:

- أَتَمَّا شَرِيكُنَا بِاسْمِ «أَنَا وَالِدَتُهَا».

نَمَّ التَّمَنُّتُ إِلَى رَبِيمٍ وَأَصَافٍ:

- لَقَدْ طَسَنَكَ رَجُلُنَا سَكْبَةُ حَقَّقَ مَكَانَكَ!

اتَّصَحَّتْ رَبِيمُ فِي حَرِّ:

- لَقَدْ عَدَدْتُ مَدَّ وَفَتٍ فَصِيرَ.

حَبْنُ تَوَقَّعَ الْمَصْعَدَ فِي الطَّاقِ الرَّابِعِ، سَحَنَتِ سَكْبَةُ وَرَبِيمُ الْحَقِيقَتَيْنِ  
عَنِ طَبِيبِ حَاطَرٍ وَسَفَفَتَاهَا إِلَى بَابِ السَّقْفَةِ. هَمَسَتْ رَبِيمُ لِسَكْبَةَ فِي عَقْلَةٍ  
مِنْ فَاطِمَةَ:

- يَبْدُو أَنَّهَا سَتَقْصِمُ هَا!

هَزَبَتْ سَكْبَةُ كَتِفَيْهَا وَسَفَفَتَا لَمَحَ الْبَابِ. اسْتَفْصَلَتْهُمَا بِاسْمَيْنِ بِالذَّهْنَةِ،  
وَهِيَ تَلْمَحُ الْحَفَائِبَ الَّتِي دَعَوْنَهَا إِلَى مَدْحَلِ السَّقْفَةِ، نَمَّ مَا لَبَسَتْ أَنْ  
هَتَمَتْ فِي دَهْوَلٍ:

- أُمِّي!

- مَفْاجَأَةً، أَلَيْسَتْ كَذَلِكَ؟

عَافَتَهَا فَاطِمَةُ فِي حَيَّوٍ، وَاسْتَاكَتْ كُلُّ مَيَّهَامَا فِي حَصْرِ الْأُخْرَى لِرَهْفَةٍ،  
قَبْلَ أَنْ تَقُولَ يَاسْمِينَ فِي عَتَابٍ:

- لماذا لم تحريبي بقدمك، كنت لأسفلك في المطار!

- لا داعي للعناء يا حبيبي، أعرف الطريق بمفردي.

ثم انتهت إلى حضور رانيا الحالسة في الضالة.

- أرى أنك التفتت بسكينة ورقيم.. وهذه رانيا شقيقة ريم!

حيث قطعة صديقات انتهت وتلفت عبارات الترحيب، ثم احتضنها حانيا.

- لم أكر أدرك أن الشقة مكشوفة إلى هذه الدرجة! حيث سكينة شريكك الوحيدة في الضالة.. أحسن حضور في هذا المكان لم يكن بالفكرة السديدة!

ابتسمت باسم من مظلعة إلهها:

- لا نقول هذا.. مستحضرهم نحن مستحضر داننا!

- قد يكون من الأفضل أن أسحب لدعوة رهور.. لقد عرصب استقبالي في منزلها. هنرم وعد الحميد بأمان في الشقة الجديدة، بعد تجهيزها.. لكنني فضلت أن يكون معاً لأطول وقت ممكن.

- حسناً فعلت.. سفعن إن شاء الله. اطمئني، سجد نوننا ماسما.

فادنها إلى عرفتها المشركة وسكينة، لسريخ من وعاء الشفرة، ثم عادت إلى الضالة حيث ألقت البصائر بشاؤون. والدنها حصرت من أجل منافسة رسالة الدكتوراه وسنمذ إقامتها حتى حمل الرقاص. بادرت

سكينة على الفور:

- سأنام على الأريكة، لا بأس بذلك.

أردفت ريم بسرعة:

- إن نصطري بذلك سوى لأنام قليلاً.. سأسافر قريباً.

- تسافرين؟ إلى أين؟

ابتسمت عند سؤال رانيا وقالت:

- مهمة عمل.. سأعيب لأسع أو أكثر.. حسب الظروف! ستكون باسمين  
مسؤولة عنك في غيابي.. هل فهمت؟

- لا تقلقي، رانيا أمانة عندي.

- أسفة لآتي سأقوت صافسة رسالتك.. لكني سأكون هنا من أجل  
الرفاق

- لا بأس بذلك.

عانتها باسمين في امسار، ثم قالت معندرة:

- أسفة يا فتيان، سأنتقل عليكم خلال الشهر المقبل لكنهما ستكون  
الأيام الأخيرة على كل حال.. اعتبرها هدية زواج

كانت نحاول إضفاء بعض المرح، لكن ريم لكنهما يرفضها وقالت في  
صيق:

- هذا ليس هدياً.. الشقة بعد رحيلك لن يكون له الطعام  
دابة.. سكبنة، لا أفصد الإساءة لكن تلك هي الحقيقة.

انتمست سكبنة وهي نحصل باسمين بدورها:

- لن أأفصك، لأن هذا ما أشعر به أيضاً.

...

دفعت ريم باب الشقة بغدما ثم تبته بكنها قبل أن تمرر رزمة  
الأوراق التي تتفل دراعها عبر الفتحة، ثم اندفعت إلى الداخل لتلقي  
بحمولتها على طاولة الضالة المصحفة.

- أين الجميع؟

بادرت رانيا بالسؤال وقد ألفتها وحيدة أمام شاشة التلفاز.

- لقد خرجت ثلاثهن إلى المنحدر.. بفسين لوازم تحضير الأكل الحاض  
بحمل باسمين!

رفعت ريم حاحبها في دهشة. كأن أطيار الحلويات التي أحضرتها

فاطمة معها من توبس لا تكفي! لقد سحبت الحقيبة بنفسها وعابت  
ثقلها. تكاد تقسم أنها دفعت الكثير نظير الورن الرائد. على طاولة  
المطبخ، كانت الصاديق الملائى مرصفة بحاية. ليس الأمر محرّد نوهم  
من طرفها!

- ما هذا؟

سألها رابا في عصور وهي تلتقط فرصا مصعوطا كان يعلو كومة  
الأوراق وتقلبه بين أصابعها للحطاط. أسود ربيم وافعة وهي تلهث  
ثم قالت في شيء من العموص:  
- عمل.

- تأخذين معك كلّ هذا في رحلتك؟

- ليس كلّ.. عليّ أن أسهر الليلة لإنعام بعض الأمور المتعلّقة وأترك  
مدكرات مفصّلة لجوهر، فبنوّل شأنها في عباي.

- أنت لن تعبى طويلا، أليس كذلك؟

- لا أدري.

التفتت إليها رابا في جرع:

- ماذا تقصدين؟ الرحلة لأسبوع واحد، أليس كذلك؟

- الرحلة الرّسميّة، نعم.

بطرت إليها رابا في عصب. إنها تتعلّد العموص وتصرّف كشخصيّة  
مهفة وهذا ينبر حفيها. لكنّ ربيم نحاهلنها ومصت إلى الرّاد لتناول  
مشروبا مثلحا. وهي تساءل في سرّها دهشة.. مدد منى نهتمّ رابا  
لحضورها من عباها؟

لكن سرعان ما اسحبت أفكارها إلى ما يشعلها.. كالب فلفة بشأن  
سكينة. لم تكن تريد أن تهمل فصبيها، وماتيلد لا لىدي الحماس  
المطلوب. لذلك كان عليها أن تعمل مفردة. من ناحية أخرى، تدرك  
أن استرجاع الطفل المحطوف لن يكون بالأمر السهل. يادر لن يسلم



بسهولة ومهلة الأسووع قد لا تكون كافية.

- ما هذه الصورة؟

انتهت حين رفعت رابا ورفه بصاء عليها رسم بقلم أسود لوحه شات. لم يكن الأمر سراء فسكنية نسعى إلى بت بدءا على فتاة فصائية. لكنها ليغمة حعبة في إعاطة شفيفتها قالت منعقدة القموض:

- شات عفود.

ضعكت رابا في سحرية:

- هل تمرحس؟ وهل يفقد الشاب في هذه السنة لهم يهرسون أو يحتمون.. لكنهم بالتأكيد لا يفقدون! لا تصبغين وهكذا في الحث عنه. رفرت رسم في ابرعاج ثم قالت في نان:

- المسألة أكثر تعقدا مما نطقت.

رأت الترقب والاهتمام في عيني شفيفتها فواصلت:

- الولد فقد مد أكثر من عشر سموات. وهذه صورة تقريبتة لشكله الحالي.

- تقريبتة؟

- نعم. طلبت من رسام محترف أن يرسم تصوّرا لعلامته الحالية حتى تساعدنا في البحث.

- ولماذا انتظر أهله كل هذه المدة للمرجع في البحث عنه؟

أنهت ربهم مشروبها ووضعت الكوب إلى حوار المعسلة ثم قالت في نهاد صر:

- ليس لدي وقت لأشرح، الكثير من المهام عظماني. إن كنت مهتمة بمعرفة التفاصيل، انتظري الحلقة المقبلة من برنامج «الحقيقة الكاملة»! ثم أراحت كومة الأوراق لتحملها من حديد قبل أن تتوارى خلف باب عرفتها. مطّت رابا شفيفتها في صفق ثم تناولت جهاز التحكم وعادت لتقلب بين القنوات التلفزية.

- حبّ الله جلّها الذّكورا

استقبله العزّ محمّد بحفاوة كدأبه في كلّ مرّة تقاطع سلهما دحولا  
إلى المسجد وحروحا.

- لقد وعظني بحلّة نتحت فيها عن مشروعك، لكننا لم نفعل!

- اعذري يا عَمّ محمّد، لقد اشتغلت في الأيّام الماضية فلم نصح  
المرصة.

- ها، ها قد سحت إدر.. ها.. ها.. الشاي بسوريا.

سافه من ذراعه فعصر الحرج عمر ولم يملك أن يرفض. دلفا إلى  
المجلس ذاته، فتأدى المصيف لئنه لتحصر إربق الشاي. ما هي  
إلا لحظات حتى طهرت الفناء. أطرق عمر عاصا طرفة حتى وصعت  
الصبيّة وهي تلقى التحيّة بصوت رجبم حول، وانصرفت.

- ها، أحري إدر.. كيف هو المحرك الذي نعمل عليه؟

نلاشي الحرج حين تحوّلت دفة الحديث إلى العمل. كان عمر يحد في  
نفسه الانطلاق والارتياح كلّما اسرى بشرح لكلّ مهتمّ تفاصيل مشروعه  
الطموح.

- ما شاء الله.. وفقك الله يا بني وبشر أمرك!

أصّ عمر على دعائه بحرارة. كان يحتاج شدّة إلى التيسير في حين تمدو  
كلّ الأبواب موصدة في وجهه.

- بالمأساة.. لقد رأيتك في حلقة برنامج الحقيقة الكاملة! لست من  
منابعي البرنامج.. ماتيلد دوبري تلك الحرواء المتلوّنة، لا أرنّاح إليها  
ولا أحتمل الطر إلى وجهها! لكنني سمعت القال يتحدّث عن الحلقة،

فشاهدت الإعادة! والله يا ولدي أنت حمر لنا كعرب ومسلمين.. بيّضت  
وجوهنا في إعلامهم الأسود، نبّض الله وجهك!

انقسم عمر وقد تنامي حرجه، بينما تابع الرجل:

- والطفلة ابني، لقد استمررت في البكاء حتى انتهاء الحلقة! إنها رقيقة  
وسريعة التأثير.

أطرق عمر في ارتباك ولم يعلق. نظر إلى ساعته، ثم نظمل في حليته،  
فقال العزم محمّد:

- لقد افترت صلاة العشاء.. هلمّ بنا إلى المسجد.

نرافنا سطر، وقد انقطع الشبح فجأة عن الحديث وكأنه قد أنهى كلّ  
ما بجعبته، فاحزم عمر صفته. حين بلغا مدخل الجامع، أمسك محمّد  
كفّ عمر ببر راحته وقال بلهجة عميقة:

- لم أرد إحزنك وأنت في بيتي، ورأيت أن أوخل الحديث حتى يوشك  
على الانقراض.. يقال إنّ حبر الرّ عاحله.. ويقال أيضا «أحطب لابنك  
قل أن تحطب لابنك».. وأنا لي اسنة وجيدة، ونحن في هذه العربة ليس  
من البسير أن أحد لها روحا مناسما، وإني أحسنك وارتحت إليك مد  
رأيتك.. وكلّما جلست إليك وشعب لك مكانا أرحب في قلبي!

تخلّج عمر ولم بدر بما برّد داك العرض المباشر وغير المتوقّع،  
فتابع محمّد:

- لقد طلبوها منّي كثيرا، مد بلغت النامسة عشرة.. لكنّها لم تكن  
نرصي! ليس لأنّها منطلّقة، فالليل يكفيها.. لكنّ ذلك القليل المطلوب  
شحيح عند شمس اليوم! الصعد الأصيل عملة مادّره.. وحيث ليّ أقدر  
حصالك.. فليّ أعرضها عليك، إذا اربأيت أن تحدها روحه.

همهم عمر في ارتباك:

- ولكن.. يا عتي...

رفع محمّد كفه مقاطعا:

- أعلم أنك لا تفكر في الزواج الآن.. لكن لا أحد بدري أبس يكون التصيب وكيف يكون. تعال وانظر إليها.. «فإنه أحرقى أن يؤدم بيكما». فإن حصل قول فيها ونعمت.. وإن لم يحصل، فأنت ولدي اليوم وعدا.. وهذا لن يفسد الود الذي بيننا.

أمام صمت عمر، استطرد الرجل:

- لن استعجلك.. فكر في الأمر. فإذا رصبت بحلقة نغازي أهلا بك متى رجعت.

حين انفراد عمر بنفسه، فكر طويلا. ما الذي يحفل ذلك الرجل بلا حقه ويعرض عليه اسمه؟

لقد كان نزيها، نزيها جدا.. بهدر لا يدركه هو نفسه. الرقيم الصحم ذو الأرقام الثمانية الذي يظهر في دفتر حسابات السكة فوق قدرته على الاستيعاب. لكن لا أحد من هؤلاء يعرف مدى ترائفه.. باستثناء حورح! حتى الذين عرفوا بحصوله على تعويض، لا يعرفون الرقيم بالتحديد..

لم يتبدل شيء في شكله وهدامه ليعكس وضعه الجديد. إنه ما يزال يركب المواصلات العامة معظم الوقت، رغم اقتنائه لستاره تقع غالب الوقت في المرأب! لم يكن يصرف إلا بمقدار الحاجة، كما تعود أن يفعل.. وحدها الجراحة تقصم فصمات صعبة كل حين من صدوق الكر العظيم. حتى مصاريف المحنر، فإنه يسحبها بحساب، وبدونها يحرض، حتى لا تأخذه العفلة ويسنرى رأس المال قبل أن يبدأ العمل المعلي.

لذلك، لم يجد عرض الرجل معفولا ولا مفعلا. أنت نحت لاسلك عن أقصا «الصفقات» لا أردنها.. وهو يعد نفسه قد غدا صفقة «رديئة»! بصاعة معطوبة! لماذا قد يرغب به فتاة عريضة، حميلة ومنقعة فوق ذلك؟

كانت تلك الأفكار تروح ونحي، في رأسه بلا توقف. قال أنوها إنها

نكت تأثراً بفصنه. فهل تكون الشفة سبباً مقنعاً؟ وهل نبي الشفة  
 بيننا؟ أي غناء هذا؟ تأرجح انفعالاته بين العصب والريفة والعجب  
 والفصول. ثم بعد معالنه طويلة لهواحس نفسه وتساؤلانها، قرر قطع  
 الشك باليقين. لم يجد بداً من قول الدعوة. سينظر إليها ويسمع  
 منها. لا عيب في ذلك. لم يكن وانفاً مما يريد منها. لكنّ الفصول غلب  
 على كلّ الانفعالات الأخرى.

بعد يومين، جلس على التفتد الوثير في حضة «العلاج التسمي»  
 وسأل الطبيب:



- هل يصح أن أرنط بإحدىهن في هذا الوقت؟

ابتسم المعالج وقال مفاجئاً:

- الذمم المعنوي ويلقي الحث.. من أنور أساتذة الشريعة!  
 نؤدّ عمر، ثمّ قال بلمحة مهرومّة:

- لكنني لا أشعر بالثقة! لآلت أحسن نظرة الآخرين. لا أحد يلح مني  
 من الحميّة أن أكشف ندوب جسدي أمامه.. باستثناء الأطباء!

- ندوب روحك هي التي نحنناح إلى التعافي في أقرب وقت.. أمّا الجسد  
 فسبأحد ما بأحده من الزمن ليفعل.

عز الطريق نفسها برفقه حاره حتى باب الدار. ذهب بإرادته الكاملة  
 هذه المرة. دخل المجلس دانه، وأطرق مترقياً، بينما عاب الرجل في  
 الداحل يستدعي ابنه. خرجت هذه المرة، بدون دلة الشاي وطبق  
 المرطمان. ألقت السلام بصوت حتى حصص، وجلست على بعد مترين  
 منه، ثمّ احتفى والدها ببتك ليها حريّة التعارف.

لم يغضّ بصره هذه المرة. رفع عييه ونظر إليها. كان يُدرك من  
 لمحات سائفة إتان دحولها على مجلسه ووالدها آتها ذات حمال. لكنها  
 بدت أكثر من ذلك هذا المساء.. ليس لأنها تحمّلت، فقد كانت بشرتها  
 حالية من الأصاع. ربّما لأنّه يومفها يعين أخرى، وقد كان بصرف تفكيره

عليها في السابق.

كانت ذات ملاحه وبهاء. شرنتها بيضاء كالحليب الضافي، عباها عسلتان  
وسبعتان مكحولتان، وقوامها رقيق متاسق. لم يقف على عيب خلقي  
بشئ. دون مقدمات، رفع كمر قميصه ليكشف عن دراعه البسي، وتظهر  
أثار الحروف على بشرته. قال يهدوء:

- ثاك جلدي معطر بدوب كهده.

فاجنتها حركته المحة، فصرخت بصرها عن دراعه في حرج، ثم قالت:

- هل نحاول تعبري؟

- بل نحذرك!

- لست أجهل فضلك.

- وماذا تقولين إذن؟

- من مآ ليلت ناقصاً إن كان بقصك حسدياً، فعيرك روحه ناقصة، أو  
عقله ناقص.. وإني أفضل النفس المادي على المعنوي.

رفع حاجبيه في استاء. كانت فلسفتها ندهنه. ورغم حذبة الكلام،  
وجد نفسه بطرب للضحك المشرقة العدة. نساءل في سره، هل يمكن  
التوافق والتلاقي بين المشرق والمغرب؟

ببما واصلت أبة:

حين رأيتك في اللقاء الثلثي، لم تظهر أدنى ضعف. لقد سحقتهم بلا  
تردد.. تفوقت عليهم وأحققتهم وكانت لك الكلمة الأخيرة!

قال في مرارة:

- هكذا نكون أمام الأعراب.. نضع فتاعاً ونحس حفيفاً في قمقم، فلا  
يريهم بفاط صغما ولا تكشف دواخلنا.. لكن إراء المرأة التي ستشاركني  
حباي، أريد أن أكون على سحبي.. شفافاً وطبيعياً.

- ما الذي تخشاه إذن؟

- شينان لا ثالث لهما.. الشفقة والتفور!

أخذت نفسا ونزيت، في حبس علت ملامح عمر علامات التوتر.

- أمّا التفور فلا مكان له، وإلا ما كان بسا هذا اللقاء.. وأمّا الشفقة،

فلا أرى لها داعيا.. كلنا متلى، لكننا عالما ما يرى ابتلاءنا أعظم من

رحمة الحفي، فتهمون أمامه ابتلاءات الآخرين.

- ما أسلاكك أنت؟

- انتصاني إلى وطن أسير!

عقد ما بين حاحبه وفال في حرة:

- لا أراه عبا!

- ليس عبا.. بل حمل ثقل.. وليس كل الزحاح يفادى على مثلكه.

- ألا يقول المصطفى أي قاضي فلسطيني منك، بذكر حملك ويراها

بمس العين؟

في حركة غير متوقعة، سحت أبة سلسلة حول عفا، كانت تحفيها

في طبقات ثباتها. في طوى السلسلة بندل شيء، بخلف عن الحلية الذهبية

المعنادة. رفعت كمها وهي نحنص بين أناملها مفتاحا معدبا صدنا

وفالت بلهجة صارمة:

- هل تدري ما هذا؟

أوما عمر علامة الإحباب، وهو بحذق في المفتاح الأثري مأخوذا:

«مفتاح العودة». لم تكن مجرد أسطورة، حكاية الصفائح تلك لفد كانت

حقيقة.. مفاتيح الدور التي سلت حبس استوطن الاحتلال الضهيون قرى

فلسطين ومديها، بحفظون بها وبنواؤونها جبال بعد جبل، عسى يكون

لهم في العودة نصب.

- هذا مفتاح بيت حدي رحمه الله.. لعل أحدا لا يعرف أين يقع البيت

بالتحديد.. لكننا نحتضن بالمفتاح والصور القديمة.. ونعهد الحكاية

بالرعاية، فسفي الذكريات بالذمع والحبس، كي لا نسي من نكون، وما

هي فصيتا.

تأمل في كلماتها في اهتمام، وقد بات مشدودا إلى حديثها. بعد الوجه الحسن، والضوء الحسن، فإله حديث حسن.. ووجد نفسه يستريد منه. ارتفعت أصابعه العشائكة في حجره، بينما كانت أبة تواصل:

- ليس كل الفلسطينيين نواصة.. مثل كل شعب من شعوب هذه الأرض، فيهم الضالّح والضالّح، فيهم الرّو والفاجر، وفيهم الصادق والحاش.

انقسم عمر وقال:

- في وحدنا كل فلسطيني شريف.. وكل ما بأنّ من تلك الأرض المباركة مقدّس!

- لكنّ الواقع غير ذلك.. نحن شعب قد نهضنا في أصفاء الأرض ضد أكثر من نصف قرن، وكثير ما للأسف رصوا بنا وطهران بالبنية وفجرت همتهم، وما عاد لهم مطمح في زعم أحداهم! أنا لا أريد أبّا من هؤلاء.. أتوق إلى صاحب همّة العالية وقد حسنتك صاحب همّة عالية.. فهل أنت كذلك؟

أصابه سؤالها المباشر في مقتل. هل أنت صاحب همّة عالية يا عمر؟ رذذ فؤاده رجح الضدى، وعاب في دهاليز روحه بفئس عن همّته لبقيس مدى ارتفاعها. حين تاب إلى رصده، كان أهدأ حالا وأهأ حالا. قال وقد عشيته سكبنة عجيبة:

- عسى أن أكون كذلك!

فالت في هدوء:

- سأهيك فرصة لتثبت بعك إدرا

شعر عمر بأنّ مقاليد القرار قد تفلّنت من يده في تلك اللحظة، وعدت بين راحتيها.. كأنما هي تتاهى مع مفتاح بيت حدّها الضدى.



رينوبة صغيرة حصراء غير باصحة، قطعت قبل الأوان وطحنت في المعصرة طويلاً - أكثر مما يجب أو تحفل - حتى استفدت منها رينوبة كله إلى آخر فطرة! هكذا كانت نشعر.

بعد كل سوان الدراسة الطويلة التي مرّت بها، نصنت طاقتها. لم يعد بداخلها رينوبة نحرفه لنصيء الذرب. لم يبق في بداخلها سوى الحواء من العجيب أو نسلهم للنعب ولم تعد تفصلها سوى أيام معدودة عن موعد مافشة رسالتها!

لقد مرّت بالكثير. بعد روزلي كانت هناك سبع مقالات حالة درسها. لم يكن هناك المراجعة من الأجساد المتدلية أو السيقان المنارحة. لم تُر حنة واحدة إصافته. مقالاتها مع «الحالات» التي توقفت فيها نزعة الجباه على الموت كانت بحصور طرف آخر من مسؤولي الرعاية النفسية أو الصحبة. أما تلك التي قصص بحها، فلم تكن في حاجة إلى رؤيتها. اكفيت بقاء أفراد العائلة والأصدقاء وزملاء العمل المقربين. في رحلتها تلك رأت الكثير من المؤس والبأس والنعب من الحياة. لكنها بقيت صامدة، منسمة ومواسية. وحمدت الله في كل مرة لأنها لم تُنزل بمنزل تلك الآلام.

وهي بصدد الانتهاء من تلك الدراسة/المعامرة، كان تركيزها يسيل من الحالات وعلاجها إلى داتها ومشكلاتها الشخصية الصغيرة. من انشغار للتحربة أنها وفد أوشكت على تقديم اقتراح لحل أزمة وجودية مستعصية نورق كمار المسؤولين في الشركات الكبرى الفرنسية، نفق عاجرة أمام حل أزمنها الصغيرة التي لا تحاور داتها! ربما هي ليست أزمنها وحدها، بل هي أزمة كل فتاة مسلمة تلبس الحجاب ونحاول الحصول على فرصة عمل في ذلك المجتمع المنعصب لمرجعية الدولة

الآ دبتة، لكنها مسؤولة في تلك اللحظة عن نفسها فقط. في انتظار أن  
نصح في موقع يسمح لها بحمل عبء مشكلات الآخرين! نعم، كان  
ذلك ما بدأ على صدرها بحذاء عسكري علبط بكاد بقطع نفسها. كانت  
خائفة مما بعد المناقشة.

في الفترة السابقة، أجرت عديد المقابلات التي كانت كلها تقريبا تنهي  
بفسه الحركة المأورة، حتى يخرج مسؤول البحر سحة من «القانون  
الداخلي» للمؤسسة وقد طلل عليها الفترة الحاضه به الإنجازات الدينية  
المستقره أو «الزّي المؤخذ»، أو «لائحة المؤسسة».

أكانت تقدم بطلاه وثقه أطروحة عن حملات حياة المحررين وإبعادهم  
من اليأس الحار الذي يودي بالأحضر واليابس.. ليستأوها عن لباسها  
منذ سنوات طويلة. حتى أتحدث القرار الثلاثين بالحجرات الإسلامية.  
فالت لها ألسنة صليبة صلبة لأمرها: لن نخفي عملا! لكنها كانت ترد  
في ثقة: الزرق بيد الله!

تمتّ اليوم لو أنها فضلك نصف تلك الثقة. لقد وهنت من المحاولة  
وتكرار الهزيمة. الثقة، التوكل، الصبر.. أصبحت أكثر ضعفا من حمل  
ثقل تلك الكلمات.

في سنوات دراستها الجامعة الأولى، كان عليها أن تراوع أمس الجامعة  
الدبر بتلقون تعليمات منابضة في كل مرة. نارة ينأهلون ويتركبوها  
ورغبانها بمرور، وأخرى يفعون بالمرصاد وينحسبون فرصة الانقصاص  
على كل «قطعة فمشر» رائدة عن الحاجة. كانت أباما عصبية، تسلحت  
فيها بالأوشحة الإصافية لعوض تلك «المصادرة» بعد حوار «حواجر  
التفكير». وبمصاديل الموهبة صغيره الحجم التي فرضي عنها الإدارة أكثر  
من غيرها، وبالمصاديل الشعة التقليدية المشره للصحك بأنوابها القافعة  
وحتى به السفساري» الحريري الذي يرفق عن الرأس ويكشف شينا مما  
يراد إحصاؤه إذا ما أوقف لإسرار مظافنها الجامعة أو هويتها...

كل تلك المحر حلفتها أقوى عريضة وأشدّ بأسا. ربما لأنها لم تكن

وحيدة. كانت العشرات بل المئات في جامعتها وفي المؤسسات الجامعية المحاورة يتعرّض إلى نفس التّكيد والنصيقي. كنّ يتقابلون كثيرا في فاعات انتظار «عري الاستجواب» عند مدير الجامعة أو الناظر، فتشدّ بعضهم من أرب بعض وينسحب في استهانة، ثمّ يسحب من سخافة ما قيل حلف جدران الخرف المعلقة.

لم تكن قد وصلت إلى الحنة المشوذة حين عثرت المتوسط إلى صفه «جلد الحريات وحقوق الإنسان». نهالكت حتى عثرت على فرصة الدكتوراه، وعانت خلالها من الملاحظات الحاسنة الصّحوية ومن النظرات المسنّهجة. لو لم تكن شخص مثل دافيد مسؤولا عن بحثها، ربّما كانت طردت أو قدّمت اعتذارا مدد زمن طويل. ألم يكن ذلك رقا من الله؟ إذن لماذا هذا البأس المفاجئ؟

- انتهت من التقرير نهائياً!

أوصات باسم براسها وهي تشير إلى السّحة الورقية ذات الطّابعة الفاحرة على مكتبها:

- لقد أرسلت نسخا بريدية إلى أعضاء اللّحة.

تناولها دافيد بهتفام، ثمّ هتف في حماس:

- بهابيا!

انسمت في مزيج من الارباح والإشفاق. ارتباح ممّا مضى وإشفاق ممّا هو آت!

- المثل أمام اللّحة خلال أيام!

- ستكونين جاهزة، لا نخفي شيئا.

استوى على المقعد المقابل لمكتبها وسألها بلهجة حادة:

- هل فكّرت بما بعد المناقشة؟

زفرت في إبهاك. ودّت لو أنّ بإمكانها أن تنفي، أو تكرر رحلة بحثها الطويلة بلا فائدة.

- أفهم أنه لا محططات لديك بعد.. باستثناء الزواج طبعاً!

قال ذلك وهو يطلق صيحة مرحة، ثم قال:

- لديّ عرض من أجلك.

- عرضاً

- فرصة عمل، في مركز أبحاث.

- حقاً!

كانت نبرتها حذرة ومتشككة.

- أحد أعضاء اللجنة، صديق قديم لي.. أعلمني بوجود هبوط بالمؤسسة

التي يعمل بها.. وهي مؤسسة عريقة بالخاصة وسديدة الاستقامة.. وهو

مهتم بأنك، بعد المتأقصة بالوضع.

- هل يعرف.. أنتي..

فاطعها دافيد على الفور:

- بعرف أن رسالتك مميزة، وأنتك نحطين مدعي وتوصيني!

انتمست في امناس، سما وفعاً دافيد بهمّ بالمعادرة، استندار حين

وصل عبد الباب وقال:

- سبت إحاراك، المؤسسة نفع في مدبه «ليل».

«ليل»! اسايها الفنون فحاًة. «ليل» يبعد عن باريس أكثر من مائتي

كيلومتر!

- سأفكر بالأمر.

قال ذلك دون حماس، عاشاً كليلو مرّاً كيف نعرف على صفات

هبنم في الموضوع، لقد حرصت رهور على جعله يستأجر شقة قريبة

من منزل العائلة، حتى لا تتعب العادات العائليّة بعد رواج الابن الأكبر.

لكن تلك الفرصة بعد سادرة ولا نعوت بالنسبة إليها! هل تقطع

المسافة كل يوم دهايا وإياباً بالفطار، أي نوع من العذاب ستعيشه

لتوقّف بين واحاتها الروحيّة والمهبة؟ إن تحمّلتها المهنة، فهل بُرصي ذلك هيئتم؟

وماذا إن رفضت ورفضت أن تكون ربة بيت.. أبعد كلّ ذلك التعب والعداب والمحنة، بعد كلّ الصعوبات الحمة التي صارعناها حتّى صرّعناها بشقّ الأنفس، نعلّق شهادة على حدار شقّتها وتكنّى بذلك؟ أليس الرضا في هذا؟

كانت صعبة أمام تلك الفرصة التي بسبل لعابها رعة فيها. وكانت محطمة من الداخل، لأنّها مصطوّة للرفض وموصلة الانتظار على الرصيف، على فرصة حبالته أخرى نظرف أنوارها.

...

وقفت باسمي على المصّة. أرحمت أوصالها وهي تجمل بصرها بين الوجوه المألوفة التي أحلمت تجذّفت بها. أخذت فها وأعصت عينيها لمره وهي تظاهر بالقلب بين أوراقها، تعالك نفسها قبل اللحظة الحاسمة.

قربا سبني كل شيء.

قربا ستصح سوات البحث الطويلة المصيبة وراء طهرها.

قربا ستحاور تلك المرحلة التي أحدثت من طافتها ووفتها الكثير.

قربا ستكون الشهادة ملك بدها.

قربا جدا.

رسمت الانسامة بحرفيّة وأحاطت لجمة الفيمر منطرة شاملة فيها الكثير من ثقة لا ندري من أين استعذّ بها. سيطرت على ارتجاف كفّها وهي تشك أصابعها وتحدث لتزيل بخة علفت بصونها من أنر الاضطراب، قبل أن نرفعه في ثبات مستعار ليصل إلى المستمعين في آخر المدرجات المكتظة.

- مساء الخير جميعا.. وشكرا لحضوركم.

بعد ذلك، استرسلت في تقديم مضمون رسالتها. وفي بضع نوا، كانت قد خلّفت عبداً عن الفاعة وعاصمت في أعماق عالمها الحاضر، نرى الحاصرين ولا يراهم. تلمح دافيد وهو يوشوش لحاره من لحة التحكيم ونمىع نفسها من التناؤل فيم ينافشار. ثقاً بوجوه صاحكة لبعض الرّملاء في الضموف الأكبر ونحنهد لنحدف المشهد ولتعد عنه تركيها. نقرأ التعب في سحر والدتها التي كلمت نفسها بما، نحصر الأطلاق المقدّمة في السوجه، ووالدها الذي ركب القطار منكر ذلك الضاح من «لسون» لحصور الماسة، وتعدّاد الإدعان لظفرة غطفيه نونك على استدرار دمعها.

كان عليها أن تهى عرسها بفكر الحذنه والنقة، ولا تفر حوالها بهم. ثم توقف عند ملامح هبهم الباسم وبظرفه المنخعة، لتخط في من حديد وفيدارتاد نقة ومكبة.

كانت ندكر نفسها طيلة الوقت بأن الرسالة ليست مهمة بقدر أهمته ما تُسفر عنه من استنتاجات وبوصيات قابلة للتطبيق. ليست الشهادة مطلباً في ذاتها، بل المعرفة التي حارنها بعد حوصها تلك الرحلة الشائكة! لا نزال ردود الفعل التي تلاقيها في شقّ الماسسات والمتمديبات البختة تثير سحرينها.. هل حُت لتقبل على رسالة موضوعها الانتحار؟ لكنها مصت إلى النهاية، رغم الآلام الممضة والكواسس المفضة التي تلازمها بعد كل «حالة» ناعتها. لقد أثبت لنفسها قبل الآخرين أنّها فادرة على التحمل، وأنها أصلب مما يوحي به مظهرها الرقيق الهش.. وأن تلك الفناء التي أعصي عليها بعد الحادث الأول لن لغى صعبة إلى الأبد! مرّ بذاكرها شريط سريع لسنواب الأربع العاشه، بلحظاتها الحلوة والمرّة، بأرمتها وإحفاقاتها ونحذبانها.. وأحلامها وإحارائها وانتصارانها. تلك الرسالة لم تكن محرّك دراسة على الورق.. لقد كانت نحرية منحه بالمشاعر، عبثة بالمواقف، وقد استحققت أن تقف على هذه المصّة أحرار.. لتلخص في كلمات محنصره ومعتره في أن ما عنه لها تلك الرحلة

الترية.

- يجب أن يدرك أن مفز العمل هو المسؤول الأول دائما عن الصحة الحسدية والفسية لموظفيه.. المؤسسة التشغيلية هي مكان للتواصل الاجتماعي والحصول على الدعم والشحن بالطاقة الإيجابية للأشخاص الذين يعانون من عبث وكرب، بما في ذلك في حياتهم الخاصة! وإذا حصل العكس، فيجب أن يسأل المسؤولون أنفسهم.. ما الذي قمنا به بشكل خاطئ؟

تهدت. لقد انتهى الأمر.

تعالى التصفيق في أرجاء القاعة في حين نحتفلت عمارات الانزاح في عسيها. أمسكتها عن الهطول. ليس بعد. ما زالت هناك أمثلة لحة التحكيم.

... ONEPIECE

- كنت رائعة!

- نهائيا.

- بحث موفق!

ورعت الانسمات في حذل وهي تلقى عمارات التهنة. نحتس حذر في حواسها وخمول في أطرافها بعد انتهاء جلسة الاستماع التي دامت ساعة ونصف الساعة، لكنها نصف ساعة إضافية في انتظار فرار لحة التحكيم. تقدمت أفواج المهنيين من رملاء وأساندة وأصدقاء وأفراد عائلة إلى القاعة المحضمة للاحتفال وهي تتوسطهم مثل فراشة مطلقة لا يسع العالم سعادتها.

- من ها أرجوكم.

وقفت ميساء برفقة سكبنة على رأس المائدة، تقدمان خدمة البوفيه، بينما انتصت فاطمة ورهور عند مدخل القاعة تستفلان المهنيين، كأنما هما يتدربان على سباريو حفل الزفاف القريب!

كانت فاطمة قد أحضرت في حقيبتها أطباقاً من الحلويات التونسية واشعلت برفقة سكبنة على امتداد اليومين الماضيين بتحضير أصناف المعجنات، لإمتاع دائقة الحضور المحصرين، من تونسيين مغربيين تفصلهم سنوات عن آخر وجبة تقليدية أصليّة، وسائحين قدامى تربطهم بأرض الفينيقيين ذكريات عطلة ما يطعمهم القلاوة شديدة الحلاوة وكعك اللوز قبليل السكر.

بدأ أن المأكولات التي سفت على طاولة البوفيه بشكل حذاب لم تترك مساحة كافية في حقيبة سفرها حتى لحاجبانها الشخصية القليلة، وكانت تلك كل منحتها، أن نصفي لمة أمومة على حفل ابنها الوحيدة - الآن وقد انتهى كل هذا، متفرّع لحفل الزفاف.

كانت رهور تعمر ابنها وهي نصك بكف باسمي من جهة ونحنضن كف صديفة عمرها فاطمة من جهة أخرى. التحصيل العلمي مهم، نعم. لكنه لم يكن يوماً على لائحة أولويات رهور وميلانها من الأتهات العريقات في التقاليد. كان نعلهم باسمي الحامعي كافياً حذاً، فما حاجتها للذكوراء؟! أوليس مكان المرأة في نهاية الأمر بيت زوجها وموئلتها الأسمى نوبة الأولاد والعبابة بعثها؟ لم تصدّق أن العقبة التي قرصتها باسمي في سبيل إنعام مشروع الزواج قد ابراحت أخيراً.

انسم هبثم أمام النهار وحنني باسمي، بينما تابعت رهور محاطة فاطمة:

- لم أرد مصابقتك وأبأ أعلم مدى اشعالك بالتحضير لأمسية اليوم.. طالما أنك وباسمي منفرعان الآن، ستحتث بالتفاصيل على العشاء. أومأت فاطمة توافقها، ثم انسحمتا في حديث جانبي.

- أخيراً تمكّنت من المجيء!

استدار هبثم ليستقبل عمر في حماوة، ثم قال عمر موخها كلامه إلى باسمين:



- نهائي الحارة! اعتذر منك جدًا.. لم أستطع التفرغ قبل هذا الوقت..  
ثم نهت في ممرات الجامعة حتى بلغت الموقف.. أظني هوئ الأهم!  
انسمت باسمين مهوية، ثم أشارت في حركة مازحة إلى السوفيه:

- بالنسبة إلى أمي وحالي رهور أظنك وصلت في الوقت المناسب!  
رغم الانغماس الذي حاولت السبوتان إبداءه، فإن ملهمها الواضح  
قد افنضح من حلال وشوشانتهما المطولة حلال عرصها. لا يمكنها أن  
لتومهما، فلطالما كانت المحاصرات والخطابات التي تتحاور مذنبا ربع  
الساعة مصدر ملل لها هي نفسها. أما الانغماسات الممنوحة حول أكلة  
حقيقية ودردشة أحف، لم تكن لتثير ملل أحدا...  
- أنا أيضا وصلت!

- رابيا، يا إلهي! ماذا فعلت بشعرك؟  
لقت رابيا حول نفسها في حركة استعراضية لنهت باسمين صورة أشمل.  
كانت قد استعنت عياب شفيقتها الكبرى لملصح نفسها شكلا جديدا،  
حدايا وأيقفا. كان الشعر الكسائي المحفد الذي يصل إلى نصف الظهر  
قد ترك مكانه لحصلات ناعمة نفراء قصيرة لا تكاد تلامس العنق.

- ما رأيك؟ هل يناسبني؟

همست باسمين في حذبة:

- هذه الفضة أكر من ستك. ربما لن تكون ضرورية أبدا!

لكنها سرعان ما تعاصت عن تأنيها واستدارت تقدما لهمم ووالدته:

- هذه رابيا شقيقة رسم.

اسهت رابيا إلى الرجل الوافد حوار هشم. هفت عبر مصدقة:

- يا إلهي، أنت الذكور عمر الرتيدي! أنت تماما كما على النلغار!

حاولت أن تندو أكثر بصحا وهي تقدم نفسها هذه المرة:

- أيا رابيا، شقيقة رسم.. رأسكما في الرباصح اللعري، «الحقيقة الكاملة».

تهانينا لبراءتك.

- أهلا بك.. وشكرا.

- أصبحت مشهورا الآن!

داعمه حشر بفوقه منصاحكا، في حين انسم عمر في حرج ولم يطق.  
استطردت رابا محاولة الاستحواد على انتباهه  
- رليم ليست هنا.. لقد سافرت في مهمة عمل.

هزّ عمر رأسه في صمت. حقرتها قد عذرت مهمة دينا إلى العرائر  
بما وصلت رابا في قصور:

- لم أكن أعلم أنك على معرفة باسمي أيضا.. بالتمسك أن أشاركها  
السكر الآن.

- آه.. هذا جيد.

ضابقتها لا مبالاة. لم يكن مهمّا أو محالوا مع حديثها. لكنها بدت  
مضرة على استدرأحه.. كانت الحظّة واضحة في رأسها. سنعقد رليم عن  
شهاب، وعمر وسيلتها المتألمة!

- رليم تتحدث عنك كثيرا!

انسم في لباقة وقال دون حماس:

- آه.. هل تفعل حقّا؟

- دكتور عمر.. ما الذي نفعله هنا؟

قاطعهما سامي كلود وهو بصافح عمر بحرارة. تراجعت رابا في صبق،  
ببما نساءل هبثم في دهنه:

- أنما على معرفة سابقه؟

ضحك عمر وقال:

- إنها فضة طويلة.. لعل أبا رملاء في محال الكيمياء! لكنني لم أنوّع  
لفاءه في هذا المكان.. كان آخر عهدي به فاعة المحكمة حين شهد

البروفيسور في قضيتي.

تولّى هيثم التقديم:

- البروفيسور سامي، والد ياسمين!

- حقاً؟ فيضة سعيدة يا سيدي!

صحك سامي ثم سأله مداعلة:

- وأنت كيف وصلت إلى هنا؟

- هيثم صدّق معرّب.

- آها.

اكتفى بذلك القدر، ورأى من الحكمة ألا ينجس إلى معرفته ياسمين. تصافح الزحلان مرة أخرى، وقد علمت لامح قصر البهشة. كانت مصادفة لا تُصدّق. تبادل تلاحم بعض المجلات اللثة قبل أن يهمس سامي إلى عمر:

- هل يمكن أن أُنحِث إليك على أفراد؟

أوماً عمر دون تردّد، ونسج البروفيسور إلى الممرّ حارح القاعة، بعيداً عن صوصاء المدعوّين.

- هل تواصل العمل على مشروعك؟

- أحاول أن أفعل.. لقد أسعدت عن المختبر لوقت طويل، لكنّي أبوي الاستئناف في القريب.

- تعلم أنّي صمّمت حدّاً لأنحائك، إن انحجت أنّي مساعدته، فأنا في الخدمة.. وإن رأيت أن تعاوّن في أعمال مشتركة في المصنّف، فسيكون هذا من دواعي سروري.

ردّ عمر في لافّة:

- أشكر كثيراً اهتمامك.. لكنّي أفكر في إقامة مختبر خاص. أنت تعلم، لقد سنّمت من العمل لدى الآخرين.. لا أريد للمعاجات الكريهة أن

تكرراً!

انضم في مرارة مسترحجا بحرته الفاسية. لكن سامي قال في حذر:  
- أعلم أنك مفعم بالحماس.. لكن الأمر ليس بهذه السهولة. هل  
تقدمت بطلب إنشاء المختبر؟

- نعم - مد زهير تقريرا.

- هل جاءك رد؟

- ليس بعد.

- وليس يأتي في القريب! سيحاطلون.. وحين تقصد الحرارة للاستحمام،  
سيطلبون وثائق إضافية.. والمريد من الوثائق في كل مرة. سيكون هناك  
وثيقة نافضة، مهما تعاسف في توفير ما يطلبون.  
عسى عمري، صياح. بهم نأجر عن المصافاة لكنه أمضى الساعين  
العاشرين في شجار مع موظفي وزارة الضاعة، بعد أن ادعى الموظف  
صياح ملفه! كان عليه أن يعيد استرجاع الوثائق من الضفر، لأن الملف  
احتفى من مكتب الموظف فحاه وبلا تبريرات. لقد حسب الأمر حادثة  
ما.. لم يعتقد 'لثة' أن يكون مستهدفا حتى وهو يستمع إلى الروفيسور  
سامي، لم يثنأ أن يصدق. هل يمكن أن يصل بهم الأمر إلى تلك  
الدرجة؟

بما واصل سامي:

- هل تقدمت بطلب الحسنة الفرنسية؟

- لا، لم أفعل.

- إذن افعل في أقرب فرصة.. وحين تفعل، فكر في تعبير اسمك بالمرّة.

رفع عمر حاجبه في صفي.

- لا نهتم بما يقوله الآخرون وبأحكامهم المسبقة.. فكر في نفسك وفي  
مخزرك. حين نتحسب سيجدون أمانك احتراماً.. إنه مجرد اسم في هويتك

العريضة، لكنه سيفتح أمامك الأبواب المغلقة! سنفي عمر في حياتك  
العادية، بين أصحابك وأفراد عائلتك، وستكون كما يريدون لك أن تكون  
على الورق، لتحظى بالمرض التي تستحقها!

انتم عمر وهو بكنتم «سحرته»، ثم نحرًا على السؤال:  
- هل هذا ما فعلت أنت.. بروفيسور كلود؟

انتم مداريا نشحه وقال:

- لسبب نادما على تعبيري اسمي.. لكن لو عاد الزمن في إلى الوراء لاحت  
اسم عائلة آخر، عمر اسم روحي السابقة  
ثم صحك في صخب، قبل أن يصف:

- فكر جيدا بما قلته.. لقد تسببت لك التوجه بإخلاص، لاني أتمنى  
لك النجاح.. ولا تتردد، 'طرق بابي إذا احببت في نور'  
صاحبه عمر حكرا، ثم شبعه سطران داهله. هل يفضل أن يكون  
هذا والد باسمين؟

...

حين عادت باسمين من حولتها حول الوفيه، كانت فاطمة ورهور قد  
انتعدنا وانصم والدها إلى داعبد وهبتم في نقاش سياسي معندم. رغم  
النصح الظاهر في علاقه الطليفيين، إلا أن كليهما يتحجب التواحد بحوار  
الأخر قدر الإمكان. فالخروج الفدبصف قد تلسم، لكنها ترك علامات  
شائنه بصعب نجاهلها رغم مرور الوقت.

بادرها والدها ما إن لمحها مقله:

- والآن ماذا ستفعلين؟

- لست أدري بعد.

- هل تفعل هذا؟ كان يحب أن شرعي في البحث منذ شهور!

تمتت باسمين في حرج:

- فعلت.. ولكن...

تدخل دافيد على الفور:

- والأب يا دكتور، هل حسنت أمرك بشأن العرض؟

- أه، هناك عرض إله!

عمر الارواح ملامح سامي، وهو يربو إلى دافيد في اهتمام، في حين اصطفت ملامح هينم ابدي كان يتابع الحديث ملتزمًا بالضمير. وأصل سامي في حماس:

- كتب مأكدًا من وجود عرض ما.. هذا عهدي بمشركي البحوث المحترمين، لا يركون طلابهم بواجهم مصروفهم دور سائدة.

- لا نصعظ على أكثرنا بروفيور.. لقد فعلت ما بوسعي، والرأي لاسنك في نهاية الأمر.

تدخلت باستعجال وهي تكلم هينم بظرة مرسكة:

- المشكلة أن الوظيفة في مدينة «ليل».

- وماذا في ذلك؟

- ستكون ظروف العمل مطلقة والتفيل بين باريس وليل مرهقا.

- هذا طبيعي يا عزيزي.. هذا مستفيلك وسيستمر منك بعض التصححات في البداية. كل الذكائره الحدد يضطرون إلى قبول وظائف بعدة عن عائلاتهم لسه لو سس حتى يكتسبوا خبرة كافيه وينسق لهم المافسة على الوظائف الأفضل.. لا تكون قصرة النظر فيمدي وظيفة مميرة.

- أحرها يا بروفيور! هذا ما أحاول إقاعها به مد أنتع!

استمع باسمي دون أن يعلق وقد اجتمع صدها والدها ومشرفها. كانت تغذر رأي كل منهما فما يحضر المسائل المهمة ويدرك أنهما يملكان معا ما يكفي من الخبرة ليعدها بخلاصه ما سعى الإلصام

به. وها هما معا يؤكدان أن عليها الفول حتى لا تتحقد مسيرتها المهيبة  
التي لم تبدأ بعد.  
- سأفكر بالأمر.

نظفت بتلك الكلمات ثم ربت إلى هينم، فافقص صدرها. كانت  
ملامحه حامدة بشكل مخيف. كان عليها أن نشاوريه بشأن العرص.. لكنها  
لم تفعل أمام والدها. استغلالة الرأي وخصوصيته المنزوع المهني وساء  
مسار شخصي محترف، كلها مصطلحات تدرى كم بهتسها. تحفظ عبارته  
الآثيرة: «لا ندعي أحدا بعد عليك مسئوليتك. مسيبي بك الأمر إلى  
الحقد عليه». هزمت سطرانها حتى لا تواجه أحدهما. لكنها لم يدرك  
فداحة حزنها إلا حين اسحب هينم دور أن يخطي بكلمة واجدد تعليمها  
على الحوار الذي دار أمامه.

زفرت في صبح.. نفي اعتبر من والدها ومترقها لتلحق به. حثت  
الخطى وهي تنفث حولها مفضنة عنه، لكنها لم نجد له أثرا. تارعت  
بصانها في دعر. هل يكون قد انصرف معاصما؟ لامت نفسها. كان يجب  
أن نشاوريه في مسألة عملها قبل ذلك. لماذا انتظرت اللحظة الأخيرة؟

لطالما كانت أولوياتها محددة وواضحة. العائلة أولا. قباعه تغذيها  
بداخلها بكل ما أوبيت من قوة، رغم مرارتها الموروثة وتاريخ عائلتها  
المافص. يحفظ بأمل ولبد بأن مصيرها مع هينم سيكون مخلما. لكن  
ماذا عن مسئوليتها المهني؟ هل درست كل هذه السواب لتستسلم شهادة  
برتر بها الحدار ونفخ في الصرل؟ كان عليها المحاولة. هينم معه لم  
برصى لها الاستسلام. ألم يرد لها لشخصيتها المقاتلة؟

لكن ذلك الموضوع ظل مغلقا. لم يسألها صراحة ما الذي تنوي  
فعله بعد الدكتوراه.. وزهور لم توقف من التصريح والتلميح بأنها لم  
تصطر إلى العمل بعد الانتهاء من الرسالة لقد أخطأت، لكنها حشيت  
أن ينير النقاش نوترها. حسنت أنها تحب نفسها الضدام، حتى نزع  
من رسالتها. لكن الوقت تأخر كثيرا.. والآن باب الضدام وشبكها

تَفَسَّتِ الضَّعْدَاءُ حِينَ لَمَحْنَهُ يَفِي حَارِجِ الْفَاعَةِ، إِلَى حِوَارِ عَمْرِ.  
تَقَدَّمَتِ نَحْوَهُمَا فِي حِرْحٍ وَقَالَتْ مُتَأَنِّدَةً:

- هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَتَحَدَّثَ قَلِيلًا؟

أَشَاحَ هَيْنَمُ بِوَجْهِهِ وَقَالَ فِي حِفَاءِ نَيْ:

- اهْنَمِّي بِصَبُوفِكَ الْأَنْ.. سَتَحَدَّثُ لَاحِقًا.

تَرَدَّدَتْ لِرَهَةِ. لَمْ يَكُرْ مِنَ الْحِكْمَةِ الْإِصْرَارُ.. حَاضَةً أَمَامَ عَمْرِ. أَطْرَقَتْ  
فِي ضَيْقٍ، نَمَّ نَزَاحَتِهَا إِلَى دَاخِلِ الْفَاعَةِ. طَالَعَ عَمْرُ سَحَةً هَيْنَمَ الَّتِي  
عَلَاهَا الْكِدْرُ، نَمَّ نَسْأَلُ فِي اهْتِمَامٍ:

- هَلْ هُنَاكَ مَا بِضَافِكَ؟

رَفَرَ هَيْنَمُ فِي إِبْغَاءٍ وَلَمْ يَرِدْ، وَاسْتَمَرَّتْ أَصَابِعُهُ تَحْتَ بِالْحَدِيدِ الْوَرَقِ  
فِي كَفِّهِ فِي عَصَبَةٍ وَاصِحَةٍ، فَتَاجَ عَمْرٍ:

- أَبَا مَا كَانَتْ الْمَسْأَلَةُ، فَيُمْكِنُهَا الْإِنْتَظَارُ.. لَا نَعْتَكَ صَفْوُ اللَّيْلَةِ.. هَذَا  
يَوْمُهَا، وَاجْتِمَاعُهَا، فَلَا نَعْدُ الْأَمْرَ!

رَفَرَ هَيْنَمُ مِنْ حَدِيدٍ، وَاسْتَمَرَّ رَعْمُ ضَيْفِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

- أَنْتِ عَلَى حَقٍّ.. بِمَكْنَاهَا أُنْتَظَرُ.

...

عَادَرِ الْمَدْعُوءُونَ وَالْمَهْتَنُونَ، نَمَّ اجْتَمَعَتِ الْعَائِلَةُ فِي مَنْزِلِ زَهْوَرٍ مِنْ  
أَحْلِ الْعِشَاءِ. اعْتَدَرَ سَامِي عَنْ الْإِنْتِصَامِ رَعْمَ إِصْرَارِ عَبْدِ الْجَمِيدِ،  
وَنَفَسَتْ فَاطِمَةُ الضَّعْدَاءُ حِينَ حَلَّتِ الْفَاعَةُ مِنْ «الْعَرَاءِ»!

نَفَاسَتْ زَهْوَرُ فِي إِعْدَادِ وَحْيَةٍ تَلْفِقُ بِالْمَاسَةِ، لَكِنْ الْحَمِيعُ كَانَ مِنْخَمَا  
بِالْأَصَافِ الَّتِي فَذَمَّتْ فِي الْمَوْفَةِ. اسْتَمَرَّتِ الدَّرْدُشَةُ حَوْلَ الْعَائِدَةِ لِرَهَةِ،  
بَيْنَ زَهْوَرٍ وَفَاطِمَةَ عَالِمَاءَ، بِيَمَا لَدَا هَيْنَمَ وَيَاسَمِينَ صَامَتَيْنِ بِشَكْلِ مَرِيبٍ.  
أَحْبَرَاءَ، اعْتَدَرَ فَاطِمَةُ لِإِعْبَانِهَا مِنَ الْحِفْلِ وَنَرِيَانَةِ طَبِيلَةِ الْآيَامِ السَّافَةِ،  
وَنَوَاعِدَتْ وَرَهْوَرٍ عَلَى لَفَاءٍ قَرِيبٍ لِلْمَزِيدِ مِنَ التَّحْطِيطِ.



رافقهما هينم في سبارنه إلى الشَّفة مثل كلِّ مرة. كان يحاول الانزمام بمصبحة عمر، بعدم تعكير صفو اللبلة، لكنّه لم يقدر على تجاهل الكدر الذي يثقل صدره، فأثر الصمت.

حالما حطت فاطمة إلى داخل العرعة، التفتت إلى باسمين وهنفت تنحرفاً:

- «الآن، سحربي.. ما الذي حصل بسك وبين هينم؟ هل تساحرنا؟»

تحوّلت باسمين، وهي برلمي على سريرها وقالت في صبق:

- «لبنّا فعلمّا»

هتت فاطمة في هنع:

- «مادا تقصدين؟»

- «لقد رفض الحديث بيّ»

- «بشأن مادا»

سردت باسمين على مسامعها تفاصيل الحوار الذي دار ذلك المساء بين والدها ومنرفها، فحزّت فاطمة على أسانها وهي تقول في عبط:

- «أه منك يا كمال، أه' تريد أن تفسد السبّة على روحها»

اعترضت باسمين محارّة:

- «لم بفل عيسا! لقد نعرّيت وأنفقت سموات حتّى أبهيت الرّسالة، فهل يعقل بعد هذا أن أجلس مكتوفة اليديس، وأصخّي بمسئلي المهّي؟»

بهنت فاطمة واعتقد لسانها لرهة. لم تحسب أنها ستسمع يوماً تلك الكلمات على لسان باسمين، اسها العطبعة والهدنة والرّصبة! الحصول على شهادة الدكتوراه مدعاة للفخر بالتأكيد، لكنّ هدفها الأوّل من إرسال باسمين إلى فرنسا كان زواجها وهينم! أمّا الرّسالة والدكتوراه فإبحار حاسيّ وثانويّ في نظرها.

- «ألم تتفق أنّ مصير المرأة أن تقرّ في بينها؟ ما العيب في حصولك على

الشهادة، بل كل شهادات الدنيا، ثم التفرع لسك وأطفالك؟

- نعم، أفكر كل ذلك.. لكنني أصو إلى إحداث تعبير أعمق في المجتمع..  
أن أكون فاعلا، لا مفعولا به! لقد عشت يا أمي نحرية لا تصدق.. لقد  
رأيت أشخاصا يلقون بأنفسهم إلى الموت، وقد عملت على بحث قد  
يعثر مصرهم، يقدحهم من برائن البأس، ويهبهم حياة أفضل.. لقد  
حزبت أن أكون إنسانا مؤثرا.. وأن أحت هذا، وليس مسعده للسجن  
عن هذا المسار!

أطرفت فاطمة في دهول، ثم قالت:

- لكني هذا عني التصحية بأسفرك العائلي!  
- لقد صحت أنت بمسحلك المعنى، فهل أنت ذلك أسفرك العائلي؟  
صدمت فاطمة. لم توقع أن يعايرها اسمها حتى رواجها! انفع  
وحدها وهي ضوئك دافع.

- لقد فعلت ما رأسه صاسا، وليس أدم! لقد ربتك ورعتك وقرعتك  
لك.. حتى أفرح بك، لا ي أسمع إلى وعظك وقرعتك!

سارعت باسمي تختصها وهي تقول في اعتذار:

- لم أفصد أن أحررك.. لكنني لا أريد أن أكون ساحة مكرزه منك يا  
أمي! لا أريد أن أحصر حياتي في الدوران في فلك الزوج والأطفال.. وحتى  
إذا حلا البيت مهم ألبت نفسي وجيده!

ارتحفت فاطمة. لقد كانت تعان الوحدة بالفعل، مذ أسلمت وحدها  
إلى العربة.. لكنها لم تعرف بصعها أمداء. لم تحل سريرتها مكنوفة  
لابتها إلى تلك الدرجة!

ارتفع ربي هاتف ياسمين فجأة. تطلعت إلى الشائنة، ثم ردت على  
المور.

- ياسمين.. هل يمكن أن نتحدث؟

- لحظة واحدة.

غادرت إلى الشرقه، لنحطى بعض الخصوصيّة. وفقت في الطلام،  
وأخذت نفساً عميقاً، تستعدّ للمواجهة.

- نعم.. أنا أسمعك.

لم يكن هينم قد انصرف بعد أن أوصلهما عند السابعة. لبث في مكانه،  
منعكراً، عادر المسيرة، ودار حولها مرّات ومرّات.. لكنّه لم يمتكن من  
صرف تفكيره عن الأمر. كان لا بدّ من المواجهة.. اليوم!

كان حلّ ما حَزَّ في نفسه يحايل الجميع لوجوده في ذلك الحوار: باسحق  
ووالدها ومنرفها.. لم يدر بخلد أحدهم أنّه طرف مصيّ بالقرار! لقد  
كان هناك، واقفاً سهم، لكنّه بشكل ما شَفَّاه لا تُرى! كان يكفيه أن  
تلفت إليه وتقول حمّله واحدة: هينم، ما أنت؟ لكنّها لم تفعل!

لم تكن فكره عنهما مصابغة بشكل حاصر يعلم كم تحت مهنّتها،  
وكم تعاقبت في صمتها. كان يُدرك أنّها بالتأكيد ستسعى إلى المصيّ قدماً..  
لكنّها لم تقل ذلك صراحة. وهو لم يشأ أن يوتّرها بالحديث عمّا بعد  
الذكوراه. في الحففة اعقد أنّها قد يؤخّل البحث عن عمل إلى ما بعد  
الرفاه!

رغم عيبه إلى السابعة حين سلّل نور ناهت من باب موارب، فلمح  
شبحها يظهر في شرفة الشّفة في الطابق الزّاج. حاول الحفاظ على هدوء،  
صوته وهو يقول:

- لعاداً لم تحريبي؟

حاه رَدّها بسرعة:

- لآتي بوقت الزّقص! لقد صرفت النظر عن العرض تماماً، ولم أفكر  
فيه على الإطلاق في المرة الماضية.. قبل أن بعيد داعيد إناره الموضوع  
اليوم!

ارسكت الحروف على لسانه. لم يكن ذلك مسار الحديث الذي  
نوّفّعه. لكنّه شعر بالارتباك. لم تكن نويّ تحدّبه أو تحطّبه. تلاثت كلّ

هواحه على الفور، ووجد نفسه سألها باهتمام:  
- لماذا؟

- لأنّ الوظيفة في «ليل».. ولا أحسبي سأنحقل السفر اليومي الطويل!  
وكان كلامها كالتيسر لسما لحراج كرامته التي التأمّت في النور والفضة.  
فأجاب بحسب نصها:

- وهل كانت الوظيفة لتفك، لو كان موقعها قريباً؟

ثمّ هب. لقد كمنّت عن الجمع مبانها «مكة زرة، حقّ معه.. لكنّ  
كأسها أترعت وفاصت وقد عمدت نواحه ضحك البطالة صوب عاريسه  
- لقد أحرقت المصنّعات أثار المصنّعات.. لكنّ المصنّعات ضحكتهم هي  
في مثل وصفي.

أدرك ما يرسم إليه بمقلّ بطلان، بدرس كنهها فاحنا لم يحظر  
له بيان فنّ.

- وماد، لو انتقلنا للإقامة في «ليل»؟

- سنقل إلى «ليل»؟ وماداً عن عملك؟

فأجاب ببساطة:

- أسافر أنا إلى باريس كلّ يوم.. أو أعمل عن بعد.. أو أبحث عن وظيفة  
أخرى في «ليل».. سجد حلاً!

شعر بالرحمة في صونها، تأثراً وفرحاً.

- هل أنت حادّ؟

انسم في رصا، وهو بطالع ضحها في الشرفة العظيمة. نعتى لو يرى  
عبيها، ولامحها التي طعى عليها البحر.

- كلّ الحدّ.

- ماذا عن السّقة التي استأجرتها؟

- نستأجر غيرها في «ليل».

- حالي رهور.. لن سرّها الأمر. سنحسبي أحاول سرفتك منها!

- أولست قد فعلت وانتهى الأمر؟!

ابتسم حبال صمتها المخرج، ثم أضاف:

- سنفهم الأمر.. وحتى إن لم تفعل، ستقدّر. هذه حياتنا.. أنا وأنت

اسمّر الصمت من حوتها. لولا أنّه كان يراها مائلة أمام عيسه في الشرفة لحسب مكروها أنماها.

- باسمين.. هل سمعيني؟

- نعم.

أدرك مدى حرجها، فغزّز إليها الاتصال.

- لا تخفي عني شيئاً بعد الآن.. هل انقضا؟

- انقضا.

ONE PIECE

- نصحب على خير إذن.. سحدت في التفاصيل مرة أخرى.

- وأنت من أهل الخير.

أنهت الاتصال وقد نوردت وحنائها ودمعت عيناها. طلّت واقعة في

الشرفة لبعض الوقت، وطبّول صدرها تدقّ بعنف. بلغها إحساس دائم

بالطمأنينة. هل هذا ما يقوّيه مؤدّة ورحمة.. أم هو غير ذلك؟

همست لنفسها في سعادة:

- هينم.. كم أنا محظوظة بك!

وصلب راسها إلى مبنى جامعة باريس ديدرو قبل موعد حضنها الضابحة بوقت كافي. تسكنت لصنع دفاق عمر الساحة المنطة، ثم قادتها قدمهاها إلى درج نولتي سؤدي إلى الكنيسة الصعبة في الطابق الأول. تفتت سماء من رفوف الكتب وهي تحاول فك شفرات العاوين الفرنسية التي لم تكن مأنوفة بديها بعد. مارست بطن اللعبة لدقاتي إصافته قبل أن يصعبها المثل. تناولت قاموسا إيليريا - فرنسي وحلت إلى أقرب طاولة زورب وهي منزع في نصف المهاد الضخم. لا تدري من أن تبدأ. لم تكن حذرة حتى ذلك الوقت في بطن الحشرة، مع أنه هدفها الرئيسي من المتعلم في باريس. لم تنظم في دروسها بالشكل المطلوب واكتف بصناعة موقع الدروس الإلكتروني بشكل مقطوع. كان عليها أن تحذ من الأهو ويركز على التعلم. لكن برعة داخلية حاملة كانت تتعلم على كل محاولاتها العائنه وتدفعها إلى مزيد التسلية على حساب مستقبلها.

رفعت رأسها عن الكتاب وحالت بطلنها عمر الفاعة العسحة التي سائر على طاولائها بعض الطلاب المكسرس أمثالها. سرجت للخطات. لم تكن تحفل الفكر الحاد لوقت طويل، إلا إذا تعلق الأمر سلسلة ما.

بوقفت عباها عند الشب الحالس على بعد طاونين من موقعها. تأملت ملامحه المبهمة لرهه وكان شيئا غريبا فيها بجديها. هل كانت ملامحه العربية هي التي شدتها؟ لم تكن واثقة. لمحتة برفع رأسه عن أوراقه فأشاح بوجهها بسرعة قبل أن يصطها تأنقه. عادت إلى القاموس وقرأت فيه بصع كلمات مصحوبة برحمتها.

وحاة، رفعت رأسها وعادت لحذق في الشب من جديد. تدكر. لقد

رأت وجهه قبل ذلك في مكان ما.

الرّسم

كان الرّسم الذي لحنه بين أوراق ربيع بحاي وجه الشاب المائل أمامها، عدا فضة الشعر والقرط المتدلي من أذنه اليسرى لم يدم فكرها طويلا قبل أن تخطر ببالها تسليّة جديدة. نصفت الفاموس بسرعة وأخذت تدور الكلمات المطلوبة على فصاصة ورق. رعب الورقة أمامها وقرأت العملة العرسية التي حطتها بصوت مخفص. أعادت قراءتها مرتين لتحفظها، ثم عادت مكتملة. وقعت أمام طاولة الشاب. تبحرت. ما إن رفع طرانه إليها حتى فالتفت ثقة:

- عائلتك نحت علك.

- عفوا؟

كرّرت بفم اللوحة الثانية بفرنسية شبه مستقيمة:

- عائلتك نحت علك.

- عائلتي؟ ها في الجامعة؟

سكنت للحظات تفكر. «عائلة» و«جامعة» كانت كلمات مفهومة بالسمة إليها، لكن ترتيب جملة صحيحة للردّ كانت مسألة أخرى. هل أنت موطّعة استفعال؟

عدت المهمة أصعب مع التركيب المعقّد لحملته الثابتة. أشارت إليه بكفّها أن ينظر وهرولت إلى طاولتها. فتحت الفاموس من جديد وعادت لتبحث عن ترجمة كلمات لردّها. رجعت إليه بعد دقيقتين وببدها القصاصة. قرأت:

- ألك تبحر علك منذ عشر سنوات. أنت صانع.

رمقها في حذر كمن يواحه محبوبا وقال في سحرية:

- أنا لست صانعا. أطبك أخطأت الشخص يا أنسة.

رون ما بين حاحسها محاولة استنجاب كلعانه التربعة التي تفوق قدرة فهمها المحدودة للعبة. طمس أنها قد استنعت المعنى بشكل تقريبي فهولت من حديد نحو طاولتها. انتظري صبر دقيقتين إصافين حتى عادت تحمل ردًا آخر:

- أبت بشه كثيرا رسعا لظلم فقد منذ عشر سواب. طستك هو.

ثم انقسمت في اعداد واسحت بهدوء وهي لا تكاد تشعر بالحرج، بل بالمتعة التي حملتها بحره اللعبة العسرة تلك. جمعت أوراها وأعادت العاموس إلى مكانه على الركي ثم عادت المكسمة. ألقت نظرة على ساعتها ثم جثت العصى بانحاء فاعة درستها، فغربت وهي في طريقها في شيء من العبث. يعلم أن الزعم الذي يحور رسم مجرد تصور تقريبي لشكل الحق، لكنه يدعي على أنه الشيء ذاته المكسمة.

ONE PIECE

هل يغفل أن يشانه شخصان إلى هذه الدرجة؟

...

ألقي هيثم نظرة حذره على الوحوه المحبطة بالمائدة والمقلاة على وجهه العشاء شهية، وقد اسطلمت الأكر في أحاديث لذيذة. كان الشعل الساعل للكل في هذه الأوبة: حمل الرقاب المرتقب!

- هل تفقدت الشقة اليوم؟ طلست من حارس العمارة تثبت السنائر...

كانت رهور مهمه بالشقة بشكل حاض. تكاد تفرع نفسها من أجل نرتها ويطبقها باستمرار. تتحج في بوتر، ثم قال:

- لا داعي لذلك الآن.

- لماذا؟ هل تريد أن يدخل أهل روحك شفتك ليجدوا حداثها عارية؟!

فاطمه صديقه عمرها وأقرب إليها من الشفقه، لكن حين يتعلق الأمر به الأصول والشكليات الحاضه بطقوس التعامل مع الأنساء، فإن زهور نعدو حادة للعبه. علاقه الصداقة والمعرفة القديمة لا تعني على



## الإطلاق الاستهانة بالتقاليد!

حقن هبثم أن عليه فتح الموضوع عاجلا لا آجلا. كل تأخير يهدد  
الوضع بتفجيرا.

قال يهودا:

- لقد قُرب وباسمك دسقال إلى الليل.

خيم صمت شامل ومعاجن عن العائلة. سألت زهور أولا:

- خير إن شاء الله، ما سب هذا القرار العرسي؟

- لقد وجدت باسمك وصفه في الليل... وليس يكون من المريح أو  
المناسب أن يسافر كل يوم من هنا إلى هناك عظماء نذريه رأسا أن  
الانتقال أفضل. وبمكنا رياركم في عطلة نهاية الأسبوع.

ظهر الازدحام على ملامح زهور. لم يكن هناك من لدي تحتلته.  
لقد كانت حريصة على انتهاء نصف هرسه من منزل العائلة. ضارعا  
وحسب بفصلا سهما. لم يكن توقع انقطاع هبثم عنها بعد رواجه.  
تمثله في حالها يمر عليها صاحبا قبل معادته إلى عمله، فريشيان قهوة  
عرسته من يديها في المطبخ.. وكاد يراه يدخل مساء وباسمك فيسامرون  
جميعا خلال الشهور. أف رياره سمه في بجانه الأسبوع، فهو ما لم  
نحسب حسابه

- ماذا عن عملك يا بني؟

- لقد تفاوضت مع الشركة على دوام حربي في المكاتب يومي الاثنين  
والثلاثاء.. ودوام عن بعد بقية الأسبوع.

تكلم عبد الحميد بلهجة متفحمة:

- إن كان ذلك مريحا لكما، فلا أرى مانعا.

أما مساء، فشكك ذراعها أمام صدرها وهي تقول بلهجة صريحة:

- أحي العرس.. لم أتحل أن أقول هذا يوما.. لكنك ستكون روحا

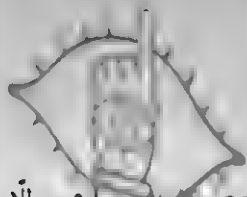
صالحا! ياسمين محظوظة بك!

ابتسم في رضا وهو يقول مناكفا:

- أصلا باسمي محظوظة في صد اليوم الأول.. لكك لم نسي!

نَمَ ما لبثنا ابتسامته أن تفلّصت أمام شرود والدته وعموسها وما إليها في قلبه، سيما كانت مساء تواصل وهي ترفع كفها في أسلوب درامي:

- رؤياي الله روحا منهنما منك، سمح لي بالعمل، وأحذر للعيش في  
الطرح!



بهربها رهور على الفور:

- اجمعي الضحون وكفى أحلاما وأوهاما!

ثم تركت مفعها دون أن تعلق:

أطرق هنيهة في صمت مستهفم. ستعمل كمن.. ما هي إلا سحابة صيف، ستحل قريباً. حز في نفسه وحومها. سبرك عيابه فراغا في وحدانها، وهي التي وظف نفسها على استمرار عادات العائلة دانيها بعد رواحه. لكن تلك سنة الحفا.. بكر الأولاد ويعادرون العش. وقد حان له أن يفتح حياحه ويحلّق. لحق بها إلى المطبخ، وقال مطبّا حاطرها:  
- سأرورك كثيرا.. أعدك. يمكنني أن أطلّ عليكم في استراحة العدا...

لوت نفسها في امعاص، أحدث بمنم كآتها تحدث نفسها:

- سأشرع غدا في إعادة جوار العرس إلى صانده.. الوقت بداهما  
والعمل قريب، وكأنّ الاسعال التي فوق رؤوسا لا تكفي!  
قال مترقفا:

- لا داعي لذلك.. سنفعل هذا بعد الحمل. لن سافر على الفور..  
بحاج بعض الوقت حتّى يحد شقّة في «ليل» نَمَ ستعمل...  
واصلت متجاهلة كلماته:

- لقد سمعت عن هذا كثيرا، لكنني لم أصدّق أن ولدي أنا يفعل في

هذا.. يقولون أن الرّواج بعيرهم! لكنك نعتيت قبل الرّواج حتّى!  
تنهّد في حيرة.

- ما ضرورة هذا الكلام الآن؟ أنت نعرهين باسمين وسعيت بنفسك إلى رواجي هذا.. أنا لم أنعّر وهي لم تنعّر.. لكنّ الظروف نعتت!  
قالت في نهكم:

- هل عمل باسمين طروف فاهرة؟

قال في حرم:

- إله كذلك!

ترك ما في يدها في عوس، وعمص:

- طالما هو كذلك فلا أقول شيئا بعد الآن!

\*\*\* ONE PIECE

دفعت ربيع باب الشّفة بحدّر، وسحمت حفيبتها إلى الدّاحل. كانت الساعة قد تجاوزت الثّابتة صاحبا مدد دفاق عذّة. توقّعت أن تكون شربكانتها في السّكن قد أومس إلى فرشهن مدد أمد. لذلك فاجأها التّور الحافيت الصّبع من مصباح الضّالة.

- ربيع هذه أنت؟

ميّرت شكل باسمين التي عليها العاس على الأريكة. اقتربت في استعراب، ثمّ عانقتها في استيقاق.

- عسى كانت سهرتك موفّقة.

تنهّدت وهي تستقرّ إلى جوارها:

- لقد كانت كذلك! جمعت عائلة كاد بكتب عليها الشّتات، وأعدت طعلا إلى حصص أمّه!

- كم هذا جميل!

عمرهما ارتباج محدّر للحطّات، قبل أن تساءل ربيع:

- لعادا ننامين هنا؟ هل نركب سريرك لسكينة؟

توترت ملامح ياسمين، وهمست في قلق:

- إنها رائيا.

- ما بها؟ هل سببت مشاكل في عيالي؟

- إنها.. لم ترجع بعد!

- ماذا تقصدين؟

- ليست في السَّعة!

طالعت ريم ساعتها مرة أخرى. لم تكن محطتها. الساعة تجاوزت  
الثانية صباحا. هذا يعني أن وسائل النقل العمومي توقف منذ ساعة أو  
أكثر! وأن رانيا لن تحضر الليلة في سريها!

هممت باسمي في أريالتي

- لعلها قوت الفطير الآخر.

كان صدرها مضطربا وسحبها ناحية. لقد استأمنها ريم عليها، وهي  
لم تكن في مستوى ثقها. تكذرت عينا ريم واضفح وجهها. قالت في  
نحقر:

- هل كانت نسهر حارحا طيلة فترة عيالي؟

- فعلت.. بصع مرات.. لكنها لم تأخر أبدا عن الساعة العاشرة!

شكنت ريم كفها في يوتر، ثم قالت:

- اذهبي أنت للتوم.. سأنتظرها.

- أنت مرهقة من السفر. حدي قسطا من الراحة.

ثم أضاف مهادنة من روعها:

- لعلها تطلب سيارة أجرة وتكون هنا فريما!

جلسنا في صمت، وقد طار التعاس عن حقوبهما. الوقت يمضي،  
ونعزل عن استحياء نكبات عفارب ساعة الحائط المسموعة بوصوح في

ظَلَّ الصَّمتُ المَخيمَ على الشَّقة.

- لقد طلع الفجر، تعالى لصلِّ وبدع الله أن تكون بحراً!

استنحات ريم لدعوة باسمي في اصصاع. كان الفلق قد اسنند بفؤادها.  
الساعة تقرب من الخامسة صباحاً. يا إلهي، إنها ناشير الضباح الأول!  
لم نفعلها هي مطلقاً في نبي وقت مصي. لم تقصر الليل قط خارج  
الشَّقة، حتَّى في فتره بمزدها الأولى ومحالطها لسنال' هذه السنت  
استصيحاً بوجه قلبه!

قائماً قد فرغنا من الضلاة. سماً نجلسان في سكون على السجادة،  
هسنت باسمي:



- سنكون بحر.. أنا ونقه مائتاً فونت الفطار.. هذا كل ما في الأمر.  
فررت رسم وقد بليت الذموع رمونها:  
- أمل ذلك.

كانت الساعة قد شارفت على السادسة، حين دار مضاح في فصل الباب،  
وفُحِت الدَّقة سطة.. نَمَ حطت رابياً إلى الداخل في حدر. كانت نرجو  
أن يكون أهل البيت عارفين في اليوم فلا ينه أحدهم إلى وصولها  
الضاحي. تسفرت مكائها، حين وقعت بظرائها على وجه ريم الذي  
حوّله الشهاد والهالات السوداء إلى قناع عصب محبف.

- ريم.. لقد رجعت!

أرادت أن تكسو صونتها حلّة الفرح، لكنّه حرج مهراً نمرح فيه الحبة  
بالدعر.

أنسعب عنا ريم، وهي نطالع شكل شقيقتها الغريب والمفرع،  
كان شعرها قد عدا أنسفر فافعا، لكنّ هذا ليس كل شيء، بل تحلّله  
حصلات حمراء وورفاء وأرجوابة، مثل مهرج الشبرك! أما عباها، فقد  
تخلّلتا بقلم داكن حتَّى بدنا عميقين وحاحطين وتلطّحت شفاهها  
بأحمر عامق بهيها حمماً أكبر من حجمهما الحفبي واكتسارا اصطاعياً.

واكتسبت وحشاها بلطحات منبوهه، كأيها شرعت في مسح أصابعها على الطريق، لكنها لم تنه مهتها على أكمل وجه. اسلعت رسم الضدمة على مصصر، ورثت الأولونات في ذهنها. الأخير أولا.. الشكل لاحقاً.

- لقد رجعت.. بكتك لم تكون ها! أين فصيت لبلنك؟

جاء صوت رسم صارفا غاسيا ومرعيا. اسرت رايبا فترج بصوت منحوح من أثر الشهر وباسكاته وبوشل غرييس عن طبعها:

- لقد فانا المرو الآخر.. أقسم لك، لقد نوبت العوده قبل منتصف الليل، لكنني لم أنسه إلى مصي لوفت.. وحس أريدت بكون المرو كانت المحطة معلمة!



استمعنا إليها في بعد سر:

- أين كتب، ورفعه من؟

- كتب برفعه على الأصابع.. من الحامه! كنا نحصل بعد ميلاد كلارا.. أمصنا عصر الوقت في مطعم، ثم قصدا صالة الألعاب.. لعبا البوليف، والسار.. ثم...

قاطعتها في صراحه:

- ماذا فعلتم بعد منتصف الليل؟

- بقيا في حديقة عامة.

- يفعلون ماذا؟

- لعبا الورق.. وسلبنا فللا، في انتظار أن يفتح المحطة صباحا.

رمت رسم شفنها وهي تشر ستانها في ارداء:

- وما هذا الشكل؟

- أه، هذه الأكوان؟ إنها أصابع مؤفنة، ترول مع العسيل.. لقد كاتب لوسي تحمل بحاحات ونسلبا بها أثناء السهرة.

- إلى الحمام فورا!

- حاضر.

هرولت رابيا بحطوان عحلى وهي لا تصدق أن المارق قد انتهى عند  
ذلك الحد. لكن صوت ربيم نعتها بالوعيد:

- ولا خروج من الشفة لأسوع كامل!

ابندارت في صدمة وهتفت نعرص:

- لكن الجامعة...

دوى صوت ربيم حارما وقاطعا:

- لا بهقي! قلب لن تخرجي لأسوع كامل.. هذا بل الحمار الآن. ولا  
نأفشي!

ضربت رابيا قدمها الأرض، مثل صخرة حترمة بضرايب وادنها، ثم  
صرخت:

- أنت أصلا لا تحق لك الحكم بحياتي! لقد عذب حزبك سائفا ولأن  
حاء دوري! لم بكر أحد يرافك حبها.. فلماذا نراهبسي، ها؟ أنت  
لست وصية علي!

ابنسمت ربيم ساحرة وفالت في نشق:

- صحيح، لس وصية عليك.. هل تريدن أن أتصل بالديبا الآن، لرى  
ما يقوله الأوصياء؟

اسحبت الذماء من وجه رابيا وأمسكت عن الحداث، ثم جرّت قدميها  
إلى الحمام في عبط. فحنت صبور الماء وعقّلت الحرارة لبسات سيل  
دائ على راحيها. طالعت في المرأة ربيتها التي أفسدتها عبران سوداوان  
رسمنا حطّين منموجين حتى دغنها.. ثم ارتفعت شفاها والتوتوا وهي  
نكي في صمت.

لو أن ربيم تأخرت يوما واحدا! ما الذي حاء بها اليوم بالذات؟ كان  
يوسعها إفاع باسمى بالتعطية على حطنها.. نعدّها ألا تعبد الكرة،  
فيلبس قلبها وتمزّ الليلة سلام. لكن ربيم لن تسامحها بسهولة. رمحرت

وهي تقف تحت تبار الماء المتدفق فوق رأسها، ويمسح في طريقه ألوان  
شعرها ووجهها. ثم التمعت عباها بريق لبسم.

لن نحبرها.

لن يقول شينا بشأن الولد الذي يشبه الصورة!

\*\*\*

تلاءمت ربسم، وسحب قدمها في إعياء في اتجاه المطمح. كانت قد  
لأمت حتى الظهره. تراكم عليها نعب الشعر ولبفعالات اللثة الماصيه.  
استنقستها رائحة الفهوه الشهية التي جهرت للتو، وابتسمها باسمي وهي  
تقصف قطع الكعك:

- أخيرا استنقطب! المظور جاهر!

استنقبت عطر الكافيس المصريح بماء الرعد ثم حركت حين لمحت  
سكبنة. هنعت على الصورة

- هل نمت النحيل خلال حلفه الأسوع الماضي؟

هزت سكبنة رأسها في أسف علامة النقي، ثم قالت بلهجة مسهمة:

- لقد فعلت ما بوسعك.

هنت ربسم على الفور:

- سأنصل بمائيلد حالا! يجب أن نقي بوعدها.. لا تقلقي!

دخلت العرفة من حديد وأحرت الاتصال.

- ربسم، عيربني.. حمدا لله على سلامتك! أرحو أن الرحلة كانت موقفة؟

- شكرا لاهتمامك عيربني بمائيلد.. نعم لقد كانت كذلك. لكنني فوجئت

حين عرفت أنك لم بقي بوعدك!

- روبدك عيربني.. بما أنك رجعت الآن فبمكسا الاتفاق.

- الاتفاق على ماذا؟

- ألم أحرك بآتي لن أنت المقطع إن لم يكن بالعودة الكافية؟



- طيب.

- الخير الحمد هو أن المشاعر كانت عالية.. لكن...

- لكن ماذا؟

- علبا أن تجد التسجيل. حوده الضوب كانت رديئة!

- كيف حصل هذا؟

- لا أدري.. صدفا بعد صدوت حين أغمر 'نفسون' أن التسجيل كان

هائلا

- ألم يكن يوسف إنداري قبل الآن؟ بعد مصي 'نفسون' حين يصح

الوقت!

- لا بأس يا عزيزي. أغريها لم بأن من أغري 'الأنكيدو'. بعد

التسجيل بعد الحفلة المصيرة. ما رأيك!

أنهت رسم الأنثى، وهي تسحر بالشيء. تعلم أن مايلد لماطيل.

لكنها لم تدع لها محالا للتراحع. حرجب وقد رسمت على نعرها انضمامه

مظمنة:

- سكبته عزيزي، أنا أسفة.. لكننا سبصطر إلى إعداد التسجيل. للأسف..

لم تكن الضوب واضحة في المحاولة الأولى!

نهدت سكبته وهي تقول في إصرار:

◆ - بالتأكد، سيعمل. لم أمل من المحاولة.

...

رجعت من استديو التصوير وهي بشعر بحوه، في روحها. كانت كمس

سهرع أحشاءه، في كل مرة تفت فيها أمام عدسة التصوير. بصره

لواعج روحها وبصتها في بومعه الأمل والزخاء.

- هذه المحاولة سيكون ناجحه. أنا واثقة!

أرادت أن يسبحر شيئا من نفعه رسم، لكن صدرها بصفي، كأن صلوها

نطوق على رثيها ونعصر مهما الهواء، فسمطع أنفاسها.

دخلت العرفة لاهنه. برعت فتعها ووضاحها واستشفت بعف نطق  
نفساء، نمر ابهارت على التبرير. سلبت العراب بطة على وحسيها.  
عبرات لوعة وقهر واشتياق.

تلت عن طهر قلب أنف من سورة القصص، من قوله تعالى: «وَأُصْحِ  
قُولاً أَمْ مُوسَىٰ قَارِعاً... حَتَّىٰ قَوْلَهُ «فَرَدُّنَاذِلَإِلَىٰ أَنفِهِ يَ نَهْزُ عَنْهَا وَلَا  
يُخْزِي»... ثُمَّ دَعَىٰ صَوْتٌ مَرْحَفٌ بِفُطْحٍ بِطَاطِ الْفَلْبِ:

- يارت رذهم إلى.. يارت!

...

- أنا حاهره. هل نطوق؟

كان أسبوع العذاب قد أنهى، وحصلت راسا على حلقى سراج مفروط.  
لم يكن بسبح لها إلا الحظور مروسي في الحامعة. ما عدا ذلك، لا يمكن  
لها أن تعادر الشفة إلا برفقه. كانت فاطمة في صباحه رهور لصعة أنام.  
وسبكه مهمكه في حاطة ثوب باسمي. فما إن عرفت بحروج باسمي  
وربم للنسوق، هتب على الفور.

التفتنا معا للحذفا في دهنه إلى راسا التي طهرت عند باب عرفة ربم  
حيث كانت سبغذ. مصت برهة من الضمت قبل أن تهنف ربم في  
لهجه ساحرة:

- حيرا إن شاء الله أستاذة راسا.. هل نحزبي موصة حديده؟

نحاولت راسا بره الشحنة في صوبها، فالت وهي تتأمل شكلها أمام  
مرأة الحائط:

- كيف أندو؟ هل باسمي؟

كانت حصلانها السفراء التي اجهدت المرثنة في إبداعها مد أسابع  
قليلة فد احتف بحت ونجاح عريض عطى شعرها بالكامل وأحاط  
بوجهها في لقه منقفة. قالت ربم سلعحها:

- سعادتي في الحال. ليس الوقت مناسباً للتحارب.

واجهتها بابتسامة متحدية:

- أنا جاهزة.

نادت باسمي ورسم نظرات حائرة، قبل أن تسأل رسم من جيبها:

- 'أنا والله' أعني، سحر حبي هكذا؟

- 'ما الأمر؟' ألا تعرفك حدان؟ كلّفها باسمي.. ليس التحارب أمراً  
خفيفاً!

تخزيت باسمي على الفور لعافها في سرون حشمتها فقلبت وضدت  
على أقدامها في جدل بحث طيات رسم المسطرة بولدن قبل أن ترد في  
حماة:

- أكيد.. لم أفعل شيئاً، نتي، صدق.. أقصد، لم أعد أنك قد  
تفكرين في الأمر حتى!

- تعلمين، أنا في طور تكوير النحصة. أتلفس الطريق، وهذا ما يفعله  
المراهقون. استعطف اليوم وأنا أشعر سوع من الإلهام. ماذا لو كان  
هذا بالضبط ما يرمي؟

- تقصدين اللرام الذي، أم قطعة الأكسوار التي ناسبت قميصك  
القصير وسروالك الضيق؟

◆ - اللرام الذي لا يعني القطع مع القوصة. باسمي، أحريها!

همهمت باسمي محاولة قول شيء ما، لكن ريم لم يمهلت:

- حس، وغير ذلك؟ هل تعلمت الصلاة مثلاً؟ هل تفكرين شيئاً عن  
العقيدة؟

حارنها رانيا صراحا بصراح:

- هذه الأمور بأنني بالتدريج عزيزتي. أنا في طور التعلم. والآن كفى  
استحواء، أنت تصبعين وقت باسمي.

قالت ذلك بلهجة قوية وحاسمة، كأنها تحاول إيهاء الحوار الحاربي الذي لم تكن تؤدّ حوصه. ألقت نظرة أحيرة على شكلها ثم تناولت حقيبة يدها وسبقتهما إلى الخارج. تهتدت ربيع وهي تناول حقيبتها بدورها وتمضي على إثرها في صمت.

بعينها باسمين بعد موهه وهي تفكر. صادرة رابيا فاحائها وأسعدتها حقًا، لا يمكنها أن تحرم صدى حديثها، لكنها تعلم أيضًا أن تحولات كهذه قد تأتي فجأة ودون سابق إيدار. أحسّس حقبته سحق في العمق وبشكل في هدوء، وسط، حتى نجد هيئة فاعة يصفو على السطح بشكل غير موقوع. كانت مستعدّة لمساندة رابيا ومذهلة كل المصادر اللازمة ليكتمل أصابعه والرامها من كل التواحي.. لكن رتة فعلت رسم العدائنة فاحائها. لماذا تكررت على شفيعتها بوجهها الجديد؟

لقد نصبت مد عرفت رسم لم تراها أكثر الراسل وقد حسنت في وقت ما أنها على قيد خطوات من ذلك. لكن الشبواب تمضي، وهي لا تكاد تحدد قدمًا يُذكر. ورغم منابه صداهما إلا أن كليهما يحافظ على مساحتها الشخصية. لم يكن يوسعها أن نسألها صراحة إن كانت سوي.. أم أنها بوب ثم صرف النظر، لكنها تدعو لها يظهر اللعب دون فنور. فصين بعض الوقت بنحوّين بين المحلّات. كانت باسمين نفسي قطعًا أحيرة من أجل جهازها، في حين نحتت رسم عن فنان مناسب للحفل. استعلت رابيا لحظه عابت حلالها رسم داخل عرفة الفاس، وهمست لباسمين وهي تمثّل الأسف:

- رسم لم يسعد باريديني الحجاب، أليس كذلك؟

رسمها باسمين دون أن تعلّق. كان يؤدّها أن تقتصر، لكن ذلك كان ما لاحظته هي أيضًا:

- لم يكن الأمر موقّعًا بالنسبة إليها.. لكنها ستحاول ذلك حتمًا.

هزّت رابيا رأسها منطاهرة بالموافقة، ثم أصابت في براءة مصطبعة:

- كنت أنساءل.. هل يمكن أن يجعلها ذلك نعار مَيّ؟ فعلمين، أنت صديقتها المفضلة. وهذا القاسم المشترك الحديد بيتي ويسك سيجعلنا مقرّنين.. ألا نظنّ أن ذلك سيسوؤها نوعا ما!

- أبدا.. على الإطلاق! ريم ليست سطحية هكذا.

- أرجو ذلك.

التصمت في وداعة، بينما كانت التفسير تسمع داخلها.

صرخ با ريم، سأحملك ندفعين الثمن!.



BOOKS

احتجج موظفو المحتر في القاعة التي خُفرت لاستقبالهم. كان عمر قد استغضب رمدى سابقين، ومهندسين حديثي التخرج في كتبه الهندسة القوية في «إفري». وصنع إعلاناً ورقياً على لوحة الإعلانات في مكتب الاستقبال للكتبة، وبلغ في الأسبوع التالي مكالمات عدة. أخرى المقالات نَم انتهى به الأمر إلى موظف سائير حماسين وموهوبين.

قال عمر في لهجة واثقة:

- الانتحار الزمني لمحتبر مسأله وقت.. لنسا سنخرج في العمل بعدا للزنايمه التي صطاحا وأبسلها إليكم ساعده. ~~لكن~~ يمكن أن أسخلكم كمؤتمري في الوقت الحالي، لكن مرثاكم سنصرف بسكل طبعه ب. كمنعواوس في المرحله الأولى.

أوما الجميع في اسحسان. لم يكن أحدهم يرغب في تأجيل بدء المشروع. رغم مخاوفه، كان عمر يأمل أن تكون تحديرات سامي كلود من فصل البرنامج أو الشك المبالغ فيه.

- في الوقت الحالي، أترك لكم حرية الاختيار.. توسعكم العمل في المكاتب أو عن بعد. في الحقيقة، ليس هناك داعٍ لحضوركم اليومي.. سأنلعلكم حتى يصل المعتذات.

كان ذلك الأمر يؤرقه أيضا. لقد طلب معذات المحتر منذ أكثر من شهرين، لكنها لم تصل بعد من خلال موقع الشركة الأمريكته المروّدة، يمكنه الاطلاع على مسار النحه. لقد سُلمت إلى التأفل منذ ستة أسابيع، لكنه لم يلق بعد إشعارا لاستلامها من حذمه الحمارك. فحاة، نعال ريب هانفه. كان الزكم أحسا عرسا. أشار عمر إلى موظفيه منها الاجتماع، فاصرف كل إلى شأنه، نَم رة على الاتصال في شك.

- عمر الرشيدي؟
- نعم، من القتل؟
- أبا عكرام، حال أبة.. حصلت على رفعتك منها. هل يمكنك التحدث الآن؟
- أم. طبعاً، بالتأكيد.

وعمل مكسبه لسعد بانتقاله. لم يكن قد رز حازه محمد العزى مرة أخرى بعد جلسته اتعارف. حين التقى في المسجد بعد يومين، وقفا عند بابيه الذراع، وحدثت مع دقات.

كان عمر قد أصبح يفكر وأغرب عن رغبته في تمام الحصة. لا يفكر شعوره بالارتياح إثر الجلوس إلى أبة. لقد كتب أبة حقاً، عمالاً وخلفاء وحكماء في تلك الأمة. لا يزال أمام العارف. كتب الكتاب له سير نحو الوطن، فلم يكن من المزعج أن سطر لقاء مصادفه في كل مرة.

بصه صوب حالها سخه ممتره:

- سز أبة قد واقف على حاطب أحمر.. فأردت التعرّف إلى سعيد الحظ!

ضحك الرجل بصوت عالٍ بينما اسم عمر في حرج ولم يعلق.

- المهم.. متى يمكنك اللقاء؟

◆ - متى شئت.

- أنت تعرف، مركباً في بروكسيل.. هل توسعك رداراً فرساً؟
- شعر عمر بالتشتت. مركباً؟ في بروكسيل؟ هذا كل شيء، طبعاً، قال في حيرة:

- إن كان ذلك ضرورياً.. بالتأكيد!

ساد الصمت للحظات، ثم قال الخال:

- يبدو أن أبة لم يحدثك بكل شيء.. لعلي سرتعت بالانصال. حسناً.. لا

بمكسي الشرح على الهاتف.. أنت تعلم. حين تكتمل الصورة أنصل بي مجدداً.. سجّل هذا الرقم عندك. اتّفقنا؟  
لم يكن عمر بفهم شيئاً، لكنه أبهى المكالمة وسجّل الرقم.

\*\*\*

دخل عمر المجلس للمرة الأولى بصفة «الحاضرين». كان اللقاء الأول تعاريفاً. وقد أسفر عن ارتياح متبادل. لم ينظر لواء العمر محفد في المسحّد كما حرت العادة، بل تحرّراً على الاتصال وتحديد موعد. كانت المكالمة العريضة التي تلقّاها من حالها عراكم مدعاة للقلق، فحين أن يستمع إلى شرحها دون تأخير.

حين استقرّ بهما المقام في الصالة الحابية إلا أنّهما، فإن في هبوة:  
- لقد أنصل بي خالك.

أوامات أبة، فاستطرد أن يكمل.

- لم أنهمم العرض من الاتصال. قال أنّك سنرحبني أولاً.

أحدث نساء، ثمّ ألقت كلمتها:

- حالي يريد أن يحتريك.

- يحتري؟

- قلب أنّك نودّ إنسان علوّ همّتك!

- وهل هناك اختيار لهذا العرض؟

نململت في حلمتها وقد لمست النهك في لهجته، ثمّ قالت في كبرياء:

- بحس عائلة لها ناربح عريق في المقاومة. جدّي لأبي مات شهيداً برصاص الاحتلال.. وجدّي لأمي أمّصى خمسة عشر عاماً في سجونهم! وشبابنا بمصي على حطّاهم، رغم نفرتنا في أصفاع الأرض. بحس نُرقى على ثقافة المقاومة مدد بعومة أظفارنا، وعلى صاداتها سناً.. وأريد لأضغالي أن ينشؤوا على المبادئ ذاتها.



أوماً عمر في اهتمام، فأردفت:

- لذلك يهمني أن يكون والدهم حاملاً لهم الصفاة أيضاً.. حتى لا تفترق سبلنا قبل أن تجتمع!

أصغى في صمت، الذكر حين كان طالماً في الجامعة، لم يكن يهوى  
تظاهرة تحمى مساندة الحق الفلسطيني، كلما اندلعت بدمه هناك،  
بداولت معها شوارع لوز ومرسلها وباريس، وبحرل انحاب العرب  
والمسلمة ليعتر عن دعائها.

وتكلماً برامد الاعداء، علم عزة والأقصى وضوء الحظ على فلسطيني  
الداخل، بصاعدت أصوله العصب في الحب، هو راء، وهو لم يشب  
بانكوفة فلسطينه.

لقد كان اعلم فلسطيني، ثم بات عرفة في تسير الجامع حساً إلى  
حسب مع عدم المهر.

وقد كان ورقاهه بداولون قانصاب الشراكات التجارية الذاعمة للكيان  
الصهيوني لتشتجع على مقاطعتها. وقد كان مقاطعاً من الدرجة الأولى.  
لم يصع قدمه قط داخل مقهى «سبار بوكس» أو مطعم «ماكدونالدز»،  
ولا تحراً على زياره حديقته «درو» بالألعاب. أما مشحاب «سنتلي»، فقد  
وجد صعوبات حمة في بعضها، لكنه فعل لمحاول طويلة. كان محسب  
نفسه حاملاً لفكر الصفاة بالفعل، لكنه مدرك أن فكره ذاك لم يتعد  
المحاهرة بالمساندة اللفظية، دون أن يدنو من المرنه الأعلى.

ماذا بعد الكوفة والعالم والخراج في الشوارع والمقاهي؟

لعل هذا هو ما يعبه إليه. وهو لم يكن لسآخر عن ترويج مساعيه  
البنظره القديمة بعمل حقيق وملموس. فان تفهم:

- لا صر في ذلك. إن كان حالك بوذا احضاري، فلا أمانع.

تهلل وجهها وأشرقت قسماتها.

- هل يمكنك أن تفرغ نفسك في نهاية الأسوع لزيارته في بروكسل؟

- سأفعل.

وافق دون تردد، فابتسمت في رضا.

\*\*\*

أمضى يومي في مصلحة الحمارك. بقصدها منذ ساعات الصباح الأولى، وبلغت بتردد على المكاتب واحدا واحدا، بلا فائدة ترحى. لم يكن هناك من يفتده سائر سحبه المعذات التي وصلت حوّا من الولايات المتحدة، ولم يستلم إشعارا لاسلامها أبدا.

تواصل مع الشركة الأمر بكنه المرودة، فأكدوا له وصول الشحنة إلى باربرس. لكن مصيرها بقي مجهولا. ثمضي يومه في ترقب المسؤولين. هذا يرسله إلى داك. يلمظه مكتب ويستقبله أحدا. لكنه لا يحظى قط برؤى بشي العليل.

- رقم التسليم هذا على الوعود في ملفاسا. أنت واثق من وصول الشحنة؟

- كل النفقة. هذه سحبه من تريد شركة الشحن.

بتطلع الموظف (رقم عشرين) الورقة ثم بمط شفته ويهرز كنفه ويقول في حيرة:  
- هناك خطأ ما!

يدرك أنّ هناك خطأ مؤكدا. لكن لا أحد يقف على أصل الخطأ ولا على مصير شحنة معذاته التي ترفد في مكان ما من مستودعات مصلحة الحمارك.

في مساء اليوم الثاني، كان قد استنفد طاقته في الجدل، وبرز على مكاتب المصلحة كلها بلا استثناء، حين اقرب منه مدبر المصلحة بنفسه وقال بلهجة أمرة:

- اتبعني!

هزول عمر حلمه وقد أنرق داخله الأمل. انتظر حتى استنفز الرجل

حلف مكتنه الفاجر، ثم عكف على جهازه بفر لوحة مفاتيحه على مهل.

- هل وجدتم الشحنة؟

- لقد وصلت بالفعل.

رفع عمر في الصباح، حتى أردف الزحل:

- لكن شرطة الحمارك صادرها!

- صادرها؟ لأي سبب؟

- يبدو أنها معدّات لكونوجيا مصوّرة.. مكدوب هذا في الملف «لا يطك

الصلاحية لاستيراد التكنولوجيا».. هل لديك تصريح بمطالبة أبحاث

علمية؟ ليس مباحا لأي كان استيراد ما بنامر

- ليس بعد.. إنها مسألة وقت. تقدّمت بالمفكر وهو تحت المراقبة.

- إذن لا يمكنك الاستيراد!

- إذا أحضرت موافقة من وزارة البحث العلمي، هل يمكنك حبسها استلام

الشحنة؟

- أسف، هذه الشحنة صودرت.. وبقلت من مسنود عاتا الأسع

الماضي.. سيكون عليك طلب شحنة جديدة!

صرب عمر بقضنه على المكتب في غمط. لقد أفضى وفنا ومالا غالبين..

والآن نعود إلى حانة الضمر. خرج من مصلحة الحمارك حالي الوفاص.

بندكر كلمات سامي ككود، فبنابه الضيق. ماذا لو كانت سؤنه صادقة؟

ألن يحصل على المواصفات الإدارية أبدا؟

دخل النشقة -التي بسوق إلى اليوم الذي بعدو فيه معسرا- ليجد

موظفه محتجب في الاستراحة يحسبون القهوة. في عباب المعدّات،

حل ما بعلوبه هو مطالعة المحلّات العلمية، ومقارنته الدراسات

والطرنات.. ثم بأحدون اسراحات طويلة، نعالون بها الملل.

بادره أليكس في لهقة:

- هل وصلت المعدّات؟

وقف فمالتهم في إحباط وانكسار. لم يكن يودّ أن يتحدّ داك الفرار،  
لكنّه محاصر واستلّ مسدودة. قال بصوت محطّم:

- المعدّات لن تأتي أبدا.. والمختبر لن يفتح.

نادلوا بطراب داهلة، تتما واصل عمر:

- لم يعد هناك داع لمحبتكم بعد الآن. سيصلكم رواسكم. مع  
مستحقّات نهاية الخدمة.. وأعذر منكم عن الأمل الزائف الذي وهنتكم  
إناء.

...

استرخت المسيات على الأريكة والمقاعد الوثيرة جونها. كانت رابيا من  
اهتمّ بتربية التهرّة. بعد أن اتّحت على بنسكس طويلا لم يكن «حفل  
انتهاء العروبة» تقابلها أو يعي لها شيئا. لكن رابيا التي تطمع  
في تلميع صوريتها وكسب صداقتها طلبت فرصة لإنبات فائدتها وتعلّمها  
الدرس. ورّعت عليهنّ أقفحة الوحه وهي تشرح طريقة الاستعمال:

- استلقين وارفعي رؤوسكن إلى السماء، ثمّ صغري الضاع برفق دون أن  
بلامس العيس أو الشعنين...

اتسمت فاطمة وهي تقول:

- هذه الأقفحة المعلّنة عملته وبسيرة الاستخدام!

بيما انصاعت سكينة وميساء في صمت، همست باسمين لربيم التي  
تجاوز مقعدها:

- فكّي التكريرة قلبلا.. أعلم أنّها لن تتعبّر بين عشية وضحاها، لكنّها  
تحاول.. من أجل كسب ثقك.. فامحيها فرصة!

تتهدّت ربيم وهي نرمق رابيا المهيمكة في مهنتها وهمست بدورها في  
فتور:

- سأفعل، من أجل خاطرك!

- والآن، ارفع أرحلك على المائدة.. وضع هذا على العيون...

ثم لفت رابا بنطق الحبار المفتح على شكل دوائر رقيقة لتأخذ كل مهنة قطعتي نصعهما على جنبها المعصبي.

- والآن، حار وقت الاسترخاء.

قالت ذلك وهي توزع كؤوس الصالير المعشقة، ثم تحد محليا بدورها حول المائدة ونجدو حدوهم. عممعت سكب:

- هل يمكنني التوم؟ أهدر بحاحه إلى عموه قصره!

ضحكت باسمير وقالت:

- الوضع معي بالأسوأ كم سيفي هكذا؟

- نصف ساعة ثم سيكون هناك نشاط آخر!

همست ميساء برفق وهي تحاول ألا تحرك شفتيها فيحقد قاعها:

- هل يمكن أن تحدث؟

- صوتك عريب!

ضحكت باسمير مرة أخرى. لم يكن من اليسير الحفاظ على قطعتي الحبار وهي تتلفت كل حين لتحدث حارنيها. مرت عشر دقائق قبل أن تقول رنيم في ملل:

- أظن هذا كافيا، هل تفعل شيئا آخر؟

تململت الأخرى بدورها، وأحد سنوس في حلسنهن ثم برعن الأربعة. وفعت رابا بدورها وقد ساء بها مفاطعة شقيقتها لمحطط الشهرة. قالت محاولة الحفاظ على مزاجها المرح:

- ما رأيكن في بعض الرقص؟

تمطت رنيم وتساءبت وهي تقول:

- لم لا!

هتت راسا إلى جوار السجبل وضُغلت موسيقى شبايته صاحبة، ثم  
عادت إلى القور لتسحب الطاولة المحقصة وسط الصالة وتدفعها في  
أنحاء ركن العرفة، وتوسع محالا ماسا لحلبة الرقص. نادلت باسمين  
ومبساء بطرات متواطئة، ثم أخرجت مساء من حقيبتها فرسا مصعوطا:  
- لدى في، ماسب أكثر!

كأن باسم من طلب منها تجمع أناسد أفرج من أحدها، لإصفاء  
حو من المرح. أوقعت الضموصاء التي أحدثتها موسيقى راسا وضُغلت  
فرعها. رفرت راسا من حديد في صوت. هل سعتن إفساد بديرها أم  
ماذا؟ لكن ذلك لم يفت من عضدها. سرعان ما سعتن متوسط الحلبة،  
فربط الوشاح ثم بصل حبرها في حرفه وحقق. ظلمت كادره على الرقص  
على أن نعم. حتى لو كان موقالا شامنا أو ذكريسرا أو را  
سرعان ما سعتن في الإفساد وأحدث الإفساد والأرداف نهرا  
في حركات مقابله النهار. استمر الرقص والتصفق وصاحب الحاجر  
بالعشاء مكرزه لأناسد.. ثم ارتقى على المقاعد من حديد وهن  
بنصاحكس وقد أرهمن النشاط المدي.

- الآن، ففره الأسئله!

أعلنت راسا وهي نواحيهن، فنظعن إليها في انشاء:

- السؤال الأول.. ما هو الشيء الذي بشأن الزواج؟

تعال الفهفها دون موارد، وعلمت ريم في سحرية:

- أظنك أخطأت الجمهور.. أمامك ثلاث عاربات ومظفنان، ونسألك عن  
قوائد الزواج؟

صحك من جديد في صبح، ثم بدخلت سكبته مهذبة:

- لا تترن دعر السنة، أنها مفضلة على الفص الذهبي، لذلك قلنا من  
التعاؤل رجاء.. سأبدأ أنا.. إن الشيء الوحيد المعبد الذي أحرقه من  
الزواج هو الأطفال!

رمقها جميعا في نعاطف، وأمت فاطمة على فولها:

- ذلك هو الفصل الوحيد الذي أسفرت عنه تحريفي.. لكسي أمل لك  
حظا أوفر يا ابنتي!

قالت ريم بنظرة حاملة:

- العوانسة!

بينما هنتت ميساء:

- الحرية!

ضحكت ريم وهي تعنق:

- أظنك فهمت الأمر بشكل عكسي! أنت تفقدن حزنك حين تروحين..  
لتصبح قرارانك، لحرمانك وحيارنك كلها مريضة بشخص آخر!

ردت ميساء في نهكم:

- هذا إذا كنت حرة من الأساس! لكن الزواج بالنسبة إلي فرصة للتخلص  
من قيود العائلة، والحروج من حدود البيت!

قالت رانيا في نعاطف:

- أوهمك تماما.. ماذا عنك ياسمين؟

- الأمان!

حدفت فيها فاطمة عبر مسنوعة: —

- الأمان؟ هل تشعرين بالخطر الآن؟

- الأمان بمعنى الاعتماد على شخص آخر وقت الحاجة، مشاركته  
همومك واليقين بأنه لن يتجاهلها أو يعزأ أمامها.. ونفاسم أعباء الحياة  
اليومية معه، والحصول على مساعدة مضمونة لا مشروطة!

ربت إليها ريم متألمة، واسترحت رعا عنها كلمات شهاب ومواقفه  
الحامية لها. بينما صغرت رانيا في إبحاب ثم هنتت وهي ترفع ذراعها  
في حركة مسرحية:

- عروسا نحرر بقاطا عن هذا السؤال 'والآن، السؤال الثاني.. ما هو الشيء السيء بشأن الزّواج؟

قالت رنيم على الفور:

- فقدان الحرية!

كثير من مساء، ثم قالت:

- اصغر.. أسعال المرء!

ضحك كلهن، ثم القى إلى فاطمة، فصقت نفسها ثم ألقى كلمتها مثل صفة عصف:

- الخيانة!

امتنع وجه باسم، ولم يقل أحد. تابع سكية:

- دورى إدس. علق الأهل!

- لدينا هيا مساء، ننو إلى مفارقه أهلها.. وسكبه، تسمى العودة إليهم! ما رأي عروسا؟

نصرت وحسا باسم وهي تهز كنفها في حقل:

- هل يحب أن يكون للزّواج مساوى؟

ارتفعت الضحكات المرحّة مرّة أخرى، في حين عانقها مساء وهي

تخف:

- يا إلهي.. عروسا حاملة وصفاتله، فلا تصدن مزاحها! بالنسبة إليك، لا.. ليس للزّواج مساوى! والعريس محبوب بضم الحودة من طري!

ارتفعت موجه ضحك أخرى حتّى دمع العيون. همست رنيم لسكية الحالسة حوارها بصوت خافت لم يصل إلى مسامع باسم ومساء:

- الحماة يا عزيزتي.. الحماة!

أخفت سكية ضحكتها وهمست بدورها:

- باسمي نخلق فوق السحاب مد بصالحت وهشم!



سألت زعيم في دهشة:

- هل تشاجرا؟

- كان ذلك أثناء عيائك.. في يوم حفل بحزبها.. احطما بشأن عملها، ثم صالحها هنم بسرعة.

- بعدها انفقا عن الأسفل إلى «لل» إذن

- أها.

لوي رسم نعيمها وهي تفكر نمره ثم عادت لهنم:

- لكن وهو لم يسعد بهذا.

- ما أدراك؟

- لقد سمعت، فاطمة جند وهي لخطبها على المنصة.. الحماة، ألم أقل لك؟

سكنت ونوشيهما حين تحبب رابا وهي نعلن السؤال التالي:

- السؤال الثالث.. ما هو الشرط الأساسي للزواج الناح؟

هصب زعيم على الفور:

- الحث!

فهففت فاطمه في مراره ثم قالت سيرة مهكمة:

- ادفعني عنك هذه التفاهات يا اسي.. العلاقة من انيس لا يمكن أن تتلخص في العاطفة أو الالحداد الحسبي.. هناك مواصفات أخلاقيه هامة إن لم تتوفر فإن مخطوط الناح صئيلة، إن لم تكن معصية.. وأولها، الصدق!

هزب سكية رأسها مؤبده، ثم أصافت:

- وأنا أقول.. المسؤولية! كثر من الرجال لا بعدن بهم ويحسون الزواج لعبة، يمكنهم دحولها والحروح منها متى شاؤوا.. ولا يحسون للزوجه والأطفال حقا عليهم! إن لم يكن الزوجان على قدر من التصح والقدرة

على بحقل مسؤولته إنشاء عائلة، فلا فرصة للزواج!

أقمت الأحرىات على قولها بهرات من رؤوسهن، ثم قالت ميساء:

- يموى الله! قبل في الأثر: «رؤح اسمك مضر بنفي الله فيها، فإن أحنها  
أكرمها، وإن أغضها لم يظلمها»!

تألمت باسمي كمنهن تألمن، لكن الانسجام عليها. كان توسعها  
استعراض قائمه طويله من أرار الزواج الناح.. بفصل الكتاب الذي  
أهداها إناه هينم! لكن ما سمحصره في تلك اللحظة كان بعدا عما  
ورد في الكتاب، بل إحسا ملا وحدانها مد أسامع فمها وهي نفق في  
الشرفه.

- التقدبر.. أن بشفر الظرف الآخر ممبرات وصفاك. فلا سطر إليك  
بموقعه، لأنك أنهي بجم عليها أن تسع الرجل من تكبر.. أن يحترم  
حبارانك ويساندك في مناربعك الخاصة.. وينق في رأبك وستشريك في  
أموره كلها، لأنه لا يراك محرّد نعه نربس مرله، بل كبا مسفلا بدانه،  
بكملة ولا بدون فيه!

صففت راسا في حدل ثم أعلت:

- شكرا لإحسانكن جميعا.. والاد إلى المانده!

وقصر في حماس، ورحن بصلان أطافهن من الأصاف التي نشارك في  
إعدادها في وقت سابق من النهار. رقررت ربيم وهي نقول في بهكم سيما  
بداها مشعلتان:

- يبدو أنني العاطفة الوحده ها! لا أحد يؤمن بالحب؟ لقد أفسدت  
كل آمال المستقبل!

علفت ميساء مارة:

- لا بأس بالحب كمدحل.. أو كحانفة، أيهما أقرب! لكنه ليس كل شيء!

أضافت فاطمة في جدية:

- وقد يكون لا شيء.. إذا اصطدم بحجارة الواقع نقت وتلتقي!

تَهَدَّت رَئِيمَ فِي أَسَى ثَمَّ قَالَتْ:

- لَا فَائِدَةَ! يَا سَمِينُ، أَعْلَقِي أَدَبِيكَ عَنْهُمْ.. أُنَمِّي أَنْ يَحْيِي هَبْنِمُ، فَالْحَيَاةُ  
بِلا حَتِّ مَسَحْ بِلا طَعْم!

احْفَظِي وَجْهَ نَاسِكُنْ فِي حَرِّحْ، بِسَمَا حَذَفَتْ فِيهَا مَسَاءً لَوْهَلَهُ فِي  
شَلَا.. ثَمَّ اشْعَلَتْ بِطَفْهَا.

...

رَكِبَتْ مِيسَاءُ إِلَى حِوَارِ هَبْنِمُ لِبَطْلٍ فِي سِتَارِهِ عَلَى الصُّورِ. هَالُ وَهُوَ  
بِأَقْلِ الطَّرِيقِ أَمَامَهُ:

- كَيْفَ كَانَتِ الْأَمْسِيَةُ؟ هَلْ اسْتَمَعْتَ؟

- جَدًّا.. لَعْدَ تَسْلِيمَا كَثِيرًا

- جَمَلٌ. ONE PIECE

هَنَمْتُ نَاسِكُهُ:

- وَلَعْدَ نَحَدَّنَا عَمَكَ كَثِيرًا!

التَقْتُ إِلَيْهَا فِي اهْتِمَامٍ:

- حَقًّا؟

- أَوَّ، لَا يَحَقُّ لِي أَنْ أَقْلَ إِلَيْكَ شَيْئًا.. أَسْرَارُ الْمَحَالِسِ، أَنْتِ تَعْلَمُ!

حَدَّثَهَا بِطَرَفِهِ مَعْتَاطَةً نَقَرِ عَادَ نَزْكِيهِ إِلَى الطَّرِيقِ.

- هَبْنِمُ!

- نَعَمْ.

رَدَّ دُونَ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَيْهَا، فَصَالَتْ فِي رَحَاءٍ:

- يَا سَمِينُ طِفْلَةٌ بَائِسَةٌ.. فَلَا تَكْسِرْهَا أَبَدًا.

- مَاذَا تَقْصِدِينَ؟

عَرَتْ مَلَامِحَهُ الذَّهْشَةَ وَهُوَ بِطَالَعِهَا مُصْدُومًا، فَصَرَحَتْ مِيسَاءُ:

- الطريق يا أخي، انتبه أمامك!

عاد إلى التحديق في الشارع، وهو سألها محدداً:

- ما الذي حدث؟ لماذا تقولين هذا؟

نقّدت مساءً:

- لقد شعرت اليوم كم نحن مختلفان، باسمي وأنا.. لقد كبرت في عائلة  
مساسكة وصحائه، سماء شباب هي مع أم مطلقة، ورسلها في السكن  
امرأة مطلقة. لا يمكن لأحد أن يلومها، إن هي قدمت نفسها في مطبوعة  
الزواج. وفوق ذلك ندرس حالات الاسرار حياء، محكومة بالطلاق  
السليقة، لكنها رغم ذلك ملته بالتأويل.. وضع عليّ أملاً عريضة!  
أستعب اسماء مع كمال الاخيرة، وسألهما جزاً البقة.

- هل قالت ليمنحني هذا؟

- ماذا؟

- أتينا بصح عليّ أملاً عريضة؟

قال ميساء في تعاب:

- هل بطن عر ذلك؟ ألم نوافق على الزواج منك؟

- لا، أفصّد.. هل قالت ذلك حرفاً؟

هزت كفيها اسهانة وقالت ساكبة: —

- لا أدري.. لقد شعرت بهذا وجباً

رمّ نفسه في عيط وقد أدرك أنه لن يحصل منها على حرف واحد زيادة.  
لكنّ كلماتها لم تعارفه بقية الطريق. لم يكن ما قالته عريضة، ولم  
تكن طرود باسمي عاتية عنه السنة. أولم نمذد فترة الحظنة معقدة،  
تخجج بالرسالة؟ لقد لمس خوفها، وسعى إلى طمأنيتها بكل السبل..  
وبعد يومين، حين بجمعهما بيت واحد، سبطمنها أكثر.

انسمت ميساء وهي ترفعه من طرفي حقي. نعلم كيف هي مشاعر

أحبها نحاه باسمي.. لكنّ ملاحظة ربيم صابقتها.  
تمنّت أن تحبّ ياسمين هيثم كما يفعل.



أوقف سامر كلود ستانبره المرشد من السوداء أمام مبنى الجامع الكبير في صاحبة «سار سان دون»، ثم اسدأر ليلقى نظره خاطفه على حارة مقعده وهال:

- أنت وانته من رعبك في الحضور؟ يمكنك الاستظهار هنا إلى أن تنهي المراسم.



ردت ناناشا، صديقه الزوجة الصهاه ولكنها الممتن المصاح:

- بالعكس، أودت كنهي حضور حفل رفاة بقلدي في المقعد الحكيم، كانت فاطمة بمسك لسانها على مصص وهي تكاد نمتر عطا. لقد ألح على الهامف، أعلن بلوحة فاطمه أن الست لا يعودها إلى عقد فراها إلا والدها. وقد رافق لها مبادره لا ريب. رغم غيابه عن حباد باسمي، توسعها أن تنص اهتمامه بالمظاهر المشرقة وحفظ ماء وجه اسمه أمام الأضرار. ثم من حر مه لبهصر بمهمة الولي.

لكنها لم تحسب حساب هذا! جاء عن «ليون»، بفود ستانبره، ويرفقه صديقه الأحببة! وها هي محضوره بينهما في سبارة واحدة مد الضاح. نرى بعينها ونصوب بقلها. ألصق نظرة على باسمي الحالسة حوارها. كابت مطرقة، بنص بكفها على أضرار ثوبها. نادلسا انشامة باهتة. كاتنا منوترتين.. ولكل واحدة أسانها.

في وقت سابق من صباح ذلك اليوم، قصد عدد محدود من أفراد العائنين مبنى البلدية لتسجيل الزواج المدني. لم يكن يُسمح بإقامة الزواج الديني ما لم توقع تلك الوثيقة الرسمية. لقد دبلت الورقة بإمضاءها وانتهى الأمر. في حكم القايون، أصحاح روجي.. والآن يستكملان

العراسم الشرعية.

نقران حفصة على يافذهها أحرحت فاطمة من بونفة أفكارها النعسة.  
أنارت إليها رهور. حان الوقت. نرخل من السيارة، في حان هبهم  
يفتح البوابة المقابل، ليرل باسمين.

خلفهم نعاما نوقفت سيارة ريم الحمراء الجديدة. كان استرجاعها  
للحسين ألف يورو هدية من السماء. حقت أن أفصل استنمار في  
الوقت الحالي هو ستارة نحررها من أزمة وسنزل الطفل، وننشلها  
في زفاف باسمين. إلى حوارها حلت رابيا وهي تردي فكها أرحواها  
طويلا ووضاح في النور المضي.. بينما اكتفت بلم مدقة رسمية في اللون  
الكريمي، وألفت على رأسها وضاح أسود وهمال، احترام لدار العبادة.  
رمقت شففتها باسمين، وهي تصلح ريسها لسلام حرة الستارة، وفالت  
محاولة الحفاظ على هدونها:

- ابرلي.. سنأخر!

فالت رابيا وهي تظلي شففتها سحاء بأحمر ضفاه راه:

- لن يبدأ شي، قبل الصلاة، اطمئي.

فالت سكية التي رافقتهما في المفعد الحلفي وهي تفتح البوابة من

جهنما:

- سأسفكما إلى الداحل.

تنهت ريم في صبق، بينما انتعدت سكية لتلحق باسمين وأهلها.  
تلك شففتها، وتلك مؤوليتها. هذا أمر لا فكاك لها منه.

- يا رب ألهمني الضرا!

حطت باسمين برفق حتى نوارت على حدائها دي الكعب العالي، نمر  
لست تنتظر، حتى أحاطت بها فاطمة وميساء من الجهنين، وصعت  
كفهما بكفهما ففادتها نحط وندة محفوفة بالزعاريد إلى الداحل.  
كانت نوندي برسا حريونا أبص، نرلق فتعنه على وجهها لثحي ملامح

رئيسها، ولصعها من رؤيه الطريق أمامها.

انحرف إلى مقصوره جاسه فإله ناحه المسجد وحديقه، في حين  
نوحه الرجال صافرة إلى قاعه الصلاه. لم تكن قريصه العصر قد أقمت  
بعد. صافح عبد الحميد الإمام ثم هتف في المصلين.

- حاكم الله إخوانا. انصتوا إلينا جميعا بعد الصلاه إلى ولده زواج  
باني.

تعالى عمارات النصارى من كل حدب وصوب. في حين كانت رهور يقوم  
بالفعل في قاعه لتمام. كان الحضور تتما ذلك اليوم. كلهم أعين عن  
العروس فلها بأنام، ووذيت دعوه مفتوحه بتعاليم المصلية المصممة في  
الجهة، فتأفلها الأكر، ونسجعات اناس بلا تردد، وكلهم انشاق إلى  
علامات الفرح الحائز في بلادهم أو فصول ككتبات ما دأب حديده..  
فقد كانت الممرات المغترس فرصه لمد حور التواصل وبوسع  
العلاقات.

كان الأهل والحرار يتعاونون على تبرع الصوايا المكممة بالكسكس  
ومرفه المطبوع بلحم الضأن، والمعجنات والسلطات والفواكه والمرطبات  
والعصائر، ويحملونها إلى قاعات الصلاه.

ما هي لحظات إلا وأقيمت صلاة العصر. بعد ذلك، ترتع الشج  
فإله الحضور، وأحد سلبو موعظه موضوعها الزباط المقدس. ثم دعا،  
فأمس المسمعون، وأصعبت النساء في اساه إلى الخطاب الذي يصلهن  
عن مكثرات الضوت، قبل أن سهى إلى مراسم عقد الفرائ.

حين تصافح هنم وسامي مبادلتا التهاني، ارتفعت الزغاريد، وبواقعت  
السيدات لتهنئه باسمين. كانت قد برعت عنها الرئيس لتكشف عن  
فقطانها التقليدية الأبيض المطرز بحبوط ذهبية، وعن ربة وجه حبيبة  
ورقعه. كانت قد بركت شعرها الأسود الطويل مسدلا على كتفيها،  
ووضعت على رأسها ناحا ذهبية. بعد ذلك، قرنت قاعات الصلاه سبط  
قطعة عظم السجاد الأحمر، ومدت سفرة الطعام على الأرض.



كانت رهور تروح ونجيء في همّة وشاط، تعطي التعليمات ونهتّم  
 براحة الصبوف، وهي ما نعتاً نردّد في سرّها «اليوم عرسنا وعدا عرسهم»!  
 كانت قد أعدت الوليمة بنفسها، بمساعدة حارات وصديقات. حرصت  
 على أن يكون الطعام الذسم كما يسعي، لا يخلف في شيء عن أعزاس  
 البلد التي ما يزال جنبه في ذاكرتها، رغم العربة التي بدوم مد عقدن  
 لم نحص نر حناب الزيت والحقص والخلوى على وجه كلّ فصعه قبل  
 تحويلها إلى الشفرة، ورصفت القنفل الحارّ الممن إلى حوار قطع اللحم.  
 ثمّ رفعت الشفرة، ولحقت النسوة حول الهروب. كفتمنت مبع  
 وهي تحمل سبت الحناء المعلق بقماش أنيسر مطرّز، والمملّ بعلب  
 الحلوى والمكشرات المحقّزة من أحل المفقوس. نوهبت الشموع على  
 وقع الزغاريد، ثمّ أجذب رهور نحضت كفي كفتها بعحسة الحناء،  
 بينما يوزع مبع الحلوى. بعد ذلك، تقاسمت الحاصرات ما نقس من  
 العحسة، ورتن كموفهنّ بها، ثمّ حفظها باللقاواب القطيّه حتّى نحف.  
 كان كلّ شيء سبطا ودون تكلف، والفرح عامرا ولفاتبا.

خرجت باناسا وهي تلّوح حدلة بعلبة الحلوى في كفّ وقرص العحبة  
 في كفّها الأخرى. حدجها سامي في عجب، فعالت مأخودة وهي تقرّب  
 كفّها من وجهها:

- رانحتها ركبة!

قال منهنّما:

- هينا لك بها!

ثمّ استنطال مرافقا الوأنة، بحثت تعبسه عن فاطمة ورأسين حتّى  
 بقلهما إلى الشقة.. لكنّ أبّا مهما لم يظهر. أخيرا، خرجت رهور، بعد  
 أن أنرفت على تطيف قاعات الضلالة وجمع الأولي وبفايا الطعام. في  
 المقصورة، كان فريق من الشباب يعمّوون وحات فردية لتوزيعها على  
 فقراء الحيّ. افترّب منها سامي مستفسرا، فقالت بافتصاب:

- فاطمة عادت مع ريم.. وباسم سبيلها روحها.  
ثم شعيت وفد استنشاط عصا. لم تكلف نفسها مشقة إعلامه. بحلول  
لها أن يستمر في الانتظار بلا فائدة!

\*\*\*

سلك باسم عبر الباب الخلفي، حيث كانت ستاره هنرم ينظر  
باسم وهو يلعبها تنعز في ريسها وكعبها العالي. ثم راها سهد حين  
استقرت على المقعد المحاور. مذ كعبه ورفع الرمس عن وجهها. رجع  
حاجبه فجاء، ولم يعلق. حدحه بظره منطبعة، ثم كعب شعيتها في  
بوتر. لم يقل غنا بشأن ريسها!

أدار هنرم المحرك لبسنتفا. ثم قال وعيام علفنان بالظفر:

- أين ذهب؟  
ONE PIECE

قال في دهنه:

- إلى النقة!

صحك في نسله، ثم قال:

- أنت مستعجله للفاك متي؟

أطرفت في حجل وهمست:

- أين توسعا الذهب وأنا بهذا الشكل—

ناولها مدبلا ورقيا وفاروره ماء في صمت. حثفت فهما لرهة ثم  
أدركت ما يرمي إليه. ابترت بمسح ريسه وجهها في وجوم. حين فرعت،  
نطلع إليها مسما وقال:

- هكذا أفضل!

أشاحت باسم بوجهها منحايلة ملاحظته. لم ندر إن كان ما قصده  
مدحا لحمالها الطبيعي أم دما لريسة العرس. لم تكن ريسها مالعا فيها،  
بل إن كل الحاصرات أشدن برقيها وساطننها. نمت أن تلمح داك الوميص

في عيبه وهو بصرها في أبيه حلة.. لكنه قصص كل نفعاتها.

توقفت الستارة عند رصيف نهر النيل، قرب حرس القصور، فباله محلّ مثلحات معروفي. برل هينم على الفور، فكثرت في ابرعاج. إنه حتى لم يكلف نفسه أن يسألها عما نزع فيه! هل مدأت 'لقوامه' أم الآن؟ بشرّز عنها حتى ما ستأكل؟

سرحنت بصرانها عبر النافذة. أمامها نعاما يظهر الشبكة المعدّنة على حائلي حرس القصور، حيث يعتنق الأخنوخة أفعالا زهرته، مواعيدس على الإخلاص. إنها في اليوم الأكثر أهمته في حياتها وللمهم المعلم الأستاذ رومانسيّة في باريس.. لكنها بعسة.

كان مزاحها في هبوطه مواسل. شعرت بقها محطّة وعلى وشك المكاء. هل يعقل أن نضجذ بها الكلبة غنبة عند فراثها! سدلّت حصيها وهي تشاوم العراة التي تلخ عليها حتى نهمر. انتلعب العضة حين رآه يعضّم ناحيها.

يهدوه، فرش هينم مادبل ورقبه على حجرها، حتى لا يشح ففطانها، ثم وضع في راحنها كوب مثلحات رشب هوفه حساب نوي وشكولاتة. تأملت باسمين كويها، كانت فيه ثلاث كراب، بكهة الكراجيل والزبدة المملحة، الفسق والفهوه.. نكهاها المفضله!

♦ - أعلم أنك بفضلين محروط السكويب.. لكن الكوب أفضل لطروف اليوم!

انتمت رعما عليها. وهي تشاؤل ملاعق المثلحات واحده إثر الأخرى. حقّت نعاستها تدريجيا حتى بلاشت نعاما مع البرودة التي حدّرت لسانها وحواسها كلّها.

فكرت باسمين بأنّه لم يفعل شيئا سيّئا. ربما لا نلعمه الزينة في المطلق، وقد أشار إلى ذلك بوصوح، فلا داعي لتعكير الحقّ. ثم هو قد ندّكر نكهاها المفضله ولم يحنح إلى سؤالها عما نريد. وهذا بشفع

له تماماً!

- انظري إلى هنا، سألتقط صورة لنا.

أمالت رأسها برفق وهي تحقّق في العدسة وسمعة رائحة برتس شعبيها،  
فأعرباً هو أكثر حتى يلامس كفاهما، فانسعل وجيحاً حرجاً. التلظ  
الضويرة بهامه، ثم قال صاحكاً:

« بكفى هذا اليوم.. سأعذك إلى الشفة »

...

بعد حوالي أربع ساعات على الطربو، وصل عمر إلى وسط مدينة  
بروكسيل. قاد المارة عمر طوارق العاصمة البلجيكية، ثم تابع تعليمات  
جهاز الملاحة حتى انتهى إلى العمارة المصنوعة بالصاخرات البرقوتية. توقف  
أمام جامع هيبس جويج، الذي صممه في سنة ١٩٥٠م. وقته صحبه.  
فأله الساء خديفة عامه مبراهه الأنصاري، وعلى الحالب الأحمر عمانر  
سكته.

تأمل الواحه التي تظهر عليها لافه باللغتين العربيه والعريسته:  
«المركز الإسلامي والتفاني سلحكا - المسجد الجامع بروكسيل».

إذن هذا هو المركز!

كان قد انطلق منكراً في السادسة صباحاً، فوصل رهاً العاشرة. اتصل  
برقم عزّام، ولبس سطر. بعد لحظات، ظهر عبد المدحل رجل أربعيني  
ملبح بريدي قميصاً أبيض وتدنّر بكوفته نعطى كفيه. توّخه صابره إلى  
ستارة عمر، وعد تعرّف إلى لوحة أرقامها العريسته. صاحبه عمر بحرارة،  
وقد فاحه شباب الزحل الذي كاد يهزم بمادانه «ما عقر». وثما بكبره  
بعقد من الرّمس، لكن ذلك لا يبدو كافياً لثقله بمرله العمر!

- تعال، سأخذك في جولة حول المركز!

بعه عمر لبطوقاً سوباً بالساء، فأعات الضلاة العسجه، الشاحه  
الواسعه، المكسه وعرف الاحتماعات ثم المحلات التجاريه التي تضم

للمركز استغلابته المالية، والصافي الإدارية المناحمة لها. انتهت بهما  
الحولة في مكتب عزام داخل المص. كان بصرف ساعتين من وقته يومياً  
لإداره الشؤون المالية للمركز، نطوعاً. دعاه إلى كوب شاي محلي، وجلسا  
بتحاذيان أطراف الحديث.

- لانتك أن لرحلة من مارس كانت مرهقة.. مضطربك أولاً ثم سحذت.  
صلياً الظهر مع رؤاد الحامع، ثم حرجا للعداء. دعاه عزام إلى مطعم  
لساني قريب، حيث تناولوا وجبة شرفته دسمة، ثم عادا أدرجاهما إلى  
المكتب. كان الرجل دمت الحلق حسن المعشر، خالماً في الجمال. ذات  
نوحس عمر إثر الانصال. المريب دون تمهد ترك مكانه أرباباً وبقولا.  
استمراً يسامران ههه، حتى قال عزام بالتمام.  
- كيف هي صحتك الآن؟ أعلم بأن حادثك المؤسفة.. هل حسدك  
قادر على التحمل؟

أرتك عمر وقد ناعه السؤال المريب. لقد عاد الرجل إلى العموص  
المريب. قال في خيرة:

- تحمل ماذا؟

صحك عزام، ثم قال:

- لا نحف.. لن أحرى لك احنا را بديتاً. إنما أريد أن أفرج عليك أمراً.  
تريث لرهه، ثم استطرده بقول:

- لا شك أن أنة حدثك عن طموحانها.. إنها فتاة ذات بصيرة، وعلى  
قدر من الذكاء وعلو الهمة. إنها تريد لثرتها أن شأ على ما نشأ  
عليه شباب العائلة ضد أحوال.. وليس لذلك من سبيل أفضل من نحتر  
أبهم!

أطرق عمر في حرج، وهز رأسه علامة الإصغاء، فأردف عزام:

- إني ناصح لك فاستمع! هماك أشياء قد تفعلها من أجل شريكة حياتك..  
قد تسي همومها ونشاركها إياها من باب الصواررة والنصائح. لكن ليس

هناك ما هو أفضل من أن تكونا على نفس النهج ضد الدابة.. أن تكون  
فصبتها فصبتك أب أبصا، فلا فصل لأحدكما على الآخر.. وفصبتا كما  
تعلم هي «مقاومة الاحتلال»!

أصق عقر في أصاه. بدد دواخله مكشوفة تماما أمام الرجل. لقد  
حبس نفسه بديك ضد جلعة التعارف. لم تكن تمنع لست هموم  
روحته في المسقى، وأن صرف جهده وماله فيما يرضيها. إنه يؤمن  
بالمقاومة بالتأكيد، لكنه دائما ما كان يرى نفسه مساندا، عسرا حارضا  
لا جبرا، صمما. صحت عزام ثم أصاف:

- أنا لا أقول أحمل السلاح وهلم بنا إلى ساحة الموت في الحقل.. لكن  
الله يقول في كتابه العزيز أوْبِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ!، بحيث أن يكون  
على استعداد دائم، نفسي وحسي.. ولهذا حرص كل الحرص على أن  
يعرف دواويل حيلة المهكرين منهم والمنعزس عن دهم ووطنهم  
وفصبتهم، ما هي المقاومة أولا. إنها نفاقه كامله، برحو اسمرارها  
ونوارنها، حتى يحدث رتك أمرا!

بدا على عمر الاهتمام بالامر بما يقوله عزام. قال في حرم:

- أب محق.. ما أعرفه عن المقاومة لا يحاور صابغة الأحبار والاصمام  
إلى المظاهرات. أعرف أنه قد قاتل الكثير.. لكنني أريد أن أعلم. فما  
المطلوب مني؟

انضم عزام في استحسان وهيب:

- هذه هي الحالة الذهبية التي توقعنها، مبارك يا بني، لقد نجحت في  
الاحتصار!

حذق فيه عمر عزم مسوعب أن يكون الاحتصار بتلك الساطة. سما  
أحد عزام بصحك، ثم قال وقد استعاد مسحه الحد:  
- أشعر بالاطمئنان بعد حديثنا.. أما ما نقى، فهو موكول إليك! حين  
تكون جاهزا لخوض المغامرة، خبرني.

- المغامرة؟

- هل شاركت من قبل في مخيم كشفي؟

هز عمر رأسه علامة النفي، فأردف عزام:

- هناك مخيم تدريب لفرق وروحني ونفاسي، بخبري عنه لا على الأكر  
بفسيه.. نصف بعد حاحه كل شباب العاقبة سمعهم خلال الإجازات  
ويعد من أحلمهم برنامجا متكاملًا، وأفكره بعض حاحات من أبا على فوق  
الستوان.

- أين يكون المخيم؟

مخيم الرمون.. دمشق.

استولت على عمر الدهشة. ليس هذا هو فوجده لحيه لم يعجل  
بالرد. استمع إلى حاحه وهو يشرح:

- إن أردت رأي، فأنت في حاحه منه إلى هذا التدريب.. إنه برنامج شبه  
بالمخيم الكشفي، مع درجة أعلى من التكوين الروحاني والتفصي. أعرف  
أن حادته مثل التي مرت بك، وما يلاها من حسي وعلاج طويل، قد  
كسرت شيئًا بداخلك.. وأنت حاحه إلى برمته! كُنّا نسر، ومهما أذعبا  
من رباطه حاش وصلابه، فهو سا هسه.. ما لم نفهمها بالأدوات  
الآمنة! سرى، حش نرجع، سيكون قد اكتسب مواظن فوه لا يدركها  
في نفسك.

كانت فسمات عمر يرداد سحفا واقتنايا بخدمت عزام، آلاف عن  
البرنامج التدريبي. ما كان يدو مسيحها في نظره منذ حين، الأمي  
حادثه وإعراة لم يحسبها ممكنة.

تابع عزام بقول بصوه العميق المصوح:

- هذا المخيم بمثابة الشريعة المحكمة التي تعصر الفرائض الباقية..  
فنتطّل سحنط وتلوي، حتى نحلق أححبها، فمترق علافها ونمرق! هكذا  
يكون حش باني على التدريب حتى بهاسه.. سحه أفضل من ذلك!

\*\*\*

استنقظت فاطمة مكرًا في الصباح التالي. بالأمس عرسهم، واليوم عرسنا هكذا حدثت نفسها. لم تكن من احنار التمثل الفرنسي الحديث للرفاق، لكنها حمل حياء من ماء حارات طلبقها. وحفل اليوم بحب أن يكون حياء من حفل الأمس بكل المقاسم! كل شيء سيكون مختلفا بدءا من الإطار المكاني، وقائمة الطعام، انتهاء سوعته، لصيوع أنفسهم!

كانت قد أعادت وضع عجسه حياء من صعبها جلسها حضضا من يوس. في المساء على كفي باسمين، حتى يهزب النور الحمري إلى السواد أكثر، نمر حبت كفيها بدورها وقدمها شعورها أيضا. حبت من الحقام بعد أن اغسلت وتخلصت من الحياء، الغلاء العافية بحسدها. كاتب الفئات تتاولن الإفطار في مرج. افرست من الحياء واسارت إليها: - دعني أرى كفيها!

دققت في لون الحياء على راحي باسمين. نمر هزب رأسها في استحسان. لقد بات اللون عامفا ودا لمعان حبل.

- افرى كفيك برب الزينون لحافظ النفوس على لمعائها.  
أوصات باسمين، نمر وعصت منحهة إلى الحقام.

- إلى أين؟

- أحد دشا سرعا.

- ليس اليوم، سفسد الحياء.

- سأكون حدره.

هرولت باسمين سرعه قبل أن يعارضها والديها. التفت وطمه إلى رنيم وسكينة ورائيا وقالت:

- هتا بات، نجهن.. حبت أن تكون في القاعة للتأكد من التحصراب.

بحركس على الفور في اصصاع. دخلت رنيم عرفتها، واحتفت سكينة ورايا داخل العرفة النابه. بعد دقائق، خرجت ثلاثهن برندين فسابت



زهرته منماتله! حذفت ربيم في شفقتها وهنم في دهشة:

- ما هذا؟ كيف...؟

اسممت راسا في طهر:

- لهد أعجى فسانك، ورأيت أن نرندى فسانن متعائلا. كوسسات  
العروس

أبتسمت سكة وفات:

- لقد عدت على نصيم الفسان فديلا لاسي. لم تكن فكرة شته.

رفعت رسم عرجها إلى النصف، غير مصدفة هذا ما كان يتصورها، أن  
سديس حصصهن مضا مظلمة في حفل الزفاف

خوجت باسم من العجم فأفعلن وافقن راسا في فكرة همت في  
استحسان:

- لم أعلم أنك حططين لهذا! فكرة حملة!

- ليس أنت أنصا!

حدثنها ربيم بظرة معاطة ودارت على عصفها لحنم داخل العرفة  
محددا. نرحب سكة الموقف بسرعة. راسا حططت ورسم كات بجهل  
الأمر. قالت راسا في لؤم:

- أصلا كنت وانته أنها سرفض المكرة!

بدخلت فاطمة بسحنهن:

- علسا الذهاب الآن. باسم، كون حرة خلال ساعتين.

أومأت من جديد في استسلام. إنها نفق الأوامر منذ أيام، ولا  
بعرص. سسهي فرة العرس هذه على حبر. رعب، نمر طرفت باب  
العرفه بحقه. سأللت إلى الداخل بهدوء، لحد رسم نحق في شكلها  
أمام المرأة بملامح عابسة.

- ماذا أفعل الآن؟ لهد حب المحلات طويلا حتى غرت على الفسان!

ليس بوسعي استبداله!

اقتربت ياسمين لتقف حذوها، وقالت برفق:

- رسم، أبت شخصته فريده.. ارتداؤك لفسان مشابه للأخرى لا يعني

محو شخصيتك.. بل أنتهم معجبات بدوك ويردن أن يكن مثلك!

رشت رسم حاحس معجس، ثم نصمت:

- كلام معسول.. ومضغ! أنا الأصل وهنّ التمسد!

ضحك باسم ثم أضافت:

- لا بعكري مزاحك لهذا السبب.. نمر أنا وانته أن يدرك هذا يكفي من

الاكسسوارات العفّرة التي منجعل حلتك مختلف عن الآخرين!

بحماس، فحبت رسم درجا في حراشها وأخضت بلمت أعراضها في

تفكير. خلال موان كالتفكير التي حراما ذهبنا ووشاحا حريرنا ربطته

حول عنقها. نهذب:

- هذا سمي بالعرض.. سأوصلهن وأعود من أحلك.

\*\*\*

نوقعت ستارة هينم أمام القاعة، وبرت رهور وميساء. هف وهو

يشبههن ببطرانه:

- إن احببت شينا انصل بي.. سأكون عبد الحلاق.

في نفس اللحظة، كابت ربيم تلقى التعليمات الأخيرة من فاطمة بشأن

مهامها المسقّفة. سمّر على محلّ الزهور لتأكد من وصولها في الموعد،

ومحلّ المصطاب لتفقد قالب الحلوى، ثمّ رجع لمرافقة ياسمين في

موكب الزفاف.

التفت النسوة جميعهنّ عبد المدخل فتعانقن في حمور. حذفت ربيم

في مساء في دهول:

- حتى أنت؟!!

دارت مساء حول نفسها مسعرة فساتينها الزهري المطابق لفسان

الوصيفات، ثم قالت في سرور:

- إنها فكرة رائعة! والتصميم مثالي!

قالت رنيم في فتور:

- طبعاً.

ثم اعتدرب لتصرف إلى مهامها.

حين دلف إلى الشقة، كانت باسمين تعف أمام مرآة الحائط في الصالة تستعرض فستان الزفاف الأنصر. كان تصميمه بسيطاً وأبيضاً، أبدعت سكينه في نغمد تفاصيله كما اشبهت باسم أن تكون. لكن حروفه العلوي معطر بطبقة من الداسيل الرقيق وقد نازرت فوقه حبات لؤلؤ مساعده أكماله واسعة، وحروفه السفلى من الساتن السميك المصنوع.

تقدمت رنيم وهي ترتجف في الخجل:

- ارضي فستانك لأرى!

- ماذا تفصدين؟

- أربي قدمتي!

كشفت باسم عن خدائنها الرصاصي الأبيض الذي لا يظهر منه شيء، تحت ثوبه الفستان الواسعة الملامسة للأرض.

- دكريني.. كم طول عريسك؟

- متر وتسعون!

- وأنت؟

- متر وستون.

- ونريدك الوقوف إلى جواره بهذا؟

ابتسمت باسمين في حرج:

- الكعب العالي يعيقني عند المشي.

- إذن اجلسي!

- أريد التحوال حول القاعة ومحادثة المدعوبين.. ثم، هل سأعبر بقبعة  
حياتي بالكعب العالي، حتى أناسب طوله؟  
- لا فائدة منك!

جلسنا حسنا إلى جنب على الأريكة، رفعت باسمن فمحبها على العاكدة  
المحفصة، واسرح.. فحدثت رسم حدودها. كان أمامهما عصر الوقت  
فصل أن يصل موكب العرس. همست ربيم:  
أنت جاهرة؟

الحقيقة عند الباب.. سرحت بعد الحفل مباشرة في زوايا  
زفرف رسم ثم قالت:  
- لا أصدق أنها المرأة لاسرة التي نعلم فيها هتكنا، غدا، ستكون  
الشعرة محلها  
ONE PIECE  
- لا تقص.. سارورس.  
- شتان من الزائر والمعلم.

تهتدت بصوت واحد، ثم سألت باسمن باسمه يعق حبيبا:  
- هل تذكرين أول جلسة لنا هنا؟  
صحك رسم بصوت عال:

لا تذكريني! كانت ليلة إعتراقات حمامة الوطن! كنت أنكو مأساتي مع  
ميشال.. وأنت! حدثني عن سات العروا  
انسمت باسمن وتهتد ناسه:

- لقد مضى زمن طويل.. وتغيرت فيما أشياء كثيرة.  
رسمتها رسم في فلق:

- ألا تشعرين بالخوف؟  
- الخوف؟

- من حياتك الجديدة!

- أشعر بالتوتر.. لكنّ هذا أمر طبيعي. إنّي مفضلة على حقيّة مختلفة..  
شعور مماثل لما أحسست به حين وصلت إلى باريس أوّل مرّة!  
- ليس هذا.. أعني، ألا يراودك الشكّ؟

- الشك.. فبمّ؟

- أن تكوني قد سرّعت.

- سرّعت؟ حطّنة دامت ثلاث سنوات لا هذا سرّعا!

- أعني.. ألا تحضرن أنّك قد نحلّلت إلى الأبد عن فرصة فضة حبّ  
حقيقتي؟

التسعت اسمامة باسمين وهي نقول:

- أنا مسعدّة لمعاصمة.. فرصة فضة الحبّ الحقيقتي.. كما نسقيها، بما

لديّ الآن 'ONEPIECE'

- وماذا لديك؟

- أمان، تقدير، صدق، مسؤولية.. هل سببت، ثم...

عسست ربيم:

- ثم ماذا؟

- ثمّ ما هو الحبّ؟ ألا يمكن أن يكون بناح كلّ هذا مجتمعا؟ لماذا

نحصر بين العواطف في فؤالب هولودته بمطنة؟ تلك صورة تحارّية

للحبّ.. كسراب للاحقه ولا تحطى به أبدا.. كأنّه مأساة أو لا تكون! هل

يجب أن تشغل الفضّة على فراق وألم وأهات مسودة وعواطف ملتهمة

حتّى تكون العلافة حقيقتي؟ لماذا لا تكون طعانية وسكية واستجاما

ومودة؟

مطّت ربيم شفتيها وقالت في تهكم:

- أطروحتك الجديدة؟ لا بأس بها!

- دعكّ مي.. أمل أن أراك عروسا قريبا.. إلى حوار من بقدرك حقّ قدرك

ويشعرك بالأمان.

رمعها بطرة طويلة حابية، مثل أم توى إلى عرس انتها، ثم أضاف  
ترد سخرتها:

- لا بأس إن لم يكن حنا من الطرة الأولى.. أو تصحبه وشعاء بخاريس  
من أحلة العالم.

صحتنا معا بصفا، كانتا محلقتي، وكأنا نقتلان أحلافهما  
نعاقدان. أمسك باسم بكف صديقتها وسبك أصابعهما ثم قالت  
بوجه حادة:

- رانا.. كوي رقصه بها.

- لماذا حن على دكها؟ كنت في مزاج جيد.

- إنها مراهمة، وعندك.. نحتاج منك رسم للاهتمام. فإن لم  
تعمل، فإنها ستحب عمة من مصدر آخر.

سرحنت رسم لتحطات مفكرة. هل نحت راسا عن الاهتمام عند  
شهاب.. وعند باسم؟ تعرت من كليهما لأنها لم تحد منها انتهاها  
كافيا، أيعمل؟

قال بدافع عن نفسها:

- أرى أنها تحاول أن تكسب كل شيء هو لي.. صداقاني وعلاقي، وحتى  
ملاسي! أرأيت كيف أفسدت يومي معقدة؟

- إنها ترى العالم من حلالك. رسم هي الأفضل.. دوقها هو الأسمى،  
ونحاحها هو الأنهى، وأصداؤها حديرون بالاهتمام! إنها تحاول أن  
تكون مثلك، وإذ إنها لا تفلح، فسعى إلى شد اساهك إليها حاولي  
مصادفها، لا مرافقتها.. ما لم تحريره بالفسرة، سيكون طوع بك  
بالنسى.. أنا واثقه!

ألم رسم سره مهكمه:

- أي نصائح أخيرة، دكتورة ياسمين؟

فأطعها رنين هاتف ياسمين. كان هيثم.

- أنت جاهزة؟ نحن بالأفضل.

- دقيقتان!

هتفت على الفور ثم هتت من مجلسها. لقد سرفهنا الحدث وسبنا  
نفسهما. وقعت أمام المرأة، مسدت بشرة وجهها بليفة من الكريم  
المرتبب، ثم سوت حجابها الشيمون الأبيض بإحكام، ووضع على  
رأسها قلحا صغيرا من اللؤلؤ الأبيض. ساعدها رسم على شفت طرحة  
الرفاق الزرقعة وهي تقول في نهكم:

- لم أرى حجاب عروسا يهر في دهبين! هينا لك ما همم يا ابن  
رهور!



...

وصل الموكب حتى قايمة الاحتفالات الفخمة. رلت باسمين دون  
منشفة، علفت ذراعها بذراع واندها، ثم سارت بحولته محفوفة بالأهل  
والأصدقاء، وقد أسدل الطرحة على وجهها. كان هينم وأهله قد  
سقوهم بالذحول، واحمل معظم المدعوين أماكنهم على الموائد  
المستديرة.

اسفلتها الوصيفات بصنابهن الزهرية الممطرة المتطافعة، وهتأن لها  
موطيا في صدر القاعة الذي نُصف عليه لوحة من الباليونات البيضاء  
والوردية، وبدلت فوق رأسها أنطرطة من الزهور الطارحة. مال عليها  
هينم وهمس حين وقعت بمحاداته:

- ندين أقصر اليوم!

حدحنه بظرة مسناءة، فمضت ثانية:

- ابتسمي.. حتى لا يُقال عروس مُجبرة!

فأفلتت الضحكة غصبا عنها.

في الحلقة، كانت فرقة أوركسترا تعزف مقطوعات من الموسيقى  
الكلاسيكية الهادئة لبيوان، تحللها بعمان فاسون وكمحة حادة بين

## الفينة والأخرى.

نحزكت برفقة هينم ليلقي التحية على ضاعلي بصع طاولات.. كان هناك الكثير من العرباء بالنسبة إليها. بالإضافة إلى صيوف والدها، كان هناك ثلاثة هينم وأصدقاء عائلته ومعارف فاطمة القدامى. كانت ترى أحوبها سارة ورتان للمرة الأولى منذ طلاق والدها وإيلس. حَزَ في نفسها اعتذار إيلس عن الحضور. لكنها تفهمت رعبها في عدم التواجد بنفس المضاء مع الزحل الذي سبَّب في معلولتها الاسحار.

أقرب والدها وبرفقة رمرة من أصدقائه، فذهبهم إليها، البروفيسور (...) والبروفيسور (...) وبروفيسور آخر. ثم أثار إلى استنك في حرج.. الذكورة باسمي! همزوا جميعاً رؤوسهم في استجسار.

فجأة، احتفت الخنفقة الموسيقية الكلاسيكية بحازي الأوركسترا، وارتفعت أصواتهم ليلقي وعناء عربي! استأذن سامي من صوفه في حرج، ثم هروا إلى مضمة الموسيقيين وهو يستنظ عصا. حذق في فرقة العناء التقليدي بأربانها العربية داب الألوان الوطنية النوسنة الحمراء والبصاء، ودفعوها الرئاسة، وقد ارتفعت أصواتها بالمديح التسوي، وهشف في اسبباء:

- ما هذا؟ من أين حنم؟ من أسم؟

أقرب صهره عبد الحميد ورتت على دراعه مهذبات:

- هل كل شيء على ما يرام؟

- أين ذهب الموسيقيون؟ ماذا حصل لها؟

- مفاجأة، أليس كذلك؟ بعض معارفنا لديه فرقة «سلامية» نوسية، وقد رأيت أن أحيي الأمسية.. إنها أفضل من الموسيقي الكلاسيكية الكتيبة!

أمسك سامي رأسه وتأنوه في ألم.

- هل أنت بخير؟



- «سلامية» في باريس؟ تريدون قتلي حتما!

غير بعيد عنه، كانت نانسا تصفق في حذل وهي تهرز رأسها مع ضربات الدف. التفتت إليه وقالت:

- الموسيقى التونسية رائعة! يجب أن نرور تونس يوماً.. تعجبني هذه التفاصيل الفولكلورية المدهشة!

ضحكت فاطمة في سعادته، ثم قالت وهي تشير إلى بادل الخدمة الذي أحل بوزع أطباق العشاء:

- والله الطعام!

فتعرق الجميع للعبوة إلى معايدهم. هذا الحلقه لعشر الوقت، وأقبل الضيوف على الطعام.

كان العشاء على الكليسيه الفرنسي الأصل. كانت القاعدة الكلاسيكية أن تشمل القائمة على ثلاثة أطباق: مقبلات و طبق رئيسي وحلوى. قُدمت أولاً أطباق المخابز والسلطعون مرفعة سلطنة الحصار المطعنة بالبود، ثم جاء الطبق الرئيسى.. قطع طرية من لحم حاصرة البحر، ترافقها صلصة الفلفل الأسود والعطر الرقي المشوي بالإضافة إلى قطع البطاطس المحمرة.

بعد العشاء، نوافد المدعوون واحدا إثر الآخر، لتهنئة العروسين. جاءت ريم، تلتقط ذراع شهاب. تبادل النابتان دردشة خفيفة، ثم همست باسمين في أذن ريم:

- يبدو لي ماسا حذا.. لا تدعبه نفلت!

انسمت ريم في حرج. كانت كلماتها قل سوبعاب ما نزال برن في رأسها في إلحاح. رفقت شهاب في صمت وقد اندمج في حديث حاسي مع هينم. لعلها تكون على حق. لعلها إن هي نحلب عنه تدمر بعد ذلك إلى الأبد.

في تلك اللحظة، اقترب عمر من الحلقة. كان قد وصل للتو. صافح الزحليين وهنأ العروسين، ثم حبأها بإيماءه عابرة، قبل أن يعمس في

حديث تصلها منه تنف متقطعة.

كان المشهد أمامها عر واقعي بشكل مريب. بنقاطع الماضي مع  
المنفصل في لحظة سريالية. تتجلى نفسها بفسنان القوس. في أحلامها  
كانت ترى عطر دوما في بدلة سوداء، نفث إلى حوارها.. لكن ذلك لا يبدو  
مطابقا للذهن: لأن. تتلون الرؤية ونهت الصورة، ثم تبس من حديث  
وفد يحدث بفصلها. يرى نفسها تدفع لا إرادتها، تتعق مدرع رجلها  
الذي يولها ظهره.. بسيدر، في حركة بطيئة، لتظهر ملامح شهاب،  
فيادان اسماه عديه. هذا ما يجب أن يكون.



أين حلفت؟  
انتمت وهي تطالع باسمي بعين مألوفة  
- أظنك محقة. سأقبل عرضي شهاب!  
- تفعلين، حقا؟

هزت رأسها في حماس. تلقي نظره أخرى على الرجلين الواقفين حسا إلى  
حسب، فتدرك أن كفة برجح.. إنها تريد أملا وبقدرا وصدقا ومسؤولية!  
تلك التوليفة العجيبة التي تصنع «الحب» حسب نظرتة باسمي!

عاشها باسمين بحرارة، فدمعت عسا ريم. تصدر الإنارة التي يعرو  
وحداها، بملئها توتر رهيب. الارتباط ليس أمرا سيرا. لقد لنت يؤمل  
لأنها تحسني معاهة الحمته. والآن هذا القرار الذي أتحدثه في لحظة  
حل بادره، يفتح فوق رأسها شلال مشكلات لا حصر لها ولا عذ!

سارت إلى طاولها برفقة شهاب، وهي تشعر بالدعر بسببها. ما  
الذي سنفعله بشأن عملها؟ وبرنامج الحفلة الكاملة؟ قريبا تنتهي عنه  
شهاب، وسببطر إلى العوده إلى مصر.. وهي لا تقدر على ترك حياتها  
لمرافقة.

جلسا في صمت، وبدت على شهاب الكأنة. كان قد عاهد نفسه ألا  
يصعط عليها، لكن الوقت يمضي سريعا. خلال شهرين، تنتهي رحلته  
الباريسية، وهو كان يمتي نفسه بإحراز تقدم بشأن علاقتهما. لاحظ

اصطراها. كان قد لمح مد حين ذلك السات، موكلها القديم الذي  
ظهر برفقتها في الحوار التلمزي. هل يكون هو مصدر نوثرها؟ كان يدرك  
وجود مشاعر ما بينهما، رغم كتملها أمامه، وإنكارها على الناشئة! لكن  
حدثه بحرية فأق الفضة وحدها لم تكن لنوثر بها إلى تلك الصورة التي  
عرفها عليها مد سنين ونصف.

قال بلهجة حربية:

- ألا يوحى لك الأحواء، بني،

تعلمت نظارها بالخاتم الماسي في بصرها، وأدركت لغاتها في نوثر. إن  
هذا التسارع المحسوس. الأحداث لم يحط لها قط حين استنقظت  
صباحا. أحدها نفسا عبقا ثم قالت:

- لا أريد الرجوع إلى مصر الدنيا  
- ماذا تقصدين؟

- جاني ها: عملي، والبرامح اللعربي وعلاقي وصدافاني.. لا أريد  
النحلي عنها.

رد في فتور:

- أفهم ذلك.

- هل نعتقد أن ارتباطا سيكون ممكنا في ظل هذه الظروف؟

- لم أعد أفهم!

أخذت نفسا حديدا وقد استهلكت كل هواء رتبها لتقول تلك الكلمات:

- شهاب.. أريد الاحتفاظ بهذا الحاسم.. لكنني لا أعرف، كيف أوفقي بين  
هذه الرغبة وكل الأشياء المهمة الأخرى في حياتي!

كانت ترتحف. أمسك شهاب براحتيها بين كفيه مطمئنا، ثم قال وعيابه  
تألقان بوميض الفرح:

- سنجد حلا لكل شيء.. هوّني عليك!

سحبت كفها ومسحت عرات نائرت على وحسبها وهي تهمس في

اضطراب:

- لا أدري ما الذي حلّ بي! هل الزّواج معي؟

ضحك سهاب ثم قال مداعما:

- لم أسمع عن حقّ الزّواج من قبل.. لكنني لا أمانع العاطف القدوي!

ظهرت راسا فحاده أمام وجهها وهي تنادي في حماس:

- هيا بنا.. صورة الوصاف!

كانت راسا تبدو مهمكة عند الضاح ومستهذبة بالمسؤوليات التي  
أسندت إليها من تزويج الجماعة وسبق للزّهور حتى أنها لم تفكر في  
مصافقة ريم أو لطف لي على مائدتها ونحوها.

انصاعت لريم دون اعتراض. وقفت إلى حوار باسمين برفقه راسا،  
واصطفب منها وصيكة من العجائب الأخر. ملحت راسا كل واحدة مهرّ  
إكبل زهور توحس به رؤوسهم، ثم البسط المصوّر الضورة الجماعة..  
أربع وردات زهرته تتوسطهنّ حاضيه بضاء.

همست ريم في أذن باسمين:

- لقد أحرته! أشعر بأنّ حراريّ ارتفعت، ومعدني متقلّبة.. أودّ الفرار من

هنا. لن نعصي ميّ، أليس كذلك؟

- ما الذي حصل؟ هل تشاحربعا؟

- لم بفعل.. لكنني حائفه.. مربعة!

- هذّبي من روعك.. أمامك الوقت الكافي لترتب أمورك كلّها.

تنقّبت بعيني، ثمّ قالت يهدوء:

- أنت على حقّ. لن سرّوح في العد.. أمامنا شهران حتى انتهاء العنه..

يا إلهي، شهران فقط!

ضحكت باسمين ثمّ همست:

- أنت مصطربه. اهدي قليلا.. إنّ عدا لماطره قريب!

عبر بعيد عهدها، كان هينم بطالع عمر في عاب ويسفر:

- ما الذي أحرك؟ لقد فوتّ وجبة العشاء!

ابتسم عمر وقال معتذرا:

- لقد عدت الآن من بروكسيل!

- وماذا كتب بصع في بروكسيل؟

قال عمر باسمه صغرى:

- أفرغى إلى عائلته محطوبى!

أستعفت عما هنم في عدم بصدق وصف:

- أخفا!

لم يظهر على عمر علامات المرح. فرئت هجر عن دراعه موهنا.

- مارك يا أحر! الأمر جد إد.

في تلك اللحظة، ظهرت باسم في محال بصره، شوب الرقاف الأبيض والانتسامة الجدلة برنس محتاها. لم يسطع عمر استيعاب الرحمة الحاذة التي سرت في حسده حين وقعت عساه على وجهها. إنه برناح لهيتم، ويأنس لصحنه، لكنه كثيرا ما تناسى أنه خطيب باسمين، وروحها الآن، قياة المرو حاضنه. في تلك اللحظة، أبقر أن حضور حفل الرقاف لم يكن بالعكوه 'الحبده'!

قالت باسمين وهي تحطو بأنحاهما:

- دكمور عمر، شكرا لحضورك!

تدخل هينم لشرح:

- عمر كان في زيارة لأهل محطوبه في بروكسل.. لذلك تأخر في المحي..

هتف باسمين في فرحة حقيقة:

- تهانينا!

بقتل عمر التهاى من حبيده، ولارمه داك الضيق العرب المعكر للمزاج.

في مكان ما من لا وعيه، كانت حقيقته ارباطها ما زالت صائبة. حسب أن حضور رفاقها ورؤيتها بالفساتين الأبيض، سيجعله يواجه الحقيقة الفجة وينقلها.. وحال أنه قد حوّل اهتمامه إلى أنه بإخلاص. لكن في حسده مضطرب ذات إرادة حرة، لا تستجيب لرحله مهما شد لجأها في أعماقه، كانت ترتب نقايا فضة قديمة لم سحج في الخلاص منها بعد. وكانت تلك الأحاسيس العربية التي يكتشفها داخله بدهشة وبؤلمة في أن.

لقد كانت مياه العنبر وبحرل في لا وعيه بلبن العجينة الوادعة من حباته، والتي احببت إلى الأبد. كانت رؤيتها في كل مرة تذكره بحبه، وبما كان يمكن أن يكون، لكنه لم يكن. وقد كان من الصعب أن يخفها تلك الزمينة التي لا علاقة لها بها.

قال في اندفاع يحكم اتخذ في هذه بكل مصاحن:

- في الحقيقة، لقد حنت مودعا
- هتف هينم باستعراب:
- هل تعادر فرنسا؟
- مؤفيا. لدي بعض المشاغل.. سأعيب لصعة أشهر.
- قالت باسمين بلهجة دافئة:

◆ - رحلة موقفة!

فترتب الكلمات لترتب على قلبه.

في صمت، أضاف إلى قائمة حراجه التي يحتاج التعافي جرحا جديدا. لم يكر يدرك حتى تلك اللحظة أن فولاده المثلوم استمر نثر دما فاسدا. كان عليه أن يترق السُريرة بأسرع ما يمكن، ليفتح حاضن باصحين ويشت في الغصاء.

ظهرت ميساء وهتفت:

- حان وقت تقطيع الكعكة!

التفت الوصيفات والمفترسون من أفراد العائلة حول المائدة المركزية  
التي تحمل كعكة داب طواقي ثلاثة، معلّفة بحبيبة سكر بضاء، ونعلوها  
رهرات متفرقة متوافقة مع طابع الحفل وديكورانه. تحت وقع الزغاريد  
والعناء الحماسي، قطع باسمس وهنم الكعكة.. ثم شرعت رهزور في  
نوربعها على المدعّوين.

هنس هنم باسمس:

- خلال عشر دقائق.. بصرف!

أوصات في نفهم. عليهما الأحاق بالرحلة. هل هذا، بكم أن نرجع إلى  
الشقة لتعثر نايها. همت راسا:

- ألن نرمي البافه؟

نظرت باسمس إلى بافها ذات الورد الحبيب القاسية. كانت نوّد  
الاحتفاظ بها، لكن الثقاليد الضخيفة تقضي أن نمرّد «المضعل» إلى  
العروس التالية!

نحقت العنبات وبراحم في مرج وانفعال. هزّب ريم كتفيها في نرفع  
واسحت بعيدا عن التدافع. رافها باسمس وهي تنعد، ثم وأنهم  
طورها وعلى شفتيها انسامة منشفية. بعد العد الثارلي، ألفت البافه  
بأنحاه حاسي، بعيدا عن الزحام.

فرعب رسم، حين سقطت البافه فوق رؤسها صاخرة، وتلقّتها في دهول.  
- قال حسن.

همت فاطمة في أديها، في حين همت راسا في ابرعاج:

- بحر هيا! لماذا ألقيت البافه بعيدا؟

ابتسمت باسمين في اعتذار وقالت:

- أنا سيّئة في التسديد!

ثم غمزت ريم خفية.

أحببت باسمين روما.

كان هناك شيء ساحر بشأنها. كأنها متحف في الهواء الطلق، يعرض  
سحر قرون ماضية ينصوع في كل رفاق وكل ساحة. كان هدفهما يقع في  
قلب المدينة العنيفة، قرب «بارا فيجريا» (ساحة السدفة) وشارع «ال  
كورسوه» الذي يقطع مركز روما بشكل طولي، ويهتج واجهاته بالمحلات  
والمطاعم والمساكن الأثرية.

خرجنا صالحين نلمنن، بجوانب الشوارع المروحة معذبة.. حتى نوقفنا  
أمام نافورة «فونتين» الشهيرة باسمين من الحاجر الحجري فأبصرت  
نقودا معدنية ذات نقوش وألوان مختلفة مترسة في فاع النافورة.. الكثير  
منها. همس هبثم:

- هل لديك أمية؟

قالت باسمين صاحكة:

- أمتي أن أعود هنا لسلا، بشبكة صيد.. وأنتشل النقود التي ألغاهها  
المعقلون هنا. سأصبح نربة حنما.

قال هبثم بأسلوب فلسفي:

- ليسوا بالضرورة معقلين. هناك رمية للنافورة.

- ما هي؟

- الأمل! لا أحد يلقى نقودا لأن نافورة الأماني ستحققها. لكن لأنه يريد  
الاحتفاظ بالأمل.. يوما ما قد يصح حشفة والعص الآخر يعملها  
للتسليه.. من باب احترام قواعد اللعبة. أنت عند بريهي، برمبي عمله  
معدنية! أنت عند جسر الفنون، تضعين قفلا!



ابتسمت باسمين وقالت مداعبة:

- هل لديك أمنية إذن؟

أغمض هشم عيبيه ونظاها بالتفكير.

- أتمنى.. أن سحب نصف سنة من الأطفال!

- نصف سنة!

- أنا أحب العائلة الممتدة.. نعرض؟

لوت شفتها ولم تعلق.

- ألن تهمي شينا؟

- اممم.. أتمنى متزلاً كبيراً وحليفه واسعة تلهو بها نصف سنة من الأطفال!

ضحكا، ثم استأجرا المسير. صعدا «الذرح الإسباني» ثم استأجرا دراجات هوائية ليجوبا أبحاء حديفة «قبلا يورجيري».. وحبس استند بهما الجوع، دحلا محلّ يينزا، ثم تناولوا المثلحات الإيطالية الشهيرة والنيراميسو الأصلي بمداق القهوة.

في روما اكتشفت باسمين مشروب «الموكا المنلج». مريح من القهوة والشكولاتة وقطع الثلج المسحوفة، نعلوها طمعة حلوة من «الشانبي». سبصح على الفور مشروبها المفضل.. ومهما حاولت فيما بعد أن تستعيد مداق الموكا إثر عودتها إلى باريس، فإنها لم تفلح. كان كوبها الأول ذا طعم لا يباهي وسنظلّ نتعلّل حلاوته وطلاوته على لسانها كما تتمثل السعادة التي حلفت على حمايتها في تلك الأيام.

لمحت عربات مرحرفة نحرّها الحبول، وبتحفّ حولها السباح في «ساحة إسبانيا»، فهضمت لهيئتم:

- أنا متعبة، هل نركب حتّى الفندق؟

بدت فكرة مسلية، فاقترب هينم من الحودّي ليستفسر عن سعر

الحولة، فقال ولكنه الإيطالية المميّزة:

- متان وخمسون يورو!

شهقت باسمي، ثمّ سحبت هبثم من دراعه لبتعدا، وهنعت:

- أيا بحير.. بمكني العني!

صحت هبثم طويلا، ثمّ قال:

- أعدك، سعود إلى روما.. حين يصبح لدينا نصف دسنة من الأبطال، وبركب عربة الحبول!

في العد، رارا صاحب الفائكان وحديقته العربية، ثمّ لفتني ساحة كاندراينة القديس بطرس. كان المصّي المشتبك شكل دائري يحدّ الساحة من ثلاث جهات، بينما توسعها رؤية روما على الجهة الرابعة.. بلدان مستغلان نفضل بينهما حاجة مفتوحة.

كان الرّحام شديدا على أبواب الكاندراينة كما كان على كل المزارات السباحيّة التي وقعا عندها، والسّباح بصلقون في طوابير انتظار طويلة وملتوية نضدّ إلى منتصف السّاحة.

لحاة ناهى إلى سمعهما صراح باللغة الفرنسية. عند أحد المداخل، كان روحان فرنسيّان بسبّان بليلة ويرفعان عفيرنهما بصباح منشج. كان أمس المصّي قد صغهما من الولوح، بعد أكثر من ساعة أمصباها في الطابور. كانت السّيدة نرندي شوره قصيرة وقميصا بلا أكمام، بينما نعلس اللّافئات الموثونة حول السّاحة أن ريارة دور العبادة تقصي زبّا محتشما.

ابتعدا عن المدخل مضطرين، وعدّدا عليهما استياء شديد، وحبسما كاتا بعمران السّاحة، افتربا من حيث يقف هبثم وباسمي، ورفع الرّجل ذراعاه ليزمجر متبرّما:

- بسمحون للإرهابيين بالدّحول وبطردوسا؟ يا لهذا التحلف!

فقل أن ندرك باسمي ما بحصل، كان هبثم قد خطا أمام الرّجل دون

نردّد، حتّى سنّ طريقه. قال بلهجة صارمة:

- من تسمّي إرهابيا؟

صعق الرجل. طنّ كلماته العريسة التي أطلقها بلا حذر عصيّة على الفهم في العاصمة الإيطالية، ليجد هينم يحاط به بكلمة باريسية صريحة. وفقا وجهها لوجه، وقد بدا هينم متعوّفا على حصمه بسببه الرباطية وعضلائه المفتولة، وكانت قامته الشارعة التي نهيمر على محاطه قد رادت الوضع حرجا. كرّر على مسامحه السؤال بإصرار:

- ما الذي كنت تقوله للتوّ؟

أقرب رجل أمر من حرس الكاندرانية حين لمع المباحة على وشك الاشتعال وهتف:

- ما الذي يحصل هنا؟

كان الناس قد أخذوا يلتفتون بفضول ويلتفون حول المنحاصمين. تدخلت سائحة إيطالية في منتصف الحمسيات، كانت في الحوار منذ البداية وقالت:

- نعتهم بالإرهابيين.. لقد سمعته!

التفت رجل الأمن إلى الزوج العريسي وقال بحزم:

- هويتك سيدي!

أخرج السائح حوار سقره على مضض، في حين خاطب رجل الأمن هينم:

- هل تريد التقدّم شكوى من أجل الغدق؟

- بالتأكيد أريد.

- إذن تفضلوا معي جميعا إلى مركز الشرطة.

تدخلت الزوجة العريسة لتخاطب رجل الأمن في رحاء:

- لم يكن يقصد ذلك.. كان غاصا لأنّا مُنعنا من الدّحول.. لم يكن

ينوي سوءاً.

- هل يُريد الاعتذار إذن؟

هتف الرجل بسرعة:

- نعم بالتأكيد... اعتذرت!

لكنّ الزوجين كانا بحاطبان رجل الأمن طيلة الوقت، متحليين النظم إلى هينهم وباسمين، فالتفت رجل الأمن إلى هينهم، وقد بدا مصراً على تعليم الفرنسيين درساً:

- ما رأيك سيدي.. هل تفضل اعتذاره؟ في حال لم تفضل وسخّلنا المحصر، سنسجر لمدة ثمان وأربعين ساعة ويدفع ضريبة على الكلام الذي في مكان عام، بالوصول إلى القصر.

عندئذ أدرك الرجل أنّ الرجل قد غدا بيد هينهم، فاستدار لبواحه وقال بسرعة بدم:

- أنا أنسى حدّاً يا سيدي.. أقسم لك لم أكن أقصد الإساءة! نحن في زيارة قصيرة لروما ونهادر مساء غد.. لا يمكنك البقاء محبوساً.. أرحوك أفضل اعتذاري!

بدا على هينهم التفكير الحادّ، ثم استدار ليحاطب ياسمين:

- ما رأيك؟ هل يستحقّان العفو؟

- لا يستحقّان.. لكنّ الرحمة من أخلاقنا.. العفو عند المقدرة.

انسم هينهم ثم قال:

- مراعاة لظروف سمرك صصع عنك.. لكن راعى لسانك في المرة القادمة.

- بالتأكيد سأفعل!

أعاد رجل الأمن حوار السفر إلى الفرنسيين، فهروا متعدين وهما لا يكادان بصدفان بحانهما.. بينما صافح رجل الأمن هينهم باحترام وقال

بانتسامة صافية:

- أهلا بك سيدي.. أتني لكما يوما سعيدا.

بيما بمصبار في سيلهما، أحدث باسمين تحديق في هينم بانتسامة  
معجبة، لقد تالعت المشهد كله في دهول. كان رد فعله سريعا، صارما  
ووالقا. وحس اسذار لبطل رأيتها، أحست بأنها قد نالت في مركز قوّة  
فكرت بأنها لم تشعر قط بالأمان كما تشعر في تلك اللحظة، وهو  
يقصر على كفها ويحمر الساحة عاندين باتجاه روما. قال منترما:

- الفرنسيون بلا حقوتنا بمصرتهم! ألا يمكن أن نستعج بعطلة هادئة؟

التفت ليحدها ما نزال نحديق فيه ونعمرها بمنزلة عن انتسامة واسعة.  
انسم بدوره وقال مداعبا:

- هل أعحك العرص؟  
هزت رأسها بقوة وحماسة، فأردى:

- نفعل شجارا آخر إذن؟

ضحكت هذه المرة ثم قالت:

- لو لم تكن معي، لما عرفت كيف أنصري.. كنت لأبتعد في صمت،  
أعزل ما يؤذيني ولا أريد الفعل.. لأطلّ أحرّ مرارة الموقف بقية اليوم،  
أصّر على أسابي وأكبل اللعنان في داخلي، فتتراكم الطاقة السلبية لكبي  
سعيدة اليوم، لأنك كنت موجودا، وواجهت الموقف ولم يحصل شيء  
من هذا.. سأمضي بقية اليوم أسترحع الموقف، فأضحك في متعة! هل  
ترى؟! الموقف دانه.. لكن السحرة ضاربة!

تهتت ثم أصافت:

- المسلم القويّ خير من المسلم الضعيف.. أنت خير مي!

ابتسم وهو يشدّ على كفها في حنو:

- وفي كلّ خير! أما وقد صرنا أنا وأنت واحدا.. فسكوبي قويّة مد الآن!

بعد أسوع في روما، حلقاً بأنحاء السديفة. لم يكن من الوارد أن  
برورا إيطاليا ولا بحطاً في مدينة العشاق! كانت السديفة مذهلة في ذلك  
الوقت من السنة. لم يكن منسوب الماء في الممرات المائية مرتفعاً حدّ  
المضان كما يكون في الشتاء، ولا منخفضاً حدّ الجفاف كما هو الحال في  
دروف الموسم الصيفي. شهر أكتوبر كان مثالي.

ركبا الماص المائي الذي يمر «الغابة الكسرة» المنعرجة عبر المدينة،  
برلاند ليقطعا مسافة على الأقدام عبر الأرقعة الصيفة صعوداً وهبوطاً  
ثمّ يمتطيان المركب محدداً في المحطة التالية.

أصبنا بعض الوقت في ساحة «سان ماركو» حيث يخرجني حمير كسول  
بنجول بين أقدام السباح فيهدسه حنواً مخائبة وسعاً، ثمّ صعدا إلى  
قمة المرج، لشرفاً على المدينة من الأعلى. كانت توهج السماء تلتقي  
بانعكاسها فوق سطح البحر عند الأفق، وبظهر أسف السابان الحمراء  
بالقرميد على مدّ البحر. وفيها هناك لرهة، في تأمل حالم، وحين  
أوشكت الشمس على الغروب، همس هينم:

- حان الوقت!

نزل الدّرج اللولبي على عجل، وسحبنا بأنحاء قاعة مائية حاسنة. أحد  
يفتّش بعينه، حتّى أبصر رتان «الحديد» معزلة. أشار إليه هينم،  
فتحرّك الرجل بصريّات من محدافه على سطح الماء.

- يريد جولة لصف ساعة، ويرجع عند الغروب.

- مائة يورو!

سحبته بإصبعين من دراعه وقالت في سخرية:

- هيا ما.. سمعت ذلك مع نصف دسنة من الأطفال!

ضحك هينم، ثمّ قال:

- ليس هذا.. هذه جولة لاثنتين فقط!

أمسك بكفّها وساعدها على الصّعود داخل «الحديد». بعد لحظات،

كان القارب الصيِّق ينساب عبر القنوات المائية الحفّة التي تتخلَّل أحياء  
المدينة القديمة، بمرّ تحت الجسور ويرلق بسلاسة، على وقع غناء  
الريّان الناعس بألحان إيطاليّة قديمة.

كانت ألوان الحياة قد أخذت تبهت، تكتسي حمرة الشَّفَق وتصدو  
درجات بين الرنصالي والأسود. بينما يعكس الماء، تورد وجه السماء، كانت  
ملاحح يأسحب نعكس ألوانا من الأحاسيس. حفت الأصوات من حولها،  
ولم يعد يصلها عبر العناء العذب، وضربات المجداف، ووجيب قلبها،  
إلى حوارها، بجلّس هينم، بطالعتها بانسامة رائحة الهواء المسائي  
يهب برفق ليطنر وشاحها، فعبده يحرس إلى وضعه الأصلي. قال بعد  
سكون طويل:

- هل أنت سعيدة؟

- أشعر كأي في حلم!

ضحك بحفّة، ثم قال:

- أيا أسف.. عليك الاستيقاظ الآن!

لامست حافة القارب رصيف الفساف، ففقد هينم الريّان أحره ثم  
ساعدتها على التزول. قال وهما بصيران بهدوء عبر الرّفاق الحالي:  
- أنت مستعدّة؟ عدا يعود إلى الحياة العاديّة.

سرحنت لرهة. حياة عاديّة؟ سيكون كلّ شيء مختلفا. لكنّها سننصح  
حباتها العاديّة منذ الآن. تناولوا عشاءهما الأخير في مطعم مطلّ على  
العاء المائية، ثمّ وضبا حقائبهما، واستعدّا للعودة.

سألها هينم وهما بأحدا من معديهما على من الطائفة المنحّهة إلى  
باريس:

- ما هي أجمل ذكرى لك من هذه الرّحلة؟

أجابت على الفور دون تردّد:

- الشَّجار أمام الكاتدرائية!

ضحك هيثم ملء شذقيه، ثم قال في عجب:

- حسنك ستقولن حولة «الحاندول» في السدقية! كم هو عجب أمر  
التساء! ما لذل الرجل من جهود لبيل رصاهر يدهت أذراع الزباج..  
وبجذن كل الرضا في العاقل السبطة!

أوهان مؤيدة:

- نحر أقل نعفدا مفا نحسب.. وعبر مطنات.

قال وهو بكثر عن أبيه:

- أمرك سبسط.. سنكر من الشجار إد!

...

دخلت أبة لحكم طلق الشاي كالعادة، وعلى ملامحها غطة لا تحبها.  
بعد رجل عمر عن بروكسيل، أنصل حالها عزام وأشاد بحاطها أشد  
الإشادة. اكملت أركان التوافق بعد الاستخارة والاستشارة. حب وصعت  
الطوق على المصدة، كان والدها يقول محاطا عمر:

- هل عرمت على السم إد؟

هر عمر رأسه موافقا وقال:

- أبي بعض الأشغال هنا وأسافر بإذن الله.

أوما العم محمد في اسحسان:

- والله لو كان بي شباب لادرت بالسم معك! حب جئا إلى باريس، كانت  
روحي -رحمها الله- حاملا في أبة، فلم أقدر على نركها وحيدة.. وبعد  
وفاتها، صارت أبة كل ديباي، وأنا كل عائلتها.. فلم أعارفها أبدا. مات  
الأوان الآن!

نتم عمر بدعاء الرحمه ثم انه إلى أبة التي كانت قد اتخذت  
مجلسها فبالنه. قام والدها مثل كل مرة، ليسمح لهما بحوار حاض. لم



يستمرّ الضمت سوى لحظات، قبل أن نادر أبة بانسراج:

- قال حالي أنك احترت الاحضار سحاح!

ابتسم بدوره، ثمّ قال:

- لعلّ الاحضار كان فكرة جديدة.

كان كلّ شيء بدعوه إلى الزحيل مؤخرًا. لقد نائب باريس حافه ومرهقه، وهو كان يحاحه إلى تلك الشجرة بعيدا عن مصادر حبه. ولعلّه بعد ذلك يقرّر هجرة دائمة عن فرنسا. لعلّ أوان الانها، من تلك المرحلة في حياته قد حار. لعلّ بداية جديدة تنتظره في مكان ما كسر أرض الله الواسعة. ففكر أنّ بروكسل جبار ملانم.. حين يربط وثيق بشكل رسمي سيحذنها عفا يروده من حواطر.

- ستسافر إذن؟

أوما برأسه نثر سألها:

- هل توصيني شيء من دمشق؟

ابتسمت وهي تطرف في حفر وهمت:

- سلامك.

لم تكن منحقرة كعادتها، ربيعة درع الحرم في وجهه مسددة سهام الحكمة إلى صدره. نذب أكثر أنوثه واستكاته، وقد راق له ذلك الحاب منها. تناولت كيسا فماشيا كانت تحببه وراء ظهرها، ووضعت على المائدة أمامه.

- هذه ذكرى متى.. لعلّها تراخى في رحلتك.

نسّلت إليه الرقة الناعمة في صونها، فاستعدت تلك اللحظات الهائلة. مذّكه ليتلفظ الهدية، فكّ الشريط برفق وفتح الكيس.. لتملأ رائحة رقيقة أنه. سحب من داخله علبة محببة حمراء، يستقرّ في حوفها مصحف صغير بتصوّع يعطر الورد الذي يملأ بلانه المحففة الكيس. طالع الهدية في دهنه وإعجاب. كان احضارها موقفا، بجمع في طبانه

دفع، المودة ورصانة الحد الذي نعوّده منها.

أعاد العلة إلى كبسها، ولم تعارق الانسامة المعحة شفتيه. فُكر في  
حل بأنّه لم يحظر سأل إحصار ذكرى مه ترافقها في غيابه. ربّما كان  
أحرق في محال الخلافات، بحوض للمرة الأولى عمار الانساط الحاد بأنّي،  
ولم يحلمه أحد أن الهدايا الخصبّة سد من سودها، كان بأنّي محمّلاً  
بأكياس الفواكه وعلب الحنويات، لكنّه لم يأت قطّ بنق، حاض من  
أجلها. قال باهتمام وهو يربو إليها:

- أيّ الأشياء أحب إليك؟

قالت بنفاسيّة:

- الزهور!

فأحاه ردهم ولم يسمع. علّقها نحنى أن تنقل بالطلب إن هي صارحه  
بما نحت. حاول الالتفات حول المسألة، فقال:

- أيّ الألوان تفضّلين؟

- الزهري!

ضحك من إصرارها على اللفظ دانه، فصحكت بدورها. نطقه إحساس  
بالألمة وهو يسمع صحنها لأول مرّة. شعر بأنّه مستعدّ الآن لعمور  
الوادي الذي يقفان على صفاة، كلّ من جهة.

سبوسع لها محالا في قلبه، وسبحط ذكرها كَلَمّا وقعت عساه على  
مصحبها.

وقف عمر عند شتاك التّسجيل في مطار باريس «شارل دو غول». كانت رحلة ليلته تأخّده إلى إسطنبول على متن طائرة الخطوط الفرنسيّة، ومنها يحلّو ثانية إلى دمشق. لم يحمل من الضّاع عبر حفيضة طهر جلّده حوت عددا قليلا من الفصصا وخطالين من الحبر، بالإضافة إلى أدوات الحقام الأساسيّة ومجموعة كتب. لم يمس أن يمدّ يده بحقيبة مصحّفه ذا العلبة المحملّة الحمراء وكيس الورود المحفّزة!

سَلِمَ الموقّعة حوار سفره وتذكره، ففكرت على الحمار الهامها قبل أن تعيد إليه وتأنّقه بلهنيامة،

ONE FILE

- رحلة سعيدة!

اتّصل بعزام مند أيام لترتيب وصوله. سيكون هناك شات من معارفه في انتظاره في المطار، ليرافقه إلى مكان إقامته في الفترة المقبلة. لم يكن واثقا من مدّة المكوث المتوقّعة. عزام اقترح شهرا كحدّ أدنى.. لكنّه لن يتعخّل في الحكم. إن رافقه التّحربة فسيطيل البقاء، وإلاّ بوسعه الزّحوع على عفيه وفنما بشاء.

—•••—

صارت الشّقة هادئة على غير عادتها. تناقص عدد المنسكبين فحاة. بعد أن نراحمت الأسرة في العرف الصّيفة واحتلّطت أناسهم في لبالي سمر مائعة، تفرّقت السّبل وتناعدت المسافحات.

بعد رعايف باسمين، انتقلت فاطمة إلى صياغة رهور. تسليان معا في انتظار عودة العريسين من رحلتهم. وكلّ حميس، كانت ريم تقصد محطة البثّ التلفزيوني بعد ساعات عطّلها في مكتب المحاسبة، من أجل الحلقة المباشرة له الحفيضة الكاملة.

جلست سكية وحيدة أمام الشائفة. ترتقب في لؤلؤ. كانت رانيا ما تزال  
مصنوعة من الحبوب منذ حادثة تخلفها عن القطار الأخير. لكنها أثرت  
الأسوء في العرفة. على أذنيها سماعاتها وهي غائبة في عالمها الضاحك  
أثناء الفاصل الإعلاني. بين هاتف سكية. كانت إليمر. قالت في حملي.

كوب حاره. الشجيرة. بك بعد حين.

تعبت عما سكية الشائفة وهم. طبع منها القلق ملحه. ارتفع ثقافها  
وحقيق صدورها. صارت الأمر الصمد فتاحتها قما امتد بها الحزم. مثل  
تويات فلم لا تقدر على الشطرة عليها.

ظهرت شارة البرنامج (أحمر) ثم مايلد زويرو. تعلق من المفرة العفلة.  
دمعت عما سكية حين رأت وجهها على الشجار أحمر. لم يكن الشجيرة  
كاملاً. عمل هم مقبض الصوت. عمله ليغدو حصار. لكن القصة ما  
رأيت مؤثرة ومهومة. ثم ملأت الشائفة الصورة التقريرة التي ظلمت  
رسم من إسم مغترف الجارها.

- ذلك الولد.. لقد رأيت في مكتبة الجامعة

استدارت سكية بحة حين وصلها صوت رانيا. كانت تقف في المطبخ.  
حضر نفسها وحة حقيقة. لم تكن السماعيات تفارق أذنيها. لكنها  
رفعت بصرها لوهلة لحظ على الصورة المعروضة على التلفاز. قالت  
عك الكلمات. بساطة. ثم سحبت قدميها في كسل. لتعود إلى العرفة..  
بينما لسقرت سكية مكانها غير مستوعبة.

هل قالت رانيا ما عنت أنها قالت؟

لحقت بها وهي تصارع فصر نفسها يتشوش رؤيتها بفصل الدمع.  
وقفت تلثت عند الباب. أشارت إليها حتى توقف تدفق الموسيقى إلى  
أذنيها. ثم همهمت:

سمعت لقوس سبلا. عن الصورة التي عرصها البرنامج.

أومات رانيا. ثم قالت في نزق:

- لقد رأيت الصورة مع ريم فمل سفرها.. ثم طهر ذلك الشات في مكتبة الجامعة.. كان شيها للعابة بالصورة، لكن حين تحدثت إليه أنكر أن يكون معينا بالأمر! حسنه محرّد شه.. لكن حين رأيت الصورة مرة ثانية، جدا في الضبه أكيدا. أكاد أحرم بأنّه هو...

وصعدت سكة كقها على صدرها، وانهارت على طرف التبرير، وهي نهس:

- آه، حاسر.. يا ولدي!

ثم نهطل دمعها بقرارة.

بهنت رابا. لم تكن تلك لاضطراب سكة سببا. اقتربت لحنصها في ارتباك.

- ما الأمر؟ لماذا يهز الان؟

ثم أضافت في شك:

- هل تعرفين الولد؟

- ولدي.. فقدته منذ أربعة عشر عاما!

حين رجعت ريم من المحطة الثمورية، ألعت رابا وسكة تحلسان في اسحام على الأريكة. كانت سكة قد قضت على مسامعها تفاصيل فضنها المؤلمة، فأصنعت رابا في انبها وتأثر.. ثم حدثها عن لفاتها القصير بالشات المتوقع أنه حاسر. حاولت تدكر أدب التفاصيل: شكله، ثيابه، طريقة حديثه.. لم نعمل شيئا. وكانت سكة تشخها بأسئلة دفيقة وهرات مسنمة من رأسها وألقى في عبيها. سبدا رحلة البحث عدا صاحبا. توافق رابا إلى الجامعة، وتضفيان معا أثر الولد المفقود.

استقبلت سكة ريم بعناق حار. هتفت:

- أظننا وجدناه!

اتسعت عينا ريم في دهشة. لم تحسب أن ست الترحيل قد يؤي أكله بتلك السرعة.

- هل اتصل أحد؟

- لا، لم يتصل أحد. لكن رابا تعرفت إليه. لقد لمحنته في مكتبة جامعتها!

احسرت الهبة عن ملامح ربيم. إنها تعرف شفيتها، تفعل أي شيء لتكون محط الاهتمام. لن نستغرب على الإطلاق أن ندعي رؤيتها للشباب مجرد لعب دور الطويلة لأبم.. ثم لن يكلفها الأمر أكثر من اعتبار عابر. «لقد أخطأت، حسنته هو!..» لذلك لم تقدر أن تشارك سكية فرحتها. قالت في نبرة:

- الزم وحده ليس دليلاً كافياً.. إنها مجرد صورة تقريبية. علينا التأكد من تاريخ الشيء... و...



قاطعتها رابا مصفاً:

- سنعثر عليه أولاً، ثم نتأكد من التفاصيل.

...

استيقظت رابا وسكية مكرنين. جهزنا نسخاً عدة من الصورة التي بحورة ربيم وأنجحتنا إلى الجامعة. وقفنا عند بوابة الدخول، وأحدنا تعرضنا الصورة على الطلبة المارين بهما:

- هل نعرف هذا الشاب؟ هل رأيت في الجامعة؟

يتدفق الطلاب من الموانئ، يهتف بعضهم بالصورة قبلني بظرة عابرة ثم يستمر في طريقه، ويحاطلها آخرون ويعرضون. بعد ساعات من اللهمة والنشاط، حلت الساحة من الرواد بقرى، انصرف كل منهم إلى درسه، نادلت رابا وسكية بظرة محطمة، ثم هتفت رابا في نصميم:

- فلنذهب إلى إدارة الجامعة!

وقفنا أمام موطمة الإدارة بعد أن شرحت سكية طلبها. حذفت السبدة في الصورة لرهة ثم قالت بلهجة حافة:

- لا يمكن التعرف على طالب في الجامعة من خلال صورة! يمكن البحث

في الملفات باسم العائلة والاسم الشخصي...

- جزي جاسر الخطيب!

بحثت الموظفة على جهازها لصنع نواب نمر أعلنت:

- لا يوجد!

فكرت سكتة لرهة، نمر فالت:

- اسم العائلة التي نزعاه «لاكروا».. حزني «حاسر لاكروا».

مرّة أخرى، عكفت المرأة تُسائل ملفاتها.

- لا يوجد!

- هل هناك أسماء أخرى من عائلة «لاكروا»؟

- هذا اسم دارح، أمامي انبار وأربعون طالبا اسم عائلتهم «لاكروا»!

- هل يمكنك الحصول على القائمة؟

ردّت بصراحة:

- لا!

غادرنا إدارة الجامعة وهما نشعران بالإحباط. لم يسفر بحثهما عن

نتيجة تذكر. هتفت رابيا على حين عثرة:

- المكتبة! نرفقي هيا.. سألقي نظرة.

صعدت رابيا الدّرج اللّولبي حتى قاعة المكتبة الفسيحة. حابت

بظرائرها بين الطاولات التي كان معظمها خاليا في ذلك الوقت من النهار.

مرت بين أروقة الكتب مرتين، ثمّ عادت أدراجها حائبة. وفعت عند

موظفة الاستقبال وسألتها بالإنجليزية:

- «حاسر لاكروا».. هل جاء اليوم إلى المكتبة؟

نرددت الموظفة لحظة، نمر ألفت نظرة على ملف التسجيل:

- لم يحضر طالب بهذا الاسم.

رفرت في وحوم، ثم التحفت بسكينة في الساحة. لم نحنج سكينة إلى سؤالها. كانت ملامحها نطق بخبتها.

- تعلّق العلفات على بوابة الجامعة.. ربما براها أحد ويتصل!

أومان سكية في استسلام، ثم تعاوتنا على قبت الرسوم على الحدار. كان الأمل مساء أمس في أعلى درجاته. نامت وهي تهدد حلم لثائه قريباً، وسكنت عراب حري وهي تحبّل منهذ أحده في حصنها بعد عقد ونصف من الحرمان. لكنها نصطدم بصخرة الواقع، وهي سحر في حطوانها راحعة إلى الشفة بحقي حبيبه في رمل صبرها صيفة.

..

لم تسمن ريم تلك الكلمات «الم أكل لك؟». لكن قسمانها كانت نطى بها، وهي تواسي سكية، ونطضها إلى أن كنت التلوي سبؤي أكله حتماً، وهو أوسع تأثراً من الوقوف عند بوابة الجامعة.

حدثتها رانيا بنظرة عاصفة. كانت تدرك أن ريم تسحق بها ولا تؤمن بقدرتها على المساعدة. لكنها قالت في ثقة:

- سظهر مرة أخرى.. لن يخني هكذا! سحاول مرة أخرى عدا.

حين استيقظت صباحاً، كانت ريم ما نزال نائمة. تسألني إلى عرفة سكينة، بعد أن طرقت الباب بحقة. كانت ما نزال في سريرها. لامست كتفها برفق وهمست:

- هل نودين أن نعيد الكرة اليوم؟

أنت سكينة ولم نستجب. هزتها بقوة أكبر وهي يقول في قلق:

- سكية.. أنت بحير؟

فتحنا سكينة عينا بعسر. كانت منعرفة، ونفسها مضطرب. هرولت رانيا في قلق إلى عرفة ريم. سحنها من سريرها وفد أوحنا ملامحها بالفرع.

- سكية.. لا تبدو بخير!



طار التعاس عن جفي ربيم، وهتت برففتها إلى العرفة الأخرى.  
احت فوفها نعايبها، ثم حركتها بلطف. كانت تلهث، وقد التهب  
وجهها حرارة، ونقطعت أنفاسها. هرولت ربيم لترندي ملاسها ثم  
عادت البهت.

- ساعدي!

تحركت الأحسان لنصعا عليها نبايها، ثم تعاونتا على حملها حتى  
الستارة.

- رانبا، ادهي إلى جامعك.. ساعدها إلى المنشع.

- ساني أيضا!

- وجودك لن يغير شيئا.. اهبطي تينا مقدا وهي إلى درك هتا!

عست رانبا وربيم شتتها في صبق، لكنها أظاعت على مصصر.  
أوصلتها ربيم حتى محطة المترو، ثم مصت إلى الطوارئ.

حين وصلت رانبا إلى الجامعة، كان أول ما لاحظته عياب الماصفات التي  
شتتها بالأمس على الحدار. كانت قد نرعت وألقبت في القمامة! رمحرت في  
عصب، وأخرجت ملصقات جديدة من حقيبتها. لن نترك البأس ينسلل  
إليها. شقرت عن ساعديها، وراحت تلصق الزسوم من جديد.

- ماذا نفعين هاك؟

فاحأها صوت علبط سرعان ما أصبح صاحبه قبالها. مزق رجل الأمس  
الورقة التي شتتها للنو، وهنف راحرا:

- مصوع الإعلان على جدار الجامعة! هتا أربليها كلها!

تملكها إحساس بالعحر. أحدث نزع الأوراق في صبق والعبرات تسافط  
على وحيتها في صمت. التفتت حين شعرت بعيسى تراقباها. حذفت في  
الوجه المألوف الذي وقف صاحبه على بعد أضرار قليلة، يتابع حركاتها  
في فضول.

- أنت!

كان شكلها محتلماً بغطاء الرأس المنهدل فوق شعرها. لكن حين واجهته، نعرى إلى ملامح الفتاة التي لقيها في المكتبة منذ أسابيع. استدار منعداً فركصت لتلحق به.

- أنت جاسر؟

قال برود:

- اسمي ليس جاسر!

- إذن اسم غائبك «لاكروا»؟

توقفت فجأة ووجدتها سطره حادة، نقر ستيف بيده دون أن يرد.

- إنّه كذلك.. أصبح الأمر أكيدا الآن!

كانت نحت الخطي حتمه وهو يمضي أمامها متسرعاً. كأنه يفر من حصارها. فمضت لتصل الطريق أمامه:

- فف، لتحدث!

تكلّمت بالإبحارية، فهي أكثر طلاقة بها عن الفرنسية، فقال هو بالفرنسية معقداً، بلهجة ساحرة:

- أحبري أحدهم أنّ فتاة عربية الأطوار بشر صوري عند بوابة الجامعة.. كان يحب أن أعرف أنّها أنت!

فالت رابياً في عصب:

- أمك نحت عمك!

- أمي في المرل.. وهي قطعاً لا نحت عني!

- تلك أمك بالسّي. أنحدث عن أمك الحقيقية!

رأت ملامحه تكهمز وحاحبه بتفاريان.

- ما هذا الهراء!

عاد إلى الصني بسرعة، فعادت لمساكنته.

- شاهد الحلقة الأخيرة من برنامج «الحقيقة الكاملة» وسنهم كل شيء!

لم يرد واستمر في المسير، حتى دخل محطة المترو. تبعته وهي تزداد غيظًا وحيرة.

- ألن تتوقف؟ أنا أكلّمك!

- وأنا لا أريد أن أكلّمك!

- ألن تشاهد الحلقة؟ أمك مريضة.. مريضة جدًا. وكل أملها في الحياة أن تراك مرة أخيرة!

لست يحدّق فيها في ارتباك. بدا مهتمًا للمرة الأولى بما تقول. لكنّه سرعان ما أشاح بوجهه في إعراص، وقد استيقظ بصورة الذي حيا لبرهة قصيرة. صقر المترو وهو يقرب من الرصيف، أدركت أنه سيرحل، وهي لا تملك الاستمرار في ملاحظته إلى مكانها. أخرجت واحدًا من الملصقات التي نملأ جهنمها، ووضعت بين يديها:

- إذا عثرت رايك، اتصل بأحد الأرقام المدونة على الإعلان!

نظر إلى الرسم المشابه لوجهه ضاملاً، وبدأ عليه التفكير. لو هلت حسنة سيّليس.. لكنّه ما لست أن كور الورقة بقسوة ورمائها على الأرض، قبل أن يقفز ليركب عبر بوابة المترو الضريعة.

نسّرت رايها مكانها في دهول، ثمّ أحدث نكي بمرارة.

\*\*\*

حين خطت داخل الشقة، كانت ربيم في المطبخ مهمكة في إعداد حساء الحضراوات. سألتها رايها في فتور:

- أين سكينة؟

- إنها نائمة.

- هل هي بخير؟

كان اهتمام رايها بأمر سكينة معاننا بالنسبة لربيم. تعرف شقيقها، إنها لا تهتمّ بشيء آخر عدا دانها الصغيرة! لكنّها أردفت في هدوء:

- لا ندرى بعد.

- ماذا قال الطبيب؟

- طلب أشقة للصدر وتحاليل مخبرية. حين تظهر النتائج سنعرف أكثر.

- ماذا عن الحرارة؟

- أخذت محصاً.. صارت أفضل الآن.

لم يكن داك الإلحاح ليمزّ مرّ الكرام بالنسبة إلى ربيم. رافقتها نظرة سائبة، ثروم العوص في أعوار نفسها. لكنّ رانيا حاجتها وهي تشبه إلى عرفة سكبّة:

- لديّ أحمار سعيدة، منشرها نحس!

نوكت ربيم ما بين بديها ولحفت بها إلى الداحل الكريست رانيا من سكبّة، وهممت بخفوت:

- سكبّة.. هل أصحت أفضل الآن؟

استقامت سكبّة واستوت حالسة في سريرها، وقالت بانسامة:

- أشعر بنحس.. أسفه لأنّي أفلتكمما علي!

هتفت رانيا في حماس:

- لديّ بشرى لك! لقد رأيت حاسر اليوم!

- حقاً؟ هل تحدّثت إليه؟

كانت ملامح سكبّة تتلوّن بالوان العرح، وعباها نشرغان بالأمل. أومأت رانيا وهي تواصل:

- طلبت منه أن يشاهد حلقة «الحقيقة الكاملة» حتّى يفهم الفضة.. تعلمين أنا لست جيّدة في العرسيّة.

- لا بأس يا عزيزتي، لا بأس.. هل حصلت على رقم هاتفه أو وسيلة اتصال به؟

تقلّصت ابتسامتها وهي تقول في اعتذار:

- كان متوجّساً.. لم يرد أن يصدّقني!

ثم أضافت مؤكّدة:

- لكن كلّ شيء سيختلف بعد أن يشاهد السكّ المحلّ.. أنا واثقة!

- أمل ذلك!

استحيت راساً بعد أن طعّنت سكبنة إلى اقتراب المرح. لم نطق ريم بحرف واحد. لننت نسمع إلى كلمات رابا والشكّ بتعاطف داخلها. ما إن خرجت حتّى لحقنها إلى عرفتهما المشتركة. قالت بحزم:

- ما الذي نخطّطين له؟

حدّثت فيها رابا مبهوثة:

- ماذا تقصدين؟

أحدث ريم فمها ثم قالت بحكمة:

- هذا الموضوع حسّاس للغاية بالنسبة إلى سكبنة.. لقد أفتت عمرها في البحث عن ولديها، فلا نعطيها أملاً كاذباً!

- أنا لا أفعل ذلك! لقد أحزننا بما جرى دون زيادة أو نقصان!

- هل نريد أن إقاعني بأنك في المرّة الأولى، رأيت حاسر «صدفة» في المكنسة.. ثمّ اليوم رأيت «صدفة» مرّة أخرى، رغم أنّك ويا للعجب

فد بحثت عنه بالأمس مع سكبنة وذهبتما إلى الإدارة والمكنسة ولم يتعرّف إليه أحد من الطّلاب؟ ثمّ اليوم، حين كانت سكبنة منعبة،

ظهر فجأة؟

صرحت رابا في انفعال:

- تلك هي الحقيقة! إن شئت صدّقت وإلا فلا تفعل!

نادلنا بطرات بارئة في عِباد، ولم تسأل إحداهنّ للأخرى. قالت ريم أخيراً بحدّة:

- يا ويلك متى إذا دخلت بعد يومين وقلت وأنت تمثّلين الأسف «لقد

حسبته هو، كان يشبهه!

- لن أفعل!

دارت ربحم على عفيها ورجعت إلى المطبخ بخطوات عاصفة، بسما  
لنت رأيا ساهمة. إنها تحاول أن تكون ناعمة ونفعل الخير لمرة واحدة  
في حياتها.. لكن شحها لا تصدقها!

جلست على حافة الترس، واسترحت منهد الشات وهو بحق  
ورقة الإعلان بين أصابعه ويلقي بها على الأرض. إن لم يصدقها ويشاهد  
البرنامج فصدق في سومة ربح!

عادت إليها الزجاجة الملحة بالكاء، فسلطت على الترس وبكت الضان  
لدموعها.

... ONE PIECE

وصل هبثم وباسمين إلى شقنهما في ساعة متأخرة من الليل. بعد عشرة  
أيام من السفر بين المدن الإيطالية، رجعا إلى باريس. كانا مرهقين  
ومستمتعين رغم ذلك. الرحلة أهدتهما دجيرة عتبة من الدكرات الحلوة  
بدأن بها مسار حياتهما معا.

ألقت باسمين نظرة على عرق الشقة التي ندخلها للمرة الأولى. لم يكن  
الأمر ذا أهمية، فهما سيراكبتها فرنسا. كانت الأجهزة الكهربائية في كرابيها،  
وحاجبات باسمين ما زالت محفوظة في حضانها. أما قطع الأثاث فمعلّمة  
بالحقة فطيرة نحفظها من العمار.

في وقت سابق من النهار، دخلت رهور وفطمة إلى شقة العروسين  
التي لنت معلّمة حتى ذلك الحين. فتحت رهور النوافذ للهوية، ثم  
انهمكت المرأتان في تنظيف الشقة ونوصيها. ملأنا النلاحة بالمشروبات  
والفاكهة وبعض الأطعمة الحسنة، ثم انصرفنا.

استبقنا متأخرين، على ربح هاف هبثم. كانت الساعة تشير إلى  
العاشرة، والعائلة تنتظر مقدمهما لساول وحبة الإفطار. ارتدت باسمين

فستانا ووشاحا مناسقين في اللون الوردِي نَمَ وقعت نستعرض ثوبها أمام هيثم:

- ما رأيك؟

- جميل.

خلال الأيام القليلة العاصية، تعرف أحدهما إلى الآخر عن قرب. لم يكن هيثم منالاً من مواج عذّة، لكنها تحاول التعمّد على طبعه. حتى المزاج لديه غريب أحياناً، وتعليقاته قد تكون لادعة.. لذلك تعلّمت أن تطلب رأيه مسبقاً، فتحتب الإحراج لاحقاً.

خرجاً مشياً على الأقدام. كانت الشقّة قريبة من منزل أبيه. وهما بمضبان في السوّارح يحطوان مستريحة، شجرت ياسمين بوجرات الضمير. لعلّ هيثم كان يعدّ بحسه بمصحة المنّي تدرك كل أحد، ولعلّ عائلته كانت منتشبة لهالة قريباً منهم بعد رواحه.. لكن كلّ ذلك نَحَرَ الآن، بسبب الانتقال إلى «بلبل».. بسببها!

توقّفاً عند محلّ بيع الورد، واقتبسا سلّة رقيق مدرجات ألوان مختلفة، ثمّ قال هيثم:

- بأحد واحدة من أحلّ والدتك أيضاً؟

أومأت بالنسامة ممّنة:

- سسعدّها ذلك!

كانت تأسرّها تلك الحصلة فيه، الاهتمام بالتفاصيل الضعيرة التي تُدحّل على القلب السّرور. وقد كانت هي سلاحه عزّه من تلك التّاحية. كان عليها أن تتعلّم منه أسرار الفرح.

تجمّع حولهما أفراد العائلة حال وصولهما. عانقها فاطمة وكأنّها قد عانت عنها دهرًا، ثمّ سحنتها من ذراعها بعد أن انتهت وصلة التّرحيب والتّحيّات. انتحت بها حاسماً لنسألها في قلق:

- كيف هو هيثم معك؟

رغم إشرافه سحتها التي نراها بعينها، فلا غي لها عن السؤال المباشر، إمعاناً في الاطمئنان. افترّ ثعر باسمين عن سمة رائقة: - إنه متفهم وشديد العناية بما يسعدني.

رغم وعيها بعبودته، كل توسعها أن تستعصر في مدحه. إنه قوي في الحق، لا يحاف في الله لومة لائم. وليس مع ذلك عيباً أو إمعاناً في ذلك الثبات في المواقف الحرجة مقررنا بصيغ النفس، لا يمكنها أن تفرّج إعجابها بطعه هذا حقّه بالكلمات! لكنها أحضرت عن الاستطراد، فما عن ذلك نسأل والدتها.

شدت فاطمة على كفها وهمست في ارتياح:

- حمداً لله.. أرحمت قلبي، أراح الله قلبك! لأن توسعي الصلوة إلى نولس مطمئنة المائتة  
ONE PIECE  
كانت أثار نحرينها القديمة تقفل صدرها بالكدر. همست وهي نحادر أن نصل كلماتها إلى رهور وأولادها:

- هناك علامات لا تحطنها العيون ولا القلب.. الرجل لا يتغير! إذا كان حريصاً على رضاك منذ اليوم الأول، فسيفي كذلك.. وإن لحطت منه سوء طويّة، فتلك علامة سيئة!

انسمت باسمين وهي نصع بين يديها سلّة الرقيق الحاصّة بها:

- هذه لك.. انتقاها هيئتم بنفسه!

لمحت فرحة حفيظة في عسيها. داك الاهتمام وحده صداه عندها. انسمت وهي تقول في سرّها.. هيئتم عرف من أين نؤكل الكف، العقبى لها!

احتمعت العائلة حول سفرة إبطار متأخر. كان الحقو مقعماً بالحمور، استأنرت رهور بولدها وفاطمة بانبها، وتشارك الجميع التكات والدعابات المرحّة. تأملت باسمين روحها جلسة. كان رصبي في العادة، لكنه يكون على سجة أخرى بين والديه وأخويه. بإمكانه أن يفلت مرحان سحيفة،



ويحاري وائل المراهق في لعبة من بضحك أولاً!

لقد جمعهم مجلس عائلي كثيرًا فيما مضى، لكنه كان مضطربًا في حضورها، لا يترسل في المراج، ولا يطيل الكوث لتأخذ راحتها. أما الآن، فترى له وجهًا آخر تكاد تحمله. وتلك العابة التي بوليها لوالدته لم تكن نحس عليها. كأنه يطمئنها إلى أنه لم يتغير، وسيفي بكرهما وسندهما رغم كل شيء.

تذكر حينه بعد أن حمتها عرفة يومها ليلة أمس، على وسادين متجاورين. كان بمقدوره لانهاء «العسل» الذي ارتبها من عذوبته في أيام تحليفهما على ضاح العرّة، ويهتئ ذائغتها لأصناف الأطعمم الأخرى التي ترخر بها الحياة المومّة، تحت ضغط العائنه والعمل والزونين.

قال بلهجة حادة لا هزل فيها وهو يربو إلى عبيها:

- أمي أنت تعرفينها.. إنها تحسك في مرلة مساء تمام، وقد تفضلت عليها في بواج، فأنت أرحح منها عقلا وأكثر بصحا.. فحافظي على هذه الميرة. لا أريد أن أفف يوما محبّرًا بيبكما.. لأنّ حباري لن يسرك! أمي صوف كل شيء، وقيل كل أحد.. صعي هذا نصيبك!

لعله استهلّ بالنساء على راحة عقلها حتّى يلبس حاشها وتقتل كلمانه برويّة. لكنّ وصوحه الضارم أدى كبرياءها وأبوتها. كيف لها أن تقبل رفع حمايته عنها إن هي احتلمت وبهور يوما؟

لكنّها تعرف الإحابة. إن أرادت الحفاظ على أمانيها، فعليها ألا تقف من والده موقف عدا فقط. وذلك يبدو هشا من مجلسها داك على سفرة العائلة.


عاهدت نفسها في سرّها ألا تحتر مرّة بأمه أبدا.

\*\*\*

نوقّعت السبّارة أمام الساء المألوف الذي كانت تعبر مدحله كلّ يوم صاحبا ومساءً لسماوات، واليوم بروره صبعة على من أصبح ساكنات

شقنّها السّاقفة. قال هينم وهو بطالع ساعته:  
- سأقوم بحولة قصيرة وأعود إليك. هل تكعبك ساعة رم؟  
- طيب.

وذت لو نطلب أكثر، لكنّها لم تلخ. ألعامهما رحلة أخرى صباح غد.  
علا داعي لطول مكوث. كان هينم قد اتفق مع وكيل عفرتي في «لبن»  
لربك لهما زيارة عذّة شفق. بأمل أن ينحبرا معها عشهما الجديد.  
فحلت ريم الباب، فاحصنها في شوق. ثمّ دلتها صوّتا إلى الضّائفة  
التي شهدت اجتماعهما الأخير قبل رفاعها.  
- أين البان؟

أشارت ريم برأسها إلى غرفة سكينة وقالت بصيغة جازمة:  
- في الدّاخل.    
أمسكت باسمين بذراعها وقد بلغها كدرها.  
- هل كلّ شيء على ما يرام؟

رفرت ريم في صبق. كانت نتائج الأنسغة والتّحاليل المحرّبة قد  
ظهرت ذلك الصّباح.  
- سكينة.. إنّها مريضة.

◆ - ظهور إن شاء الله! ما بها؟

- في صدرها ورم!

خوفلت باسمين واسرّجعت، ونشّلت رموشها بالذّمع. بيما ذهبت  
ريم:

- سنحري حرّعة عدا.. حتّى نعرف طسعة الورم. فليحفظ بالأمل.  
أومأ باسمين برأسها مؤتدة، ثمّ دخلتا معا على سكينة، بعد أن  
علّفتا وجهيهما بشفاع الاضمّراح. كانت نلارم التّبرير مدّ أباعر، لا تكاد  
تقوى على احركه. فارقتها الحرارة، لكنّ صدرها صبق ونفسها ضعيف..

سرعان ما نشرع في اللّهات لأدى جهد بدني. تلك الأعراض التي حسنها  
فترة ملازمة لحربها، نمت لها سبب عصويّ عقلت عنه حتى استحصل.  
احصتها باسمين بحار واحتفظت بكفها بين راحتيها.

- كيف كانت انطلاقاً؟

بالأرنها سكية بصوت ضعيف، فطالت باسمين مألعة في المرح:

- روماسية وحالمة! أحصرت لكنّ بدكاراب بسيطة.

أخرجت من حفستها علاقات معاتبع وأكواب ههوه منعوشة بأشكال  
معالم روما الأثرية وورعتها عليهن. أحسن نطقها في سرور ويتحيرن  
هداياهن، ثم قالت مخاطبة رسم:

- هل فكرت وشهاب أن شخصبار نهر العسل؟

نحوّلت العيون إلى لابس التي لم بعد حر ارساطها القريب سراً على  
أحد. رفعت رأسها في كريباء وقالت:

- أوروبا كلّها لا تعريبي.. لن أوصي بأقل من تابلدا

ضحكن كلّهن، وحاربهن سكية بصعوبة، ولم تلت أن اشتدّ سعالها.  
بادلت باسمين ريم بطرات قلعة، ثم قالت:

- لعلك ترعيبين في الراحة.. نامي قليلاً.

أدركت سكية في استسلام ليعود إلى وضع الاستلقاء، بينما قالت راساً:

- سأطلّ إلى حوارها.

كانت تلامها مد أيام. ما إن ترحع من الجامعة حتى نجلس عند  
رأسها، وتترنر بنا بوقفاً.

ما إن أعلفا عليهما الباب حتى همست باسمين إلى ريم في قلق:

- حالتها لا تميّ بالحير! قلبي يؤلمني من أحلها! هل من حديد بشأن  
ابنها؟

- لا شيء بعد.

رَدَّت رنيم في اقتضاب. لم تكن تعدّ ادعاءات رانيا «شيئا» يستحقّ الذكر.

- رانيا تدو هادئة.. هل سكبت الأحواء بينكما؟

قالت رنيم بلهجة منهكة:

- إله الهدوء الذي يسبق العاصفة! لا أحد يدري أيّ مصيبة تحميها.

لم تافئها باسمين، فقد كانت مشغولة اللث بما أصاب سكرية طغى الحزن على بقية الجلسة، ثمّ تفارقتا من جديد وقد عدت المسافات أبعد.

كلّما اقترب موعد رجوعها إلى «لبل»، نصاعت الهوة بينها وبين جاراتها السابقة.. وتعاقد أثر مرافقها لشريكات السكن اللابحسهن لسنوات «عائلة غريبة». لا تهمها شعور بالعرابة، وهي تخلص إلى حوار هينم، في الطريق إلى شقتهما. لقد أصبح هذا الرجل الحالس إلى حوارها هو كلّ عائلتها الآن.

جلست رانيا إلى طاولتها في قاعة المكتبة المسيحية، تذهن مشئت. لم  
تصنك كتاب مدد أسموع، ولم تحضر درسا واحدا. لقد أصيبت بهوس  
جديد. وكان لهوسها اسم .. حاسر لأكروا! نصفي سحابة يومها منحولة،  
بين أروقة الجامعة وساحاتها وفاعات درسها، نحني في الوحوه ونندفوق،  
علها نصره صدقة كما حصل في كلنا المرتين المتأخريين.  
بالأساس، كان ما يحزكها نعطفها مع مأساة سكبته إلى جند البوحد  
معها.. كاتها مأساتها النحصة! وهماك أيضا داك القعدي الفانم بيها  
وبين ريم. لقد شكتك في صدفها وأثممتها بالاحتلال.. وهي تدفع أي  
شيء لتثبت أن ريم على خطأ.

- اسمي هو «كرافي».

رفعت رأسها مبعونة عن الكتاب الذي لم تحج في فراءة حملة واحدة  
مه، لتحذ فالتها دات الوجه الذي فليت الجامعة رأسا على غض وهي  
نحذ في أنره دون جدوى! كان هو من تكلم من تلفاء نفسه، واسترسل  
كأنه في حديث داخلي بصوت مسموع:

♦ - أنا لا أعرف سوريا، لكنها ترد بشكل عجيب في شهادة مولدي! حين  
سألت عن ذلك مدد رمس طويل، قالت أمي أنها وأبي كانا في رحلة عمل  
لصنع سموات هياك.. وحصل أن ولدت في تلك الأرض العربية. بعد  
أن شاهدت البك التلغوي، أسبني، لشك.. اتصلت بها، سألتها إن هي  
فكرت في تحدث حوار سفرها، علنا سافر معا الضيف المفضل.. قالت  
ضاحكة: لم أملك جواز سفر قط!

حدقت فيه رانيا، محاولة النفاط الكلمات المتداخلة من فيه. لم تكن  
نسنوع كل المعاي التي يطق بها، لكنها واثقة من شيء واحد.. لقد

صدقها

سألها فحاة:

- لماذا ترندين هذا الوشاح على رأسك؟

هربت كتمها في الشهانة وقالت:

- الطقس بارد

لم تشأ أن تستبصر في سرد فضة اعدام الثفة المرمز بيها وبين شقيقها، والتحتذي الذي نوزعت فيه فانهم بها المأساة محببة ربي لا بنسبها.. فاكتمت تلك الإحابة استراحة.

- هل هي من عائلتك.. المرأة التي تحدثت في السجن؟

لاحظت راسا تحته ماديها بأني.

- لا، إنها صديقة.

خفيت راسا أنه ينسأل عن قرابة محتملة بينهما. هل حسنها شقيقه

مثلا؟

- بين الحبس والأحر، أرى كوايس مرعة، نطهر فيها سبده نصع وشاحا

مثل هذا.. فأستبقت مدعورا. أمي قالت إن امرأة ترندي وشاحا حاولت

احتطاي حين كنت طفلا في سن الخامسة

هتعت راسا في اندفاع:

- هذا كذب! إنها أمك الحقيقية

هر رأسه بقوة وهو يقول:

- لدي أم واحدة. وأنا ولدها الوحيد. بعد فلديا أي مدد سس، أنا

وهي كل ما بقى من العائلة

- سكتة أيضا فعدت كل عائلتها.. أنت عائلتها الوحيدة الآن

- أنت لا تفهمي.. أمي هي التي رمتي. هي من مخني كل الذكريات

والأحلام، هي التي وهى الأمان والحنان.. أما الأخرى فقد تكون

وضعتني، لكنّها صَبَعَنِي بعد ذلك! لقد استمعت إلى قِصَّتِهَا.. لقد  
تَسَنَّتْ في مقتل طفلها الأول، ثُمَّ في تَنَزُّدِ اثْنَيْ أَحْرَسٍ!  
- لقد كانت حادثة!

- لا فرق!

- لقد فَضِدْتُ بركِهَا لحمس دَقَلِق لا عِبر.. لكنَّ جَانِهَا أَفَلَتَ رَأْسًا عَلَيَّ  
عَقِبَ بِسَبِّ تِلْكَ الدَّفَانِقِ النَّمْسَةِ! مَنْ مَنَّا لَا يَشْرُدُ وَيَسُو؟ كم فِرْصًا  
عَالِيَةً نَقَلْتُ مِنْ أَبْدِيهَا حِينَ يَعْمَلُ لِرَهَةٍ؟ هَذَا قَدْ حَصَلَ مَعَ أَيِّ كَانَ...  
قال بقسوة بالعفة:

- حَسَّ نَحْبُ أَطْفَالِهَا، بِحَسْبِ أَنْ تَكْفَى عَنِ الْخَفَلَةِ، وَتَبْقَى مَنِيهَا عَلَى  
الدَّوَامِ! الإِنْجَابُ لَيْسَ لَعِبَةً.. إِنِّهَا مَسْجُودَةٌ!  
ثُمَّ أَشَاحَ بَوَاحِشَهُ فِي إِغْوَاصِ الْخَارِيفِ رَابِعًا:

- لَا تَكُنْ عَيْبًا.. لَقَدْ صَبَعَنَكَ هِيَ، فَلَا تَمُوتْ أَنْتَ فِرْصَةً لِقَانِهَا.. قَدْ  
نَدِمَ لَاحِفًا، وَقَدْ لَا يَفْعُ الثَّدْمَا

أَطْرُقَ فِي صَمْتٍ كَأَنَّمَا بِصَارِعِ أَفْكَارِهِ الْمُنَافِقَةِ، ثُمَّ وَقَفَ مُعَادِرًا.  
صَرَخَتْ بِصَوْتِ أَرْعَاحِ رَوَادِ الْمَكْتَنَةِ:

- إِمَادَا حَنَنْتُ نَحْدَتِي إِدْنَ؟

قال بلهجة ساحرة:

- كُنْتُ أَحْتَاجُ إِلَى تَرْتِيبِ أَفْكَارِي عَنْ طَرِيقِ قَوْلِهَا بِصَوْتِ عَالٍ!

...

رَفَرَتْ رَبِيمُ هَوَاءٍ حَارًّا وَهِيَ نَجَارُ الْوَاثَةِ الرَّجَاحَةِ لِعَبْنِي الْمَحْطَةِ  
التَّلَفَرَةِ وَتَفْتَحُمُ بِرُودَةِ الشَّارِعِ اللَّادِعَةِ. كَاتِبَ رَحُوفَاتِ رَأْسِ النَّسَةِ قَدْ  
أَحْدَثَ بَرَسَ السُّوَارِ مَدَّ شَهْرٍ عَلَى الْأَقْلَ بِشَكْلِ اسْتِمَاقِيٍّ. مَدَّ عَرَفَتْ  
بَارِسَ، أَحْمَنَتْ حَلَّهَا السَّيُوبَةَ الصَّلَائِنَةَ. مَدَّ مَصْصَفُ يَوْمِئِذٍ، تَحَلَّى  
الطَّرْفَاتِ وَبَوَيْتِي الْأَشْحَارِ وَالسَّاحَابِ بَقْلَانْدٍ مِنَ الْمَصَابِيحِ الْمَصْبُونَةِ.

وتستمر في ريتها المصير طيلة الشهر الأول من السنة الجديدة. لذلك نحب  
شناء باريس، وتنتظر بلهفة نساظ الثلج الأول. رنْ هانفها وهي نهم  
بنشعل محرك سيارتها. ردت بسرعة دلح حين وصلها صوت شهاب:

- دكتور شهاب صادق.. هل حشرت موعداً؟

- تلقوا أستاذة ريم شكر.. هل أكمل في وقت غير مناسب؟

- حيث إنني تحدثت لست ساعات متواصلة اليوم بين الحكمة والبيت  
المبائر، فحالي الضوئية تحتاج إحلاؤه!

- حقها! لن نصابها إند.. سأنتقم أنا، وزدي بخم أم لا. هل حشرت  
تذكرتك للأسعوس المفضل؟

- نعم!

- جميل.. هل أنتهي؟ طمأنتك؟

- لا!

لم نشر المصنان الملائم لحمل الحطة بعد! جدول أعمالها مليء  
عمل أحده، لا تكاد تجد الوقت لتناول وجانتها، فكيف بالتسوق؟ لو عاد  
الأمر إليها، لاكتفت بالمصنان الزهري الذي ارندته في زفاف باسعين.. لكن  
السيدة باريس لن يروفها ذلك. يحتاج زنا فريدا من إحدى دور الأرباء  
الباريسية الكبرى لترصي عروها!

- هل أساعدك في التسوق؟

- لا!

لم يكن ذلك واردا. ليس لأنها لا تتق في دوفه، لكنها لا تعتمد على  
أحد في اقتناء ما يحضها.

- عليك تدبر أمرك إذن.. في أقرب وقت!

- سأعمل، لا تقلق.. سأتركك الآن، أنا أمام عجلة القيادة!

أنهت الاتصال وانطلقت. مضى شهر ونصف مد أصحت علاقتها



وشهاب «حقيقتة». الخاتم المائي دانه ما زال برّيس نصرها، لكن كل شيء عدا ذلك تغيّر.

إحساسها بحرّيتها تُسلب منها، صيفها من التّحصيرات الخافّة التي تنتظرها، إدراكها أنّها سلّمت مقاليدها لحكم عقلها. وقد اعتادت أن تترك لقلها رمام حبانها.. لطالما كان إحساسها دليها. وهي لم تتعلّل ذلك أبداً من قبل. لو أنّها فعلت، لولمّا تلافت أخطاء شئ في الماضي.. لكنّها ليست واثقة أنّ الخطّة المعاكسة ستكون ناجعة!

ألمت نفسها في سرّها صرّات على نزعها. لكنّها في كلّ سريرة تعيق من نوبة الدّعر تلك على اتصال من شهاب، فتتعلّب لربّاجها وأحرجاءها. «لقد أحسنت الاختيار ما زلنم»! من غير أنّ كان ليحكم منطلبات عملها المشطّة ويتجاوز عن عصبيتها وبمحبها المساحة التي تحتاجها من أحل خصوصياتها لأحد! كانت تظلم بعينها أنّ رحلها يادر الوجود.. وذلك سبب كافٍ لتتمسك به، علّ الصّدافة والتّناعم الذي بينهما بقلبان عاطفة حبانة.. يوماً ما!

حين وصلت إلى الشّقة، ألقت رابيا وسكينة تسامران في الضّالة. نعوّدت على ذلك المشهد. أختها المروية التي كانت نرى نفسها مركز الكون، انقلب حالها مند أسوغي! أصححت نلارم سكينة كظّلها وتترنر في أدبها طيلة الوقب. نادرتها سكينة بانسامة:

- كانت حلقة ممّرة! كيف وحدث حياه الشّهرة؟

قالت نحاري دعاسها:

- لا أدري كيف سأخرج إلى الشارع عد.. الجانارثري يذّون مدخل الشّكر!

صحكتا معاً، بينما كانت رابيا تتعصّد التّكشير. رففتها ربيم سطرة حاسنة، ثمّ حوّلت اهتمامها إلى جهاز رابيا المحمول المفضوح فوق المائدة المحفّصة، وقد طهرت مجموعة من الصّور أنارت اهتمامها. اقتربت في فضول وقالت:

- ما هذا؟

افترّ ثعر رابيا عن انتسامة مناهية وقالت:

- نتائج أبحاثي الخاصة!

- رابيا كانت تشرح لي كلّ ما فوّضت إليه بشأن جاسر...

هتفت رابيا مسائره بالكلمة:

- اسمه الآن «كرافي دو لاكروا». هل نعلمين أن لعط «دو» في اسمه

العائلة يعني أنها كانت تنتمي إلى طبقة النبلاء في المفهوم الوسطي؟

ثمّ أردفت بسرعة:

- لكنهم فقراء الآن!

سألها ريم بنحد:

- كيف عرفت؟

دور تردّد، راحت رابيا تسرد على مسامعها تفاصيل اكتشافاتها.

لقد أحبرها كرافي باسمه في لفائفهما الأخير بالمكتبة. وقد مكّنها ذلك

من العثور على صفحته في موقع الجامعة، وأبصا في مواقع التواصل

الاجتماعي؛ بوصلت إلى جدول محاضراته، عنوان إقامته، وأبصا عثرت

على صور كثيرة له، منذ كان في المدرسة الابتدائية وحتى ارتباده الجامعة.

حدّفت ريم عبر مصدفة. لقد كانت الضور دليلا دامعا لا بدع محالا

للسكّ. إنّه جاسر! انتلعت الصدمة بصمت، وهي تطالع ملفّات رابيا

المرئية بعبابة، مثل متحرّ حاض محزوف. عليها أن تعترف، لقد فشلت

كلّ أفكارها فيما يخصّ مساعدة سكينه، وبحجت رابيا بصدفة عجيبة!

قالت أخيرا وقد علت الهجة على صوبها:

- حمدا لله! هذا رائع حقّا!

أومات سكينه برأسها وقالت بانكسار:

- إنّه كذلك!

نصمت رابيا:

- لكنّه يرفض لقاءها.

- آه!

نمّلت رسم ، وهى تتختر إليهما في الحلة.

- لا شك أن إقاعه لن يكون سهلا.. لقد مرّ سواب طويّنة. لكنّه

سيتمتّل الحفيفة في النهاية.. أنت أمّه!

انقسمت سكية في وهن وعالب:

- أخشى أن يفضع بعد فوات الأوان.

سارعت رابيا بهنمه

- لن يحصل ذلك.. سأفعل أيّ شيء ، لإقاعه!

هرّرت سكية رأسها بضيق. تحاول الاحتفاظ بالأمل رغم تدهور

صحتها المفاخر والمستمر. الورم في رثها اليمى.. كان سرطانيا. منذ

عرفت النسخة خربت يوم اللّيل. نسب على سخاقتها تنهل، أن تكذب

لها الاجتماع بولديها قبل أن يفضها الله إليه.

جبانها كانت صعبة بشكل كافٍ حتّى ذلك الحين.. لكنّ الله أراد أن

ينليها ويختصر صرّها واحتسابها أكثر. نطلّ نردّد صحتها ومساءها: «لا

اعراض على قضاء الله» لكنّ الله عقّصها كثيرا، بصحة نهتمّ لأمرها،

حتّى انتهى بها المطاف بين نيك الأحيى المضافين والعطوفتين.

استحنت إلى عرفتها في وقت مبكر، فتحت اليوم صور قديم.. تملأ

عبيها من الوجوه العضة الحبيبة والبعيدة. درجت عرات سحّة شوقا

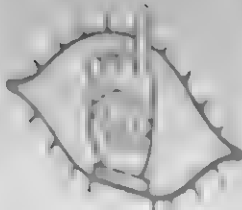
ولهمّة.. ثمّ حمدت الله كثيرا لعنورها على حاسر، ونعمها بالركمه،

ودعت في إلحاح أن يرفعها السّماء.. ثمّ جلست على الأرض كعادتها

واستغرقت في تلاوة القرآن.

حين دخلت رسم العرفة بعد حقامها المسائي، وجدت رابيا قد أوت

إلى سربرها. اهترت من مرفدها يهدوء وألقب نظرة متفكّدة. لم تكن



واقفة إن كان التعاس قد عليها.. لكنّ حديثاً هاماً كان بثقل صدرها.  
سادت برفق:

- رابا.. أنت نائمة؟

نقّلت رابا في صق وتعمص في ابرعاج دون أن تفتح عينيها:

- ماذا تريد؟

أخذت رسم بيضا وهمست:

- أدبر لك باعتبار.

استوت رابا حاله على الفور وهي تعذق في نغمها عن مصدق:

- أعدي ما قلب؟

- قلب أعدي.. لقد كنت فاسية ومنككة دون مرور. لقد فعبت بحمل  
حيث... أهتكت

انثنت أسارير رابا والتمعت عباها، حتى حسنت ريم أنها نوثك  
على السكاء. لكنها لم تفعل. بل هزت رأسها بحقه، وقالت يهدوء:  
- أشكر.

ثم عادت إلى الاستلقاء نولتها طهرها. بينما مضى ريم إلى سريرها  
بدورها، كانت رابا تحت العطاء، تترافص قسماتها بصحكات مكتومة  
الضوت.

- هل نص؟

بادنها مرة أخرى. رفعت رابا عن وجهها العطاء وقالت بلطف:

- هل من شيء آخر؟

- شهاب وأنا ححرنا نذكرنا إلى مصر.. سسافر مساء الجمعة المقبل.  
هل تودّين مرافقتنا؟

كانت قد طرح عليها السؤال دانه مد أسوعس، بأسلوب آخر، سما  
ترانشفان التطراب الثرسة.. ورفضت رابا سره ساحة. لكنّ العرض

بدو أكثر ليلاً الآن، عبر أنه لا بعتر من حفيضة أن شهاب وريتم يعلنان  
ارتباطهما الرسمي ويريدان منها الحصول.

لم بعد شأن شهاب بعبيها كثيراً في الفترة الأخيرة. اكتشفت في دهشة  
أنها لم تحاول الاتصال به منذ أسابيع.. مد شعلت ههنا بالتحري  
عن حاسراً كانت فصنة خاسرة على كل حال. كانت تدرك بوصوح أن  
الرجل منبم يشفقها. لكن اختلاف الملابس لم بعتر من حوارها.  
قالت بهدوء:

- سكبنة نحري الجراحه يوم الأربعاء.. أعفد أن علي أحمل المكوث إلى  
حوارها.



هزب ريم رأسها، وقالت في نفهم:  
- أنت محقة.

ONE PIECE

سكبنة، لقد عدت حراً من العائلة. لبس عائلة شاكر، بل من عائلة  
«الشفة ٤٠٤» التي تجمع منساكانها. كأن حدوداً تفند تحب أرض الشفة،  
تشتت بالتراب، ليرنصر كصروع لها.. هن الأربعة.

...

يوم الثلاثاء، تركت رأساً محاصرانياً منكراً، ثمر فصدت الحزء المقابل  
من مقي الجامعة، حيث قسم الزناصبان. وقعت أمام قاعة الدرس  
وهي نهز سافها في بونر بالع.. بطالغ السماء الطلدة بالسحب، كتلد  
عبوم الكدر على صدرها، ونرفر في صحر. سنكون المحاولة الأخيرة.  
ما إن فتح باب المدرج وتدفق الطلاب خارجة، حتى تحفرت ملامحها  
وأحدث تصفح وحوهم في انشاء.

- وجدتلك!

قمرت أمام كراعي نسد طريقه، فمدت عليه الذهبنة لرؤيتها. مضي  
أسوعان على حدثهما الأخير في المكسة. لعله حسب إعراصه كافيها  
لبعدو الموصوع طني التسان، لكنها وصلت إليه بطريقة ما.

- ماذا تريدان؟

حدحها في صيفي، ثمَّ سار بخطواته الواسعة المعهودة. مضت تساقفه وهي تلهث:

- سكتة بحصع للأحراة عدا، في العانرة صباحا. استتصال ورم سرطاني في الزفة.

تراحت سرعته لثامه وكأنَّ كلامها كبح انطلاقه، ثمَّ حدَّ في المصير من جديد.

- لعلنا نرعب في لفانها، هل ذلك.

لم نمد علمه الاسمحات، ففرت لصل إننا ومدجر بطاقة دوت عليها عيوان المنشئ في حب سزبه، ثمَّ همتك يستحقه خطاها:

- افعل شيئا لا يجعلك لئلا!

سار في لا صلالة عبر عاني بما نقول، فنهدت بقوة ثمَّ همت لصها في عبط:

- هل أنت كائن قد ص ححر أم ماذا؟

واسحت خطوات محطفة.

...

نزلت سكتة من السيارة، نسدها رأنا، ونعذمنا سويا بحطى ونيدة بأثجاه مبني المستشقى. همت رسم من موقعها حلف عحلة الصادة:

- إذا حدَّ أي شيء، انصلي ر!

عمعت رابا:

- يمكننا أن نتدبر أمرنا!

جلسا في قاعة الاسطار، رنما بحين دور سكه. كانت على موعد اليوم لإجراء حراحتها. طالعت رأنا ساعها. لهد حار الوقف. حالب سطرانها في أرجاء القاعة، تراعب الممرات المؤدبة إليها علها نصره. لهد بلعبه

بالموعد وسألمته العنوان. فليها بحدّنها بقدمه. لم يكن لا صالبا مهما  
تظاهر بذلك. شعرت بارتخاف سكبته فأمسكت بكفّها مهدّنة من روعها.  
- سيكون كلّ شيء على ما يرام.

انضمت سكبته في السلام، ثم استعرفت في نسيجها. لم تكن حراة  
هتّة. الورم احناح فسمّاها صا من ربتها البصبي.. وصار لراما استئصال  
العصر السفلي كاملا.

نادت الممرضة اسمها، تستدعيها إلى عرفة مراقبة العلامات الحيوية.  
بسماعات سكبته داخل العرفة، وقعت رابيا في بؤثر. سارت حتى مدخل  
المستشفى وهي تحول بعينها في اضطراب. لم تنعقش بشأه عند أيام.  
لم نشأ أن نحرها عن لقائنا إياه حديثا. إن حله، فسيكون مفاجأة  
رائعة.. وإن لم يفعل، فليس يكتدها عماء الحفّة.  
عادت أذراعها سريعة، وقد أفل حماسها. ظهرت سكبته بعد دقائق  
على كرسي متحرك. كانت تريد بدلة التويم وحاهرة لدخول العمليّة.  
رافقتها بصمت حتى بوابة قسم الجراحة الذي يسمع عبوره على الزوّار.  
عاقبتها بحرارة ثم همست:

- سنكون بحيرا!

ربّنت سكبته على ذراعها برفق وهمست وقد اعروفت عباها بالذمع:

- أتمنى أن تكرر مبار لتصبح فتاة ناصحة، حابة ورفيقة مثلك!

- اعتريبي شقيقة لمبار منذ الآن!

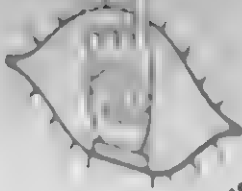
نعانقنا مرة أخرى، ثم دفعت الممرضة الكرسي عر البوّابة التي أغلقت  
وراءهما. ألقت رابيا نظرة حريصة حولها. كان يحب أن تدرك الحديقة  
المحبطة. لم يحضر!

مرّت ستّ ساعات، هي زمن العمليّة الجراحية، طلّت خلالها الأنوار  
مؤصدة، ورابيا تتلملعل على المقعد في قلق. لم يكن وجودها مطلوبا،  
كان يوسعها الانصراف إلى جامعنها. لكنّها لم ترعب أن تستبسط سكبته ولا

تجد أحدا في انتظارها.

تعود إليها صور قديمة مخزنة بعناية في دأكرتها. كانت في الثامنة عشرة، حين أحرقت حراقة استئصال اللورنس. عندما أفاقَت من أثر التحدير، كانت الأم رهبة تحرق حلقها. لم تكن تقدر على الكلام أو الانسلاخ. نكت في صمت وحننها وقلة حيلها، حتى جاءت ممرضة أحرأ لنحفظها بالعسكرن. لم يظهر والداها إلا بعد ساعات.

هبت من مجلسها حين لمحت التبرير المتحرك بهادر عرفة العمليان تدفعه ممرضان حتى غرفة العيادة.



- هل ستكون بحراً؟

طمأنتها الممرضة بانسامة:

- انتظري فدوم الطبيب. ~~يخبرك بكل شيء~~.

بعد نصف ساعة، حصر الطبيب المصاب. راقب علامات سكية الحيوية، نفقد الحرج الطولي عند جانبها الأيمن، عابث أكباس تفريغ السوائل، ثم أعلن بانسامة راضية:

- نهائياً.. العملية ناجحة! كل شيء يبدو على أحسن حال. سنستبقي خلال ساعتين على الأكثر.

نقست الصعداء، وأصلحت على الفور برسيم. كانت تشعر بالحدرد في أوصالها، من أثر التوتر والجوع. لم تكن قد عارفت مقعدها منذ الصباح. توخعت إلى مقهى المشفى، وطلبت كوباً من القهوة وقطيرة تفاح. ثم سارت على مهل وهي يلتهم قصصات من فطيرها.

نوقمت فحاة، حين لمحت الشاب الوافد حلف رجاء عرفة العيادة، يرقب في فصول المرضى المسخس في أسرته. لم يكن من البسير تمبير سكية بينهم. كانت تستلقي في استسلام، مسدلة الحفون، ذراعها موصولة بالسائل المعدي، وأنبوب الأكسجين يساعدها على التنفس.. وآلات أخرى ترافق بصانها ومستوى الأكسجين في الدم.



- التبرير الأول.

اقتربت في هدوء حتى صارت حدوده، وهمست بكلماتها. انتفض كرافي  
دعرا، وحدق فيها في صيق. قالت بلهجة انتصار:

- كنت أعلم أنك ستأتي.

لكنه لم يمهلها وانطلق في مشيته التريكة كالعادة. وعبر في حدة  
وانطلقت حلقه:

- ليس هذه المرة!

قفزت بسرعة حتى نخطته، ثم سحنته من دهنه لدخلا الفهم الذي  
عادرته صد دقاتي. أجسته إلى مائدة شاعرة وظلمت فيه وه أخرى. قال  
في سحرية:

- ما الذي نحاوله؟

حدثه بطريقة صارمة:

- الحديث.. مثل أي شخصين بالعين! لقد سئمت المطاردة الصيانية!

لوى شفنيه في امتعاص ولم يسس ست شعة. جاء الطلب فهتت رابيا  
بالمحاسة، لكنه أوقفها بحركة حارمة ودفع نم منثرويه. استمر الصمت  
للحظات، وكل منهما يرتشف فهوته سطاء.

- هل تعرفين اسمها؟

رفعت رأسها في دهشة.

- من؟

- شقيقتي.

- ميار.

- أقصد اسمها الحقيقي!

كادت تصرخ: هذا هو اسمها الحقيقي! لكنها تدرك ما يرمي إليه.  
قالت في ضجر:

- لا أعرف!

- اسم عائلتها؟

- لا أعرف!

- أين نعيش؟

- في سانت.. على ما أظن!

قال بلهجة فاسية:

- هل هذا كل ما لديك؟ لا أعرف، لا أعرف!

صرخت في انفعال بالإحترق، وبدافعت الكلمات على لسانها:

- كف عن هذا رجاء! لقد سئمت سلوكك العنصري.. وكان مناعز الآخرين

لا قيمة لها. هل تحسب نفسك مركز الكور؟ هناك تحبدة عانت منذ

فتح عبيها على الدنيا داخل تلك العرقه.. وحياتها ما زالت في خطر

بعد.. وأنت تدقمر لآئك لا تجد إحاسات موريّة!

شجبت ملامحه أمام نورنها المعانحة، ولم يرد. أحدث رابيا نفسها

عصفا، ثم قالت مستعيدة هدوءها:

- حين نسيغظ سكبنة، سأحصل منها على الإحسان.

- حسا.

تكلّم بهدوء بدوره، ثم ساد الضمت من جديد. سألها في فصول:

- لماذا لا تكلمين العرسية؟

- أنا طالبة جديدة.. حبب لي مارس مد شهر فسنه.

هرّ رأسه في نفهم، ثم سأل مرة أخرى:

- وما هي علاقتك بها؟

كانت قد أحاسبت عن سؤاله داك من قبل. لكنه بلغ محددا. رنما لم

تقنعه إجابتها.

- نحن شريكنا سكن.

- ندين مهتمة بها كثيرا.. من يراك بحسك انتها، أو فردا من عائلتها.  
أومات مؤيدة وقد عليها الدمع وهي تدكر كلمات سكية فل دحولها  
عروة الحراقة:

- بحر عائلة واحدة.

أصابت في سرها: «عائلة النقة».

رَن هاتهما. كانت ريم.

- لقد وصلت.. أين أنت؟

- في المقهى.

حين أبيت الاتصال، فال كزافي بسرعة وهو يترك مقعدها

- لن بحريها بمحتي اليوم!

قال في نحة

- بلى، سأفعل.. ما أن نفتح عيها! أنت لا نعلم مقدار أهميتك بالنسة  
إليها. معرفتها بدومك سرور معوياتها بالتأكيد، ونسرّع نهاءها!

هر كتبه ثم قال مظاهرا باللا مالا:

- افعل ما بدا لك.. سأنتظر منك إجابات الأسئلة التي طرحناها.

منى بانحاه المحرج ثم استدار ليصيف بلهجة منهكمة:

- تعرفين كيف نجدبي!

...

بيما بنعد في انحاه فاعات الرّجل، كان شهاب بغف على معدة يصع  
عشرات من الأنوار، بطالع ساعته في بوتر ويراف بوانات الدّحول. نهلت  
أساريه أحيرا حين أنصر ريم مقلدة وهي تلوح من بعيد. حرّ حفيته  
ليحتصر المسافة بينهما وهو يهتف:

- لقد تأخرت.. لم يبق الكثير من الوقت!

ثم انتبه إلى غياب متاعها.

- أين حقائبك؟

ابتسعت في اعتذار وقالت:

- اذهب أنت.. وسألحق بك حين أتفرغ.

رمفها في شك:

- ماذا تعين؟ ربم، هل...؟

هتعت على العور:

- بالتأكيد لم أعتري رأبي بشأن أي شيء! لكن ما نبلد فحوى جراحة لجد

لتفويم بصرها، ويلزمها ألا تتعرض لإصابة فويك لفره.. وبحكم أن أحل

محلها في تقويم البريلاج

رمفها سطرة طويلة سارة، ثم قال:

- رنيم.. أريد أن أفي بك حقاً!

ردب بحرارة:

- يجب أن تفعل. أسوع واحد كحد أقصى.. ثم أنصم إليك!

حصل الخطبة بقاء بعد أسوع من الآن. ستنهي من الحلقة يوم

الخميس ونسافر يوم الجمعة، ويوم السبت تقف إلى حواره إزاء

عائلتهما.

رصر في استسلام. لم يكن هناك مجال لمعادلتها. كانت الأسواق

المشوّنة عبر قاعات المطار تنقل النداء الأخير لركاب رحلة القاهرة.

ودّعه ثم شبعته نظراتها حتى احتسى في زحام المصافرين. همست

لفسها مطمئنة: «إنها مجرد خطبة يا ربم. لا داعي للمهلع».

كان اتصال ما نبلد بها صباح اليوم بمثابة طوق النجاة. من أي شيء

تحو؟ من حصل حظنها؟! كانت مدعورة بشكل لا يصدق مع اقتراب

السفر. كانت حقيبتها حاهرة. افتت فستانا بروبتيًا دا ديل طويل، معطى

بطقة من الزيت الناعم. كانت قد أنهت تسوقها، ووضت أمتعتها..

لكن حين جاءها اتصال مائبلد، لم تردّ على الفور. كان توسعها الرخيص.  
سبق أن حجرت نذكرتها، وطلبت إحارة رسيّة لأسوعين. حطنتها عذر  
كافٍ جدًا. لكنّها تلكّات.

كانت تهرّ من فكرة الارتباط التي باتت تخيفها، وتطارده فرصة مقربة  
بروع بجعلها كمصيفة رئيسية لبرنامج «الحقيقة الكاملة»! لم نحر شهاب  
مباشرة، نعرف أن توسعها إقناعها بالاعتذار. لذلك لحقت به إلى المطار  
وفد حلفت حفيبتها وحولر سعرها ورواها.

...

استسلمت ريم لبد المرتبة، تصفّ شجرها وبطل رموشها وتشر  
السودرة على وجهها. تمّقت بعمق، بعين محمضتين، محاولة السيطرة  
على نورها. لم بكر ظهورها الأول في السّاتر، لكنّ حلفة اليوم  
مختلفة. كانت تلك فرصة الذهبية لتثبت كفاءتها، لا كجزء من فريق  
البرنامج، بل كقائدة! سنكون اليوم المابسترو الذي يكتب الونة التي  
سيعرف الجميع الحائها.

دخلت أسنديو التصوير لتطلق الأوركسترا الحاضّة بها تضبط الإيقاع  
قبيل إشارة البدء. ورّعت الانسجامات والتحيّات، ثمّ حلت على مقعد  
الضدّارة. من حولها يشرع الضّحيّون والضّيوف في اتحاد مقاعدهم،  
تتحرك العدسات المعلّفة وتسلّط الأصواء الناهرة على وجهها. الضّيوف  
ومهندسو الضّوء وتنقّسو الإضاءة بلرمون موافعهم، ويأنّبها صوت  
المخرج عبر السّقّاعة الدّقيقة المحنّنة في حوى أدبها:

- الكاميرا رقم اثنين.. انتباه، بحر على الهواء!

تطلق شارة البرنامج، ثمّ يملاً وجه ريم الشّاشة في صورة مقربة،  
تظهر ملامحها المنقّطة وبطرتها النّاطقة بالكاريزما. تهمس لنفسها:

«ريم، أنت في موقعك الحقيقي. أنت تستحقّين الضّدّارة»!

حين فصدنها مائبلد مدّ شهور، وعدنها بأن نحعل منها بحمة تلفزيونية.

في ذلك الوقت، لم يكن للوعد بريق الإغراء الذي صارت تراه اليوم، كانت مكثفة لمسرحها في قاعة المحكمة، حيث يجمع نهمها في كل مراقبة، لكن الحياة تحت الأضواء باتت قرووقها.

ظهور صديها على الملأ محللات المشاهير، السمر مقاطعها على مواقع التواصل، وإحدى الناس بمواقفها ورفعهم، أكلها سعادتها، ثم ذلك أصبح جزءاً من كمالها.

- عزيزي مائيل، تصني لك طعاماً عالياً، غاييت جديداً، لفتا لحوت على استمرار الرحلة التي صنعتها شخصيتك اللافتة، حتى هضمه وترجوه أن يكون في مستوى السبق التي على عاصم.

حفظت تلك الكلمات عن ظهر قلب، مع ألمها بنهضة دزامته مؤثراً، لكنها لم تقصد طعنها مرها واحداً.

«مائيل، سأجعل من حياتك منته أقرر عزمها إلى المركز الذي استحقه».

راجعت فقرات الحلقة المذوبة على الفصصات المرصوفة أمامها، ورأيت أفكارها، ثم انطلقت، كان عليها تنسيق المداخلات بين الضيوف، ويخصص بعض الوقت للمداخلات الجمهور على مواقع التواصل، بالإضافة إلى التقارير المصورة، تستمع إلى همسات المخرج في أذنها، دون أن يبدو عليها التشبث، ثم أعلنت الفاضل الإعلامي الأول.

نفس الضعفاء، لم تلتفت أثناء من إملأ العمل، فردت المظاهرات نملها، ووزعت الالتماسات المحترقة، همست لنفسها في سرون: «أنت ملين، لاء حسناً يا ربي».

نفدت هاتفيها، فألفت عدداً لا بأس به من رسائل التشجيع والتهنئة، كان بينها رسالة من مائيل: «كلماتك كانت مؤثرة، شكراً من القلب».

أفلتت ضحكة ساخرة.

كانت هناك رسالة من شهاب صور لقاعة احتفالات فندق الشيراتون

بالقاهرة ومفترحات لتواريخ متاحة في شهر يونيو ٢٠٠٩. هزت حاجيها منعكرة، ثم فتحت التكوين الإلكتروني في هانها لتتأكد من مواعيدها المصحلة. ما زال الصنف بعدا، لكن الحواريات تعد سرعة. معظم ارباطانها المهيبة الحالية تمتد حتى الزبيح لا أكثر. كتبت رسالة شخصية: «لا بأس بأني منها. حترى إذا حدث التاريخ».

ثم سمعت هنادي المحرج باستئناف المسافر. حين أنهت الحلفة، شعرت بالاسترخاء بعمرها. لقد تمت مهنتها سحاح. وهي تعاد من المحطة بفقدت هانها مرة أخرى. وصلتها رسالة تأكيد من مانيلا: «دمت بحمة لامعة عربتي رأي».

لرب شعنتها في المنعاصر. نمت اسم النلح دالغ الذي يقطع منعكدا حرفا من اسمها. رقب سرعة رسالة شكر، ثم عرجت رسالة من شهاب: «١٤ يونيو».

نحذد التاريخ إدس. في هذا اليوم سندخل الفحص الذهبي! نوقمت فحاة على رصيف المني، وحذفت في دهول في الشارع الذي اكنتى طفلة سمكة من اللوح! مرت سبارتها بين العربات المصطفة في المراتب الخارجي. كانت معطاة بالطفلة البيضاء الثلجية دانها:

- لا نحاولي إخراجها من هنا.. الشوارع رلغة للعابة. اركبي المتروا ألقى إليها في الإصاءة وهو بمر حوارها على عجل. كانت كلماته عيب العقل. تركت الستارة ومثبت بصعوبة، نعوص قدماها في النلح وتحمدان داخل حدانها.. حتى وصلت إلى المحطة.

تمسكت الصعداء وهي تتجاوز باب المصعد وتقصي إلى السفة بعد رحلة عسيرة. حين أدارت المفتاح في القفل، نامت إليها صحكات رائقة من الداخل. حطت إلى الرذعة في دهنة، لتلمي باسمين وميساء نحالسان سكيئة ورائيا.

- أنت هنا!

عانقت ياسمين بحرارة، ثم جلست بيهن.

- عرفت أنّ سكية عادرت المشفى، فحنت ومساء نعوّدها.

- كيف جئت أثناء العاصفة الثلجية؟ واليوم خميس! كيف فعلت؟

صحكت ياسمين ثم شرحت:

- لقد عرفنا مسبقا بشأن العاصفة، فطلبت العمل من البيت يوم غدٍ  
وحجنا مبكرين من «ليل» لإمضاء عطلة نهاية أسبوع مضدّة في باريس.

أضاعت مساء في مرج:

- لكننا معاصرنا الآن ههنا، بعد أن تعطلت حبله الطرقات! هل تقبلنا  
اللبلة؟

كان هينم قد اتصل منذ دقائق. الشوارع مغطاة بالثلوج، والحرايات  
لم تشرع في إخراجها وتترك الملح على الجليد قبل فحر العد. كانت القيادة  
مستحيلة في تلك الظروف. لم يكن بوسعهم القدوم لاصطحابهما. هتفت  
رابيا في جدل:

- لقد عادت الشقة مليئة بالحياة، مثل الأيام الحوالي! أقترح أن نسهو  
اللبلة حتى الصبح!

ضحكن جميعا، بينما انعمست ربيم في مطالعة رساله وارده على  
هاتفها، ثم قالت في صدمة: —

- ألعبت كلّ الزحلات العويّة ليوم غد، سبب العاصفة! عليّ أن أعلم  
شهاب!

وقعت لتدخل العرفة وتجري اتصالها، بينما تبادلت الفتيات بطرات  
قلقة. ستفوت ربيم حفل حطتها! استمع شهاب إلى شرحها في وحوم.  
- هذه ظروف خارجة عن نطاق.. من كان يعتقد أنّ هذا قد يحصل!

حافظ شهاب على صمته، كأنما لا يحد الكلمات المناسبة للرد، فأردفت  
ربيم:



- ما المهم في هذا الحفل في نهاية الأمر؟ الحانم؟ إنه معي! أهلي وأهلك؟ يعرف بعضهم العض ويعرفوسا! اجتمعوا مثل ما حططتم.. انفقوا على ما تريدون، فتلك الشكليات لن تعير شيئا بالنسبة إلي!

قال **الرجل بشوبها الحر:**

- لماذا أشعر بأن إلقاء الرحلة بسرك؟

جاء دورها لتعرف في صمت عبق. لو أنكرت، فلن تكون مضعة.. ولو اعترفت فسنؤلمه. قالت في مراوغة:

- هل حشرت فاعة الصدق من أحل الرقاد؟  
- فعلت.

- أعدك أنني لن أفيق هذا الموعد... **وهو اصطبريت أن قطع البحر المتوسط سباحة**

لم بضحك كما توقعت. رفر يهدوه ثم قال في نلجم:

- هل يمكنك الاتصال بوالدي والاعندار؟

- سأفعل. هل يمكنك أن ننسم؟

- سأحاول.

نمست الضعاء وهي تنهي الاتصال. أظنت باسمين عند الباب

وهمست:

- هل كل شيء على ما يرام؟

- أنا مدعورة!

افترت باسمين في قلق، هيئلت ريم:

- أعلقي الباب ونعالي.. فلنتحدث بعيدا عن ميساء ورائيا.

جلستا على طرف السرير، فأردعت ريم وهي نطالعهما بانسامة منشحة:

- كيف هو الرواح معك.. بعد شهرين ونصف من الحرية؟

ابتسمت باسمين وقالت في استرخاء:

- ليس سيّئاً.

- ألا تشاجران مثلاً؟

- لا تشاجران.. لكنّا نختلف في وجهات النظر أحياناً.

أطلقت ريم ضحكة ساحرة ثم قالت:

- هل هذا هو الاسم العلمي للشجار؟ «الاحتلاف في وجهات النظر»؟

- إن كنت تقصدين بالشجار أن يرفع أحداً صوته على الآخر، أن يتبادل الكلمات الحارّة أو اللّحوء إلى العنف.. فحسب لا تشاجران لكن لا تتفق في كلّ شيء.. ويحصل بيننا فئدة وسرود من حين إلى آخر. وهذا هو الاختلاف في وجهات النظر.

سألت ريم: هل تطبّق عليك في اهتمام:

- وكيف نعتّان عن هذا الاختلاف؟ إذن؟

- قد نتجاهل بعضنا البعض لبوم أو بعض يوم، نتعامل بحفاف.. لكنّ كلّاً منا يستمرّ في تأدية واجباته نحاه الآخر دائماً.. ويجلس سويّاً إلى مائدة الطعام، حتّى لو لم تتبادل كلمة واحدة!

قالت ريم في فضول:

- هل لهنّم واجبات مرليّة؟

اتّسعت ابتسامة باسمين وهي تقول:

- هنّم يستيقظ أولاً، ويحضّر الإفطار كلّ صباح

- منجبل!

ضحكت باسمين في استمتاع، ثمّ أصافت وهي تعدّد على أصابع يدها:

- يشتر العسيل، يشفط الغبار بالمكسّة الكهربائية، يسقي النباتات.. في الحديقة، الصاوية النهارية من نصيبه - حين يكون عطشه عن بعد- وأستلم واحماتي حين أراجع من العمل مساءً.. لكنّ الوضع يختلف حين

يسافر إلى باريس...

- هل تعلم رهور أن ابنها يفعل هذا في منزل روحته؟

أشارت إليها باسمين بالضممت وهي تصع ستانها أمام شفتيها ونوشوش:

- اشكر.. احفظي بالسر!

ثم أضافت في تأمل:

- هل تعلمين.. هناك أبعاد في العلاقة لا يمكن تغييرها بالكلمات..  
أسفيا الإحساس بالاسم! -  
الاسماء؟

- حين بعصب أحدا من الآخر.. لا يراودي ولو لحظة واحدة رغبة في  
الانتعاد عنه أو معاداة الضم أو الشكوى لأحد! كان ارتباط أحدا بالآخر  
أمر مفروغ منه.. وحلاقاتنا بخلها بقليل من الضر وكثير من الحوار.  
هكذا.. ينصني أحدا إلى الآخر!

حذفت ربيم فيها بعينين منسجنتين، فواصلت باسمين:

- ليس أي منا مثاليًا.. وليسنا متشابهين كثيرًا.. لكننا نتعلم كيف نكون  
الحياة المشتركة، حينم عملي يرى العالم كمعادلات واضحة.. وأنا  
حساسة نوعا ما، وأميل إلى التأويل والتحليل! حينم مبرنه أنه شفاف..  
صريح في موافقه، ولا يعرف كيف يرتس الكلمات. فد براها الكثيرون عبا،  
لكس إذا فهمت كيف تصرحين معها، تعدو الحياة أسهل.

تهددت ثم قالت وهي ترت على كفها:

- في النهاية، إنه مجهود مشترك. يحب أن يكون الزوجان متفهمين وراعيين  
في بحاح العلاقة.. بعد كل خلاف، يجلس ويشرح مشاعرنا، ويشفق على  
الخطوط الحمراء التي لا يقبل كل منا الصاس بها.. ومساحات التفاوض  
التي يمكن مافستها، فيتكيف كل منا للاقتراب أكثر من مساحات الآخر.

ابتسمت ربيم وهمست:

- يبدو هذا حميلاً.. الالتئام! هل تعنفدين أني أنمي إلى شهاب؟
- أنا واثقة بأن شهاب منهم ومنعاون.. لكنك يا عزيزتي تغفريس إلى المرونة!

شفت ريم غي دهشة

- أنا؟

- لا نسحي من رصيدك لديه أكثر مما يسعي.. لكل رجل قدره نحصل محدودة، إذا تجاوزتها انكسرت العلاقة بدون رجعة!



في تلك اللحظة، أطلت رانيا من الباب وفتحت:

- ريم، عتري ثيابك.. سنحتفل بحظنك!

عقدت ريم حاحبها في استنكار:

- ماذا تقصدين؟

- الثوب الرومي! يريد أن يراه.. هيا!

حُثِّبها باسمين بانسامة مؤيدة، فرصحت دون مقاومة طويلة.

خرجت بعد حين وهي ترتدي الثوب الذي افتنه من أحل الحفل وقد رفعت شعرها ووضعت لسان من الزينة الرقيقة، واستقلتها العنبايات بالهناف والنصيف. كان العنسان صقاً من الأعلى، بسدي بحافة حصرها، ثم يتسع تدريجياً. دبله الطويل المغطى بالزيت بزلق خلفها وهي تنهادي في مشية مختالة، مثل طاووس روضي اللون! جلست وسطهن وهي تعابن قطع الكعك المرتحلة التي أعدتها بسكويات الزبدة المغطى بطبقة من الكريمة والشكولاتة.

همست رانيا في اعتذار:

- هذا كل ما وجدت في المطبخ!

ضحكن في مرح وشرعن في تناول السكويات مع الشاي الدافئ. تركت رانيا مقعدها فجأة. عابت داخل العرفة لشواي ثم عادت وبحورنها دعت

ملاحظات وقلم.

- خطرت بآلي فكرة.. فليكتب «ميناقي عائلة الشقة ٤٠٤»!

حدّث فيها في دهشة، بينما استرت ندرّس في دفترها:

«أن فتمت كلّ منّا لأفراد العائلة.. وتكون محلصة لهنّ، وأن يشارك  
اللحظات المهمة، في الأفراح والأفراح.. وأن تملأ عائلة منحاة حتى لو  
فرقتنا المسافات....»

رفعت رأسها وسألت:

- أيّ سود أخرى؟

ابتسمت باسمي وقالت:

- يبدو هذا مثاليًا!

هزمت سكتة وكذا ملكة قلبها العبرات:

- أيا أوقع أولًا!

ناولتها رابيا الفلم، ووقّعت.. ثمّ مرّرت الفلم إلى الباسم لتوقع  
بدورها. غمغمت ربيم في صيق وهي برمفهر سطره حانبة:  
- ما هذه العكرة السحيطة!

فصاحت مبساء على الفور:

- هل بممكن فبولي في العائلة مكان ربيم؟ صحبح أنّي لم أكن من  
ساكنات الشقة ٤٠٤.. لكنني صديقة للعائلة!

أحابت رابيا في حماس:

- طبعًا، يمكنك التوقيع! أساسًا كلّنا كنا وصيفات باسمي.. وهذا كافٍ.

وقّعت مبساء في حذل، ثمّ تعلّقت العيون بربيم. فتهدّت في استسلام  
ووقّعت بدورها. أردفت رابيا بعد أن أصافت توقيعها إلى حوار توافبعهنّ:

- سأصع نسخة لكلّ منكم نحتفظ بها كذكرى!

غمغمت ربيم في تهكم:

- لنعلّقها في غرف نومنا.. وثيقة «الدستور» الخاصة بنا!



لو أن أحدهم تنأه عند شهور بأنه سيجب الإقامة في تلك الديار الضيقة المكتظة بالسكان، لما صدق كلمة واحده، كان يهوى الوحدة، موسوما بعراية الأطوار مد سوان دراسته، معنأذا على العرلة والخطوة. لكن الإقامة في محبم اليرموك راعت له وطابت.

عند الأيام الأولى، شعر عمر بمرجح عرب من الألف والكميكة. تلك الوجوه التي تنسم في وجهه كل حين، كانت نغمته بالارتياح بحماوتها النلقاة وألفتها الفطرية، فيستشعر بعد دقائق قليلة أنه قد حاط بعضهم منذ شهور مسجوتة وكان الكلام حلوًا على أنسنتهم بشكل لم يعهده، مألوفًا في الود، وهو الذي جاء من أقصى العرب العربي، والسور شاسع بين شرق البلاد العربي وعربها من حيث طلاوة اللسان ويسر المعشر.

استقبله أبو الحسن، شفيق عزام الأكبر وحال أنه. كانت تلك كنيته، سمعة إلى والده - النسيج حسن - لا إلى ولده. كان قد أعد في الطابق الأول من السابة المخصصة لقاعة الألعاب الرياضية التي يديرها عرف صباغة، نستقل في أوقات محلمة من العام شتاء - فلسطيني الهواة في الغالب - لفترة تقصر أو تطول. كان قد عرف بخدماته الحربية لعاسري السبيل والمسافرين، وطلبة الجامعات المغتربين عن أهاليهم، بالإضافة إلى المحبم الكشفي الذي يربب أنشطته صيفًا وشتاء. لم يكن قد ررق الدربة، فمدر وفنه وماله لموجه الشباب البافع.

حين جمعه بمصيفه جلسة دافئة في داره قال عمر متسفا:

- حين سمعت عن المحبم .. أول ما خطر سالي، كانت الحمامة وفوجئت حين وجدت مدينة!

صحك أبو الحسن، أمام كلمات عمر المحرقة وقال:

- لقد عدت مدينة اليوم، لكنها لم تكن على نفس الشكل على الدوام.  
حين دخلها أهلي منذ عقود، لم يكن هناك غير العشب والأشواك..  
أرض بور. لكنهم يحرموها.

مع مرور السنوات، لم تعد أحياء مخيم اليرموك تحلف كثيراً عن  
الأحياء السورية المصاحبة لها. تدريجاً تطورت المساكن المؤقتة المشيدة  
بالإسمنت والحشب إلى عمائر شاهقة ومبينة، وبحسب مستوى الخدمات  
مع ازدياد مواطن الترفه، نصبح معتمداً الترفيه أكثر من كل فلسطيني  
خارج نواب لوطي... لكنه مع ذلك ما زال يحتفظ بمسمى «المخيم»، مع  
أنه لم يعر فط مرحلة «الحمام».

كان مخيم اليرموك بالنسبة إلى أبي الحسن وأهله قضية وطن مؤقت،  
كانت فلسطين حاضرة في أرجاء المخيم لا بمواظبيها وحسب، بل بمدنها  
ومعالمها وكل تفاصيلها، هذه الحلب والقدس وعرة وبافا والمصورة  
وحيفا واللذ وصقورة ودبر ياسين.. كلها من حولهم في أسماء الشوارع  
والأرقة والمدارس والذكاكين، وهي أيضاً نلارم أعماق الفتيات، سلاسل  
ذهبية تدلّ منها خارطة فلسطين الذهبية أو مضاع العودة.. مقابح  
لامعة مرصعة بالحواهر، لا معدنة صدف مثل حلية أنه الأصلية. وهي  
هناك أيضاً، في الأناشيد والحكايات موصول الشهداء التي تربي واحات  
المسي والمحللات. لكن حين كان عمر بمسني في الشوارع، كانت نظرف  
أبيه لهجات محلفة، تخلط باللهجة الفلسطينية.. اللهجة الشامية  
ولهجات مدن سورية أخرى، وحتى اللهجة العراقية.

إنان وصوله، كانت عرفة الضافة يجمع شائين بصعرايه ستاً، وليد  
طالب في جامعة دمشق، وياسين الذي يساعد أبنا الحسن في تدريب فرق  
الأطفال بقاعة الرياضات الصالبة. لم يكن عمر بمسني إلى التفرقة، لكنه  
لا بألف الانتماع. وكان الشلمان يحذنان كثيراً إليه في المساءات المنوية  
الطويلة.



- أهلي من طبريا، لكن أصلنا حرائري، معاربه يعني!

ينسم وليد في نواطض نجاه عمر وهما يرتشفان الشاي الساحي ويتدفان قرب موقد الغار، متخاضا انماءهما المشترك إلى المغرب العربي.

- كانوا مصر نفاض المرسيون مع عبد القادر الجرائري. كان حدي من الديار غادروا في انجاه فلسطين.. سكوا بمنطقة المعدر بطبريا.. ومنا رالت إلى حد الآن نسق «حي المعاربة»، مثل حي المعاربة بالقدس.. وحتى هيا في المحيم، بوحد حي اسمه حي المعاربة. ساحدك إلى ريارته إذا شئت...

بمضي وليد معظم ساعات يومه في الجامعة، في حين يستعظ ياسين منأخرا، يعطر عند العاشرة، ثم يصرف إلى قاعة الرياضة. يستغرق ساعات بطف الأرضية ويلتفع المربا، ينطق العجالات ويصح الغار والعرق عن أدوات التدريب، قبل أن تبدأ الحصص المساتبة عالا. كان أولهما حادا، أقرب إلى عمر في طعه، بدو عليه الوفار والزامة رغم سوانه التي لم تتجاوز الثلاثة والعشرين. أما ياسين فهو أكثر مرخا واسطافا، وفي لهوه حشوة تأثرا بنشاطه الرياضي الكثيف. بدو طفلا كمر وهو الذي نحاور الحامسة والعشرين منذ وقت قريب.

أما عمر، فقد كان جدول يومه مصوطا حسب تعليمات مصيغه أبي الحسن، بين تريض البدن والعقل يهيا على اتفاق مسبق مع شقيقه عزام الذي أساه بصير رياره عمر.

حين عادر باريس، لم يكن يصمر العباب أكثر من أسوعين، رمن المحيم السخوي. لكن وصوله مبكرًا منه من وقت حاض مع مصيغه، وقد فرّر أن يستعيد من تلك الضحه أقصى إعادة. وقد كان أول ما عهد به إليه مكنسه الراحة شتى العاوس المعربة، كان بقصي ساعات في القراءة، وأخرى في صافنة أبي الحسن فيما فرأ. تتوع المطالعات بين الفقه والحديث والتاريخ والتباسة، وكلما بافنه، ألهاه ملفا مطلقا، لا يكتفي بمحرّد العلم بالشئ، بل سي رؤيه الشخصيّة نجاهه.

كان عمر بحسب نفسه مثقفا فيما مضى، لكنّ الرّجل كان «موسوعة منقّلة». لكنّ أحمل أوفات يومه كانت حين يجمعهما حديث حميم، «من القلب إلى القلب»، فبعصي إليه الرّجل بذكرياته وتاريخ عائلته، كما عاشه أو سمع عنه من الأباء والأجداد والمقرّبين. بحدّته عن فلسطين ما فاع الكفة، عن عادات أهلها، وأسلوب حياتهم، عن فلسطين التي لا يعرفها أحداً يتحدث في تأثر عن البطولات التي وصلته في روبات، مثل أساطير نروبيها الحذات لأحلامهنّ قبل التّوم.

- فلسطين ليست عركة والصفّة فلسطين التي أحدها الاحتلال الإسرائيلي، لا تشبه ما نراه على شاشة التلفاز. فلسطين الحقيقة نعيش فقط في الذاكرة الشعبيّة، مثل حلم حبابي بعيد المجال.

يومين عمر منقهما. ليس الحجر كالمعابه.. ليست المعابه كالثّخيرة الدّائبة. ومن أجل ذلك جاء إلى محمّ البرموك. إن الكنب لم تكن لنحدّه عن فلسطين بنفس الدّقة والأمانة التي بفروها في وحوه المحيطين به.

ثم يسرسل أبو الحسن بحدّته عن قريته:

- أنتمى إلى قرية «لويّة» وهي تقع في الشّمال الفلسطيني. لم يهاجر جذي قطاً، ولست في بيته وأراضيه. لكنّ والدي احضارا الهجرة أيام الكسة.. كنت في الزّابعة من عمري حين تركنا القرية. عرّام لم يكن بنحاور الثّابة. أمي كانت مؤرحة بالنّسيّة إليّ، أسعر حين أسرحع كلماتها أنّي أرى بلدنا رؤية العيب.. لديّ صورة واضحة عنها.. من حكاياتها، فيهبّأ إليّ أحباباً أنّها ذكريات حقيقيّة...

يصف له دقّة القرية ولعاصيلها، الجامع والمدرسة، البئر والحمّار والمواشي. كانت البيوت كلّها صفّاً واحداً، بلا طوائف، وفي المدخل قوس مرتفع، وبداخل العرف موقد للحجر. حتّى الأعمام كانت تشارك أهل الدّار معيشتهم داخل البب. وكان اليهود موحودين في ذلك الوقت في الأراضي القريبة - قبل أن يبدأ الروح الكير لليهود إلى فلسطين - لكنهم مسالمون، لا يحتلفون في شيء، عن المسيحيين، بينهم تعابش ونعاون

في المواسم العلاجية.. وكانت العائلات الموصرة ترسل أبناءها للدراسة بالقدس وحيفا.

ثمّ يصل إلى يوم الكسفة. بروي له قصّة رهط من الجمود، رفضوا الاسحات فلبثوا هائمين في الراري لأسابيع، يقاومون بما أولوا من جهد وعزيمة، حتى سقطوا شهداء قرب «لوية». فدعهم أهل العربة. إن كان للضمود شكل في ذاكرته العضة، فهو شكل كومة التراب الندي التي دفن تحتها الحمود النوازل وبعت حولها شتلات طهيّة باعة.

...

بعد أسوعس، وصلت نحو دسنة من الشبان من أجل المحبم الشنوي، وامتلأت بهم دار الصياغة. كانت عمارهم تترأخ بين النامسة عشر والسابعة والعشرين. فلسطينيون، بعضهم من المحبم والعص الآخر يعيش في المهجر، بعضهم فرصة إحارة منتصف السنة، لربط عرى المودة مع ياريجهم وفصبتهم.. فامتلات الدار بهم حياة.

لكنّ مجيئهم تزامن مع العدوان على غزة الذي اندلع ذات سبت في أواخر شهر ديسمبر ٢٠٠٨. ألقت الطائرات الإسرائيلية أكثر من مائة طن من الماسل على تلك البقعة الضنبلة من الشريط الساحلي المطل على البحر المتوسط، فردّت المقاومة بما في حورنها من صواريخ بدائية. استمرّ القصف ثلاثة أسابيع طويلة، وكانت شوارع المحبم تغلي لبلا وبهازا في أحاديث متفدة عن الحرب ومآلها. بين أحجار سافط الشهداء، وبيانات التهديد على ألسنة محترفي التناسه وتحليلات المختصين في المضامات التفريّة، لم يكن عمر بحد ملاذاً من الأكم والعصب إلا في برنامج المحبم المردحم.

بين التدريبات البدئية، والحوارات الدبئية والتاريخية، وتدارس القرآن الكريم، كاتب نمضي سحابة يومه مع سبات المحبم. على الفور، أبهره مستوى الترام الشباب وإقبالهم على العمون الصالبة مد سنّ بافعة ودرجات إقبالهم لها. لكنّ أشدّ ما أثار عرته هو سادفهم في حصط

القرآن الكريم. كان حفظه متقطعاً حتى ذلك الوقت. بسى كل مرة ويعبد من البداية. قد حفظ الكثير في فترة سحيه، لكن حاله النفسيه لم تكن تساعد على التركيز المستمر. لذلك اتّخذ قراراً صارماً بأنه لن يقطع هذه السره حتى يفرغ من الحفظ تماماً.

كان الانقسام الفلسطيني إلى فصائل متناحرة في الداخل، يعكس بوضوح في مواقف الموالين في الخارج. وقد كان الشباب ينمون إلى مشارب مسايئه، رغم إيمانهم جميعاً بفلسطين حرة وأبنة. هبوا لرفلت الحوارات في مسارات السياسة، ارتفعت الأصوات ونحت الجماهير، دفاعاً عن هذا الفصل أو ذاك.. فكان أبو الحسن يقف موقفاً حازماً من المتعاصمين، يصرح فيهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوها فإنها متة! كان البرنامج كنيهاً وصارماً، لكنه لا يخلو من مساحات المرح والدعابة، رغم وطأة الحرب القريه العبيده. ولا شك أن الحلسه الأضع كانت ما بسقى «مار المحترم»، حتى يجمعون حول مار موقد الحطب في الفناء المكشوف خلف الدار، يتسامرون، يلقون النكات، ينشدون وينافسون في مسابقات ثقافيه، يناسون خلافاتهم الداخليه، بعد نقاشات حامية الوطنيس.

نمّ بهض أحدهم ليشد في حماس الشيد الوطني الفلسطيني، فبرّد الآخرون حلقه بسق حارّ ملتهب، ينسحبون من حديد وترنم الأكف في الهواء:

عدائي عدائي عدائي  
با أرضي يا أرض الحدود  
بعصف الزباج وبار السلاح  
وإصرار شعبي لخوض الكفاح  
فلسطين داري فلسطين تاري  
فلسطين تاري وأرض الصمود

وكان عمر يجهّد لالتقاط كلمات الأناشيد التي تكثر على مسامعه في مناسبات مختلفة، وما لبث أن صار يرثيها معهم بنفس الحماسة والنفس الثوري المتقد. لم تكن محرّجاً أناشيد بالنسبة إلى أيّ منهم، بل تجدّد عهد مع الوطن السليب وحفظاً للذكرى الشّهداء الذين تذكروا حيوانهم في سبيل الحرية.

وحين حانت ساعة الزّحيل، صافحهم أبو الحسن واحداً واحداً بغدّة وشعر، وتعاقدوا على لقاء قريب في المحيّم الضيق. كانت العيون دامعة، تلتحم الأحقاد ثمّ تساعد لتترسّب حراره الإحساس ندى الغروب التي بحرّ فيها العراق. ثمّ حلت النار من الضّوء العابرير، ولم يبق إلا سكاكنها الأصليون، بالإصالة إلى عمر.

- عسى أن يعودوا في الصّيف!

بدت الحجرة في كبحي أن الحسن، وعكس الوحشة التي سكنت قلبه بعد انفصاف الجمع، أقصى إلى عمر، في حلوة:

- عددهم ينافص كلّ سنة. أحوال كانا بحصران كلّ عام مغا، جاء أحدهما وعاب الآخر. أحري شقيقه في حلّ أنّه لم بعد يهنم.. إنهم يعيشون في ربطابا. الأخ الأكبر، بحاصم عائلته منذ شهور.. بوّد الارتباط برملة ربطابته له في الجامعة! إنهم بنعزبون تدريجاً عن هوبتهم وتاريخهم، بصح بعضهم مسخلاً لا يدرك لنفسه عابه ولا قصبة.. وبحر نحاول أن نفهم في حصر جماعتنا، مرنطبي بأصولهم وأعبى بمسؤوليتهم التاريخيّة!

...

في ذلك المساء، جمعت الجلسة أبا الحسن بصوفه الذّانصين، الشبح حارم، مؤذّب الكتاب، ومحمّد حنار الحي، بالإضافة إلى الشّباب الثلاثة، عمر وولبد وباسين. قال أبو الحسن وقد هبّج فراق شباب المحيّم حينه إلى الذّكريات:

- أهلاً الذين ظلّوا في محبّات الدّاحل، لم درهم مد الرّجبل.. لكنّ عزّام التّفى حذّي سنة ٨٩، كان لقاءً تاريخيّاً، في مكّة! ذهب إلى الحجّ ذاك العام، وهناك بحث عن وفد الحجاج الفلسطينيين الذين كان حذّي من بينهم. أنّت تعرف، الفلسطينيين يصحّون حوارات حفر أردنية حمرة واحدة من أحل الحجّ والعمره.

سأل عمر في دهنة:

- وهل هناك محبّات في الدّاحل؟

ضحك أبو الحسن في مرارة:

- نعم! حين فُحر النّاس من مدّهم وقراهم، بعضهم رضى في الحلاء ورفض ترك أسلاده فقامت المحبّات حاربه الشّكة والنّكسة فسّمنا فلسطين.. ما يعرف اليوم بالصفة العربية متملاً بقضاء نادلس وطولكرم وحبّ ورام الله وبيت لحم والحلب وسنّك القدس حائلاً.. هم الفلسطينيون الذين يعرفهم العالم! ولكن هناك فلسطينيون في الدّاخل.. في تلك الأرض التي سقطت في ١٩٤٨ ويحملون الحسبة الإسرائيلية طوعاً أو كرها! ولربما التفت بأحدهم في فرسا.. وقد نحد بعضهم إسرائيلياً صرفاً.. بينما ما زال بعضهم مسلماً صادفاً.. يعرفه التاريخ والهوية! ولكنّه يعلم أنّه فلسطيني!

تكلّم الشيخ حارم سرّة مرّة وفاسية. كان عمر بشعر نحينه وعصه:

- أنا عشت في لسان، من ٧٧ إلى ٨٦.. هذه الإصابة، وهذه، وهذه.. كلها تشهد!

أحد بنى إلى مواضع الحراج في حسده تحت النظرات الفصوليّة المتطلّعة.

- معي شهادة حريق حرب، ومعني مبدالات من الحرب وأحرى من جيش التحرير الفلسطيني.. لكنّي لم أكن قطّ راصياً عن هذه الحرب! كانت نفسي وفنّها منعه لأسأ لم تكن تعرف من عدوّاً من عدوّاً؟

نحس حنا لحمايه المحميات، فصل لنا أنجھوا إلى مططه معبہ.. والوا  
ھذا حظ نمار وھذا عدوك، أنس عدوی؟ كل ھذا التّصال وھدھ  
العلامات الشّائھه على حسمي بلا حدوی!

نّم أضافي تلّھجھ حاسمھ:

- عدوی الوحید ھو إسرائيل! ھذا عدوی! أهل البلاد الواحدہ  
بشاكوں، بفانلون، ھذا عرب مسلم وھذا عرب مسلم. كيف أرفع  
سلاحي على أحس ھذا، وبعد أسوع أو أسوعی، بصالح الحكومات  
وبمفنی نفس السّرع! أدن ھذا لمر عدوی، ھدھ فیدھ فیدھ داخلہ،  
لسی ونردمھ الوطن العربي كله، لسی لسی، لسی لسی، لسی لسی، لسی  
سوربا، فیدھ من الداخل. لکھا بمؤل من الحارم، ھذا یار معروف!  
نعد حاب أملی بالانطمہ العربیہ کلھا.  
سکت برھمہ نّم وأصل فی نّحامل:

- فی سہ ۸۲، کان أملنا کمرًا، أن ننحرّر لسان ونعود إلى أراضنا، لكن  
الحوبہ لم بدعوا لنا محالا! أنا أنحمل مسؤولیہ کلّامی ھذا وأعبہ  
بمافا.. مد ال ۴۸ إلى السوم والکل بامر على الشعب الفلسطيني! أقولھا  
بکل شفافتہ، أريد الرجوع إلى بلدي «عس عرال».. لو سمحوا لي بحیمہ  
بعس عرال، فلن أسردّ في الذّهاب!

يؤمّسون على قوله بهرّاب من رؤوسهم. حلم الوطن في داخل كلّ منهم  
بنعدی على تلك الأحداث الرّتابیة بی بقاء على الأطلال وسرد للوفائع  
الثّارحبّیة. بظھر بطرہ شحر وحس في عبي السّبح حارم وهو یروی إلى  
العبید وبھول:

- بلديا حمل، وصاحه بدبح، وطبعه ساحره! ومصیر كلّ مسافر أن  
یعود إلى وطنه.. والاحتلال إلى زوال!

قال عماره الآخره بعس بالغ، شعر عمر في فزاره نفسه أن تلك  
الحقیفہ لا بد أن نحدث بوضا. برفع الشّبح أصابعه مصوحه كأن ببده کره

وهمة، ثم يردف في فخر:

- التفاحة في أرضها بهذا الحجم! التفاح هما أقرب إلى الحوح.. أم  
لعل التفاح الفلسطيني أكبر بكثير! والرتقال، هل رأيت الرتقال الدبر  
يبعونه في السوق؟ إنهم لا يعرفون أن هذا الرتقال كنا نطعمه للذوات!  
برتقالا أكبر وأنهم...

تكلّم محمد بعد ذلك:

- ليست هناك عائلة فلسطينية إلا وقد فقدت شهيداً أو ثلاثة.. وقد كان  
كل طموحي حين كنت شاباً أن ألبس حراماً بأسفاً وأهبط بمطعمي وسطهم!  
لكنني الآن صرفت الطير، وأصبحت أؤمّن بالكنك المستقيم...  
قاطعه الشيخ حارم ياسكار:

- ما الذي أفحصت إليه الصغار؟ إنهم يتفاوضون ضد عفود، وتكلموا  
تفاوضوا نارلوا أكثر.. وازداد موقف الاحتلال قوة!

تابع محمد، كأن كلمات الشيخ لا تعبته:

- العمليات الاستشهادية لا تكفي.. حلمي أن أنسلّ إلى عقولهم، بطريقة  
ما.. وأحرّجها من الداحل.. أريد أن أرى مجتمعهم مدعماً، مشتماً، بلا  
ثمة ولا وجهة! الحرب لن تمكّننا من تبعة، إذا أصيبنا في طريق المقاومة  
المسلّحة، فحين حاسروا لسجين.. نحن لا نملك سلاحاً بقوة سلاحهم،  
وقبديونا لا يملكون دهاء قبائليهم! هذا عدوّ عادر، لا قدرة لنا على  
محاينته في ساحة المعركة.. لذلك وحب أن تكون المعركة من العقول.  
أن سنسط طرفاً أخرى للمقاومة!

أصاف في مرارة:

- إذا فانتما، شعنا بالذاحل سدفع الثمن.. سيجوع، ونقصف بيونه،  
تقطع عنه الكهرباء.. لذلك يحب أن يتفاوض.. وبمس الوقت أنا واع،  
يعني حين أسلم العدو أسيراً واحداً، أحد ألف سجين من مجاهدينا  
داخل سجون الاحتلال.. هذا هو الدهاء، وهكذا تكون الحرب الحديثة!



أطلق ضحكة ساخرة ثم قال:

- لا أدري لماذا يفاوضون على رفات الشهداء؟ دعوهم يدفون في وطنهم!  
لقد حرصا منه أحماء، فليعموا بنراه متنب على الأقل! لماذا سترجع  
شهداءنا عظاما، ومركهم ننوسعون أكثر وأكثر في أراضينا؟ سائسنا  
أعينا، ألم أهل لك؟

تهد أبو الحسن ثم أردف بلهجة حزينة:

- لقد تحول المشروع الفلسطيني من مشروع تحرير وعودة إلى الوطن  
إلى مشروع دولة فلسطينية على جزء من الأرض. لقد هجر الأجانب خارج  
فلسطين سنا مسنا.. لم يعد هناك من يهتم بقصصهم، أو تصح لها  
اعتزازا.. أصبح الهدف إبقاء ما يمكن إبقائه، بعيدا عن البصيرة الضالّة  
الذي عدّسناه داخل بسبواب، بأسعادة نونا وحفونا ولعمير مدنا من  
حديد. إنهم يكررون غلبتنا حتى العلم!

نرتفع الأصوات وبجندم الحدال. بدافع محفد عن حقوق المواطنة  
والوحدة الوطنية والحسنة، سما برفع الشبح حارم كفه بحركة حاسمة  
معلنا الأسيل عبر الجهاد المسلح. بينهما، بحافظ أبو الحسن على  
هدونه، وبفهم هذا وذاك. كان يراهن على الشباب، فيقول مسما وهو  
بشر نائحاه ولبد وباسين:

- لقد ولّى زماننا، والحل بيد الشباب والمسفل سيكون لهم! ما نفى  
علسا الآن هو أن نضم وعهم بالقصة، ومعرفهم بالتاريخ الحقيقي..  
تلك مهمتنا.

بلمح عمر الحرح على سحبي الشايب، وبستنعر نقل المسؤولية على  
عائفهما، هناك مساحة هائلة تصعب احتنارها على أي شات فلسطيني،  
يريد أن يحيا حياة عادية وطبيعته، حتى يكون في مستوى الأعمال المعقودة  
عليه. من المشروع له أن يدخل الجامعة، ينحز ويحد عملا، بتروح  
ويحب أطفالا. لكن تلك الطموحات العالية بالمقاومة والتحرير لم تكن  
ناعبة بالضرورة من داخله الضميم. لقد ولد كلاهما في هذا المحجم أو

غيره، ولم يعرف «الكفة» أو «النكسة» إلا من حكايات «الحنابلة»، كما ر  
العائلة. وما يجتهد أبو الحسن من أحله ويستنبت، هو ألا تنفى تلك  
الحكايات مجرد قصص تُروى. ذلك التاريخ، وتلك المأساة، كان يجب أن  
تكون جزءاً أصيلاً من وجدان كل فلسطيني، وإلا.. صاغت فلسطين إلى  
الأمم.

- إذا أردنا أن نحزر فلسطين، فيجب أن نبحث بعضاً بعضاً أولاً

يشير الشيخ حارم سحرينه المعهوده إلى الشفاق القديم المحدث  
بين الفصائل الفلسطينية.

- العدو الإسرائيلي إذا أطلق قنبلة، فلن يوجهها إلى قنصل ومن آخرين..  
القنبلة لا تميز، وسيموت الكل! هل يعلم ما هو أملنا بالحياة؟ أن  
أعيش حتى أرى انه بعد الفلسطيني مؤخداً من قبل واحدة!  
حين انقرد الشاب في العرفه ذلك المساء، قال ولبد معترفاً:

- أنا أدرس القانون الدولي لهدف واحد.. أن أدافع عن القضية  
الفلسطينية بالمحاول الذلبيه! أنا كطالب فلسطيني، أدرس لخدمة  
قضيتي.. ومن المعروف أن نحصل الطلبة الفلسطينيين أعلى من نحصل  
الطلبة السوريين! لذلك نهتم بإقامة حفلات في المحجم لتكريم الطالب  
المفوق، لأنه باضل على ساحته، وبطريقه.. لا احتلاف سه وبس من  
باضل بالسلاح...

لم يكن ولبد مختلفاً عن معظم فلسطيني المهجر. بشكل وعيه  
طفلاً من قصص نروى عن وعد بلفور و لكنه وجيوش الإنفاذ والكفة  
والثورة، فبلازمه دون وعي منه شاحس اللجوء والحث عن الوطن  
والحرية، ويمضي عمره في العمل والحث عن الطريق إلى فلسطين.

- مند صعباً، كانت لعننا المفصلة: عرب ويهودا يلعب بعضاً حضبة  
تمثل السادق، ويرسم حارطة فلسطين على سواعدا وكهوف أبيديا..  
يمثل أحداً دور العداق، ويكون الآخرون اليهود. يقول: موبوا! فسطح

على الأرض فوزاً! نبدو المعركة سهلة في لعبنا الطفولي...

لمح عمر نظرة عاثمة في عيني ياسين الذي يتابع الحديث في صمت على غير عادته. كان قد ترك مقاعد الدراسة في وقت مبكر، واحترار مسار الرياضة. قال أحياناً في شيء من الضيق:

- فلما أعيش حياتي في سوريا بشكل جيد.. لكن المشكلة عدى بالشهر أريد أن أكتشف العالم، أن أذهب إلى العمرة.. والمشكلة الثانية بحقوق الانتخاب! أتمنى أن أصحك بين يدي حوار سحر، وبطافة انتخاب. لعل مفهوم المواطنة يختلف من شخص إلى آخر، لكن مواطنتي محروجة.. هكذا أشعر. وهذا بتقص حياتي.. أتني لا أستطيع التعبير عن رأيي بشكل واضح وصريح.. أتني لأحزن ونسهر. هناك من لا يهتمه الأمر، أولوياته مختلفة، لكن هذا يجعلني لا أنسى، ويبقي سنين بالفضيلة رغماً عني! يشير إلى كتف عمر على الطاولة المحفصة ويتابع:

- إذا أخذت منك كتابك هذا عصاً وعدواناً، فإنك سنظل تفكر طيلة الوقت بطريقة لاسترجاعه.. قد نحاول بالقوة، وقد نفعل بالعقل. لكن ماذا إن كنت عاجزاً، لا يوسعك حل سلمي ولا بيدك قوة؟ سنزل دموعك لا إرادياً، لا خوفاً.. بل عجزاً وفهراً! هذا هو الأمر بالتسعة إلى.. إنها محرّذ وثائق. لكنني محروم منها!

كانت العبرات تهمر على وجهه في ألم. وكان عمر ينماهى كتاباً مع مشاعره الشفافة.

لقد عرف كيف يكون العجز، وقد قرّر ألا يعرفه بعد ذلك أبداً. تمنى بإخلاص أن يجد ياسين طريقاً خارج الشريعة، لإحسان الحسن داخلها شائقاً وبعض.

\*\*\*

كانت فترة إقامته في المحيم فرصة موانه لبأمل وينتدر. تلك الشهادات الحبة التي جمعها من المحيطين به كانت تدفع به دفعا

نحو الخطوة التالية.

كانت عليه زيارة فلسطين!

لن تكتمل الصورة في ذهنه إلا بوطء نراب الأرض المعنصة، وملامسة أكف أهلها الضامدين. كان يفترق تدريجياً من الانحياز تلك الفصنة التي أصبحت سكره ونشطل عمله ووجدانه. ولم نرده حكايات أبي الحسن والشبح حارم إلا سوفاً.

حتى جاء ذلك اليوم. دخل على أبي الحسن في مكتبه بقاعة الألعاب، وقال بلهجة حارمه:

- أريد زيارة فلسطين. هل يمكنك مساعدتي؟

لم نرد الذهنة ولا الاستعراب على ملائح الرجل. قال بعد صمت قصير:

- أمهلي بعض الوقت. سأندبر الأمر.

لكن «بعض الوقت» استمرّ شهوياً طويلاً. كان عمر يدرك صعوبة الدخول إلى الأراضي المحتلة والمحصرة، وأبو الحسن لم يخل عليه بالشرح. لقد احتلف الوضع بعد الانتفاضة الثانية، وازداد سوءاً بعد حصار غزة.

لكنه نشئت بالأمل.

لم بعد الأمر محرك محاراة لأبيه وحالها. إن المرة التي أمضاها في المحجم كانت أكثر من ملهعة. كان قريباً من إيجاد «الهدف» الذي سأل الله أن يرفقه إياه بعد الحادثة. رويداً رويداً، كانت الفكرة تسور في رأسه وتصح. كانت يبيت لبابه بتجمل ويرسم تفاصيل المرحلة المقبلة. حين ينتهي من تلك الرحلة، ستكون الصورة قد اكتملت.

وكان أبو الحسن عند وعده. نذر الأمر. كان الزمن صيفاً، حين دخل منهزل الأسارير، وبكفه وثائق ما. قال بانسامة دهاء:

- بطاقتك المهنية الجديدة.. صحفي!

كانت قافلة إعانة دولته ندخل عركه حلال أسبوعين، مروراً بمصر. وكان عليه الالتحاق بها كصحفيٍّ معربيٍّ، دون أن يرقُر هوئته. قال أبو الحسن موصحاً:

- الإسرائيليون يطلبون قائمة اسمية بكل أعضاء القافلة بشكل مسبق. دون وطيفة واضحة، لن يمكنك العصور. لكن لا نخش شيئاً.. إنهم لا يحتمون حوارات الشعر العربية عند عصر ربح.

لم يفته ذلك قط. كان يعلم أن دخول عركه يعني المرور عبر التفتاط الحدودية التي تهرى عليها السلطة الإسرائيلية. تدخل حول حواً عبر المطارات الدولية يعني ختم حواره من قبل اليهود. وصمة الكفار تلك قد تستب في رفض دخوله إلى عدد من الدول العربية والمسلمة فيما بعد. لذلك كان الولوح من المعاصر المحصنة بالاسطخبيين الأمر.

خلال أيامه كان قد استجمع شتاته المعثر في أركان المحبم واستعد لإفلاخ وشبك نحو القاهرة. هما امتصت روحه عفى الحرية ونحلت من أدران العجر التي كانت تكتلها. مثلما انتصرت عركه الأنية في حرب عبر مكافته مع العدو المحتل، انتصر عمر على محاقفه القديمة.

قبل رحيله، صافح عمر أبا الحسن بقوة، بشكره على الحرية الفريدة التي وهته إياها رحلة المحبم، ثم أخرج من حقيته طرفاً مكتنزاً. طالع صاحبه الطرى وفي عيبه نظرة نساوقلوحيرة، فقال عمر في عموص:

- أعرض عليك كفالة نشاط المحبم

- كفالة؟

- في العرب، يعتمدون كثيراً على «الرعاية». غالباً ما نرى الشركات الكبرى الأنشطة التطوعية والموادرات الشابة. وأنا أود أن أكمل هذا المحبم الفريد، حتى بالي شيء من الآخر والثواب...

كان قد لاحظ نساوق طلاء قاعه الزبابة، واهتراء معداتها التي تركب عليها السمون أثرها. يدرك أن أبا الحسن بصرف من حبه حرصاً على

قصيته التي يؤمن بها.. وهو لم يكن يرحو إلا أن يقاسمه داك الحرص.  
عائق وليدًا ويأسى بحرارة مودعا، فحانت أم محمد الحنار مهرولة وفي  
عبيها تلتمع عبرات لدبة نأى الهطول. قالت في تأثر:

- هل أنت دهب إلى فلسطين يا ولدي؟  
أوماً متسفاً، فهبت على الفور في لهفة:

- هلا حملت إلي قصة من نواب فرنسا في رام الله، في ريارتك المفلة؟  
كانت أم محمد قد عادت من بلدة «صوري» إبان انتكبة الأولى، وعمرها  
لا يزيد على الستمائة العشر. وصفت له الحب بدفة، كما يحفظ  
نصاريس المكان في دكرتها. ربما تلتون الدائرة ونحوها، فتكمل الصورة  
الدهنية بعالم رانها على التلفاز، لصرى أحمر مهرولة حشماهي الصور  
في مخيلتها حتى كملتها واحدة. تقول في نفع:

- البيت في أعلى التلة، إلى حوار بيت أبو صالح.. أسأل أبا كان عنه،  
الحبيب بعرفه. أمام البب ربنوة كبيرة. لا تسن، في المرة القادمة..  
أحصر معك التراب!

انشم عمر في صرارة وأطرق في حرج، ثم نطلع إلى الصورة التي بن  
يدي السيدة السبعينية. صورة قديمة مهترئة هي كل ما تبقى من البيت  
الذي تعتقد أنه ما زال يقف هناك ضامحا فوق التلة بترقب عودتها.  
تحدثت بإسهاب عن «الوطر»، وعن رائحة نراه المميّرة. وإذ إن أملها  
في العودة بعد تلك العقود الطويلة قد عدا مستحيلا، تنكر أم محمد  
طريقة مدهشة للعودة.. فنوصي أباها ستر التراب الذي سيجصره عمر  
من القرية على فرها!

عاهدها على العودة، وبحورته التراب العرير. لم بدر كيف يمكنه  
الوصول إلى البلدة عبيها، لكنه سيجعل شكل ما.

مرتب أشهر الربيع سرعة حاطمة، مثل سحب غامرة نفضت منها  
ريح عاصف يذذها، لسرع الشمس الذافئة. استنفدت ربيع حلول شهر  
يوليو صراح أكثر استرجاء. عملت ببطيئة باسم ووصفت النقاط على  
الحروف في علاقتها بنهاب.

حدّدت الحصوط الحمراء: لا يمكنها الاستعلاء من عملها في شركة  
المحاسبة البارسيّة وبرنامج الحففة الكاملة لم تكن تكبول جديداً، منذ  
عرفها، بدرك شهاب مدى تعلّنها بمسيرتها المهنية الواحدة. لكنّ العودة  
إلى باريس لم يعد مباحة بالنسبة إليه. لم يكن من اليسر الحصول  
على وظيفة دائمة.. وعنده أن ترقّب فرصة رباره خارجة قد نحبى وقد  
لا نحبى!

انقما على قضاء أسبوع معاً كلّ شهر. نساfer هي إلى القاهرة، أو بأنّها  
هو إلى باريس. يتفقان ويوزعان إحارانهما السنوية، بالإضافة إلى ترتيب  
العمل عن بعد حتى يكون ممكناً، أو الإحارات بدون راتب إن نطلّب  
الأمر. كان ذلك الخطّ الأحمر الحاض بنهاب. ووافقت ربيع دون تردّد.  
ستّة أسابيع في السنة عليها، وستّة عليه. توسعها بدّر أمر ذلك!

كانت الشقة في حال من الموصى في تلك الآسام. أنهت رابيا  
احضارات بهابة السنة، وانهمكنا في التحصير للرفاق المرتقب. الفسائين  
و«لاكسسوارات» والأحذية، بالإضافة إلى الهدايا لأفراد العائلة كانت تملأ  
الحفائب وتفيض منها على الأرض.

كانت صحته سكبته في نحش سنمّر. دأبت نحصر حصص إعادة  
التأهيل لاسرداد طاقة رئبها، حتّى عدا نفقها منطّماً. عصت فترة  
طويله مد فاحبها بونة صبق نفق نفطع عنها الهواء.

لم يحصر حاسر للفانها أبدًا. منذ ريارنه العربية قبل استنافتها من التّحدير، لم يحاول أحدهما الدّق من مساحة الآخر. كانت تهوّن على نفسها وتقول.. سيأتي. حين يكون مستعدًا سيأتي حتفًا. كان مهتمًا بنقضي أخبار هيفته. حملت إليه رابا الإحبات التي لديها، وهي لم تكن بالسّيء الكثير. اسم عائتها الخاصة: «دينيس»، وعواياها الطييم الذي منعت من الاقتراب منه بعد محاولة الاحتطاف العاضلة! كان ذلك كلّ ما لديها.

وكانت تعرف كلّ شيء عنه. تقدّم لها رابا نفوسًا يومئذٍ عن شادانه واحتباراته وعادانه وأصدقائه.. تابعه عن بعد، دون أن يفتح محالة الشّخصي. بعد سمر الأحتين، ستعقد الضّيفة المؤنسة وبشرة الأبحار الموصية!

الغذاء حاصر كعاليًا

- خرجت رابا أوّلًا. جلس فباله سكبته وملأت طيفها. قالت في بدمر:
- أنت واثقة أنك لا ترعيب في المحييء؟
- ابتسمت سكبته وقالت برفق:
- أشعر أنّ حصوري لن يكون مناسبًا.
- قالت ربيم وهي تصمّر إليهما:

- إذا عيّرت رأبك، فاعلمي أنّ كلّ شيء سيكون حاصرًا من أحلك.. تذكره السّفر والإقامة في الفندق الذي يفام فيه الحمل.
- رنّ هاتف رسم لبقاطع الوجهة. كانت باسمين.
- أشرفت على الوصول!
- ننتظرك إذن للغداء.

حمل انتهاء عروبيّة آخر، وأحراق مرتقب لفترة الإحارة. لم نستطع باسمين إقناع هينم بالسّفر إلى القاهرة لحضور حفل رفاي ربيم. منذ البداية، كان هناك عدم ارتباط مناديل بين هينم وربيم.. منذ حادثة



رداد العمل! نعلم أن نحفظانه على ربيع كثيرة. لكنه لم يحاول يوماً  
إبعادها عنها. راوع حين قال بلهجة فاطمة:

- طروفا المادّة لا نسمح نحمل نفقات السفر!

كاتب رستم قد عوصت كما فعلت مع سكية - أن تتحمل نفقات  
استضافتهم جميعاً. لكن ذلك كان عبر وارد ثانياً بالنسبة إلى هينم.

قال راسا وهي تغارو مفعداً على فائدة العدا:

- يجب أن أعيد الكتب التي استعيرتها من المكتبة. سأكون هنا قبل  
الخمسة!

جمعت الكتب المخططة، وحضرها في حفصة طهرها، وحرصاً،  
حين ركب المصعد، دفعت الوشاح المرحلي بأهمال حول وجهها إلى  
الوراء، لتستر حصة عبقراً، باكته نخته. كاتبة كاتبة أعادت صغ شعرها  
وفضة تلك الفضة القصيرة التي تليق بها. حين وصلت إلى المحطة،  
كانت الحرارة قد عدت حامية. بحركة فاطمة، سحبت الوشاح وحانته  
في حقيبتها، ثم أعادت تزيين حصالاتها أمام رجاح النافذة. لقد تحمّله  
طويلاً بلا داعٍ حقيقي. لم تؤمن بحاجتها إليه إطلاقاً.. لكنها نورطت  
وتحطت بعباء ورطتها أكثر من ستة أشهر.

دخلت مكتبة الجامعة، ووضعت الكتب على مكتب الاستقبال، ثم  
حوّلت بين الرفوف في نراج كأنها نوّج المكان. سنمضي شهور الصيف  
برفقة عائلتها، غالباً في الإسكندرية كما جرت العادة. لن يرجع إلى باريس  
قبل الحريف.

- أبها

ظهر وجه كرافي من حلف الرّف الحضيّ بشكل مفاجئ. لم نعد إلى  
مطار دنه مد رم، ومع ذلك فهي تعرف كل أخباره وتقلها بحرص إلى  
سكية. تجاهلته وحلست إلى مفعد شاعر متظاهرة تنصّح رواية فرنسية.

- أنت قرئين الفرنسية الآن!

كانت قد أحررت نقمًا لا بأس به في الشهور الماضية. بإمكانها إحراء  
محادثة سليمة دون تردّد أو تلغثم.. لكنها تردّ له الصّاع صاعين عامدة  
متعمّدة. أشار إلى شعرها المكشوف وقال مارخا:

- هكذا نعلن دخول فصل الصيف؟

وضعت الكتاب حائثا وقالت بلهفة حافة:

- ما الذي نريده؟

- لقد وحدث سبيل!

أحررت كلماته بنحة موزية. حذف فيه رابا بانته وردت:

- سبيل؟ هذا هو اسمها؟

أوما بانسامة ثم أضاف:

- لم يكن هناك خير لي لأنازكه أغير...

تهدت ثم قالت:

- بلى، هناك من يهقه الأمر أكثر مني.. لكنك عبيد ومنحخر القلب!  
على كلّ حال، سأسافر خلال يومين إلى مصر. لن أكون هنا خلال الإجازة  
الصيفية.

عمر الضمت لرهة، وهرأت الخبنة على فسمانه، فأصافت على المور:

- هذا بريدي الإلكتروني. إذا شئت مشاركتي ما نوصلت إليه بشأن سبيل.

دوّنت العسوار على فصاصة ورو، ونزكتها بين يديه. لوحت بكفها  
وهي تعادر قاعة المكتبة، ثم ألسعت انتسانها وهي تهرول في اتجاه  
محطة المترو.

سكينة ستكون مسرورة بالخبر!

\*\*\*

في الساعة السادسة، اكتمل العقد بحصور ميساء.. وكانت رابا  
واسطة العقد كالعادة. كانت قد اكتسبت نحرية في تطعيم حملات

نوديع العروبة! لم نسأل مرة أخرى عن فوائد الزواج ومساوئه. كانت  
نعرف الكثير الآن بسبب هلع ربيع وعصبيتها الزائدة في الأيام الأخيرة!  
هفرت مسابقات في الثقافة العامة، وألعاناً حركية.. نصح بالونات ثم  
نقشها بشحنات حادّة القمم، نقل كرات صغيرة بين طرفي الحرفة على  
ملاعق يمسكها بأسانهم، القفز بالحبل وسباق التوائم المصلاصه. ثم  
نسافط على المعاهد في إعباء لبلتهم المعتلات الشهية.

هتفت رابيا فحاه:

- ستزمن النافه. أليس كذلك؟

- أيتها نافه؟

حدثتها سطره مأكرة وقاب:

- أعلم أنك حفيظة، هذه إحشمتي ونحططين بها في حراشك! طالما نحن  
مجمعات الآن. يحب أن نرسمها!

وقمت راسا ومبساء تدافعان في مرج طموحي. في حين حذفت ربيع في  
نافه الورد الأحمر الحاف في إشعاع:

- إن رميتها ستتحول إلى أنلاء. وردة واحدة تكفي!

سحبت وردة برفق. قد استحال لونها إلى الأحمر الداكن. ثم نهدت  
بأسف وهي تلعب بها خلف ظهرها، لنستقر بين كفي مبساء.

- أيا الثالثة!

ناهت مبساء في جدل وهي تختصم الوردة التي حطمت بين كفيها،  
بما عسب رابيا وهي يقول في تنف:

- لا عليك.. سألفظ النافه الحقيقته في حمل الرقاي!

...

تلقت عازاب المحاملة والمديح وهي تتقدم على السخاد الأحمر  
بفسانها الأنبيص دي التصميم الفريد -بواهص الثمر- وسأطط ذراع

شهاب. لقد كان حمل رفاقها ليلة من ليالي الأحلام. الفستان، الزينة،  
الموسيقى، المأدبة، الرقي واللمسات الناعمة، الذبكورات الفاحرة.. كل  
ذلك كان كما أملت وأكثر. لكنها محاطة بالعرباء. نوزع انسامات متملقة  
وتلقى نهائي حواء.

عشرت الفاعة الملاي بالمدة عويس، أفراد عائلتها الموثقة الدرس لم  
نحالهم مد سوا، حتى نلت العلافات.. ومعارف والديها من  
الطيفة المحملة، وأصدقا، شهاب وأقاربه. كانت تسعر بالعربة، كأن  
الحفل لا يحضها.. كأنها فصائٍ حص من كوكب غريب، ووجد نفسه  
محاصرًا بأرواح عسور كثره فصولته، سكرها ولا يملك الم يلا منها.  
أيقنت أن يدرس عدت عالمها كله، وأنها لا يمكن أن ترجع إلى الاستمرار  
في ذلك المحيط المجهول كلها بالنسة إليها.  
لوحث لها رانيا وهمت:

- انسمي.. سألفظ صورًا أرسلها للفنان!

فافتّر نهرها عن انسامه حقيقتة، ونألفت عساها يوميص الفرح.  
نمّ وقعا منحاورين وأحدثا صورًا لهما، متعاقبين، نمّ وهما تسدان  
ظليلهما إلى بعضهما، نمّ تعددت الوصعات المرحّة. بأملهما باربعان في  
رصا. لم تكن تتوقع حين أرسلت رانيا لتضم مع رسم أن العلافه بينهما  
قد تتطور بذلك الشكل الصحيح. ولققت بينهما في عناق ثلاثي وهمت:

- رؤيتكما مسحمنين أحمل ما في الحفل!

نادلت الأختان نظرة صوبلة، نمّ ابهرنا ضاحكين. لم تكن داك هو  
الوضع بينهما على الدوام، لكنهما تخطأ ذلك بمعجرة ما.

كانت البداية يوم وحدث ريم الشجاعة لتعند من شغبها. لم  
تكن تحتاج أكثر من كلمات صغيرة لينة لترويض الفتاة القردة! ثم جاء  
«ميناق الشفة ٤٠٤» ليضع أسس علافه حميلة ودافئة. لم يعد بصابق  
ريم أن تشارك صديقاتها مع شغبقتها التي تصعرها تسع سوات! كان

ذلك بشر حلقها في السابق، لكن رابيا كست المكاة التي حارنها لدهن  
عن جدارة.

لقد رثت حجلات لهابة عروبية، وحفقت إبحاراً ناهراً في وصل سكبته  
بولدها المقسود، وكست الميناك الذي وقعت عليه الصدقات. لقد  
استحقت أن تكون وصيفها العمتر، بعد أن رافعها لشهور في رحلة  
التحصير للرفاق.

ها هما الآن، صديفان هذا لا يعني أن رابيا لم تعد تهر عيظها  
بصباستها وبهزرها وزرعها. لكنها حطت خطوب عملاق نحو النصح،  
مدت رحلت لنصر معها في الشفة البارسية.

...

حلفت بهما إيطاني في رحلة طويلة من القاهرة حتى دي، وصفا إلى  
بلكوك، العاصمة التاليدية. حفت ريم حلمها، حتى استجاب شهاب  
إلى رعبها في شهر عمل مداري بطعم الأنايس والبابايا وفاكهة النش.  
أمصبا بصعة أيام في العاصمة، بتفرحان على الفصور والمعاهد الودية  
القدمية، وبوها في رحام الأسواق، بألوانها المافعة وروانها المركبة  
وأطعمها العربية.. ثم حلفا في أنحاء الحموب، إلى منطقة «كران»، حيث  
الحرر الأسرة والسواطن الحلاية. ركا على ظهور القبلة الأنسوبة الصخفة،  
وعاصا في الماء الفيروية، لبسحا إلى حوار كائنات الأعماق الطلونة وقوى  
الشعب المرحانية الهشة. ثم النقطا صورا نذكارتة بالقرب من الكتل  
الصخرية النانة في عرص البحر، التي صارت تعرف بحرية «حبص  
بوند»، مد ضور الشريط، لأمريني «الزحل دو المسنن الذهبي» في  
الجهة، متحد الفم الحررة القاسه حلمه لاحدانه. ثم اسسلا أخيراً  
لدا، الاسترخاء، على الشواطن الرملية البيضاء لحيرة «بي» الخالبة من  
العربان والتي لا يصلها إلا الفولارب وروارب الصد.

كانت ريم تحلق على أحجة السعادة. إنها تستنفع بكل لحظة تمصبيها  
برفعة شهاب. كادت تسمى في حصر ترددها أن علافيهما بشأن عن صداقة

مريحة ولا مشروطة. إنه يعرف كيف يكون طفلاً، بلهو بلا توقف.. ويمتد  
أوقات الجد التي لا هزل فيها.

لم يتعب شيء عن رحلتها منذ ثلاث سنوات إلى أهرامات الحيرة..  
لكنها تركت العنان لتساقط أحرار، لتستقبل مشاعره باصتبان، وتنادله إياها  
دور حسانات معقده وبحفوف من المنفعل. حتى حس لنا سجن  
عندقهما ليومين متتابعين بسبب الأعطال المدارية المستمرة، أمضيا  
ساعات شتبه لم يتخللها الليل. كان أحدهما يسمع بصحبة الآخر.  
كانا يطلان على شاطئ الصدق الحالي من الزوادة من شرفة الفيلا  
الحاصلة بهما المشتدة من الأكواح الحشوية، يصف من القرميد الأحمر،  
والعطفة أعلى التلة فوق مضخة صحريّة رفعة، تحزن مائات ربيع بكرة  
مرجة، وهي تعطي دراعها التي نالت بسببها تكون برورتي ساحر -  
نطقه من وهي الشمس:

- إن كنت شجرة، فماداً نريد أن تكون؟

رفع شهاب حاجبه ثم نزل بصره متفكراً إلى المعبود. بالأسفل، يظهر  
أمامهما عبات من أشجار المور وحور الهد والمابح والبابا، نحتها  
مرارع أناس وحفول أرز مسطحة في الجهة المعينة عن الشاطئ.  
- شجرة مابح.. لأنها شجرة معطاءة وتمازها حلوة. ولأنني أحب المابح!

ضحكا، ثم قالت رسم:

- أفضل أن أكون شجرة حور همد.. لأنها ناسفة الطول، تراها عن بعد،  
فل أي شجرة أخرى. إنها ممترّة!

اسم شهاب وأصاف:

- إنها النجمة بين الأشجار!

- تحديداً!

ضحكت ربيع، بينما رمفها شهاب بطرة طويلة فل أن يقول:

- دوري لأسأل.. اممم، ما هو أسوأ محاورك؟

نمطت رسم في كسل نمر قالت بعص وعساها نهما في المشهد  
الطبعي الأحاد الذي تكسوه جبوط المرن مسحة درامية:  
- أن تنتهي هذه الرحلة!

- لكنها ستنهي قربها.  
- وهذا بحري.. سأعشر على ذكريلها حتى غير العسل العلام  
كالب قد عرمت أن يكون كل لقاء لهما شهر عسل.. محذرا. نهفت  
نمر قالت:

- ماذا علك؟  
- أن أكون حبارك الثاني دائما?  
النهفت إليه فحاه وفي عيسها دهنة وتساؤل.

- ماذا تفصد؟  
قال بلهجة بنوبها مسحة كانه:  
- أحشى أن بأن يوم أحتاجك فيه ولا أحدك إلى حواري.. لأن عملك هو  
صاحب الأولوية المطلقة.

عسب وهي ينسك ذراعها أمام صدرها، نمر قالت في وجوم:  
- حسنت أنا نحدثنا في هذا...

رهر شهاب وبطرائه تسرح إلى الأفق وتضم:  
- نعم، فعليا.

نمر ما لبت أن استعاذ مراحة الطبيب واسرسل في حكايات محلمه.  
عبر أن كلماته لارمها ولم يعرف دهها باقي النهار.  
فكرب أن أسوأ محاورها هو يوم يفق شهاب لبحيرها.. بسبه ويس  
عملها!

«مرحباً، رنوش.. هل هذا هو اسمك؟»

حققت رانيا باستغراب في الرسائل الواردة إلى صندوق بريدها الإلكتروني، كانت هناك ثلاث رسائل من المرسل ذاته، المدعو «بطل حربنا المجيد»، تساءلت في حيرة من ذا المجهول الذي جرد من إسقاط الكلفة وماداتها باسم القابع الخاضع بالمقصد؟

لم يكن، قد فتحت بريدها الإلكتروني خلال الأسبوعين الماضيين، تلك حريصة على قراءة رسائلها يومياً في بداية العطلة، التي لم يهرس من دون أن تصلها أي أخبار ذات أهميته، لذلك انتقلت إلى متابعة صندوق الرسائل، حتى فتحت ذلك الصيخ بعد أيام، التفت تلك الرسائل العريضة سطرها، يعود تاريخ الرسائل إلى الأسبوع الماضي.

بعد دقائق ولم يجرها في شهر العسل، أوجلت وغالبتها للاضطراب في الإسكندرية، تلك عادتهم التي لا يتخلون عنها منذ سنوات، لأنهما أحسنا بالعزوبة منذ وصولهما، كان يمكنها في وقت مضى أن تستمتع بوحدهما، يكفي أن تكون بحورتها ساعاتها وأجودتها الإلكترونية السفضلة، صعدا على أنبيها، وشغل موسيقاها الصاخبة، لتعجب في عالمها المجلون والخيالي.

لدى هذا الصنف، يبدو مختلفاً، كل شيء يصيبها بالملل، لم يكن هناك ما يجعلها تسكن حياة باريس وطقم الثقافة.

كانت ريم قد سقنتها إلى باريس بعد رحلة شهر العسل، ثم لحق بها شهاب لمصيا أسبوعاً واحداً معاً في نهاية يونيو، فترقا على أمل اللقاء بعد شهر آخر، هذه المرة، ستحضر ريم إلى القاهرة، فترحل هي برفقتها.

كلما فكرت في ذلك التذير العرابي شهرت بالاسعاض، شفتها العريضة لا تقدر الحظ الذي حظيت بها بزوجها من رجل ملل شهاب، لقد تلت حياتهما، وهي لا تملك التدخل بأي حال، وأصلت القراءة في حيرة.



«تريدن أن أخبرك بشأن سيلين...»

هتفت في ذهول: كزافي!

كانت سطر رسالة مه مد دوت بريدها في آخر لقاء لهما على فصاصة تركتها لي بديه. لكن محي شهور الصيف دون اتصال ليه جعلها تعتمد أنه كور الورقة وبس بها مثلما فعل مع الإعلان. حر في نفسها ألا تكون بحورها أي مسحات قشر بها سكبها، بعد أن أهدبها أصلا قبل رحلها.

أدركت على الفور أنها لم تحره باسمها فقط. أهم بريدها هو «ريوش ١٩٩٠».. اسم الذلع مع سنة ميلادها. لقد كان الخط خطها عادت إلى الرسالة في اهتمام:

«أنا في «باب» مد أسوع. بجنب حتى وحبي حواها، فإذا به دير للراهبات الكاثوليك»..

عقدت حاحبها في شك. ما الذي أهدبها إلى الدير؟ هل ترهست حقاً؟ بحب أن تكون الآن في الثابة أو الثالثة عشرة.. فكيف نطق عن دراسنها وبدحل الدير؟

«ررت الدير وسألت رئيسة الراهبات عن «سلس ديبس» التي أحسبها شقيق الصانعة، وعرفت أنها فقدت عائلتها مد سنين في حادث طريق أليم. لقد أصبحت شبة مرة أخرى. لم أحد في نفسي الشحاعة للقاتنها».

على الفور، حوّل رابا الرسالة إلى ريم مع ملاحظة مقنصة:

«كزافي وحد ميلين في دير راهبات في باب»

ثم فتحت الرسالة الثانية، وأحدث تلهم السطور في لهقة:

«عرفت أن سيلين تقلت بين عدة عائلات حاصة مد الحادثة. لكنها لم تستقر طويلا عند إحداها. كانت نهرب من المزل.. أو سبب المشكلات، فينتهي بها الأمر إلى الانتقال مرة أخرى. وصلت عند الدير مد ستة أشهر».

لقد حاولت الحديث إليها. لكنّها صامنة ولا مبالية. قالوا أنّها تنصري  
بنفور مند وصولها. لا أدري، ما الذي بمكني أن أفعله من أجلها...».

سارعت إلى الرسالة الأخيرة:

«رجعت إلى باريس بالأمس. لقد حاولت. لكنّ الموضوع يبدو لي بلا  
فائدة».

كأنت قصيرة ومحتصرة. نوحى كلامها بالحسنة. شرعت في كتابة ردّ على  
المزور:

«مرحباً كرافي. اسمي هو رانيا».

عليها أن تصحّ ذلك الخطأ بدانة.

«يسعدني أنك وصلت إلى سبلي. ويؤسفني ما البتة حالها. ماذا  
تفعل في الذير؟ إنّها متكررة الواقعة على الزهنة! أمل ألا ن فقد الأمل  
بنائها. إنّها بحاجة إلى عائلتها الحقيقية».

تأملت ما كنت، ثمّ مسحت الكلمة الأخيرة. «إنّها بحاجة إلى عائلتها».  
لبسا متفهمين على معنى «الحقيقة». الحقيقين بالنسبة إليه هو ما ألفه  
وعاشه صد عقد ونصف. والحقيقين بالنسبة إليها هو أصل الأشياء  
ومصدرها.

أصافت:

«أنت عائلتها الوحيدة الآن».

ماراليت سكبنة مموعة من الاقرباء من سبلي (أو مبار).. فهي لم  
تلع سنّ الرشد بعد. لكنّ وفاة العائلة الحاضرة قد بعثّر أبناء كثيرة.  
ضعطت على زرّ الإرسال، ثمّ حوّلت الرسائل التالية إلى رنيم قبل أن  
تصل بها:

- وصلتكم رسالتي؟

- لم أفتح الرسائل بعد.. أنا في المحكمة!

- افعلي في أقرب وقت.. هناك حديد يخض سكبنة!

- حاضر.. سأفعل.

تركت مقعدها أمام الحاسب الآلي، وخرجت إلى الشرفة المطلّة على كورنيش الإسكندرية ليلفحها وهج الشمس وسيم البحر المحمّل برائحة البود. هطّفت في كسل، وهي تزيو إلى أمواج البحر الرمزيّة، والساطن الذي تتراحم على مساحته الزمليّة شمسيتات المصطوفين حتى تكاد تحجبها.

لم تكن نزع بالتواحد هناك في تلك اللحظة، كم نشناق إلى سكة وأجواء السّعة ١٤٠٤، كانت نشعر بالإثارة نعروها بفصل رسائل كراسي، ويهفو إلى معارسة مهمة النحرى الي حجبها. لكنّها حبسه الإثارة التي تأتي أن ستهي.

كم أنّ ريم محطوفة لعودها السريعة إلى هناك

... ONE PIECE

في الاستراحة العاصلة بين المرافعات والاستماع إلى الحكم، فتحت ريم صندوق يريدها الوارد. طالعت سرعه رسائل رابا الي بدا أنّها عاجلة، فأثسعت عساها ذهنة. عادت لتقرأها من جديد بنو، وفكرة مذهلة تتكوّن في رأسها.

حين حطت داخل السّعة مساء، كانت الحطة قد تلوّرت في رأسها وعدت واصحة الملامح. جلست إلى حوار سكة بانسامة مثالفة، وقالت في حذر:

- سكة.. لا أريد أن أستبق الأحداث، لكن أقامنا فرصة ذهنة لاسترداد مبار!

استمع إليّ سكة حاسة أنفاسها، وقد نشئت راحها بأطراى حشية المقعد تحتها.

- بوفاة والديها العاصين، وتسليمها للذير.. نصح بين أيدبا أسباب كافية لطلب استعادة الحضانة! أخذت نفسا عميقا ثمّ أضافت:

- لا أقول أن هذا مضمون.. لكن المحاولة واحدة!

- ماذا لو وضعوها عند عائلة أخرى؟

- لقد حاولوا مرارًا لكن العائلات جميعها فشلت في استيعابها. عامل السن يجعل من الصعب الظهور على عائلة ماسية لها.. حلّ الحاصلين يفضّلون الاضمار في - ن صهره، حيث يتألمون سرعه.. أما ماز فهمي فغريب مراهقة.

فلالات العرب العسة في عني مكنه. ماز. صهرها الي بركتها وعندها ماز وحسب. هذ عذب هذاة بافعه، ثمزده وهفده! قالت وهي تنزع عضها:

- ماذا عني! أعني ما العته الي بدع الحكمة الي رجع اليهم بالإهمال عني؟

- لا يلقني.. سعد ملما كاملا.. عن بشتك بالفاء والحن عن أولادك رغم الحر ورغم رحل روحك إلى سوريا، السجل الذي نته رباصج الحففة الكاملة، تركتك في السكر، نبي سكل من بوسعه الشهادة لصالحك.. ولعلنا نفع حاسر بلغانك والشهادة أيضا...

اعرورفت عباها بالذمع وسالت على وحنها في صمت. بخلط دموع الفرح بأهات الحر. لم نكر نحسب أن أبواب الأمل قد تفتح مرة أخرى. نريد أن نصدق، أن المعجزة عارالت ممكنة. لكنها بحنى أن يوقف نصها من اللهفة قبل أن ندرك مرادها!

- ثم وضع مزار حناس أكثر من أتي وفنت مصي.. مائلها كنيرة، وعفدها النفسه مراكمة، لذلك لا سنقر في مكان واحد طويلا.. نحص واحد بمكنه نحفلها بصر!

حذفت رسم في عسها مشخعه وأصافت:

- هذا الشخص هو أنت!

أدار عمر المفتاح في محل باب الشفة، ثم دفع البقة برفق فأحدثت صرخة عرختا. هذا الباب لم يفتح منذ ما يزيد على الشهور التسعة. موت ثلاثة أرباع الشفة على رحله، أحس حلالها في الفراش الكريم. أمضى أسوعى في عرة، ثم سافر إلى العمرة! لو لم يعد برحله إلا ذاك الإيجار، لكان يكفيه. لكن ما أحرره يريد على ذلك كثير.

سحب حفيصين فجلس حتى الزهرة، ثم أزل الحصى الجلدية عن ظهره. حين معذرتة، كانت نحوى كل ساعة. السوف يعود محملاً بأنقال ألوانها درجاب الزهرى، وكيس نراب من أرض مكة! لم تكن من العبور إلى الداخل اللطيفي التحلل كما وعد أم محمّد، فالتقى على مصص بما طاقته بداه. أوليس نراب الوطن واحداً؟ حين نسج الفرصة، سيجمله إليها في محبم البرموك.

نهد وهو سند قامه ويرمي بصره إلى الأفق عر باعده.

إنه يعود إلى هرساء، أس أهس وسحفت كرامته، وأنس بعرض مشروعه للعرافيل والمصوفات. لكنه يرجع إلى تلك الأرض رغم كل شيء، مع أن أرض الله واسعة. لقد نساءل كثير، ما سرّ نمتك بالقاء هساك؟ لم يكن مديناً لأحد ولا مرتبطاً بوطى. توسعه الاستمرار في المغرب، أو في أي مكان آخر. أبة سالحى به، لا يحسبها نماع إن هو أئدى رعينه في هجره أخرى. كلاهما مغرب، وأهلها موزعون على أرباب العالم الخمس.

لكن هاجساً داخله كان بدعوه إلى إنساب نفسه على الأرض ذاهبا. هل يهقه أن نأر لإهانته؟ لعنه بفعل. هل اعتاد المجمع العربى وألف سنه حتى صار الاسفال نقلاً عليه؟ رتما. مهما كان النسب، وإنه قد رجع. وقد كان يشعل حماسه لدابه حديده.

لقد اشتهر اسمه في وقت مضى دون أن يكون قد فعل ما يستحق.

أصبح رمزاً في أذهان الكثيرين، وهو كان قد ذُفِعَ دفعاً في محرى الأحداث.  
لم يصع أمراً حديراً بالنساء، غير أنه كان مسلماً في مجمع بكرة الانرام  
الديني.

الآن كان الوقت حتى ينبت حدارته.

...

جلس إلى مائدة معمره في الشرفة الخارجية المسقوفة لمطعم «البيت  
الصغير». طلب كوب من عصير البرتقال، ولست يتأمل ساعت الأتصا  
الحريقة في الساحة على مهل وفي عسبه بطرته حالمه كان يساق تلك  
الأحواء العائمة التي تنعمر بالانعاش. بعد هذا طويل وجاز، وتلك  
الحصيفة للمطعم «البيت الصغير» بالفرب من باطنات سحاب عملاقة  
- عمر! لا أنصق أنت رجعيما

وقف ليعانق هبم بسوق، ثم جلسا متقابلين. كان بيوم الثلاثاء،  
وهبم بدوام في الشرفة. اعظم فرة العدا لبخطبا بحلة قصيرة في  
ركبهما المعلا. دفع عمر كوب برتقال في أنجاه صاحبه وقال:

- طلبت هذا من أحلك.

ضحك هبم وقال:

- ما من أحد عرك بطلب عصيراً بارداً ويجلس في الخارج في يوم ماطر!  
سأطلب فهو صاحبه.

عاد بعد دقائق قليلة، جلس بعد أن رفع باعه معطفه واحصى كوب  
الفهوة الدافئ من كفيه وقال مسخفاً:

- هكذا أفضل! متى عدت إذن؟

- بعد يومين.

- يا إلهي، لقد احببت طويلاً.. أين كنت كل هذا الوقت؟

قال عمر في غموض:

- كنت أحياح وقتاً مستقطفاً، لأرث أفكارى.

- وكيف تشعر الآن؟

علت شفقي عمر ابتسامة مسترخية:

- أشعر أنني ولدت ولادة جديدة!

- ناه، إلى هذه الدوحة!

- ولأنما أكر...

- حظي إبن. كثر أذان صاعه!

الولف عمر من مشروبه نمر قال:

- وودت ألا أفرق المحنم أنذا، وآلا أعود إلى الحياة العادنة. ذلك

المكان، على ساحبه وسطح العنبر فيه.. إلا أن فيه راحة محسنة. تلك

الوحوش النيرة والمنلوب الصلابة.. إنها الصلابة التي يسجد بها القلب..

"هم القوم لا يشعرون بغيرهم"

الاسم هنم في رصا. سره يعتر حال عمر إلى الأفضل. لقد عانى كثيرا

في السابق، وسحق أن يعرف التعاده وراحه السال.

تابع عمر في حماس:

- لقد أمصبت شهوزا أنأفل، حتى وصعت الحطه الماسية.. لكنني

أحتاج مساعدتك.

- قل!

- أنت مواطن قوسي، أليس كذلك؟

أوما هنم علامه الإبحاب، فأصاف عمر:

- ما رأيتك أن تشارك في مشروع؟

رفع هنم حاجبه في دهسه، فشرح عمر:

- لقد رفضت في السابق كل مطالبي الإدارته، وصودرت المعذات

المسنورة.. ولقد فهمت أن طلي أسود عند الإدارة العريسته، رغم

البراءة والتعويضات!

- إذن تحتاج واجهة.

- لبس ناعماً. كان يوسعي أن أسخل المخنر باسم أحد الموظفين.. أيّ واحد منهم بقي بالعرض. لكنني مهما فكرت لم أكن أحد شريكاً مناسباً أكثر منك!

صحك هنم ثم قال في حيرة مرابدة:

- ما رلت لا أفهم شيئاً!

- أريد شراكه حصته. أن يكون معي هذا سد. لا بشكل صوري.. أحتاج مهارتك في البرمجة. سأشرح لك فكرة المشروع، هذا! أفعلت.. حصلت معي الصاعرة!

أخذ عمر يحدث عن فكرة مشروعه الجديد.. يحدث طويلاً. وأصغى هنم في صمت.

\*\*\*

ONE PIECE

طالعت باسمين ساعة الحائط المعلمة في الممر، ثم عادت إلى المطبخ لتحلب باقي أطباق العشاء. تأخر هنم. الساعة تشير إلى الثامنة.. عادة ما يجلسان إلى المائدة في ذلك الوقت.

في الأيام التي مداوم خلالها هنم في الشركة، يعادر البيت في السادسة صباحاً، ليصل مع بداية الدوام، نحو الثامنة والنصف.. ثم يعادر باريس في الخامسة مساءً حتى يبلع «ليل» نحو السابعة والنصف. يوم شاق وسفر كثير.. لكنه لا يتأخر عن مواعيده أبداً.

كانت نهيم بالانصال به، حين نامى إليها صوت مفاتحه في قفل الباب. عجلت تستنقله في الزهدة باسمه دافنه بشوئها الفلق. أحدث عنه معظمه، بينما انشغل بمرح حديثه.

قال هنم وهو يطلع إلى المائدة:

- رانحة شهية!

- أعددت اللازانيا التي تحبها.

بادرها بعد أن اسفر كل صهنا على مفعده:



- قابلت عمر اليوم.

- أه.. هل عاد من السفر؟

- مد يومين...

حضت أن ذلك سبب تأخره. سكت هينم لحظات بينما كانت تأسف  
تسبب الطعام في الأظفار. ثم أردى:

- لقد اشرح علي أن يعمل على مشروع مشترك.

- حصل.. أي مشروع هذا؟

- صناعة ألعاب منطوره بالأطفال.

رفعت عينيها إليه في استعجاب:

- ألعاب؟ وما هو دورك أنت في المشروع؟

- الـرمحه 'ONE PIECE'

- ألعاب فيديو إذن؟

- سأشرح لك...

يسما يساولان عشاءهما، أحد يحدثها بما دار سه وبن عمر، مسجدا  
حوارهما طهر ذلك اليوم.

...

قال عمر وهو يتحد وصفا حادا: —

- هل تسمع عن الاندماح البارد؟

فكر هينم برهه ثم قال في شك:

- هل لهذا علاقه بمشروعك السابق؟ أضرت الكلمات طرقت سمعي أثناء  
المحاكمة...

أوما عمر علامة الإيجاب:

- هو داك الكلمات بسيطة.. إنه تفاعل كيميائي، مشابه لم يحصل داخل  
المفاعلات النووية.. لكنه لا يحتاج طاقة هائلة مثل المفاعلات، ولا حرارة

شدبدة، بل يمكن حدونه في ظروف وحرارة طبيعيين!

رقمه هيثم في ريبة:

- وما الذي تصعه بهذا الاندماج المارد؟

انسور عمر وقال ضاحكاً:

- لا مفر.. إن كان هذا ما بقلبك!

لنقسم هيثم وعد أدرك إنشائه إلى انفجار المحرر مد سوات، وقال في حرج:

- لم أفصد هذا.. لكن ما علاقه الاندماج المارد بصناعة الألعاب

- طاقة الاندماج المارد، بمكر نخبه في عبوات صغيرة.. مثل البطاريات، لكن الطاقة المتولدة عنها أعلى بكثير، وتعمل لفترة أطول أيضاً.. بمعنى أن نستطيع تشغيل مختلف أنواع المحركات، بكفاءة ودون حاجة إلى إعادة شحن!

- إن كان هذا صحيحاً.. فسنكون ثورة في عالم التكنولوجيا! لن نحتاج إلى شحن الجوال أو الحاسب الآلي.. ولا حتى توصيل الأجهزة الكهربائية بالشابس!

هتف عمر في حماس:

- بالفعل! لكن هذا سأنى في مرحلة مقدمة من المشروع.. أنت تعلم، هناك لوبيات محكمة في الطاقة، وتظهر برونوكول من هذا النوع لا تشبه محركات دات ورن.. يعني التعرض للتصديق حتى يحسب المشروع قبل البدء الفعلي!

- ما الذي نفكر فيه إذن؟

- هناك مجال ممنوح نوعاً ما.. ويهمني بشكل خاص، وهو مجال ألعاب الأطفال!

- ألعاب الأطفال؟

- الألعاب المتاحة في معظمها تعتمد على البطاريات دات الاستعمال

الواحد.. وفيلب منها على الطائرات التي بُعِدَ شحها. حسنا، لن  
نكشف أوراقها دفعة واحدة.. نطرح أولاً حبلاً جديداً من الطائرات..  
ندوم أطول قليلاً. مع أن الاندماج السارد قد يعي عن إعادة الشح  
لشهور وربما لسنوات.

- حسنا، وبعد ذلك؟

تردّد جيمر، ثم قال بشيء من الهزء:

- منبرك الخطوة التالية لوحد لاحق...

سكب لتاسس ثم عاد يقول:

- منسورد ألقائنا رحمة من الضي: سخراب، فووس، رجالا أليس  
وطائراب...

- هل تفكر في الطائرات بدون طيار؟

تحفرت ملامح عمر وهو سائف شرحة:

- معظم الطائرات بدون طيار سحّم بها عن طريق جهاز تحكم..  
وهي صالحة لمسافة محدودة، إذا تجاوزناها بقطع التواصل مع جهاز  
التحكم. ما أفكر فيه هو أن تكون الطائرات أو الفوارب أو السارات  
مسفلة بدانها.. الطائرة المظوّرة تسمح لها بالشعر لمسافة طويلة ولا  
تليقها الرّادارات.. وتكون ممرحة لتؤدّي مهمّة بعينها: توصيل طرد،  
جمع معلومات، زرع عدسه بصور لولافطاب حرارته.. وهذا بأني دورك.  
- المرحلة ١

سادلا نظره طويلة. يشعر حينئذ بشكل غريب أن عمر لا يحبره بكل  
شيء. لقد تعودّ على الشريّة والغموض. بعلة لا يكشف أوراقه كلّها دفعة  
واحدة أمامه. بفضل الاحتياط بأفكاره لنفسه أطول وقت ممكن. لكن في  
تلك اللحظة، لم يكن هناك ما يدعوّه إلى الزّيه. إنّ ما يحدث به عمر  
أقرب ما يكون إلى الحنّس. لكنّه يطرّد تلك الفكرة الشحيحة من رأسه،  
إنّه يتق بصاحبه.

- وما هي اسعمالات هذه الألعاب المظوّرة؟

أحد عمر رشفة طويله من كوبه، ثم قال على عجل:

- التطبيقات كثيرة. سجد ربائر، لا نطلق. سنحدث في ذلك في جيبه.. في الوقت الحالي، سيعمل على الألعاب وحسب. ها ماذا قلت؟

سكنا هتمز لرهقه ثم قال:

- لنسأل الاسحاره أولا.

\*\*\*

خطا عمر داخل الشفة حيث اجتمع فريق العمل من جديد. انضم وهو يشير إلى هتمز الذي نعدم على أنره:

- شكرا لكم يا شباب على قدومكم بهذه التوجه. أردت أن اهدم إليكم صاحب الشركة.. المهندس هتمز.

صافح هتمز المهندس من الثلاثة ثم عرك كل منهم نفسه.. «أليكس» رميل قديم لعمر، أما «أدريان» و«داميان»، فحدثنا التحزح في كلية الهندسة به إفرى.. بنحضر الأول والثاني في الهندسة الكهربائية، بينما يهتم الثالث بمجال الطاقة. كان عمر يحمل على عاتقه مسؤوليته تطوير الطائرات، وهنم بمسك برمام الرمح، بينما يهتم فريق المهندسين المسقطين بالمحركات والذاران.

أردف عمر بعد ذلك:

- هذه المرة سيكون كل شيء فابوتة. لم أتصل بكم إلا بعد أن وردنا الموافقة الرسمية على إنشاء الشركة المصّعة، وجرى قبل ذلك طلب المعذات التي عن الضوقع أن يصلنا خلال أيام...

أصاف هتمز بلهجة أمرة:

- هيا الآن، كل إلى مهامه.. أمامنا وقت قصير لدراسة برونوكول التصنيع قبل أن تصل المعذات.

كانت الثقة قد هُتنت لاستقبال الموطفين. في الصالة الواسعة رُتت أربعة مكاتب متحاورة في الفضاء المفتوح، أحدها لعمر. في حين حصص العرفة الكبيرة للمحضر التحريبي حيث ستكون المعذات المستطرة.

في المطبخ الضعير، أعدت عرفة استراحة فيها كل ما يحتاجه الطاقم  
لتحضير الشاي والقهوة والوجبات الخفيفة.

فاد عمر هينم نحو العرفة الثامنة التي كان بابها مغلقا. أدار المفراج  
في القفل، ثم أوسع له محالا ليدلف.

- مكنت المدير!

صغر هينم بإعجاب وهو يتالع المكنت العاجز والمفعدب الوثيرين  
قائلته، والمكنته الي نراضب فيها كتب علمته وأخرى أدبته. قال مداعبا:

- هل سيكون هذا مكنتي حقا؟

- بغرض به أن يكون.. بعد أن أنهل متاعي من هنا!

ضحكا معا، ثم تقدّم هينم ليجلس على المفعدب الذوّار. اتحد عمر  
مجلسا أمامه ثم هالاه بلهجة جادة:

- المشروع الموارى سبطل سرا بي وببك. لن يعرف أحد عبرا عن  
نفاصل تركيب البطارته المعرّرة، ولا عن برنامج التحكم بها!

أوما هينم موافقا.

ابرى عمر يجمع كنهه في صاديق كرنوتته، ثم حمل أحدها وأشار إلى  
هينم كي يحمل الآخر. مشى هينم في اتجاه المخرج:

- إذن أين سنعمل كل هذه الكتب؟

سفه عمر وهو يقول مصاحكا:

- ليس بعيدا.. اننعي!

سارا مفا حتّى باب الشفة، ثم برلا الذرح المؤدّي إلى الأسفل وهبط  
طائها واحدا. أشار عمر إلى باب الشفة الي تقع تحب مقرّ الشركة ساما:

- هنا!

وصع الصدوق على الأرض، ثم فح الباب لدلها معا، بينما هتف  
هينم ضاحكا:

- أنت لا تُصدّق! هل هذا أفضل ما لديك؟ حين تقول بأنك لن ننام

في المختبر بعد الآن، تسكن في الطابق أسفله!

هزَّ عمر كتفيه في استهانة وقال:

- لا أحب ركوب وسائل النقل كثيرًا!

نحوّلا في السَّفة المحمَّرة منكل كامل، ثم قال هينم ناسًا:

- يبدو على أنه الاسعداد لاستقبال العروس!

انضم عمر ثم قال في عموص:

- بعد خروج المنح إلى الثور، سأفكر في تلك الخطوة.

ثم أردد على الفور:

- حسنا أنها المدير، هل فكرت في اسم مناسب للشركة؟

أصعبت الانسامة على سفي هينم وهو يقول لها:

- لقد فكرت في هذا اسمًا حدشي بأمر الشراكه! أصع حنًا إلى هذا..

باسمب الأندلس.. ها، ما رأيك؟

رفع عمر حاجبه في دهشه، فأصاف هينم بلهجة مرتدة:

- هل يبدو لك مفطرًا في الشاعرية، لعنه لا باسم شركة نشاطها في

محال التكنولوجيا؟

- بالعكس، إنه.. اسم مدهش!

استرسل هينم في حماس:

- حقًا، إنه اسم ذو دلالتى.. الدلالة الأولى وهى التى نذكرها الجمهور،

فيها نوع من الحمى إلى ماصى الأندلس العاصر، ورهر الاسمب الذى

بمبّر حدانفها.. والدلالة الثانية..

قاطعها عمر باسمامة وهو يقول يهوء:

- الدلالة واضحة.. لا تحتاج إلى شرح!

دفعت راساً باب السقف، ثم هرولت إلى الداخل في سوق وهي تصرخ:

- لقد جئت!

لمقبلها سكة بالأحصان. عانقها بحرارة مثل أمٍ اصبحت طفلها،  
وهي التي قد رجعت من السفر. سماء سحب ريم جفيتها وهي تدلف  
على أروها وعلى نفسها التمامه سادته. إنها لا تقدر على الاحتاطه بسر  
العلاقة التي تجمع بينهما سريكة سكتها  
جلسن ثلاثهن على الارض تقصص كل منهما للأخرى عما جرى في  
عائهن.

CHÉRIE

كاتب رباره رسم الأولى لنفاهره بعد رواحها. الشهر الماضي حلّ شهاب  
صيفاً على باريس. اسأحرا عرفة مدقته، ونخلص ريم من معظم  
أشغالها لمصا أكبر ما يمكن من الوقت معها. خرجا سحولات في شوارع  
باريس.. بين الحينّ اللابنيّ ومصحف اللوفر وشوارع الشاتيليريه.. غاضا  
شهر غسل حديثاً.

- سيكون لنا في كلّ مرة شهر غسل! لتكون حمانا كلّها غسلًا في غسل!

يقول ريم وهي تتأبط ذراعاه ويحطولان بحقة على رصف نهر السين.  
نلك هي التسحة الممعة والمسلية من الرواح. لا روس بومنا ولا شجار  
فيها. لكنّ رحله الفاهره كاتب محبقة. لم يمكن شهاب من تأجيل  
مواعيد الحراجه المراكمة بسبب إجازاته السانقة، فكان يغيب عنها  
سحابه اليوم، ثمّ بمصبا الشهرات في صباغات لا تنهي ودعوات من  
قل أفراد العائلة الموسعة والأصدقاء. حاب طنها في شهر غسل آخر!  
قالت بعد أن فرغت راساً من إفرار حرايها من الحكايات في أدبي سكة:

- اتفقت مع جورج على تفويض المرافعات التي في عهدي.. سأسافر

نهاية الأسبوع إلى نانت، للقاء ميار.

تحاول سكبى أن تبدو متعاسكة لذلك الحاطر.. أن شخصاً قريباً منها  
سيرى صعرتها بعيني رأسه، ثم يأتي لبصعها لها. هكذا هي طريقها  
المناحة لـ «رؤية» أبناء بطيها العرباء عنها مد عقد من الزمن. رأت جاسر  
بعيني رانيا، والآن سترى ميار بعيني ريم.

صمت في رحاء مكسر:

- هل يمكنك أن تلتقطي لها صورة؟

...

عبرت ريم مدخل دير «النفيسة» الكبير، وأسارت في صمت على أنوار  
الزاهية الكهله في رواق طويل بعمره السبعين. كانت رانيا قد كتبت  
لكراحي حتى يحضرها عمها في الذكر، ففعل. والآن تحاول ريم أن تكمل  
عنه رحلة استرجاع ميار.

تمشي مصعبة إلى وقع حطوانها على البلاط القديم الذي يتجاوز  
عصره القرن من الزمن، وعباها تلاحقها اهتزاز عطاء رأس الزاهية التي  
تهزول أمامها، بردانها الرمادي الباهت والسابع على كامل بدننها. على  
يمين الزوايق الصفوف دي الأقواس العالبة، تظهر حديقة معني بها،  
شجيراتها الباعة مقلمة بدقة، وممشاها مرصوف بحصى ناعم وبطيف.

بعد هسيهة، أشرفت ريم والزاهية على قاعة فسحة تملؤها طاولات  
ممتدة ومقاعد متلاصقة. كانت الزاهيات مهمكات في أعمالهن، في صمت  
شبه حائري، لا تشويه سوى همهمات خافتة لا تكاد تُسمع. أشارت  
الزاهية المرافقة إلى طاولة مزوية، جلست إليها سيدات في منتصف  
العمر، يهتفن فناء لم نحاور العاشرة إلا صد وقع قريب، لا تحطن  
العين غريتها عن المكان. ميار!

ألفت نظره على عمل الضعرة. كانت مشغولة بنظرير عطاء سفرة  
أصفر، يوشبه زهرات سوسن ذات حبوب أرجوانية.



- سيلين.. لديك زائرة!

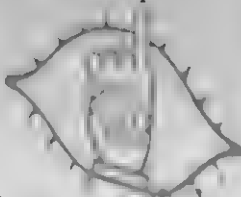
رفعت الطفلة رأسها عن عملها، فالتفت بطراب رسم بعض سوداوي عصفت، دكرناها بحبي سكية. لم يكن لديها شك في الشبه سهما. حذفت لها التت لمره، مأجوده بخسها، نمر ما لست أن عمادك إلى حيطها وإبرها. حلت رسم إلى حوارها وقالت بلطف:

- كيف حالك يا سلس؟ أنت لا تعرفيني.. لكنني أعرفك، وبهقي أمرتك هل يودين مرافقي إلى مكان جميل؟

ومعها سطره مسحورة وهعب:

- الآن؟

- نعم.. الآن!



نادلت رسم محفزة فتح أنفاسي المسؤولة. فأومت لها بالمواظفة. كانت رسم قد فذمت نفسها على أنها ممثلة عاتله نرعب في حصابة سيلين، وبركت بحورنها بظافنها المهنه كصما.

أمسكت ريسم بكفها وعبرا الطريق حتى ساحة الأكعاب الفرسه. جلسنا على مقعد مردوح في الحدبة نمر دار سهما حدث أنشه بالاسنجواب، وكابت ردود سيلين محصورة وخائرة.

وقفت ريسم وانحرت كوي منلحاب من شاحه محولة رانصه عمد مدحل الشاحه، نمر رافسها جلسه وهي سدوق الكرات الحلوه على طرفي لسانها، برقة وثرو، منل طفله تعلب قبل أوبها أن سمهل في معايفه لحظات السعاده، فهي.. أهه إلى روال. أخرجت ريسم هانها، والتقط لها صورة، كما وعدت سكية.

قالت سيلين في بردد:

- هل ستأخذيني للعيش معك؟

بوغت ريسم، ثم قالت بابتسامة رقيقة:

- ليس معي أنا.. هناك سيدة جميلة نتمنى أن تكوني حرة من عائلتها.

مدت الحقة على ملامح الفناء، كأنها تذكر بقطرة من اعواد الحدلان أن الناس يحرقون الكذب والحداع، وهذه السيدة لا تختلف عنهم. حطرت ببال رسم حاصر معاشي، فحبب اتصالاً مرتباً مع سكره وقالت بهذا:

- من أين صار الآن.. حافظي على أرائك!

عمر الثالثة، حذفت كل واحد منهن في الأخرى. بعضهن همولت من مسعنين من جهة الطفلة، وبعضهن باكتن منهن من جهة الأم. سألت سليلي بساطة:

- متى تأخذي لـ ONE PIECE

- قريباً يا حبيبي.. قريباً!

ثم وفدت سكره الشظيرة على عواطفها، فسارعت رسم نهبي الاتصال. قالت مطمئنة سليلي:

- يمكنكين بعض الوقت مع الزاهبات، ثم سأل لأحدك مرة أخرى. هل يأسبك هذا؟

هزت رأسها في استسلام، ثم عبرت الشارع مرة أخرى في اتجاه الذئب. انتظرت حتى توارب سليلي بالداخل، ثم قصدت مكتب الزاهمة الرئيسة. قالت بلهجة حادة:

- سليلي لن تذهب مع أبي عائلة ماضيه أخرى. أقمها البيولوجية قريب استعادتها.. لكن الوضوح معقد وقد يتطلب بعض الوقت. هل بعدسي بالاحتفاظ بها حتى ذلك الوقت؟

\*\*\*

سار كل شيء كما خطط له، سلاسه وسمر. وصلت المعذبات في موعدها، بالإضافة إلى كفضه أولته من الألعاب الضمته التي أرى العريق

في إحراء التّعديلات عليها. خلال ثلاثة أشهر، كان التّمودج الأولي قد عدا  
منماسكا وحاهرا للتّحربة. احنمع فريق العمل في المختبر، بقلوب واحفة  
وعيون منعّقة بمودج الطّائرة بين بدي عمر. قال هينم معطيا إشارة  
البدا:

- هل أنت حاضر؟

أوما عمر وهو يصع الطّائرة على المصدرة. ثمّ صعط على زرّ  
التّشغيل، فدار المحرّك محدنا طيبا حقفا. من جهة، رفر هينم  
بعلامات التّحكم على لوحة مضابحه وقال:  
- فلنحرّك هذا السّاربو.. طران عمودي، ثمّ فمبب دوراب، شقله..  
ثمّ هسوط.

كان قد تأكد من نيهان الطّائرة في كلّ حركة على حدة، والآن جاء دور  
الخطوات المتّحدة. صعط على زرّ الاطلاق، فنحرّكت الطّائرة. تابعها  
الجميع بظرات رائعة وتركيز عال.

ارتفعت الطّائرة البلاستيك مترا واحدا في أنجاه سقف العرفة، انتعدت  
بحو التّأفدة حتّى كادت نلعبها، ثمّ امرت تدور في دائرة فطرها متران  
شكل أقمي. ما إن أنهت التّورة الكاملة عند نقطة البداية، حتّى أحدثت  
شقله في الهواء قبل أن نزل بهدوء لنستقرّ على الأرضيّة.

ارتفعت هناقات العرج والتّصعيق التّحسبي مع ملاستها للأرض برفق  
ووداعة. تصافح عمر وهينم بحرارة.

- نهابسا! تحربة ناجحة!

أعلن عمر مخاطبا الجميع:

- بمكنكم المعادير مكّربس السوم.. احصالا بالإبحار! سسدا في العدي  
إعداد حطّه بحارب الحودة المكّفه ومن ثمّ بطلق في التّصبيع بكمبيات  
نسويقيّة!

حس حلت الشّركة إلا مهمما، البعت عمر إلى هينم وقال بانسامة

حذلة:

- تعال.. عندي لك مفاجأة.

ركبا السيارة معاً ونولّى عمر القيادة. سارا في شوارع المصطفة الضّاعبة بالصّاحبة الحوتة، حتّى أنشرفا على ساء قديم، لا تشفّ واجهته عمّا يخفيه. كاتب بؤانة معدّبة ضخمة صدنة تسدّ المدخل. دفع عمر باب المسودع محدثاً صخباً صاخناً، ليطهر القساء الفعر داخله مضراً ومُشخّجاً. خطا الزحلال إلى الدّاحل، واضنّدت كف هبهم إلى ررّ الإنارة لسبعين إضاءة صنيلة من مصباح قديم أصفر.



- ما رأيك في المكان؟  
مطّ هبهم تحفيه معكراً ثم قال:  
أظنه سيجي بالفرق.

كانت ضجة الألعاب الفلامية من الضّيق قد أوشكت على الوصول.. كميّة هائلة منها للشروع في التوزيع على نطاق واسع. حين يفرع فريق المهندسين من احتضارات الجوده، سيكون المنتج جاهراً ليطرح في السوق بشكل رسمي. وعلى خطّ التصبيع أن يفي بحاجة الموزعين.

- عشرة عمّال.. هل سيكون ذلك كافياً؟

وقف عمر وسط المسودع وأشار بكفّه إلى عمق المساحة:

- هيا سنحرّج الألعاب في ساحتها الحام، نثر بأي مركز التجميع.. وبعده مباشرة مركز الجوده.. وفي النهاية مركز التعليب.  
أوماً هبهم وهو بقدر في رأسه الصّاحات اللازمة لكلّ منها.

- يبدو هذا مماساً.

وفما متألمين لرهة، يرسم كلّ منهما في رأسه صورة متكاملة لوحداث التصبيع المستقلية، قبل أن يسأل هبهم بلهجة محايدة:

- كيف كانت رحلتك؟

- جَيِّدَة.

انفجرت شفتا عمر بسرعة لتلفظ تلك الكلمة المقتضبة واطبقتا من حديد. لم يبدل تفاصيل أكثر. منذ انطلاق المشروع، كان يسافر كثيرًا، مرة كل شهرين تقريبًا، إلى الصين، والهند وإندونيسيا وتركيا.. يقابل رياضي محظوظ أو مرؤوس أسطوره رهبة، أو يحضر مؤتمرًا علميًا مليحًا كان لديه الكثير ليفعله، وهبتم له بكر يسائل نفلانه، طالما كانت على حسابه الشخصي. لكنه كان مختلفًا بعد عودته تلك المرة. شيء ما في عيونه العاصمين المعتمدين كان يشع قلق هبتم. قاطعهما ربح هائف هبتم. كانت ياسعير لم يكن من عادتها أن تتصل في أوقات العمل، لذلك قدر أن الأمر حللي. أنه صوبها هامسا ما إن فتح الحظ:

ONE PIECE  
- عندي لك مفاجأة!

استمع إلى كلامها العاصفة في اهتمام ثم قال في شك:

- خيرًا إن شاء الله؟

لكنها قالت في عادية:

- لن تكون مفاجأة إن أفصحت!

أصاحت قبل أن تهوي المكالمه:

- هلا أحضرت حلوى العراولة في طريق عودتك؟

ودع عمر واطلق في سبانه. شعله أمر المفاجأة طوال طريق العودة بين ناريس ولبل. ماذا يمكن أن تكون المفاجأة؟

هناك أنواع كثيرة من المفاجآت. مفاجأة «عادية» مثل قصة شعر أو تعبير لونه، حمار كهربائي جديد للبيت! ومفاجأة أعلى درجة، لكنها ليست على قمة سلم الإدهاش.. مثل هائف تنكولوجيا حديثة - وهي تعلم كم يعشق الآلات المنظورة وساع آخر صحانها أو إحارة حاصة يقضيانها معا.

ثم هناك المفاحة الأعلى التي يتمناها قلبه، ولا يحرز على التفكير فيها حتى لا تهوي آماله من شاق!

دخل المحر لبغني قطع الحلوى التي طلبتها. بسما يعود إلى سيارته وبين كعبه علبة الحلوى المفضلة لديها، ففكر أن المفاحة قد تكون قدوم ضيف ما حذق في العلية بين يديه.. هل تكون الكفنة كافية للضيوف، إن كان عددهم أكثر من اثنين؟ لكنها لم تحدد!

عاد إلى المحل واشترى قطعتين إضافيتين، لعل وعسى لم ينوِّف عقله عن التحليق في ماهية المفاحة.

...

وقفت باسمين عند نافذة المطبخ، تطالع الشارع في فريقت وشوى. كاد صبرها ينفذ وهي تنتظر وصول هينم.

ذلك الضاح، دخلت الضدلة التي نمر أمامها كل يوم وهي تمضي إلى مكسها. وصفت للضيدلانية أعراضها. رعة شديدة في التوم تجعلها تستبظ بصعوبة صاحبا، كسل وحمول، وإحساس سريع بالتعب. قالت السيدة الأنيقة ذات المنزر الأبيض:

- لعله نقص في الصنامين «ده».. نحتاجين التعرّص إلى الشمس لوقت كافي، وسأكتب لك مكملات غذائية.

لم يبد على باسمين الافتناع. إنها تمشي كل يوم عشرين دقيقة ذهانا ومثلها إيابا، وتعرّص إلى شمس «بلبل» المنوارية عالما حلف السحب، لكنها شمس على كل حال.

سألته المرأة بشكل عابر وهي ترقق الفاتورة على حهاها:

- هل أنت حامل؟

- لا.

استلمت الدواء، وانصرفت بخطوات بطيئة. لكن السؤال ظلّ يعتمل في رأسها. هل أنت حامل؟ عدت الأيام منذ دورتها السابقة، مرارا وتكرارا..

لم تكن وائقة من التواريخ بشكل دقيق. قطعت بصع حطوان على  
الرّصيف، ثمّ عادت أدراجها إلى الصّيدلية. قالت في حرج:

- ماذا لو كنت حاملا؟

انّسعت انّسامة الصّيدلية وقالت:

- إلّا أن تجرب هذا الاحتمار أوّلًا، قبل أن تستهلك أيّ دواء.

الآن، تفق عند القاعدة وهي تقضّ نكمتها على احتمار الحمل الذي  
أحرقته منذ أسابيع.

لمحت السّيارة أخيرًا. وكما هبّتم أمام المصير، ثمّ اتّجه نحو المدخل  
وبين كفيه علبة الحلوى المربولة التي طلبتها. لمعت تستقبله عند الباب  
وعيناها تالّقان بوميض لا يحصى. سألت في نكّة وعذبة كطلّعان إلى

الداخل: ONE PIECE

- هل عدنا صيوف؟

حسنت انّساعتها وهي تقول في عموص:

- رتّما!

استلمت علبة الحلوى وحفظتها في الثّلاجة، ثمّ استدارت لتلّوح أمام  
عبيبه باحتمار الحمل. سألت في حيرة:

- ما هذا؟

- الصّيوف!

كان يقرأ الإحانة في عبيها، لكنّه بأنّ سأل في الوهم.. وهي نالع في  
العموص والكثّم. قالت أخيرًا بصوت ملوّه البهجة:

- احتمار حمل!

انّسعت عيناها سرورا. سارع يحيط كنفها بدراعه اليسرى، بديها منه  
ويقلّ فمّة رأسها في انّهاج، بينما احتفظ بالاحتمار في بـمـاه. تحقّقت  
الأميّة التي داعب حباله طيلة طريق العودة!

تأصل الشريط الذي يظهر على وجهه علامتان حمراوان مواليتان.  
وقال مداعبا:

- هل يمثل العلامتان طفلين؟

صعقت باسم حتى دفعت قيثاها وهمت:

- لن نخوض حتى نرى صورة السحابة فوق الضويلة

جلسا إلى طاولة العشاء، وعما لسانا لأن الطغرات العائمة والأسماك  
الهاائمة لم تعلم من هم لمرح فساتين:

- ماذا بشأن العلوق؟

هزت كتفها، قالت بساد:

- لقد اشتبهنا

ONE PIECE



BOOKS



خلال الأسابيع المنصرمة، كان النشاط على أشده بين المختر والمسنودع.  
خط الإنتاج كان يعمل بظافه القصوى لتزويد السوق بالكميات المطلوبة  
في الحال المحددة.

كان هينم مشغلا بالتسويق، يحول طيلة النهار بين محلات الألعاب  
وي صدوق ستارته بمأذع من منحآت الشركة. تلقى الطلبات ويُرهم  
الصفقات، ثم يهاتف مسؤول الإنتاج لتطبيق الكميات ومواعيدها. أما  
عمر، فيلزم المختبر. يستلم كل يوم عينة من الألعاب الخاهرة بحري  
عليها فحارب جوده مكثفة إعجابا في الحرص، بهذه طول اليوم على  
مسمع من العمال والمهندسين:

- سمعة الشركة نسي في ألبامها الأولى.. وإنما أن تشغل المكانة التي  
تستحقها، أو نفى في عصون أيام وتحنفي إلى الأبد!

كان أليكس منطوقا ليكون واحدة الشركة. في ساحة «الديفوس»  
التجارية العامرة بالمارة في كل ساعات الليل والنهار، بمضي ساعات  
طويلة، على مضخة عرص مقنوح، يقدّم الألعاب ويسمح للأطفال  
تحرينها.. يلصقونها، بحركونها، ثم يرحبونها بواسطة شاشة التحكم  
للقيام بحركات استعراضية مذهلة. وكان عرصه يلقى الإعجاب والإقبال.  
يوزّع في النهار الواحد مئات البطاقات على ربات محمليين. ثم يجمع  
ثلاثهم في نهاية النهار في مكتب هنم لتقديم تقرير مفصل عن نشاط  
الشركة.

ارتفع ربي حرس الباب فحاة، فنطوق هنم لفتحها. ألقى أمامه سيدة  
شغراء في مقبل العمر، تصع بطارات طبية ويدها دفتر وجهاز تسجيل.

- السيد هينم الأندلسي؟

- نعم؟

- أنا إيرايل دوماس.. الصحفية التي اتصل بك، من أجل اللقاء!

- آه، نعم.. تفضلي أرجوك.

سبقها هنم إلى الصالة المفتوحة حيث المكاتب. قدّمها للموظفين، ثم تركها بين يدي أليكس:

- بوسعك التحول في المحرر وطرح الأسئلة على المهندسين.. ساكون في انتظارك في مكسي...

أومات بانسامة مضنة. عاد هنم أذراحه إلى مكتبه، فلفه عمر على الفور.

- من تكون هذه؟

- إنها صحفية من حرملة «لوسوار» (Le Bour) معوم بتحقيق عن الشركات الناشئة. اتصلت بي، فسلم أرماعاً من أعنام الفرصة. إنها دعابة محاربة. هل أخطأت؟

سكت عمر متفكراً، ثم قال محذراً:

- أنت نعلم ما يسعى قوله وما لا يحور كشمه!

حدحه هبثم سطرة عتاب وقال:

- لست عزا.

ثم جلس إلى مكتبه. بادر بإغلاق الريامح الحصري الذي يعمل عليه وأحصى نمودج الطائرة المعدّل. مازال يعتقد أنّ عمر يالغ في التكمم بشأن الحطة الجديدة، لكنّه يتهمهم فلفه. لقد عاى في السابق من نعان سرفة ملكيته الفكرية.

- سيسير كل شيء كما يريد.. لا تقلق!

تعالى طرفان على باب المكتب، ثم دلفت الصحفية بانسامة متملّفة.

- أستاذ هبثم.. هل بمكن أن تحدّثني عن ندابة المشروع، كيف جاءت الفكرة؟

أشار عمر حقه إلى هنم بأنه سيكون في مكانه، ثم نسلل خارجاً في هدوء.

استمرت الضحكة بطرح الأسئلة ولخل الإحاثات، ثم توقفت فجأة

لهف.

- أليس كنت تدعو عمر الزهيدى؟

- نعم هم و...

- نعم، هو نعم.

- لقد حسني وهمم بكه عداً لوفاً بوجهه، لكنني عمر عمر من

هوئله إلا أن هن هن عذراً أن جرى معه تمام...

- بالذات.

سبحاً إلى مكتبهم وقابله

- دكتور عمر.. أليس يريد أن لطرح عليك بعض الأسئلة، إن كنت لا تمانع.

حدثه عمر بظرة مدقمة، ثم قال في قنور:

- طبعاً.. لا بأس بذلك.

جلس الضحكة فأنه وقالت بحارة:

- دكتور عمر، أنا من مابعك لأوقاه، وأيضاً ففسر قصتك هذا.

نعم في صوت:

- شكر لاهتمامك.

- هن تابع الصفحة التي تحمل اسمك على موقع اتواصل الاجتماعى؟

هناك آلاف المعجسين الذين يهفون لأمرك.. وسكون رانها لو برداً على رسائلهم.

روى ما أس حاحيه في شعراى. أتي صفحه هذه؟ هل سحل أحدهم شخصيته؟

- لا علم لي بشأن الحساب.. إنه مرتف بالتأكيد.

فغرت فاماها في دهشة، ثم تمتمت:

- يا للعجب!

هههه هههه في رفق:

- «لا رُفرت في أسئلتك عن المنزوع؟»

- نعم، بالتأكيد.. أعذر على السئب.

ثم استعرفت عنبرين دقيقتي أخرى في «استحواء» عمر.

...

تسارعت وسيرة العمل في ألكام الماصح حتى وصلت أوجها. نوزبع  
الطلبات بمضي بالتشكل المطنوب، والضغط مسبق على خط الإنتاج  
المردحم به مستوعف الأتخاب، كان عمر وهههه بمصان النهار في التردد  
بين المحنر والصنودع، ويراقبان عن كتب نشاط فريق العمل الذي  
سرت إليه حماسة الرحلب.

استقرّ عمر على المقعد المحاور لهههه بعد بهار مصي، وسأله:

- هل نشر التحقيق؟

كان هههه بهجلس أمام عجة المباداة وبقلب صفحات عدد الأسوع  
من مجلة «لوسوان».

- لا أحد له أتراً.. متى قالت الضحيفة بأنه سببتر؟

- لم نقل شيئاً!

- لعله العدد القادم.

عمهم عمر في شك:

- لقد مصي شهران!

- لا يعرف شيئاً عن حطة البشر الحاضنة بالمجلة.

عاد عمر ليهمس في ضيق:

- لم تعحي أسلنتها.. لقد بالعت في التدقيق.

- هذا ما يفعله المحققون!

- والجواسيس!

التفت إليه هنرم في ذهنة.

- لماذا تقول هذا؟ لماذا قد تكون حليوسة؟

ترئت عمر قبل أن يقول بصوت حفيف:

- أشعر بأنني مرافق!

- ولماذا قد تكون مرافقاً؟ من الذي سرافك؟

تجاهل عمر سؤاله. وهو يشير من النافذة:

- انظر.. تلك الشاحنة السوداء، ذات النوافذ المعتمة، إنها متوقفة في

رأس الشارع عند المصوع على الأقل!

ألقي هنرم نظرة إلى جيب أشار عمر، ثم فتح بوابة السيارة معاذراً.

هتف عمر بسوقفه:

- إلى أين؟

- انتظري لحظة!

سار بحطى واسعة حتى السيارة السوداء. دار حولها متفحصاً، لكنها

كانت معتممة تماماً. دخل دكان البقالة المواجه وسأل البائع عنها.

- إنها لمناحر جديد.. في السابعة الثامنة!

حرج هنرم محدداً، ثم توقف في مستوى نافذة السائق وطرق على

رجاجها. مرت ثواب دون أن يحصل على رد، فكثرت الضربات.. عندئذ نزل

الرجاح ببطء ليظهر رجل وامرأة يجلسان في المقاعد الأمامية.

- أسف على الإزعاج.. سيارتك تسد مدخل البقالة، هل يمكنك ركنها في

الشارع المتعامد؟

حدده الرجل بظرة متصابقة ولم يبد عليه الاكتراث. قال بصفاقة:

- أتوقّف حيث أشاء.. هذا ليس من شأنك!  
- لا تريد إثارة المشاكل. هل أنت من سكّان الشارع؟ الوقوف هنا ممنوع  
لغير المتساكنين.

- نعم.. أنا أقيم في هذا المبنى!

- اعتذر إذن على سوء الفهم.

أشار هينم بكفه منأشما، ثمّ علا إلى السيارة. قال مطمئناً عمر:

- إنّها لأحد الحيران.. لا داعي للهلوسة!

شهد عمر، بينما تطلق بهما السيارة إلى المستودع. كان هوذة لو  
بصنعه وبعد عنه الهواجس. لكن إحساناً عربياً باتّهمة ظلّ بلازمه.

...

جنون الارتياب ظلّ هماً ما أصابته في الآونة الأخيرة؟

إحساسه العريب بأنّه مرافق لم يأت من فراغ. لعنّ عبوس العدو  
قد بانث تتع حركانه، مدّ رحلته الأولى إلى عرة. هل يدركون من يقابل  
في رحلته الذوريّة، وما الذي يبطوي عليه نشاطه؟ لقد تكتم ما أمكنه،  
وبالغ في التزيّة. لم يكن يصل إلى وجهته التهانبة مباشرة، بل يتنقل  
عمر حدود جويّة وبريّة مختلفة. لكنه يستشعر الخطر أكثر من أيّ وقت  
مضى.

كان قد عكف وهينم على الطّائرة المعزّزة، بعد أن لاقى الألعاب  
التي طرحى حديثاً في الأسواق بحاجاً مقطّع النّظر. بعد الاطمئنان  
إلى حسن سير الإنشاج، وردود الفعس الصّهجّة للحرف، صار بإمكانهما  
نفويص النّشاط الأساسي للشّركة إلى باقي الفريق، والاهتمام بالخطّة  
المتّفق عليها أنفاً.

بادره هينم وهما بهيان تسيب الطّائرة في هكل الطّائرة:

- ألا نفكر في حمايتها نسجيل براءة اختراع؟

- سنفعل.. لكن ليس الآن!

- ماذا لو سبقا شخص آخر إلى ذلك، وصاعت الفرصة؟ لا شك أن طرح المشروع في السوق سيؤدي إلى الاهتمام بالطائرة الجديدة، وقد نسعى شركات كبرى إلى محاكاتها.. لا ندع المأساة دأبها تتكرر، إذا ما شرف النموذج ونعثر استغلاله بطرق قذرة!

بدأ على عمر التفكير، ثم قال:

- نعتي أكثر بالأمر.

كان هنرم قد وافق على الشراكة بعد أن قلب المكرة على كل وحوهها. لم يكن هناك ما يدعو إلى الركص. لم يطلب منه عمر شراكته مادّية، ما عليه إلا استثمار مهارته في الرحمة لإنجاح طائرة معززة لطرح في الأسواق في مرحلة متقدمة من المشروع. لكن عروق عمر عن حماية المنتج براءة اختراع كان بدهنه. لا بلدع مؤسس من هجر مرتب!

كان يشعر بالثقل عند أخذ يستثمر مهارته في الرحمة للتحكم بالطائرة. في بداية المشروع، افنصر نشاطه على الإشراف والتسيير الإداري. وها هو أحرًا يعود إلى محال اختصاصه. كانت تلك الأيام منعقة صافية، رغم ما رافقها من إرهاق وإرهاق. لكن قلبه بشأن عمر لم يهدأ. كلما دخل عليه المحنر، فوجئ في عيبه تلك النظرة العريضة. يقرأ فيهما دعرا غير مفهوم. يقول متصاحكا:

- هل رأيت شخا؟

فلا برّة صاحبه.

كانت الساعة قد شارفت على الخامسة مساءً، حين نرك عمر المحنر. طرق باب مكتب هينم ثم جلس قبالته في صمت. لقد لبث يفكر طويلا ذلك اليوم. لم يستطع العمل. نرك الطائرة حانئا وعرق في هواحه. إن كان الخطر حقيقيا، فعليه أن يتصرّى. لن يتسبب بالأذى لمن حوله. لم يكن اتّحاد ذلك القرار سهلا، بعد كل العناء الذي تكثفه. لكنّه كان مستعدّا للتصحية بالمشروع برّقه، والبدء من جديد إذا ما استدعى الأمر.

لم نعت هبثم شحوب سحيه وصراخه ملامحه. ولقد اعتاد عمر منه تلك النظرة المنسائلة والمعاناه في أن. بظروته، يدرك هبثم أن صاحبه بحضي عنه الكثير. وعمر لا يكلف نفسه التوضيح أو الطمأنه. فاب أوان المهاده التي عمر الفسله دفعه واحده:

- طلحبت من المنروع. سامحي!

حذني فيه هبثم عبر مسوع.

- تسحب من منروعك؟ وهل للسبحه. المنروع وجود يدوك؟

تهد عمر بعمو نر قال:

- لقد جذت ظروف. لم يعد بمكان احواله. طوف لاجل

- إلى أن؟

جز عمر كعبه نر قال في الجحيم:

- أرض الله واسعة...

لم يكن هبثم يصدق أدبه. لكن عمر واصل في إصرار:

- سوف أتنازل عن حضي لك. لسبب مضطرا إلى دفع قيمها الآن.. حين نربيع المسعاب ونسدد المصاريف...

فاطمه هبثم بحده:

❖ - عمر، اصدقني القول! ما الذي يحبه؟ أنت لا تقول كل شيء! لم تكن على طبعك في الأيام العاصه.. بعد رجوعك من رحلتك الأخيرة. أظن أن من حضي علمك أن تحرق بما حصل معك.. بحق شراكسا وأحبسا! توقف عمر في نرزد. لصدا قال على حق. كان يشعر بالثب، والوحده. والحواف كل يوم، عند عودته من المحترم. برعب ملء قواده أن يشارك أحدا ما تنقله من هموم. ولم يكن هناك من شخص مؤهل للاستماع أكثر من الرجل العائل فباله. يعلم أن بوسعه الثقة في هبثم، حتى إن شك في الجميع. لكنّه لا يستطيع.

- اسمع، حد إحاره. سافر. رد أهلك في المغرب. أنت في حاجة إلى



استراحه بعد صعط العرة الأخيرة. هذا مفهوم ومنوْفَع.. لكن لا تسرع في الانسحاب!

هرَّ عمر رأسه في صمت، ثم استدار على غضبه معادراً.

لعله يبالغ. لكنه في حاجة إلى تلك الراحة حقاً.

لكن الفن في داخله بحنانه ويسبطر عليه.

\*\*\*

حين رجع هبم إلى الشقة ذلك المساء، بدا ساهياً ومشغولاً بالأمور، نادته باسمي في اهتمام على مائدة العشاء:

- هل من مناعب في العمل؟

رسم على شفه ابتسامة واهنة وقال مطمئناً:

- بل كل خير لا يظلمني بالكلية.

هرَّب رأسها دون كثير افتتاع، سما عرق هبم محدداً في تأملانه. كان حديث عمر ينزِّد في رأسه دون توقُّف طيلة رحلته من باريس إلى ليل، ومارال نحت تأثير الصدمة. كان يدرك أن صاحبه بحفي أمراً عظيمًا، إنه لا يفهم عمر.. بسنئ شركة ثم ينزِّها فجأة وبلا صبر!

إنه حين وصعت باسمي أمامه طوق العاكهة، ثم قالت في حنو:

- هل نود أن نقصص؟ ربما أمكني المساعدة...

نهَّد بقوة، ثم قال في استسلام:

- إنه عمراً

- ما شأنه؟

- لا أدري! نصراته عريضة.. كتوم وعامص، أشعر أنه بحفي أمراً ما.

شردت نظراتها قليلاً، ثم قالت بجديّة:

- امحه دعمك كاملاً، ولا تصعط عليه.. لا شك أن من مرَّ بتحرُّشه لن يستطيع الثقة في الآخرين بسهولة. لكنه ينق بك.. عاجلاً أم آجلاً

سيفضي لك بما يشغله.

نظر إليها في نوّخس. لم يفكر صد رواجهما بالتاريخ القديم الذي  
يربطها بعمر، حتّى أنّ قصة واحدًا لم يجمعهما أبدًا صد حفل الرّفاف.  
بأمل بداخله أن تكون الباحثة الاجتماعية هي من يطق تلك الكلمات،  
وليس «فنة الصّرو». نهّد نفوّة نمرّ قال طارداً عنه رداء العبرة:  
- سأفعل. أمل أن تكون محقّة!

...

كانت كلمات باسم نمرّد في دهنه وهو يدخل المكتب في الصّباح  
التّالي. سيفدّم دعمه الكامل واللامشروط لعمر. سيفعل أيّ شيء ليجعله  
يتراجع عن فرار الاسحاب العربي والمطاحن.  
حين دخل مكتبه، عجز عن تمرّ حالاً على مقعده، وأمامه أوراق  
كثيرة. حدّق هبّهم في النّصاميم الشّائكة التي حطّت على الورق الأصفر  
في انشائه نمرّ سال:

- هل هذا نصميم الطّائرة؟

أوماً عمر برأسه موافقاً، وقد التّصمت في عبيه نظرة منوّنة. لقد فكّر  
طوال اللّيل صد حديثهما طهر الأمس، وقد استقرّ على إعطاء المشروع  
فرصة بعد. لعلّه بالبح في إرتيابه. لعلّ محاوفاً بلا أساس. ولعلّه بحد  
في هبّهم عوناً لموقع مراده.

- هذه نصاميم سابقة، أبحرّها المهندس «نصال فرحات» في ٢٠٠٣، لكنّ  
مشروعه لم ير التّور.

نوقّف هبّهم عبد الاسم في شكّ، «نصال فرحات»؟

- ما الذي حصل؟

همس عمر في مرارة:

- اعتاله جيش الاحتلال الإسرائيلي.. ررّعوا عموداً بأسفه في وحدة التطوير  
والنّصيب في عمرة، أودت بحبانه مع حمسة من رفاقه، بينما كانوا يحاولون

تجهيز الطائرة.

- يا للهول!

يوقف الزمن، وهما يسادلان تلك التطيرة الطويلة الشائرة. يحاول عمر أن يستشف من ردة فعل صاحبه موقفاً ما، بينما ينمالتك هبتم نفسك، حتى لا تعلق الضممة، بينما يرنجف قلبه في صدره، وهو يحاول مسح بعضه عن الاستساحات المنزعجة. لعن شكوكه لم تكن من فراغ في نهاية الأمر.

قال عمر فجأة:

- هل نعرف ما معنى «الزناطة»؟

- هل نقصد عاصفة الععر؟

ضحك عمر واسطردها فلا،

- ليس ذلك.. بل الآخر. اكتشفت خلال الرحلة إلى مخيم البرموك، أن هناك من بعض حياته مرابطاً في سبيل الله، مخنئاً كل نفس وكل حركة! هل نعرف كيف يكون ذلك؟

هر هبتم كنهيه في حيرة.

- أن يكون كل عمل تقدم عليه في سبيل العابة الكرى؟

- العابة الكرى؟

- هات فل.. ما هي عابتك الكرى من الحياة؟

- أن بدخلي ربّي الحنة!

- حمبل.. وكيف نتحدد ذلك؟

- العبادات، الصدقات، الأخلاي...

- كل هذا رائع.. لكنّه ذاتي ومحدود.

- ماذا تعني؟

- الله استخلصاً في الأرض، وهما العقل والإرادة الحرة.. لو اكتفينا بحياتنا

الخاصة وتجاهاتنا الصغيرة الذاتية، فهل يكون قد حفظنا معنى الخلافة كما ينبغي؟ هناك مطالب للنفس رفعها عن المستضعفين وقضايا عائلة حجاج مساندة، ومفردات تدلّس ولا مدافع عنها...

أصغر منهم في اهتمام تون أن يقطعوه، فأرادوا عمل:

- نحن، نعيش منذ انقراض القطر ونحرم الأفضى.. هذا أهلكه  
بعض موهبة وخفة من أجل تلك العادة الخبيثة

- كيف؟

- ليست تعلم أننا نعمل على نوبة من الأضداد، العوائق التي تصادف سحر دونه، هي التي ستطرحها في السوق.. والعهد تمت تكملة عملية، لكنها ليست للتسميت.

- ماذا يعني؟

- لم أبق فقط ترويضها.. إنما سترسلها إلى أصدقائنا في مرة

مشكل ما، كان يتوقع ذلك في داخله تصريفات عمر غير المشقة، وروية اللامفهومة كانت تقوده إلى ذلك الاستمناح الزهيم، صاحبه يخفي نشاطاً سرّاً، قال في هدوء وقد أترك أحياناً أن شكوته كانت في محلها:

- إذن هي ليست محزنة ألعاب

تأنفت نظرات عمر وهو يردف:

- بالتأكيد ليست كذلك.. الألعاب الحضريّة التي تصعبها لفشل وسائل التواصل وتحسّس متطوّرة، وعسيرة الاكتشاف

تهدد هيثم، ثم سأل بالزّان عجيب:

- لماذا أخفيت عني الأمر.. وما الذي جعلك تفصح الآن؟

- أخفيت، لأنّ الحصر واجب، لأنّ أريد توريث أحد.. وافصحت لأنني على مشارف الجسور، أن تكون وحيثما تفكر وتحطّط وتعمل مفردك، تهرب العيون المتطفلة وأخلق أبواب صدرك على سرك وترقب الآخرين يعني الشك.. فإليك لتتهي إلى الهلاوس وجنون الأزياب لذلك

قال سيّ الله موسى: (وَاحْغَلْ لِي وَرِيرًا مِّنْ أَهْلِي • هَارُونَ أَجِي • اشْدُدْ بِهِ  
أُزْرِي • وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي) .. فهل تكون لي وريرًا، كما كان هارون لموسى عليه  
السلام؟

استمر هينم يحدّق في التّصميم بما نصّرت طول صاحبة في ضلّكه.  
كان يعلم أنّ ما سوى عمر الشّيام به تتحدّى إرادة قوّة عسكريّة مسقّذه لا  
تتردّد في الفصاء على كلّ من يقع في سبيل تحقيق أهدافها. لكنّ الاعتراف  
من عنّ الذّبابير يريد من إثارته ومن آلام المعص في بطنه. قال مداربا  
العاصفة التي نمور داخله:



- كيف حصلت على التّصاميم؟

- من أصدقائي في عوّة.. بالإضافة إلى هذا...

لوح عمر في فخر بقصر بحرين بحجم غفلة الإصبع كتم الحنايف:

- ملفّ «الطّاكرة العرافيّة».. رسالة الذّكورا الحاضرة بصاط عراقي  
منخزح في جامعة بغداد.. وهما لأصدقائي في المقاومة، خدمة مه  
للقصيّة الفلسطينيّة.

همس هينم بحفوت:

- هل وقع اعتباله هو الآخر؟

حدّثه عمر سطرّة سائرة، وقال يهدوء:

◆ - أعلم أنّي أطلب منك الكثير.. وشكّل مقاحن...

قاطعه هينم على الفور:

- الحقّ حائق بعص الشّيء.. هل تتصنّى قليلاً؟

سارا حسّاً إلى حبّ على امتداد الشّارع الذي يصل المسجد بمئذنة  
عامّة. أحد هينم نفسها عمياء، ورفر بمؤة. كزّ ذلك مرّات، هل أن  
يقول باضطراب:

- أعلم أنّك أمصيت تسعة أشهر نخطّط وندرس المشروع.. والعجيب  
كان الفصاء المناسب للتهبئة التّفسيّة.. لكنّي حديث عهد بكلّ هذا..

أحياح بعض الوقت لاستبغاب الأمر. هل تفهمي؟

هزّ عمر رأسه بابتسامة متعاطفة:

- أب محقّ. لن أستعجلك. حذ الوفاء الكافي لاتحاد فراك!

...

- هل نحدث وعمر؟

هزّ هينر رأسه في صمت وهو يرك ملهه الحساء دون أن يسأل  
مه نينا. لم يكن مزاجه أفضل ممّا كان عليه في الأمس. ليس بدري ما  
الاشدّ إرباكاً، أن جهل ما يحسه عمر أم أن يكون حراً مثل  
- ماذا قال؟

التفت إليها في إشفاق. لم يكن يوسعه في نفسه ذلك الحديث  
بالذات. لقد صيّر الأمل حراً من القهر ومسؤولاً عن حظه. مهما كان  
قراره، فهو لن يحس الأمانة. باسم روحه وأقرب الناس إليه، لكنّه لا  
يفدر أن يشاركها هذا. لقد وعد عمر بالكنمان، وسيفعل. كما أنّه يراى  
بها من نقل المهمة على كاهلها، يخشى أن نعرف تلك الحيرة والخوف  
والتقلب على حمر القلق. قال معترًا الموصوع:

- سيأخذ إحارة ويسافر لتعبير الحق.. ماذا عن ريارتك إلى الطيبة؟

كان ذلك عامل الإلهاء المناسب ليصرف اهتمامها عن عمر وقضه.  
استمع إليها دون تركيز وهي تسرد في إسهاب كلمات الطسة ونفاصيل  
حصة التصوير بالموحاح فوق الضوينة التي حصعت لها ذلك الضاح.  
بما ورد كلماتها إلى ذهني بشكل متقطع، عرق من جديد في أفكاره.

ما سب نردده؟ هل يكون عمر أشجع منه وأقدر على نظرة الحق؟

إنّه يؤمن بالفصنة ولا يشكّك في الهدف. هذا ما سدل فيه التمس  
والأموال، وما نرحح به كفة المؤمن يوم يفف بين يدي رته! لقد سبقت  
إليه فرصة لا تفتر نصن. إنّه يدعى إلى بدء رته، أفلا يحجب؟

لقد اعتاد أن يصر الحق بقلبه في صمت، فإذا نحاسر فلسانه.. في

المظاهرات والاحتفالات الثقافية، بنماهى مع الحشود وبذوب فيها. لكنه  
بادراً ما يفعل بديه. وأن يجد العرصة والمكرة لمفعل فإنه أمر مدهش!  
استرحب أساريه بدرجتا، وبألفت في عيبه نظرة بشر. حذفت باسمي  
في ملامحه وقد سررت إليها عدوى السرور:

- فإهم الله هذه السعة

ما الذي يعتر مد إعلان هنم مومعته؟

لقد اختلف كل شو... كل شء!

كان هناك نوع من الاضطراب في التطارب المصاحبة التي سادتها  
حفيه من هذا العمل، وكثير من التماس والحماس في التوقعات  
التي بمصاحبا في الترتيب بعد هبوط الصلابة. وحلو المصاحبة إلا ميمها.  
تلك الزمة التي سكبت فواده طويلا. حلت محلها سكبه عحيه، أنسا  
بصاحبه ونهجه برفعه.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم «نابا انس» في العار (إذ يقول  
إصاحبه لا نخرن إن الله معنا فأمر الله سكبه عله). يدون حلاوه  
الاله على طرف لسانه، وهما بمصاحبا مساء، انهما في نقاش أو انهماك،  
ويستنصر وفعها سكبه صافيه في فرار فواده حين يرفع أحدهما رأسه  
ليستريد عريمه من نظرة صاحبه. —

بعد شهرين، دنا فطفت الثمرة التي عقدتها بالرعاية. في المحرم،  
طفق عمر بنيت وحدة الطافة المعززة، على نموذج الطائفة. حين فرغ  
من ذلك، انصرف إلى هيمم في المكعب راقبه وهو سبع الرمح على  
جواره في تركيز، فهمس هنم:

- أكاد أنهي.

بعد دقائق قليلة، كان هنم بحمل الرباح إلى فرص الطائفة، ثم  
ارتقى الاثنان الدرج بخطوات واسعة حتى سطح المصاحبة. وهما عند  
الحاجر الحجري. وضع عمر الطائفة على حافته، في حين فتح هنم

جهازه المحمول.

- سأشغلها الآن.

أشار إليه هينم بالنزيت، ثم أحد بشتت علمه ورقته من عجلات الطائرة وعلى شفتيه انشامة مأكرة. حال فراعته هتف به:

- الآن. انظري!

أدار عسر المحرك، ثم شغل هينم برنامج الصاعقة على شاشة فارتفعت الطائرة في الهواء فوق رأسهما، ثم انطمت في الحق لتستعد نحو العابه القريبة.

على الشاشة، ظهرت نقطة حمراء، فتحرك بسرعة فوق خريطة باريس. قال هينم:

- خط السري مطابق لخط الشبكة الحديدية. سعلو الطائرة في ارتفاع مخفض فوق القطارات.. حتى لا نحدث الانشاه. سرعه ثالثة تقدر بمائة كيلومتر في الساعة.. ثم تفصل عنها داخل المدن، فتلازم الحداثق والمناطق الحصراء، ونخفض السرعة إلى النصف.

- كم يلزمها من الوقت حتى نصل إلى الوجهة؟

نظر هينم إلى ساعبه. كات تشير إلى الثالثة طهرًا.

- ساعة ونصف تقريباً.. نعال، فسلط العداء وستطرا

حبى أنهى عمر اتصاله بالمطعم القريب، نادله هينم انشامة دان معري، ثم سأل:

- هل نشعر بالإثارة؟

- بل أشعر بالرضا.

- أنت نرصى سهوله! مارالت الطلبة لم تُنحر بعد!

هزّ عمر كتفيه وهو يقول:

- الرضا لا يرسط سحمو العابه.. إنما يلامى ما دمت كب أصمى بخطى جادة في سبيلها!



كان يسرّجع باستمرار قول سمته، عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إِنَّ  
الْحَيْرَ كُلَّهُ فِي الرِّضَا، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَرْضَى، وَإِلَّا فَاصْبِر). لقد صبر  
طويلاً، حتّى عرى الرضا حق المعرفة. أردى بطران سارحة:

- لقد تعلّمت كيف أكون راصباً في كلّ لحظة.. لقد كان ذلك عسيراً في  
البدائية، أشهد بذلك. لكنّ كلّما توجّلت في مجال الطمأنينة، استشهدرت  
بمحاب الاربّاح نهت على هوى  
أصغى هينم في نآثر، ثمّ قال:

- أنا مديون لك.. لأنك حرّرتني لأنشارك هذه التجربة بغير لبس راصباً  
بعد، لكنني مفعول وداحلي بعل حماساً.. هل أحسن هذا  
تشاركاً صعبةً بالحقّة، ثمّ استطرد هينم بلهجة حادة:

- أشعر أن حزني بعمق هذا الصنوع لم يكوّن هذا على نفس النكالة.  
نيء في داحلي تحرّك عن موضعه، نار وأحدث انقلاباً. ولا أحسه يعود  
إلى الزكون محدداً.. إبه الوعي بقبضة ما بأبدى من علم، ومساوات  
استعلاله المدهشة. هل كتب لأنحمل يوماً أنني قد أكتب برامحاً لتسير  
طائره تحسّس، يستعملها المقاومون في عزة.. فخلق فوق تكاب حدود  
الاحلال، تخار حواجرهم وتعضى أسرارهم العسكرية! أو تنقل طروداً  
إلى المحميات المعزولة وبحار المساحة المشعولة بالمسيوطيات من عزة  
والصفه؟ هل يمكن لحماي أن ترجع سحيفة نافهه كما كانت بعد هذا؟  
لا أستطيع أن أفعل.. هذا طريق سالكه لا يعني عنه رجوعاً. من هما  
بدأنا.. لكننا لا ندري إلى أي مدى قد يصل.

نادله عمر بطرّة باسمه. لم يكن يوسعه أن يضيف شيئاً على قوله  
لقد بطق بما يعنمل في وحدانه وشرح إحساسه بدقّة.

- والآن ما هي الخطوة التالية؟

سأل هيثم وهما يتناولان شرائح البيتزا.

- سنطلّ الألعاب عدي في الشقة حتّى موعد الشح.

- ألا يساورك القلق؟

كلما مضى قدماً في اتجاه الهدى، بمن شجرة الفلق في داخله. الذحول  
إلى عرة لم يكن يوماً بسرّاً، وإدخال الشجرة الحاضرة بقى محفوظاً  
بالمخاطر.

- ما هو أسوأ شيء قد يحصل؟

قال عمر عن المور:

- أن يصادر حكومه الاحتلال شحاب الألعاب في جميع الأحوال، الألعاب  
ترسل على حده في صعبها الأساسية، ووحدات روح الكفاءة تشحن  
بشكل مفصل. إذا صودر أحدها أو كلها، يرمى حماره محكمة ومقولة.  
- تكون قد حاولنا على الأقل.. ماذا أيضاً؟

- أن نفع الآلات بعد تركيبها في سد جميع الاحتلال. طرعا، بمكهم  
الوصول إلى نركها مطرقة أو بأخرى.. أو إلى الموزع النسي. لكننا ختمنا  
سننكر علاقتنا بالأمر. نحن نصنع الألعاب المنظورة ولنا مسؤولين عن  
استخداماتها من قبل العملاء!

أوما هينم بطة، ثم قال:

- المسافة بعيدة بين عرة وفريسا.. هل نفع الرّبط بهذه الساطة بين  
كل الأجهزة المصنعة في أرجاء العالم وكيفية استغلالها من قبل المقاومة  
السلطانية؟ هذا لا يبدو مطفياً.

تمادلا بطرة طويلة.

«نحن في أمان». يحاول أحدهما إقناع الآخر.. وبهذه.

لم بعد بالإمكان التراجع الآن. بقيت خطوه واحده بعد.

...

دلمت ياسمين إلى السّفة بعد الساعة الرابعة بدقائق قليلة. علّقت  
معطفا وحقيبة يدها عند المدخل، تحققت من ملابس العمل، ثم  
دخلت المطبخ. حضّرت لنفسها شطيرة تناولها بسرعة لتسكت جوعها،  
ثم نذرت في إعداد وحمة العشاء. غرب الضالة نحو ركن الطعام،

وحلست قرب النّاعدة المشرفة على الحديقة الحليّة. أهدت تقصم  
شطرنها وتلوّكها سط، وقد سرحت بطرانها إلى الخارج.

صار هبثم شديد الانشغال في الفترة الأخيرة. المشروع يأخذ من وقته  
الكثير، حتّى أنّه أهد إحارة بدون راتب لشهرين ليتفرّع لمشروعه وعصر.  
ما زال يعمل عن بعد معظم الوقت، لكنّه يتأخّر في العودة كلّما سافر  
إلى باريس.. ويعب لساعات طويلة في عطلة نهاية الأسبوع حتى يروّان  
أهله. تتهدد وهي سرح بطرانها عبر رجاج النّاعدة. تأقلمت شجران  
الورد التي لم تعلّم مدد رمن. سمدّكه بفعل ذلك هوسا.

انتهت على صوت طبل عريب برداد اغتراب وفوقه. رعبت هسها إلى  
السّماء، فلمحب طنّره صغيره سدو مثل الغاب الأنطال، وتزل بشكل  
عمودي مستقيم يحط على العشب في حلقها الحليّة!

تركت مفعفم، فالتفت قلبه الشّرفه وسار حتّى موقع الطّائرة الي  
انطأ محزّكها ونوقفت عن الطّيب. ابحت لتلفظ النّعمة في حصول.  
لم تكن قد رأب التمودح سابقا، لكن بمكها الحرم بأنّها واحدة من  
الطّائرات الي يعمل هبثم على برمحتها.

انتهت إلى علبة الكرنون الضّعيره التي تلتصق بحطّاف أسفل الطّائرة.  
سحبها برفق، لتقرأ الاسم الذي كتبت عليها:

«إلى ياسمين»

رفعت حاضيتها في استعراب، ثمّ فتحت العلبة وقد يملكها الفصول،  
لتحد بداحلها وردة حمراء، وبطافه. قرأت الرّسالة المدوّنه في دهشة  
مرايدة:

«دمت كلّ يوم الورد الذي نعق بأريجها حباب.. روحك المحب»!

همست في شك:

- هبثم؟

لم يكن اليوم عند رواجهما، ولا عند ميلادهما.. ولا ذكرى لقائهما الأوّل!  
حاولت أن تحد سنا ممّعا لملك الرّوماسيّة المعافنه، لكنّها لم تفلح.

تناولت هاتفها واتصلت به على الفور:

- هل وصلت؟

- ليس بعد!

تفقدت ساعتها، إنها الرابعة التصف وحسبه لا يمكن أن يكون قد رجع منكرا إلى تلك الدوحة. لكن تلك الطائرة في حديقها الحفلة.

- وصلت الطرد؟

كانت في صوته نبرة استماع. قالت متسائلة:

- هل تقصد الطائرة؟ نعم إنها عدي.

- وصلت إذن مزار.. هذا رائع! هل صطبت في الحديقة؟

- نعم.. على العشب.

سمعته يهتف لغيره:

- جهار الملاحة دقيق بشكل مذهن!

سألت في نك:

- أنت في باريس؟

- نعم.. سأطلق قريبا. هل توصين شيء؟

- سلامتك.

أنهت الاتصال وهي في حيرة. أيمكن أن تصل الطائرة إليها من باريس؟  
لعل شركة يوصل قامت بنحها ثم أطلقها عند الباب؟

سرعان ما سميت أمر لطائرة، نكتها لم يسس كلمات العزل التي حلستها الطائرة. ففكرت أن تضع لمسات رقيقة على العشاء. فطقت بصع وردات من الحديقة ورصفتها في موهرة، أصاءت شمعات ذات رائحة ركية ووصعتها على المائدة.. ثم عادت إلى المطبخ لتشرع في إعداد وجبة عشاء فاخرة!

سارت راساً في صمركات الجامعة وعيائها نخومان في كل أنحاء، بحثاً عن «نطل حرب النخوم» الذي تأتت ترأسله عبر البريد الإلكتروني.

كالت الدابة، سميت عنوره على سبيل. نر اسمزرت ببهما الرسائل بشكل يومين تقريباً.. مثل قصصه بن صديق. بشكل عريب، وحده أكثر لطفاً في رسالته منه في التواصل المباشر! لم يكن بعمه اعاطها ولا تعكير مزاجها.

نحدثنا عن أشياء كثيرة، تحدثت فيها المرءهون عاده العرقه الموسيقيه المفضله، وهومي كره القلم، لاعب الشس العكسل، مسلسل الرعب الأكثر حماساً، اسلد الذي يمتنى كل منهما ريارنه.. ووحنه المفضله!

بعد فترة، أصبحت نعرسل الأحمار التي نقلها إلى سكية، ونحتفظ ببعض التفاصيل لنفسها. داهمها إحساس بأنها تتحسرس على شات وبفل أحماره إلى والدته حلسه. ولم يكن ذلك يروفها. إنها نحب سكية، لكنها لا نسل على نفسها لقب «الحاسوسه»!

- ها أبت! ما الأمر الهام الذي لا يكتب في رسالة؟

أرعننها لهجه المنهكمة. كان يعود ليكون كرافى الذي نعرفه.. وهو يحتلف عن الولد الطريف الذي نادله الرسائل! كان ذلك مربكا وكريفاً في أن. قالت بلهجة حادة:

- سكية سنحاول استعادة حصانه سبيل. سنمثل أمام المحكمة.. لعلها تكون فرصتها الأخيرة. لذلك...

قاطعها بجفاف:

- هل هذا ما أردت رؤيتي من أجله؟

حدقت فيه غير مصدقة:

- وهل هناك أهم من هذا؟

وضع كفيه في جيبه في حركة لامباله وقال بلهجه هجوميته:

- ما المطلوب متى؟

- سكبته نحاح صائدك.. هل توسعك الشهادة أمام المحكمة؟

رميها بظرة طويلة وبدا مهمكا في تفكير عميق، ثم أصوات قسماته

وهج بهتف:

- عندي فكرة أفضل! فد أفع والدي الحقيقة باحسانها!

فصرت قاهها في صدمة، وحذفت فيه سهوياً. كانت فكرتها عن

فسوه شديده وكراهية لا حد لها. بنمت في الرعاج وهي تسجد بخطوات

سريعه:

- اسر آني طلبك ملك أمرك!

دلفت إلى الشقة وشعور العطف لما بعثت داخلها. ذلك العي العجس،

أبى نعلم أن يكون حلما فظا بلا رحمة؟ فوحنيت باسمي توتط رنيم

وسكبته وقد عشبهن انطلاق وسرور. هتفب وهي نصم إلهن:

- أرى أحازا سارة في الأفق.. سرن!

هتف سكبته وعباها مالاآن سعادة كأن الحمر بحضها:

◆ - باسمي حامل!

- ولد أم ست؟

همست باسمي بهجة لا بحضها:

- لا أدري بعد.. كلاهما عندي سواء!

جلس رانيا إلى حوارها وقال في حماس:

- لو كانت بنتا، ماذا تسميها؟

- أحب اسم جويرية، وهيثم يفضل أمنة!

حطقت فيها رانيا في استغراب ثم هتفت:

- جوريرة وأمنة؟ وأمها ياسمين؟

ارتفعت ضحكات الفتيات، ثم قالت رنيم:

- وماذا لو كان ولدًا؟

- نتمنى أنا وهنم على اسم واحد.

فأطعتها رابا في عجل:

- لا بقولي بصوت عالٍ، اهمسي في أذني!

ثم أدبت رأسها من ضفتيها، فهمست باسمي. رفعت رابا ذراعيها وهتفت:

- جميل... دوركما لتحرزا الاسم!

أحدث رنيم وكية نظرحان الأنثى ورابا نحب.

- قديم أم حديث؟

- عابر للعصور!

- اسم مركب أم لفظ واحد؟

- مركب!

- هل له سمي في التاريخ؟

- نعم!

- المعاصر أم الغابر؟

- الإنسان! الآن احذرا!

وصلت فاطمة إلى مطار باريس «أورلي» مساء يوم السبت. كانت في استقبالها ياسمين وهينم، ترافقهما رهور. تداولوا على عناقها مرحين، قل أن يستقر بهم المقام في سيارة هينم.

- كيف أنت؟ وكيف هو الجنين؟

انفسمت باسمين في صغرى، وقال مهوَّنة:

- ستكون بخير.

بدأ الأمر جريفاً حفيفاً، بعنه ألام بطن حاذة. بعد زيارة الأسبوع الماضي لطبسة النساء، ألزمتها بالراحة التامة. أخذت إحارة مرضية من عملها، ونسبت في السر، حتى حامت والدتها لرعاها إلى أن بحس موعد ولادتها.

ثممت رهور في اسبلة:

- هؤلاء هنّ سبات اليوم.. برهمن أحسادهنّ وسنندين مشقة صوفي طاقتهنّ من أحل العرواح للعمر.. ثمّ بنهنّ طريحنّ، أضرأش! ما كان عليك يا حسني لو تأتت بمسك عن هذا همّ الدابة، وحفظت نفسك وولدتك!

نمّرت وجه باسمين ولم برّء، فقال هبتم مرفعاً:

- باسمين بعمل في مكتب مريح، ومكان عملها قريب من البيت.. لا تركب وسائل نقل ولا نخهد نفسك.. لكنّ هذا قضاء الله. بعصر الحمل يكون أكثر مشقة من غيره.. عسى أن يكمل على خير!

لوت رهور شفيتها في عدم انخضاع، وأمّرت جميعاً على دعائه.

كانت قد أنهت شهوراً سنّه، وقطعت أناماً قليلة في الشهر السابع. عليها أن تحافظ على حبسها في مكمنه شهرين بعد، حتى تكون الولادة طبيعية.

نوقعت السّارة عند منزل رهور التي أصرّت أن يكون العشاء عندها، بينما كان هبتم يستعجل المصّي قبل هبوط الطّلام. يدرك أنّ والدته تتحائل عليهم لمصوا اللّيلة عندها. ولولا نعب باسمين لما استجاب. لكنّها لا تتحمّل السّمر الطّويل بالسّارة. ولعلّ فاطمة أيضاً نرحو تلك الجلسة الزّنقة مع صديقة عمرها فل أن نرندي عشاء الأمّ ونشرع في رعاية صغيرتها الوحيدة.



انتهت باسمي على ربي هانها بسما يُرل هبثم حقائق والدها  
المنقلة كما العادة بأطاب الوطى وحياته. ردت على اتصال ربي  
بحفاوة:

- فلفت عليك.. ماذا قالت الذكورة؟

- عنو الزحم مفتوح بشكل مكر.. يجب أن أحط بالراحة التامة...

ضحك ربي لنسري عنها:

- الرمي التبرير إد، وبصري كالملة!

ابتسمت باسمي وهي تحتس بطها المكخر بعد ساعة أمصها  
حالة مد المطار، بسما أصافت ربي:

- كنت لأطلب منك الحضور للشهادة في قصي سكية.. لكن وصعت لا  
يسمح بذلك الآن.. لا عليك.. لدينا عدد كاف من الشهود.

تضمت باسمي في اعتدار:

- متى تتوقعين أن تكون الجلسة؟

نهدت ربي:

- لا أدري بعد.. إنهم يماطلون بشكل مرع!

هذا ما بعلوبه نحديثًا. لقد جمعت الوثائق وقدمت ملفًا متكاملًا  
مد شهور، حتى نحظى سكية بإعادة نظر في حكم الإبعاد عن طفلها.  
لكن المحكمة تتعلل بكثرة العصاب المدرجة في جدولها، ونرفض تحديد  
موعد الجلسة بعد!

- عسى أن أكون أفصل حالا حين تأتي الموعد.

\*\*\*

مصت الأسابيع سريعة، تدافع أيامها محفلة بدفقات من الأمل  
والحشبة. أصبحت الألعاب مباحة في السوق، تنصّر واحهات المحلات  
المختصة، وتلفى القبول والاستحسان. كان نحا نحرًا حقيقًا..

بالإضافة إلى الرضا الذي يحلله النشاط الحفوي المواربي.

حاء صوت عائشة عمر الأثير محفلاً بموجات المرح:

- حاءنا لأصوات الذخول إلى فردسا اليوم! لقد انتظرت طويلاً حتى  
نقم عبي بك عرساً.. عسى أن أسعد قريباً زوجتك وعروسك سعيدين  
مباركين!

أصغى عمر إلى كلماتها في ارباح ثم قال:

- كوي حاهرة خلال أسوع.. سأحجز فذاكر الشهر لحفوي والأولاد قبل  
الرقاى بقرة كاهية. أريد أن أحكم في سباحة في المعالم التاريخية!

اتفقا على المواعيد، ثم أنهى عمر الاتصال وعند ملاه صوت شقيقه  
المرئيش فرحاً وحناً ودعائها الحارة بالملاح وسيد الملاح العائسا وسنرا.

كان قد رار أبه ووالدها مد أسوعين. نحاح المشروع الذي شعله في  
الشهور العاصية كان يجب أن يتوخ بفرح عارم وعائلي.. ولم يكن هناك  
أفضل من عقد قران ورفاق متتابعين، ليجتمع أفراد العائلة والأحباب  
والأصحاب، يشاركوه سعادته بالاستقرار والاطمئنان.

انتبه حين أحد هاتفه بومض معلناً اتصالاً صاحتا من شريكه.

- أنا قادم على الفور!

فكر عمر وهو يرل الدرجات ففر، حتى بصم إلى هينم أمام الصي،  
أن السنة العاصية كانت إعادة تأهيل لروحه وعليه، وتلك السنة كانت  
تحقيقاً لطموحاته وتوخيها لجهوده المتراكمة مد تخرج في الجامعة. كان  
يشعر بأنه يسترجع ذاته القديمة، بل يعززها لتكون نسخة أفضل.

داعه هينم وهما يتصافحان:

- ندو منتشياً اليوم على غير العادة. هل نحول الرضا إلى شيء آخر؟

- نهائياً.. لقد وصلت الشحنة إلى وجهها.

حعلق فيه هينم غير مصدق، ثم تنم في تأثر:

- حمداً لله!

كان عمر قد تلقى اتصالاً مساء أمس من أبي الحسن. عبرت الألعاب إلى غرة، في حين سيقنها الأجهزة النكبلية في الوصول منذ يومين. أما تعليمات التجميع والتشغيل فأرسلت بشكل مفصل في حقيبة سفر أحد النجار المنتظمين عمر معبر روح.

أشهر عمر في عموص وقال وهما يمشيان في أنحاء السارة:

- سبدي المدير، أحتاج إحارة مطولة.. ثلاثة أسابيع على الأقل.

رفع هينم حاجبه في دهشة، ثم ما لبث أن استوعب، عهف في فرح:

- أخيراً سدحل الفقص الذهني يا أحي! مبارك! هل حذّب الموهب؟

- بعد أسوعين.. أهلي قادمون من المعهد خلال أسبوع إن شاء الله، وأحتاج الفرع للاهتمام بضافهم...

لم يعانق الموعدة المرتبة، فقد كانت العروس حاهرة سد أمد، والحمل العائلي المصطب لا يتطلب تحضيرات كثيرة. لقد أخل عمر رفاقه منظرًا اسفرار المنروع بشكل كامل، والآن لم يعد هناك ما يصعه من الاحتمال. أوماً هينم مواهما:

- حقك! لا بأس بذلك.. على الأقل بأحد إحاراتنا في أوقات متاعدة، لصمار استمرارية العمل في الشركة.

جلس هينم وراء عجلة القيادة وركب عمر إلى حوارته، ثم التفت إليه في اهتمام:

- هل اقترب موعد الوضع؟

- الحمل في الشهر الثامن بعد.. أمل أن يطل مستقرًا حتى التاسع.

- خيرا إن شاء الله.. ماذا قرّرت أن تسميه؟

شغل هينم المحرك فتقدّمت السيارة عبر الشارع الهادي على مهل. قال في فخر:

- عزّ الدين!

- ما شاء الله! عسى أن يكون له نصيب من اسمه!

ضغط هبثم على العرامل في حذّة لتتوقّف السيّارة بشكل مفاجئ.  
هتف عمر في قلق:

- ما الأمر؟ ما لك توقّفت؟

- تلك الشّاحة!

رأى عمر عسه لبصر الشّاحة السوداء التي خرجت فجأة من الطريق المتعامد دون احترام لقواعد المرور. حدّق في رجاحها المظلم الذي يحثي ملامح السائق، ثمّ نوحه بصره ناحية السيّارة الثّلاثية التي فرملت بدورها بصوت مزعج، وهي تدخل الشارع من الاتجاه المعاكس. توقّفت على بعد خمسة أمتار من موقع سيّارة هبثم / وبزل رجاج بواقدها الأمامي والخلفي من الشّاحة التي يراها هبثم وعمر بوضوح.

كان كلّ نوع بريفاً ومسلّماً.

سلّت الصّدمة حركات عمر وهبثم وأحرست لسانيهما وعنبيهما خدر شامل. لسا بتابعان المجريّات في شبه غيباب، وكأنّما قد انفصلا عن المشهد الغريب الذي يسري إزاءهما.

خلف زجاج النّوافذ، طهر وجهان متوازيان وراء بطارات شمسيّة عريضة نحوي قسماتهما الأوروبيّة. ثمّ، وبشكل غير متوقّع، ارتفعت قوّهات مسدّسات مرّودة بكانم للضّوء، ليطلق وابل من الرّصاص في أنجاه مباشر وعن سابق إصرار ونرضد.

انهمرت الرّصاصات الفاتلة مثل المطر. أنّ عمر في ألم حين أصابته الرّصاصيّة الأولى، ثمّ انكها على وجهه ليرطم رأسه بلوحة قيادة السيّارة. أحصى عشرين رصاصة، ارتدّ بعضها بعد اصطدامه بهيكل السيّارة، في حين شقّ آخر زجاجها وعمره في اتجاه الهدف.

قل أن يغيب عن العالم، كان آخر ما وقعت عليه عيائه، صاحبه المضّرّج بدمائه.

ارتفع ربي الهائف بصوت مرعج شقّ فصاء أحلامها. نمطت ربيم في كسلي وهي بمدّ ذراعها لللفظ هاتفها الذي يومض بالحاح ويهتر على المنتصده القريبة عند رأسها. ألقب بطرة على الساعة قبل أن يردّ على الاتصال الوارد. التاسع والنصف صاخا.

- مرحبا!

غمغمت بصوت ملؤه التعاس.

- ربيم، هل أنت بائنة؟

- نعم، لقد أوتيت إلى التبرير في وقت متأخر.. ألم تنق على أن أحد اليوم إحارة؟

هتف حورح في اعتذار:

- أعلم.. لم أس ذلك. لكن المسألة عاجلة. وصلي اتصال من المركز الصحي بالصاحبة الحوتة. نُقل إليهم أحد عملائنا، مصانا بطلق ماري. وحدوا بطافي بين متعلقاته الشخصية، ولم يتمكنوا من الوصول إلى عائلته.. وأنا في طريقي إلى المحكمة. حتى يمكنك أن أنقزع لمعابة الوضع.

نغمت ربيم وهي تستقيم حالسة:

- بالتأكد.. سأذهب. ما اسم العميل؟

- عمر الرشيد.

كانت نمسك قلما ونهمّ بتدوين الاسم على فصاصه ورق. لوهلة، التمس الأمر عليها. شعرت أنها تحتر كالنوشا فديما، نهت بحانه بقسوة مرة أخرى.

- هل سمعتني؟

- نعم. بالتأكيد.. سأتقضى الأمر.

أنهت الاتصال ثم رفرت بقوة. طلق ناري؟ في أي مصيبة جديدة أقحمت نفسك يا عمر؟ ثم انقص صدرها. لم يقل جورج في درجة من التواء، كان عليها الوضع.

تدخل شهاب على التبرير إلى حوالها، ثم فتح عينيه. نادته سمة بأعنة، ثم عادت إلى وضع الاستلقاء محيرة أساريرها على استرخاء لا تشعر به.

كان قد وصل مساء الأمس إلى باريس، فركبت سفينتها من كل مرة لبعضها فترة رياحه في فندق يقع في الدائرة التاسعة، حيث الحياة الليلية تتميز بالحبوة، والفرص كثيرة لفضاء مساءات ممتعة. قد صرفت معظم كسبها لتحاول في كل مرة تفريغ يومين أو ثلاثة بالكامل ليغتثما أكثر ما يمكن من الوقت معاً. لكن إحارة اليوم نداء بشكل سيء.

همست في دلال وهي تداعب أطراف حصانته بأناطها:

- عد إلى النوم، سأغيب ساعتين على الأكثر وأرجع حتى تناول الإفطار معاً.

رفع حاجبيه في دهشة. لم يكن هذا ما أعلنه بالأمس، حال وصوله.

- ألسنت في إجازة؟

تهتدت ثم قالت في أسف:

- إنها حالة عاجلة. لن أتاخر.

طبعنت على وحنه قلة سريعة، ثم أسلّت من التبرير. ارتدت ثيابها على عجل وسرحت شعرها المنمّوح وهي تطالع وجهها في المرأة بنظرات يسكنها القلق.

استقبلتها حارح من المستشفى أفواح من الصحفيين الذين ينتظرون نصريحات طارئة بشأن حادث إطلاق النار. شقت طريقها إلى الداخل، يطاردها صوت مراسل إحدى القنوات التلفزية ينقل المستجذبات في بث

مباشر:

- وصل المصابان مد ساعة إلى مستشفى صاحبة الحويّة، ولارلنا  
سنظر نوصحات أكثر من الجهات الأسيّة عن حقيقة المقدّس  
ودواوهم...

تجاوب الرّحام وهروب عن مرّات المستشفى حتّى وصلت عند  
قسم الطّوارئ. هنف لاهنة:

- عمر الرّشدي.. كيف حاله؟

- هل أنت من عائلته؟

- محاميته.. لقد وصلنا لتصل من طرفكم.

- انتظري راحة.

غابت الممرضة لدقّيس، ثم رجعت وبرفقها أحد الأطباء. سألتها في  
اهتمام عن حديد:

- هل أنت من عائلة المصاب؟

أظهرت سطاها المهبة وهي تقول:

- أنا محامية.

كانت تدرك ضرورة التّكتم الذي يلزم به الطّاقم الطبي أمام الاهتمام  
الإعلامي الكثيف بالحادثة.

- لن أحصي عنك.. الحال سيّئة. لقد وصل مصابان بطلعات بارّة عديدة  
لكلّ منهما.. أدخلنا الأوّل إلى الحواحة فورًا نظرًا لإصاباته الحصرة.. السيّد  
عمر تحب الملاحظة، لكنّه فافد للوعي. لم نستطع إدخاله إلى الحواحة  
على الفور.. لأنّ طاقمنا عبر مكتمل اليوم. سنظر قدوم الحراّح في وقت  
قريب.

فاطعتة في لهمة:

- كيف هي الإصابة؟

- لحسن الحظ، الرصاصات لم نصب الأضواء الحيوية.. رصاصتان على مستوى الكتف، ثالثة على الدراع.. وأخرى أصابت عظم الزقوة.. لكنه فقد دما كثرًا.

- هل يمكن نقله إلى مستشفى آخر؟

- أعتقد أن نقله سيبد من نأزم الحالة. من الأفضل أن سنظر وصول الجراح.

أوصاب في السلام. نمر حطب في دهر نحو مفاعل المنيطار. شعرت  
ركبتها نحو سهد ألفب بعد ها على الكرسي الأقرب إليها. نمر رفرت  
لنحلف شتح أمصتها.

أي مصبة هذه؟ أربع رصاصات؟ هذا بدم من حجاب عصابات لم  
ستطع أن يلقى في أي شيء آخر. كل ما حطر سألها حين اتصل جورج  
هو اتصال إصابته برصاصة طائشة، لا بعكها توقع طروف وصولها  
إليه. لكنه احتمال أقل نساؤما. كيف يمكن لشخص سوى وطبعي،  
دكتور محترم ومسلم أن يلقى داك العدد من الطلعات دون أن يكون  
مستهدفا بشكل شخصي؟

مرت الدقائق طويلة ونعيلة. بعد نصف ساعة، عادت إلى مكتب  
التريص. سألت في نوتر:

- هل وصل الجراح؟

- للأسف، لديه حراحة محدودة بشكل مسبق في مشفى آخر.. إننا نحاول  
إيجاد بديل.

- بسرعة أرجوك!

هزت الممرضة رأسها في تفهم، نمر امرت بحري اتصالات شتى بحثًا  
عن الجراح المنشود.

عادت إليها ربيع بعد أن انقضت ساعة كاملة على برفها في صالة  
الانتظار. هزت الممرضة رأسها في أسف وقالت:



- إن كان محطوطا، فستتهي الحراقة الأولى في وقت قريب...  
في تلك اللحظة، لمعت في رأسها فكرة محبونة. قالت ريم في حزم:  
- هل إذا جننكم بحراج، نسمحون له بإحراق الحراقة؟

أجرت الممرضة اتصالا سرعيا، ثم قالت:  
- نظرا للحالة الحرجة، وافقت إدارة المستشفى  
على الفور، ساولت ريم هانها. قالت حس وصلها صوت محاطها:  
- شهاب.. أحتاج منك معروفا. هل يمكنك العام بحراقة غامضة الآن؟

...

هرولت ليلته عند مدخل المستشفى لم تكن لمعل شهاب منذ  
الصباح عبر المراجعة بين غيبه الاسطار والركض في الممرات. في الخارج،  
لم يرح الصحفيون موافعهم رغم غياب أي حديد. هنتت وهي نشد  
دراع روحها في اعتنا:  
- شكرا لمجيتك بهذه السرعة.  
- ما الذي يجري هنا؟  
- سأشرح لك لاحقا.. لس أمانا وقت نصبعه.

كانت قد أرسلت إليه العوار منذ نصف ساعة، فارتدى ثيابه على  
المور وطلب ستارة أحرة. كانت تلك الوسيلة الأسرع. لى طلبها دون تردّد  
ولم يسأل عن التفاصيل. لقد بدت مهارة على ابهاثت وعلى وشك  
السكاء. الآن، وهو يسير برفقتها في ممر المستشفى، براوده فضول عريب  
تحاه هويّة المصاب الذي تأنر بسمة إلى تلك الدّرجة. لم تكن عميلا  
عادنا.. هذا مؤكّد.

استقبله مدير المستشفى في مكسه. تأكد من وثائق هويته وطاقفه  
المهنية، وسأله عن حرانته الساففة، ثم جعله بمصي على تعهد تتحمل  
مسؤولته ما بحري في فاعة الحراقة كاملا دون محاسبة إدارة المستشفى.

وَقَعَ شهاب على مصصر، لكنه مصطر لأتباع الإحراءات الفايوتية.

بعدئذ، نوحه إلى عرفة التعفيم. وقعت بحواره مفرصة، حينه بإشارة من رأسها، نمر ساعده على ارتداء سترة الحراحة المعقمة وأدوات الحماية، نمر دلف إلى عرفة الحراحة. كان طبيب التعدير بالداخل، والاصحاب مسخر على طولة الصلوات.

- ذكور، كل شو، حاهر.. هل بدأ؟

أولاً موافقاً، نمر حطر بأفهامه معركة. بطلح إلى وجه المريض الذي يخفي تحت قناع النحدر، نمر عادي بطايع إلى حكمة الذي كُشف حروقه الطوي. حيث غلب الرصاص. لو أنه أحياناً ملاصقه، فلا يمكن أن يحظر إشارات الحروق الباهية التي ظهرت على ثيابه. منكره. بهذا نمر في إعطاء أوامره إلى طاقم الحراحة المرافق له.

...

عادت إلى عرفة الاسطار مكرهة. ما حسنه ريارة سريرة وحمية قد عدا مشواراً طويلاً ومرهفاً. عاد شهاب بالداخل منذ ساعتين، اتصل خلالها حورج لبطنين إلى المستحذات. نمر جاء رجلاً شرطه ومحقق. تحدث المحقق إلى الطاقم الطبي، نمر جلس بسطر هو الآخر.

افترت ريم في هدوء وسألت: —

- هل أنت ها من أجل حادثة إطلاق النار؟

- أنت تعرفين المصابين؟

- أنا محامية أحدهما.. الدكتور عمر ارتشيدى. هل عرفتم من الماعل؟

هرز رأسه علامة النفي، نمر أردف:

- لقد أحدا مواصفائهم من شهود عيان، ونحن نسعى في إثرهم. هل

تعلمين إن كان للضحية عداوة معروفة؟

هرزت كتفها وهي تقول:

- لا أظن أن لديه عداوات بتلك القوة! أقصد، في مجال البحث العلمي،  
قد تحصل مشوشات وتنافس على المشاريع.. لكن الأمر لا يصل إلى  
إطلاق النار!

- ماذا عن المصاب الثاني؟ لقد كان يركب سيارته أثناء الحادث.. هل  
تعرفين طبعه علاقته به، هنرم الأندلسي؟  
- من؟

فغرت ربيم قايما غير مصدفة. هنرم؟ تأناث في ههول وقد رحلت  
أفكارها إلى باسمين:

- إنهما.. صديقان.. أنت متأكد؟ هذا اسم المصاب؟ يا إلهي.. عن  
إدراك!

عادرت الهملة على حمل. أمسكت هانها بحذق في شاشته بكف  
محترة. إنها تخلص هيا صد ساعات، ولم يحظر سالها أن نسأل عن  
هوية مرافق عصر. الآن، عليها أن تلج باسمين بالحادث.. وهي لا تعرف  
كيف تفعل!

على الشاشة العملاقة التي تتوسط بهو المستنهي، كانت بشرة الأخبار  
تعمل مشاهد من موقع الحادثة. ظهرت سيارة هنرم التي نهشم راحها  
الأمامي والأيسر من جهة السائق كليا، وعلمت رصاصات كثيرة بهيكلاها. كان  
المراسل يحدث المارة، لعلهم يصغون تفاصيل الأحداث التي شهدوها.  
لكنها لا نسمع شيئا والضوء مكنوم. نقرأ عنوان الخبر العاجل:  
«إطلاق نار إرهابي في حي سكني حول العاصمة».

كان عليها أن تعجل بإخبار باسمين، قبل أن يصلها الشأ بطرق أخرى  
أشد قسوة!

\*\*\*

لم نر هنرم ذلك الصباح. حرج مكرا كعادته، بينما نامت حتى وقت  
مأخر كعادتها مد يداه الحمل. تذكر بشكل مشوش وجهه القريب

وكلمات همس بها إليها قبل معادرنه. لم تكن وانفة، رثما كون المشهد  
الضبابي جزءًا من حلمها.

تركت من يدها، وحطت برؤسها بآحاء المطمح، وهي تدفع بطنها للمصح  
أمامها، أحضت يودرات مطحنة ونصلب عضلاته. تأوهت وهي تقرب  
من الأريكة وتلمس بحمدها عليها.

التماعة قد انحورت العائده. سمع صوصا، فادمه من المنطوح. إنها  
لا شئ فاطمة، تحضر وحمة العداء. نسبت وهي تتعاطف نفسها لتصف  
من حديد. أصبحت متواكفة جدًا مع وصولها لمشارب بيده، تحفر أشرف  
على باب المطمح. همست برؤسها:

- أنت متكرة كعادتك،

التفت إليها منها وضحكت في ذهنه:

- لماذا عادت الشربير؟ الإفطار حاهر.. سأحصره إلى هناك.

- لقد أردت التحرك قليلا.. أشعر بالحمول. هلا جلسنا في الشرفة؟  
الطقس جميل اليوم...

هرت فاطمة رأسها في استسلام. حفقت كفيها، ثم ساولت طبق  
الإفطار ولحقت بها إلى الشرفة. جلسنا متقابلين، نحسنا القهوة على  
مهمل، ونقصمان من قطع التوست المدهون بالمرق والزبدة.

لم تكن الثقة كبرة، لكن فاطمة نحت أن شعر يانديها، فتشعل  
لساعات في أعمال البيت، ترتب العرف وتفتح بواحدتها للتهوية، بسط  
الشراشف في الشمس وتغسل السجاد، تكس ثم تمسح الأرضية، تزيل  
العباءة، ثم تنثر العسليل، ترتب الملابس وتقصي معظم وقتها في  
المطمح، تن طهو وغسل أواني ويحفف وترتب لها. كأنها حلفت لتفعل  
ذلك طيلة اليوم بلا كلل أو ملل.

في الأثناء، نسلقي باسمين على الأريكة، محيرة على الراحة رعما عينا،  
تن كفيها كتاب تتصفح فيه قليلا، ثم نسرح طويلا عن رجاح الشرفة،

ترقب الحمام وهو يفر الحث الذي نثره كل صباح من أحله. ومن حين إلى آخر، نذاهمها ألام منقطعة، فتحس أناسها حتى تنقضي.

فبيل الثانية طهرا، ارتفع ريس هاتقها. انسمت حين لمحت اسم ريبم على السائنة. ردت وهي تهج محاولة التسلط على ألها.

- ريبم.. كيف حالت؟

فرحت ريبم حين وصلها صوتها صعيق وألها. هفت و شك:

- باسمين.. هل وصلك الحر؟

لعلها حسب أن أحدهم - أي أحد - قد كفها مؤنة زف الحر الأليم إليها، فلا تكون أول من يذف الحر في صدرها.

- أي حر؟

ترددت ريبم. ثم بكر الأمر كما حسب. صاحبها في علة عن المصاب الذي حل بعائلتها. بحثت في علقها عن الكلمات الماسة لقل الفاحشة. مهما حاولت الاستعداد، فإن فصاحتها ولافتها لم تسعها أمام فداحة الموقف. همت بصوت محس:

- هينم.. إنه في المستشفى.

شعرت بصدمة باسمين التي تاهت الحروف عن لسانها وتأنان في

اضطراب:

- هينم؟ كيف..؟ ما الأمر؟

- هل توسعك المحي؟ سأملك عنوان المستشفى...

دوت باسمين العنوان بأنامل مرتجفة، ثم هفت في قلق:

- ما الذي حصل؟ هل هو بخير؟

خفت ريبم أنها كلما عرفت أقل في الوقت الحالي، كان أفضل. قالت متمالكة نفسها:

- إنه في الحراحة الآن. سعرف أكثر حين يفرعون منها.

دَوَّت الكلمة في أذنيها كالصاعقة. حراة!

اقتربت فاطمة في اهتمام وهي ترمق سحنة انتهت شديدة الشحوب.

همست وهي تعابها:

- هل أنت بحير؟

كانت باسمين نستمع إلى رنين مستعز في أذنها وتكرّر الاتصال بهنم  
رغم بقيتها بالعدم الإحابة. انقضت من استعراقها العظم، وهبت  
واقفة معالة وجعلت:

- يجب أن نذهب إلى باريس الآن.. سركت الفطار.

كيف لم يره في وضعها أن تحرج الآن وسركت الفطار لكنها كانت  
مصقمة وعاقدة العزم. دخلت عرقها، نضج قلما حلسا ووشاحا  
بما وسعها من مرعة. لفلمت دمعها قبل أن تنضل بمبسه. قالت في  
اقتصاب:

- هبثم في المستنم.. سأرسل إليك العسوان. طمئني عنه حال  
وصولك!

في تلك اللحظة، وهي تطالع وجهها المكفهز في مرآتها قبل الخروج،  
رنت كلمات هبثم ذلك الضاح في أذنها:

«يا أحمل ملاكبي في حياتي، حفظكما الله».

...

لم تطمئنها مبسه. طلّت طيلة رحلة القطار معقفة السر شاشة  
الهاتف. لكنّه لم يرنّ. حاولت الاتصال بهنم مرارا، لكنّ هاتفه معلق.  
طبعاً، إنّ في الحراة! لم تقل ربيم أي نوع من الحراحات هي. لكنّها  
لم تكن مطمئة. خلال ساعة ونصف الساعة، لم تتصل مبسه ولا ربيم  
ولا هبثم.. ولم يردها أيّ حر. مالت فاطمة نحوها وهمست بصوت  
ملؤه الجزع:

- ادعي له، فأنت على سفر.

تمتعت بخفوت، وكفها على بطنها:

- يا رب، فليكن خيرًا.. يا رب!

ركبت سقالة أجرة قبل الفطار وبعده، وبعد ساعتين وسبعا كنت تسير  
سافين مريضين عبر ممر المستشفى، نسلها قاطعة، حتى أنزلت  
على قاعة الاسطار. طالعتها وحده واحدة: وادي هنم ونقيفة،  
بالإضافة إلى رسم. همست في حرع:

- كيف حاله؟

أجابها العبرات المترسلة على وجهي رهور، واليخه المصنوعة في  
صوتها وهي تقول في نبي:

- الدعاء الدعاء يا نبي!

فهاكنت على مقعد فركت وقد استندت بها الزجعة. اقربت رنيم  
واحتصنها بقوة، تماسها بوعها وحرقة مؤلداها. بعد هبها، أفلتها  
حين شعرت، شتحتها. ربت إليها في فلق وهي تقول:

- باسمين.. أنت بحر؟

لقد راودها داك الإحساس حين وصلها صوتها على الهاتف مد ثلاث  
ساعات. لم تكن بحير. كان حسها سر عرها باردًا، وكانت شفتاها مررقتين  
ومرتحفتين.

هبت رنيم لتنادي إحدى الممرضات، وحين عادت، نسفت بطاقتها  
على حشد باسمين المستسلم على المقعد، كأنها على وشك الإغماء. لكن  
ذلك لم يكن كل شيء. كان هناك حيط دقيق من الدّم الأسود يسترسل  
نحت مقعدها ويرسم نغمة بتسع فطرها باسمرار. هتفت في هلع:

- إنها نرى!

- هل بقي شيء من حلوى الفواولة؟

فتح هنرم النلاحة بحثا عن العلقة التي أحصرها بالأمس. كانت قد احتفت، بطر في شك إلى وجه باسمين الموزد حرجا ودنا.

- هل التهمها كلها؟ الصطع الست؟

عصت على شعبها ثم رصب اسامة معذره قبل أن تنهم:

- طار عن حمي التوم لئلا، وشعرت بالخوع.

- فأرددت ستمطع من الكوك؟

حدق فيها عبر مسوعب، ثم وخه بصره إلى بطنها وهمس:

- بدأ الوحمر، سترك يا رب! بي، هبنا مرنا لك!

ضحكت في استمناع، ثم قالت:

- تناول نوست ردة القول السوداء.. أنت بحثها!

قال مندقرا:

- أحتها طبعًا.. حين لا يكون هناك حلوى فواولة في النلاحة!

جلست إلى حوارته نرقبه وهو يقضم شطيرته ويرنشف القهوة من حين

إلى آخر، منظاهرا بالعموس. قالت بعد لحطاب:

- هل أحرنت حائي رهور؟

ابتسم على الفور وقد ذهب انزعاجه:

- أريد أن أحررها وحها لوحه، في استراحه العداء!

أومات في رضا، فأردف:

- هل تشعرين بالغثيان؟



صحكت وقالت:

- ليس بعد!

- نشوون معنا إند؟

الصمت ثم قالت في حرج:

- طوري القراولة، مرة أخرى؟

...

تحدثت باسم من عساه مبروعة، بعصرها إحسانى بالمومنين. كانت تستنفي  
في استسلام على سرير "المستشفى"، تعلوها بضامة حذرتها زهيدة. عند  
رأسها كانت قطعة نعل بعميق داعمين وهي بريرة مربية المستشفى  
الزرقاء، وكعامة ضئيلة.  
- حمدا لله على سلامك يا أمي!

كانت آخر ذكرى لها قبل أن يهوي في عيبوه عميقة، الممرضات وهن  
يهولن ساحات سريرها دى العجالات، وهي مسالمة لا حول لها ولا  
قوة، ثم صوت طبيب التحدث وهو يعلن في أذنها: «مضطرون لإجراحة  
عاجلة، سامين الآن».. قبل أن ينطق فمها التحدث على وجهها.

همست بحقوق:

- عزّ الذب؟

- إنه بحر.. أحده إلى المحصة الضاعثة. سريه فريما.

أومات بصعب، والصرات تسرب من مدامها بلا إرادة منها. اقتربت  
الممرضة لتطمئن إلى مؤثراتها الحيوية، ثم قالت:

- لقد انخفضت حرارتك أثناء الولادة الفبصرية، لكنها أحده في الصعود  
الآن. استرخي قليلا بعد، ثم ينقلك إلى غرفتك.

- كيف هو الطفل؟

- حصل على سبع علامات من عشره في احناض «أبعاره» (Apgar) لحديثي

الولادة.. وهذا يعتبر مرتفعاً بالنسبة إلى مولود سابق لأوانه! أهنتك.. إنه طفل بهيَّة الطَّلعة، وبصحة جيِّدة!

شكرتها باسمي في تأثر، ثم همست لفاطمة بصوت مرتعش:

- هينم؟

هزَّت فاطمة رأسها في أسف. لا شيء، حديد.. فل أن نسحب باسمي  
بدرجينا إلى سبب عميق بفعل المحذِّر الذي مارأيت تحت تأثيره.

...

خرج شهاب من قاعة العمليات بوجه شاحب ولامع مرهقاً هرولت  
إليه ربيم، فهزَّ رأسه بالانزعاج مطمئنة:

- ذهب الخطر.. فلستظر استيقاظه الآن.

بعد دقائق، خرج الجراح الآخر الذي أنهى عملياته المعقَّدة بدوره.  
لكنَّ ملاحظته بدت أقلَّ ارتباطاً. قال بصوت متعب:

- لقد أخرجنا الرصاصات كلها.. وحاولنا إصلاح ما أفسدته من أنسجة  
وأعصاب. لكننا لن نعلم بقيا مدى تأثيرها في وظائف الجسم الجيِّدة  
حتى يستيقظ!

لم يستفرض الجراح في شرحه. كانت جراحته طويلة وشاقَّة. استخرج  
خلالها رصاصتين من الصَّدر نجت إحداهما الرِّتة اليسرى ومزَّت الثَّابتة  
حداء العمود الفقري، وانتهين من البطن مرقاً أحشاءه، وحامسة في  
الكف فتنت العظم، وسادسه في الذراع نقتل المفصل. كان من العسير  
بعد ذلك أن يُبدل صريح دقيق دون أن سيَّ في القلوب المربحفة مزيداً  
من الرَّعب.

كان مسنوى تفاؤل الجراحين متبايناً، لكنَّ العامل الأساسي في المسألة  
واحد.. أن يبقى المريض من تأثير التحذير.

...

ساد الضمت بينهما طويلا في عرفة القمقف. كان عقل ريسم عائنا في دهاليز أفكار متداخلة. لا يمكنها أن نحدد نفسرا معقولا للحادثة التي نورط فيها هينم وعمر معا.. بينما كان شهاب مهموما بخاطر يؤرقه صد وقع بصره على وجه مريضه على طاولة العملانة.

طلبا عشاءهما في العروة، وحلسا متقابلين، بعثت الملائق في الضحون فلا شهية. قال شهاب أخيرا:

- هل تفكرين في الحادثة؟

رفعت ريسم عجب ففهم وحولت أن ننسم:

- أنا 'سفة حقا.. لم أوقع أن أقصد الإحسان هذا الشكل. لقد كان يومنا مرهقا بالنسبة إليكم أيضا؟

ثم أضافت بصوتها المنخفض:

- أنا وأنت نائتي متكامل، كلاهما بقدر الأرواح.. أنت في قاعة العملينات وأنا في المحكمة!

استنمت في صمته لحطاب ثم قال في صق:

- أهم إد أن قصبة ما تلوح في الأفق؟

فالت في اسباء:

- نبدو مسألة معقدة للعامة.. لو رأيت كيف كانت سبارة هينم! إنها محاولة اعتبال صريحة.. ومن طرف لا يعرف الخوف ولا بحنى العدالة!

لم ير شهاب الستارة، لكنه رأى حال المصاحبي. يعرف بقيا أن الحقائق لم تكشف بعد، وأن ما حي كان أعظم. قال أخيرا في رجاء:

- هل يمكن أن أطلب منك شيئا؟

رنت إليه في اهتمام، فأضاف:

- لا تترافعي في هذه القضية!

حدقت فيه دهشة واستعراغا. أتى طلب غريب هذا؟ كيف يمكن للمحامي أن يتصل من مسؤولياته؟ لكنها لم ترعب في الحدال. قالت في

لامبالاة وهي تعود إلى الأكل:

- لماذا نسنق الأحداث؟ لا أحد يعلم إن كانت هناك قصة...

نم أهدف معيرة الموضوع:

- هل رأيت هنم؟ كيف بدا وضعه؟

أذكرت شهاب بهزنها، لكنه لم يلبخ.

- إصاباته كانت ممتلئة.. لقد بحا من موت محقق بأعجوبة، غير أنه من العسير التنبؤ بالنتائج.. أحنى أنه سيعاين من حستانر حسيمة.. إذا استعاق!

قال في قلق:

- إذا استعاق؟ هل ينك في حصول ذلك؟

- أحنى أن عجبوته قد تطول.. وكلما طالت، بغضت فرص النجاة. وإذا حدث وبها، سيعاين من قصور في الوظائف السفسية، وربما من شلل نصفي..

- يا إلهي! هنم مريض ربو أساساً!

- سيكون ذلك أسوأ. لن يفدر على القيام بأي مجهود بدني ذي مال.. وسنكون الحركة عسيرة. ربما بفصي بقة حياته على كرسي متحرك.



عرب ربيع العمر المؤذي إلى غرفة العيادة المركزة، ثم توقفت عند مكتب الاستقبال. كانت راسا وسكية قد سلفناها إلى غرفة باسمي، بينما أخذت على عائلتها تفقد أحوال المرضى.

- عمر الزنبيدي.. هل استيقظ؟

هزّت الممرضة رأسها نافية.

- هنم الأندلسي؟

تكررت الحركة نفسها. رفرت ربيع في صيق وقالت وهي تحرج بظافتها

المهنية :

- اتّصل بي رجاءً ما أن يستيقظ أحدهما.

ثمّ ساروا حتّى عرفة الحصاة. وقعت نوافل الرّضع المعرولين في أسرة  
راحتهم لرهه، ثمّ سألت:

- ظمّل باسمين عند الفادر؟

لم يكر أحد فد اهتمّ بسحب الطّفل بعد، لذلك يحمل اسم  
والدته. أنسار الممرضة إلى سرير بعينه، فطاوشت رجليه لتحذق في  
الرّضع الصّنبيل الذي يستغرق في نوم عميق، لقد امتدّ إلى اسمه أسوب  
النّفّس وإلى حلقه نحر اللّغمة. استسمن عطف وهي ترتجأ أنامله  
الرفيعة وأطرافه الصّكمتة، ثمّ نهّدت:

- لقد جئت إلى العالم كي وفّقت حرج أيتها الصّغير!

ثمّ ابتعدت نحو الحطّ إلى عرفة باسمين.

كانت السات محتجمات هاك، برّيس عنها وبحقمن عن أنفسهنّ  
الأحواء الحائقة. هربت رهور وفاطمة إلى البيت، ندعان مخاوفهما في  
المطبخ ونشعلان قلبيهما قبل أبيديهما. بل لعلّ فاطمة كانت تعمل  
وتحدّث، ورهور ترافقها رغم عرفها في الضّمت الحرين. تقول فاطمة  
وهي تحرك القدر على النار:

- سبكون حائعا حين يعبق.. سيحاج أن يفتات حبدا ليشدّ أوده. إنّه  
رصاص يا أختي، رصاص! يشقّ العظم واللّحم ويفد منهما. لكنّ الطّبت  
الحديث يصعّ المعجرات.. لم يفل الحزّاج ما يسدعي العلق.

لكنّ رهور ساهمة لا تكاد نصغي، قلبها يتمرّق جرعا على بكرها الذي  
قُصف عمره برصاص عادر. وهل كان ما يحصل ليخطر على بالها مهما  
استندت بها محاور الأمومة أنفعا؟ إنّ أفصى همومها كان حادثا على  
الطّريق! تستمرّ تذكّره ونوصيه كلّما رارها في موعد عدائه أّيام الانسب  
والثّلاثاء من كلّ أسبوع:

- سر على مهل وانتبه إلى الطّريق!

لكنّ الحوف لا يُحدي حين تضرب صاعقة محبوبة لا يمكن الشؤ أيس  
سنعمل!

في الأثناء، يحاول رانيا أن تُصفي قليلا من المرح على الجلسة في عرفة  
باسمين. هفت في حماس:

- عرّ الدّيس رقبى حدّا وطريف! متى يُخرجونه من المحصّة؟

فصمت باسمين بصوب منحوح:

- ربّما يمضى أسوعس في المحصّة.. ربّما ننصح ربّاه.

هزّت رانيا رأسها في أسف، فقالت سكبّة:

- أحصرت لك الكتّة ملي تحسّنها.

شكرتها باسمين بما قدرت من حرارة، ثمّ سيطر الحفّت من حديد.  
كانت تسمّى قُلّ يلفظونها لحنها، لكنّهنّ بأيس أن يتركها لأبواب الكانة تفنك  
بروحها.

زوجها وانها، كلّ واحد منهما في عرفة من المشفى، وهي ثالثة. ألام  
الحرارة لا تسعها لنلارم سرير أحدهما أو كليهما، ينظر أن تتطّلع عساه  
في عسيها أو يربّس نغره سمّة موحّنه إليها. مصطرّة إلى الزّناد، حتّى انتهاء  
ساعات التّهار الأوّل بعد الفصريّة. بعد ذلك، سيكون بوسعها ترك  
الشّيرير وريارة الأحتّة.

دخلت عليهنّ رهور وفاطمة محمّلتين بما لَدَ وطاب، بينما نوّخه عمد  
الحמיד ووائل لتسحب عرّ الدّيس في دائرة الأحوال المديّة.

كانت فاطمة تخرج م في ففتها من مأكولات معذّبة للآم الحديده  
ونرضفها على المنصدة، حين ارتفع رئيس هاتف ربيم. اعتذرت لتتلقّى  
المكالمة حارج العرفة.

حاءها صوت الممرّضة التي عادرنها مد نصف ساعة يقول:

- لقد استيقظ المريض!

ركضت ربيم في الممرات، من قسم الولادة حتى قسم العيادة المركزية.  
حين وصلت، كان الطاقم الطبي يدفع سريزاً إلى الخارج. قالت الممرضة  
نظمها :

- لقد غاب الطبيب منذ حين وسمح بنقله إلى غرفته!

ضمت رسم على أنفهم، ولحرك برقفتها المحقق الذي لفه بالأمس.  
سألته وهما يسيران حثا إلى حب:

- هل من حديد سدى المحقق؟

- هناك نمانح أوتة.. سحار عنها رئيس شرطة. (قوي) في يدك صحيفة  
بعد قليل...

- أه!

وقفا برقفات خارج لغرفه، رنما نُهت الممرضات الغرفه للمريض،  
وقد بدا التوتر على رسم. حين خرج، اسأدت لندف أولا.

كان عمر بسلفي على التبرير معمص العيبين. اقرب لتهمس باسمه  
برفق، فاسحاب لنداتها ورفع حفيه المنقلب. نهدت في ارباج:

- حمدا لله على سلامتكم!

فرأت الذهنة في مقلبه. لم يكن وجهها صم الوحوه التي قد يرخ  
وجودها حوله حال استنفاطه. نرححت باحتصار اتصال المشفى بحورح  
وبعويصه المسؤولته إليها. جاءها صوته متحشرا وهو يسأل في لهمة:

- هينم؟

هرت رأسها في صبق:

- لم يسيط بعد.

عاد إلى إعماص عيبه برهة، كانت تسمع خلالها نفسه المضطرب. ثم  
التفت إليها فجاء وهنت كمن تدكر شتا:

- ياسمين؟

- لقد عرفت.. ووصعت مولودها. كلاهما بحر.

- حمداً لله.

قدّمت بشرة موجرة بآخر الأسماء. لكنها نحنناح منه إجابات أيضا.  
نوصيحاب بشأن الحادثة. غير أنها تريت. لم يكن يبدو في كامل لياقته.  
قالت بعد هبة:

- المحقق بالحارج، بود استحوالك بشأن الحادثة. هل هناك ما  
إجباري به هل ذلك؟

- هاهي!

- إنه مع الشرطة.

- إذن.. هل يمكنك زيارة هذا العنوان (م.م). سكر هناك لتأه اسمها  
أنة، ووالدها محمد العزّي.. أعلميهما رجاءهما حصل.  
أومات في بعض الأماكن كسدي المحقق. وفي الزحل الحمسي  
قالة التبرير، وتناول دفتره ليسجل الإجابات شكل قديم الطراز. قال  
بلهجة ودودة:

- حمداً لله على سلامتك دكنور عمر.. أحري ما الذي تذكره بشأن  
الحادثة؟

سرد عمر على مسمعه أحداث يوم أمس الماضية، بجمل منقطعة،  
بلفظ خلالها أنفاسه من حين إلى آخر.

- هل نشك في أحد؟

- لا.

- هل هناك في نشاط شركة «باسمين الأندلس» ما يستدعي عداوه جهات  
بعضها؟

- لا.

- أحتاج قائمة كاملة بموظفي الشركة.

- هناك ثلاثة في المقر الرئيسي.. عبري أنا وهبثم. المهندسون ألكس  
وأدريان وداميان.. بالإضافة إلى عشرة عمال في المستودع.. لا أحفظ



أسماءهم!

- هل يمكن أن أحصل على قائمة بالأسماء قبل المساء؟

- بالتأكيد... إذا اتصلت بالمهندس أليكس.. يمكنه أن يوفرها.

هزَّ المحقق رأسه، ثمَّ أردف وهو يبرر مجموعة من الصور:

- هل يمكنك التعرف على الأشخاص في هذه الصور؟

رفعها واحدة إثر الأخرى أمام باطري عمر. حتى فيها ما أمكنه من

تركيز واهتمام، لكن الملامح التي تميز أمامه لم تكن تكفي له شيئاً.

توقف فجأة أمام صورة امرأة شغراء. هنفت:

- أذكرها.. إنها الصحفية التي أخرجت لقاء مع... بشأن... الحركة!

هزَّ المحقق رأسه في اهتمام، مما حله ريم:

- هل تشكّون في طرف ما؟

- نشكّ في وجود صلة بين مجموعة من الأخاب، دخلوا الاتحاد الأوروبي

من مصاد حوتة محتلمه.. وكان لهم حضور في الصحافة الحويّية خلال

الشهور الماضية.

وافقت ريم المحقق حارح العرفة. كابت رفعة الشكوك داخلها ترداد

إنشأغا، لكن المحقق بدا متكاماً. قال بانسامة وهو يشير إلى الشاشة

العملقة في يهو المستنشى:

- التدوة الضحيفة نداء الان!

افتحت ريم ركبا هادنا، وشعلت البت المانر على هانفها. أصغت في

اهتمام إلى كلمات رئيس شرطه ناريس:

- المعلومات التي بين أيدينا تشير بوضوح إلى تدخل مسلّح من

المحاربات الإسرائيلية على التراب الفرنسي.. حيث استهدفت فرقة

محترفة بالأمس اثنين من المديّين.. الفرنسي هبثم الأندلسي والمعربي

عمر الرّشيد. ونحن لس نفق مكتوفي الأيدي نحاه الاعتداء السّافر

على السّيادة الفرنسيّة! لقد نوحها صباح اليوم بطلب نوصبح رسمي..

وسمعل اللآرم بءآ على المعطيات الفى سآردنآ.

شحت ملامح ربيع فحاة. عاذرب مقعدها على الفور، وركضت بأنحاء  
غرفة باسمي. لوقفت وهي تلهث حين أصررت ميساء تعاد العرفة  
فأصده عرفة الثمريض، جذبتها من ذراعها وانتحلت بها حاسا. قالت في  
لهجة حارمة:

- هينم في حاحه الى محارب.. سكون هياك محاكمه.. لا أعلم ماذا حصل بالضبط، لكنهم لم يسطروا استيفاطة.. اتصل بي خورج، إنه محارب نارعا قالت ذلك وهي تدش الطاقة المهيبة بخروجي كعها. همهمت مبساة في فرع:

- ألا يمكنك أن تفعلنى؟

- سامنل عمر ۲۰ سالہ کے تھے ان کا نام محمد مصطفیٰ علی تھا۔

- أب تبرئ دعوى.. ما الذي يجري؟

- سَعْلَم فَرِيَا.. حِين بَعْلُون لَانِحَة الْاَنْهَامَا

**أصافت محدرة:**

- لا نحري باسم بعد.. حتى تصح الرؤية. احملني والدك ينصل  
بحورج.. سيكون هذا أفضل.

أركانها في حزينها ورجعت إلى عرفة عمر. فحلت الباب في انفعال،  
ووقفت أمام سريره والحمام تطاير من عسيها:

- المحاربون الإسرائيليّة! ماذا يعني هذا؟ ما الذي نورطنما فيه؟

انفرجت سبطاً عمر وهم يقول شيء ماء فقاطعنه بإشارة من كفها  
وهنمت بحرم:

- لا أريد أن أعرف!

استمرت تذرع الصرفة حينه ودهاها في عصبية، ثم قالت:

- ستتواصل الشرطة الفرنسية مع الموساد، وسينحفظون على الأدلة التي أدت بهم إلى ترتيب عملية الاعتقال.. وهي أدلة دامغة بالتأكيد!

نَمْ سَنُوخْهُ إِلَيْكُمَا لَانْحَةَ أَنْهَامِ مَرَعَةٍ.. مَعَادَاةُ السَّامِقَةِ أَوْ نَهْدِيدُ الْأَمْرِ  
الْقَوْمِي، أَوْ أُنِي نَبِيءٌ رَهْبٍ آخَرٍ.. مِنْ بَدْرِي! لَكِنَّ الْمَصْصَةَ هِيَ أَتْيِي أَشْعُرُ  
أَنَّكَ لَنْ تَكُونَ بَرِيئًا هَذِهِ الْمَرَّةَ!

حَذَفْتُ فِي مَلَامَحَةِ السَّاحَةِ وَبَطْرَانَةِ الرَّائِعَةِ، لَمْ مُحَاوَلِ الْإِسْكَارَ أَوْ  
الدَّافِعَ عَنْ نَفْسِهِ.. كَأَنَّهُ يَفْزُ فِي أَسْوَاقِ الْمَصْدُوقِ حَدْسَهَا.

أَخْمَتُ وَجْهَهَا مِنْ كَفِّهَا نَحْوَ دَعْرِهَا وَحَرَعَهَا. كَيْفَ تُحِبُّ بِاسْمِنِ، أَنْ  
رُوحَهَا إِنْ هُوَ نَحَا مِنَ الْمَوْتِ، فَإِنَّهُ مَسَاحَةٌ حَكِيمًا بِالنَّفْسِ لَرَبِّهِ فَرَنْ أَوْ  
أَكْثَرُ! كَيْفَ نَحْمِلُ إِلَيْهَا فَاحِشَةَ الْإِنْتِصَالِ الْمُحْتَرِ لَوْلَا الرِّصَصُ عَنْ أَبِيهِ،  
سِوَاءَ عَيْنِهِ الْمَوْتِ أَوْ السَّجْنِ؟

فَرَنْ مِنَ الْمُسْتَعْنَى. اخْتَارَتْ بِأَحْمِلِ الْمَوْجِهِهِ سَعْمَ عَوَاحِشِهَا. كَانَتْ  
تَعْبِرُ بِهِوَ الْفَتَى حِينَ لَمْ تَلْقَ أَهْلَهَا مَعْلَمًا اتِّصَالًا مِنْ حُورَج.

- حَاءِي اتِّصَالٍ مِنْ شَحْصٍ ادَّعَى أَنَّهُ مِنْ طَرَفِكَ.

- عَمِدُ الْحَمِيدِ الْأَنْدَلُسِيِّ؟

- نَعَمْ، هُوَ نَعْمَةٌ.. مَا حَكَابَنَهُ؟ لَمْ تَكُنْ كَلِمَاتُهُ وَاصِحَةً.

- أَسَهِ كَانَتْ بِرَفْقَةٍ عَمْرُ الرِّشِيدِي حِينَ نَعَزَّصًا إِلَى إِطْلَاقِ بَارٍ.. مِنْ طَرَفِ  
عَمَلَاءِ الْمُحَاسِرَاتِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ.

- يَا إِلَهِي!

- نَعَمْ، أَعْرِفُ.. سَنَكُونُ فَصْنَةً صَحْمَةً وَمَرَعَةً. هَلْ أَنْتَ مُسْتَعْدِدٌ  
لِعَوَاحِشِ كَانُوسِ أَسْوَدَ مَرَّةً أُخْرَى؟

أَطْلَقَ حُورَجُ ضَحْكَةً اسْتِغْنَاءً وَهُوَ يَقُولُ:

- نَعْلَمِينَ أَنَّ هَذِهِ الْفَصَابَا تَبْرِي، وَلَا نَحْبِيهِ أَنْذَا.

- شَكَرَا لَكَ حُورَج. هَبْنِمُ الْأَنْدَلُسِيَّ، إِنَّهُ رُوحٌ صَدِيقَةٌ عَرَبِيَّةٌ عَلَيَّ.

- فَهَمْتُ. سَنَفْعَلُ مَا يَوْسَعُنَا.

أَبْهَتَ الْإِتِّصَالُ نَمْ رَكِبَتْ الْمَصْعَدَ. دَلَمَتْ إِلَى الْعَرَفَةِ وَهِيَ نَهْنَفُ  
مُحَاوَلَةً إِضْفَاءَ الْمَرْحِ عَلَى صَوْتِهَا:

- عزيزي.. لقد عدت!

فوجئت شهاب، بحلس في الضالة وفد ارتدى ثيابه كاملة، وإلى حوار  
حقيبة سمرة. حذفت فيه غير مصنوعة:

- ما هذا؟ ما الذي تفعله؟

نظر إليها في حزن. وقال:

- لقد تابعت الأخبار مد الصباح. سيكون هناك قصة البس كذلك؟

رفعت رأسها إلى السقف، ثم أطلقت شهيدة حوار، ونفتمت لحلس  
إلى حوار. قالت في رفق:

- نعم بالفعل. أنفج لائحة اتهام معجعه. لن يكون قصته هذه!

- وأنت سننثس عمر الرشيدي؟

انتهت إلى العدة في صوته. لقد حرصت على ألا تأتي على ذكره أبداً  
في حصوره. لكنها يدرك بظرة واحدة أنه «يعرف كل شيء» كما أعلن  
مد سيوان على الهاتف، حين أفعها بالحروح من عزلها. لا ندري كيف  
أسد اسماً لصاحب القصة العاصفة التي لم يحبر بها صراحة. ربما  
بعد اللقاء الثمري؟ كل ذلك لم يعد مهماً. إنه يعرف، ويعتر عن عبرته  
بصراحة. قالت يهدوء:

- أنت حراج، ويعرف أن نرف المهية يقتضي ألا نمر من ساحة المعركة  
أبداً.. حاصة حين يكون المريض في حاحك! وهذا ينطبق على مهمة

المحامة أيضاً. لا يمكنني التحلي عن موكل بخناحي!

- فلبمسك جورج القضية! أتم بعمل من قبل في عيالك؟

- جورج سيمثل هينم.. من المحتمل أن يكون هناك نصارت مصالح.  
لذلك يحتاجان دفاعاً منفصلاً.

قال في جفاف:

- إذن لن تتراحعي عن الدفاع عنه؟ ألا يمكنكما تبادل المواقف أنت  
وجورج؟

هتفت في رجاء:

- شهاب.. أرجوك. لا أعلم لماذا تحاول إملاء رغانك في ما يحض عملي!  
هل أنجّم أنا في قائمة مرضاك؟ من يستحق أن تحري جراحة عليه أم لا؟

قال في سحرته:

- أنت تفعلين ذلك بالفعل.. نعلبسي أحري الجراحة على من نريدن!  
استفح وجهها ونصّلت ملامحها. قالت في أنى:

- لقد أفقدت روحاً، فمت بعمل إنسان.. هل خطأت في هندساتك  
وطلب معونتك؟ هل كان علينا أنا وأنت أن نتركه يموت؟

أطرق شهاب ورهر في أعياه:

- لم أكن أفقد ذلك. لقد تجاوزت الحد.. أعنذر.

ثم أردف بلهجة حاسمة:

- لكنّ هذا لن يغيّر موقعي. ليست مسألة حياة أو موت الآن. إن أصررت  
على تمثيل عمر الزنبيدي مرة أخرى.. فلن نربي محدداً!

وضع كعبه في جيوبه في حركة صارمة، وأشاح بوجهه عنها. ترقّب ردّها

لثواب، ريثما قالت ربم بصوت منكسر:

- كم أنت قاس.. صتفي الأمر لا يستحق!

- إنه يستحق، في بطري.

ثم سار في اتجاه الباب، ساحباً حقيبته سفره بخطوات مصقّعة، وتوارى  
خلف الباب المعلق.

انهارت ربم على الأريكة، وهي لا تكاد تستوعب.. أن أسوأ مخاوفها،  
قد غدا واقعاً.

«لا أخبار، إذن أحار حَبَّة»

في كل مرة اتَّصلت بها باسمين بوالدها، تسأل عن أحساره وأحويها، كان يكرر العمل العرسيّ تلك اللامسالة المعهودة لديه.

لم تكن العلاقة التي تجمع بينهما حميمية إلى درجة هبيرة، ولا نشه العلاقات الكلاسيكية التي تصل الاناء بأسانهم.. لم يكن له ذلك يذكر في شأنها، لكنها ما تفتأ تذكره بواجهه نجاهها.. هكذا يرى بها.

غالبًا ما تكون الاتصالات من طرفها، ولم تكن تتجاوز الدففين في أحسن الأحوال.. حوّل روكبي عن الضحة والعمل والأحمار.. لكنه يعترف أنّ اتصالاتها -ولو كانت من قبل الواحد- فإنها نسره، سل تشعره بالأهميّة.. فقد زرق من بعدها شانس، مارال بطاردهما باتصالاته حتى لا يسفطاه من جانبهما!

يقول بسرته الفلسفة العقيمة:

«الحجر المنيّ يسافر بسرعة. إذا لم يصلك عتاء، فهذا يعني أنّا جميعًا على خير حال».

خلال يومين، كان حجر الحادثة قد انتشر في الأفاق، حتّى وصل إلى كلّ المعارف والأقارب. في الصّباح، تسارعت خطوات الرّاوترس في ممرّات المستشفى. وصل سامي كلود من ليون، بعد أن اتّصل به عبد الحميد ليستنه مولادة ابنه وإصابة روحها.

قبل ذلك، كان ريان قد اتّصل في صدمة، يعلمه أنّ حراً عريباً يُعرض في نشرة المساء.

«رجل بحمل اسم روح باسمين.. أصيب بطلق نارٍ على يد المخابرات!».

بدا ذلك أشبه بمرحلة تقبلة وسحيفة. نساءل في سحرية، لماذا يفكر  
ريتا في تدبير مقلب له من هذا النوع؟ إن ذلك ليس مسلياً حقاً! ومع  
ذلك، فقد كلف نفسه مشقة التقلب في القنوات التلفزيونية، ليفف على  
حقيقة الأمر. لم يستمر بحثه طويلاً، فقد كان الخبر العاجل يلقي  
نعطيه كنبغة من محلف المحققين. جلست ناتاشا إلى حواره وهنأته  
- ما هذا؟

أجابها بنزود:

- حادثة إطلاق نار على مدبّر في باريس.

- إطلاق نار من طرف واحد؟ هذا مملّ.. يجب أن يشاهد فيلم العاقبة  
الزوسية.. إطلاق النار يكون من كل اتجاه هكذا..

ثم أخذت تكلّم صوت الطفلات وشير بيديها مثل الأطفال ونصحت.

كان يكرّر في كلّ مناسبة، أنّ ما شدّه إليها هي روح الدّعاية وحقّة الظلّ  
لديها التي تُحسّر مزاجه، لذلك تحرص على أن تكون تكتنها جاهزة في  
كل موقف، حتّى لا يملّها. وكانت قادرة على جعله يصحك بلا توقّف دون  
جهد، حتّى حين تتكلّم بتلعابيّة ولكنها الزوسية المعوّجة.

لكنّ سامي لم يمدّ متحولاً ولا مهتماً بمرحتها ذلك اليوم. رفعته في  
استغراب حين تركها ووقف مسأداً للجرّة على اتصال صهره، وقد علب  
على مزاجه العموس.

فاد ستارته وحيناً هذه المرأة، فلم يكن الوضع يحتمل سحافات  
ناتاشا وملاحظاتها الخرفاء. هكذا، انقلبت دعاياتها المسليّة عادة إلى  
عبء، لا يسعه احتمالها في ذلك الطرف. جاء مخملاً بآفه ورود صحفة  
للمصاب - فهو لا يسي الواحب حتّى في أحلك الظروف - وطفم نيباب  
للوليد، وعلبة حلويات فاخرة للآمر.

عزّج على عرفة العباية المركّرة أولاً، ليلقي بطرة على هبم الذي لا  
يُبدى حراكاً بعد. حدّق فيه في أسف، ثمّ أخذ يواسي عبد الحميد:

- الواحد منا يظن أنه قد حقق كل ما يتمنى، حين يكر أولاده، يتزوجون ويحدون وطائف مناسبة.. لكن الحياة دائما تحفي ما لا يحظر على قلب أحد منا من كان يعتقد أن هبم الشات الرصين العافل، قد بنوَّط في حادثة من هذا النوع؟

أصغى إله عبد الحمد في صمت وحجز. لم يكن يستوعب بعد حقيقة الأمر. لقد نحدت بالأمس إلى الحمامي، فأفرعه الاحمالات الموعة. هكذا.. فحاة، نحول ولده البار والعناني إلى مطلوب للعدالة؟ وصلا عبد عرفة باسمي، فطرف سامي الباب، ثم دلكر وقد علت ملامحه الكانة. كانت الهيبا كلها من نصيبها في نهاية الأمر فلا هبم ولا عر الذين يستقبلان الزواور

وقف الزحيلي في حشمتهم. بكما تحرك رهور وفاطمة حول سرير النساء، تحصران طعامها وتساعداها على الأكل، ثم يروي كل واحد من أربعتهم في ركة على أحد المقاعد، نعلو ملامحه علامات وحوم وسهوم.

بقطع سامي الضمت من حين إلى آخر، ليطبق بحكمة عميقة جادت بها قريحته الفلسفية المدة:

- لا نسنلمي للكانة.. هل نعلمي أن الرصيع يشعر بوالدته وينسرب إله حريها؟

مطت فاطمة شفيا وهي نقول في نهكم:

- كيف عرفت؟ أم نراك قد جوت في وقت ما الاهتمام برصيع؟  
نبدالا نظرات بارئة محفلة برسائل اللوم من الحاسب. ثم قال سامي عبط:

- لقد قرأت ذلك في مجلة...

أراحت باسمي العطاء عنها وبهصب معادره الشرير. قالت وقد أنقل الجو الخانق على صدرها:



- سأذهب إلى عزّ الدين.

لم نعم بفرصة إرضاعه طبعًا، نظرًا لصعف سبته وعدم قدرته على النقام الندي. لكنها تحرّص على استخدام مصخة كهربائية لاستخراج حليبها، كلّ ساعتين، فينعّدي عليه رصعها بمحفظة نصّ في معدّية مانترة. كانت مهمّة شاقّة، نصّيف إلى حملها التقسي والحسديّ عاءً من نوع آخر. ومع ذلك، فإنّها تدو معاسكة أكثر مهم حبيبًا. سارت يهدوء عمر ممرّات المستنق، حتّى الحصابة، ومضى على إثرها الكهول الأربعة، مثل حنّبة كنسه. كانت تصنّ أن تصبّ فهم على طريقة، حتّى نعرّد بطفليها.. وحنّو بنفسها، فترك اللسان يلموعها. لكنّها مجرة على الجلد في حضورهم، مرمجة على انداح بضنها بوضع قناع الثبات. حين وصلت إلى الحصابة، وكسرت صغبرها، المرحت أساربرها على الصور. كان هناك نبي، أسر في ذلك الكيان الضنبل والهريل، بجعل روحها شخّ حنة وهبامًا. ذلك الكائن بسمي إليها، وهي تنمي إليه. لقد كان حرثًا منها حتّى وقت قريب، ولعلّه كان لسنمز في خوفها أسابيع بعد، لولا الفاحشة. لذلك بفطر هوّادها لداك الانفصال المصري الذي لم تحضّر له كما يسعي.

دخلت بمفردها إلى غرفة الحصابة، بسما تانعتها أرواح عيون أربع من وراء الرّحاح. استنمليها الممرضة باستمّة، وساعدتها على رفع عزّ الدين من ذراعيها. كانت تحمل راحه حليبها في وعاء، حافظ، استنمليها منها الممرضة ودوّنت عليها اسم الرّصع، تاريخ السوم والتوقيت، ثمّ صفتها إلى رفبقائها في الثّلاحة.

جلست باسمين على المقعد المهبّأ لاستقبال الأمّهات الرّائرات. فتحت أررار فمصها بعيدًا عن الأعس، ثمّ تركت الطّفل يبرلق على حلماتها، ينكّور على نفسه في وضع الحنين ويلتصق بها ويستكين.. تشعر بدفئه وهو يلامس بشرتها ويلصق وحنه الملساء العصّة بها، وأمامه الرّقبة تتسلّل لتخمشها فيما يشبه الدّغدغة.

كان يوسعها أن تنسى العالم وكأنه، وكل ما يرصدها من آلام حلف  
الماب المعلق، وتستغرق في لحظات وداعة هشة ونعينة، تدفع أي ثمن  
لتستمر إلى الأبد.

...

وقفت رسم أمام باب السقفة الواقعة في الطابق الأرضي ومرت  
الحرس. مرت لحظات طويلة قبل أن نسمع الدفء ويظهر شابه في  
منتصف العشرينات، بردي حليبا سينا وحبانا عريضا. كانت حمله  
بمضاء السيرة وعساها حصروان. تأملها ربيم في اهتمام روي دهنها  
راحت تعتمد معاربات ومصاصات معقدة ولا فالدية.

- أنسة آية؟ أنا ربيم شاكر.

بدت في عيني آية حجة متعجبة كأنها تعركت إليها، هفت على الفور:

- أهلا بك، أسادة ربيم.

أوسعت لها مدحلا وهي تصيف:

- نهضلي أرجوك. فلنحدث بالداخل.

أدركت ربيم أنها تعركت إليها من خلال حلفات برنامج «الحففة  
الكاملة». بات عليها أن تتعابش مع واقع شهرتها، وكوبها وحها مألوما  
يعرفه القاصي والداني. نعتت مصنفها على مصص إلى مجلس داخلي.  
كاتب تستعجل إيصال الرسالة والرجيل، فلا وقت لديها نصيغه. لكنها  
استحالت إلى الدعوة وقد تحرك داخلها فصول نجاه فتاة عمر الحبيدة.  
حين جلسنا متحاورين على الأراك المسفضة، أسأت آية تقول في  
فلق وهي تفرك طرف نوبها:

- هل من جديد عن عمر؟ لقد تابعنا بشرات الأخبار.. ما حصل لا  
يصدق. أنت تعرفين كيف هو الآن؟

أومأت ربيم بابتسامة مطمئنة، ثم قالت:

- لقد كانت الحراحة باححة.. وحالته مستقرة الآن.

رفعت أبه كفيها إلى وجهها وهتفت في تأثر وهي تعال دموعها:  
- حمداً لله! كم أنت كريم يا رب!

حسبت وجم صخرة أوشكت أن تفارق حلقها، وهتفت فرحها  
بظرة اصحاب. لم تكن لتصدق أن صنف عمر المفضل سيكون لتل  
ورقيها إلى درجه تبر العنار. ما أدى حده في كنه القومه تلك؟  
قالت وهي تحاول الاسام:

- هذا رقم عنوان المستشفى ورقم غرفه.. إن رغب في زيارة  
أحدث أبه منها الفصاحة في اسار. ثم همست في اعندرا  
- لقد كنت نفسك علة كبر.. لا شك أنك منقوه!  
- لا بأس.. لقد طلبتني الدكتور عمر إسداء مصروف له، وهذا أقل ما  
يفعله في هذه الظروف الصعبة.  
- هل تترى الثاني؟

اعندرت ريم بلافة، ثم انصرفت. وهي تمنى في أنحاء سيارتها التي  
ركبتها عند المصرف، لارمها إحساس غرب بالصيف. فاقب أبه توقعاتها،  
من حيث درجة الجمال والزفة، وأثارت حفيظتها تعبيرها السافر عن  
مشاعرها.

طردت نرسات الكدر التي رابت على قلبها، وصعظت نصف على مرؤد  
السرعة لتطلق عر الشوارع. إنها لا نعار! لا يمكنها ذلك. لعلة بلها  
الطريق لتقيم معدن السمر الدبر تقللهم، وهي لا تشعر بالارتياح  
نجاه الفناء.

قصدت المصدق أولاً. لم تترك العرفة بعد معادرة شهاب. حسبت أنه  
قد يعثر رأبه ويرجع. حاولت الاتصال بهاتفه، لكنه نجاهلها، وطلت  
محاولاتها بلا رد. انتظرت حتى مساء اليوم التالي. لكنه لم يظهر.

انهمكت في جمع حاحبانها وقد نملكها الاستياء. هل يكون عثر موعد  
رحلته وسافر بالفعل؟ لم تكن على موعد مع «شهر عسل» حديد هذه

المرّة. تحوّلت الإحارة إلى كادوس حقيقيّ. كان يوسعها السّارل والاسنحانه لطلبه لتحتفظ الوذّ بينهما، لكنّ العصاد طمع متأّصل فيها. كان في كلماته شبح أنّهم حرّ في خاطرها.. فتصرّفت باندهفاع! هل تبت نالشي نعلفها السابق بعمر هكذا أم يريد الطّيب بلّة؟ لم نشأ أن نكون في موضع دفاع، فمعنك بحفها في استلام الفصايب التي نراها مناسبة. ندرك الآن متى نجاء حظنها، لكنّ وقت التّراجع قد مضى. لا يمكنها أن تستسلم لرغبة شهاب الآن، فثبتت صحّة طوبى صعباً

دخلت السّاحة وهي تسحب حقيبة سفرها. ألفتها ركبها وسكينه في دهشة لا تحصىها. - ما الذي جاء بك؟

بادرتها شفها التي برزها استنارها بالعرفه في عباها. لون شفها السفلى في امعاص، وسارت حتّى باب العرفه. قالت معالفة صيفها: - رجل شهاب.

- هل تشاحرتما؟

تحاهلت أسئلة رابيا العصوليّة واللّحوحة، ودخلت لتعلق عليها الباب. لحقتها رابيا. وقعت على مقربة من سريرها وهمست:

- بسبب عمر؟

رفع ريم رأسها مبهوته. هل كانت جبانها كائناً مضوخاً إلى تلك الدّرجة بالتّسعة إلى شفيقتها؟ أم أن أمرها مقصوح للجميع، منذ البداية؟ قالت متمالكة نفسها:

- لماذا تقولين هذا؟

هزّت رانيا كتفها ثمّ قالت:

- لقد جعله بحريّ حراحتة، ثمّ اشعلت في المستنقى طوال الوقت.. ألا ترين أنّك قد أهملته؟

كانت الحقيبة صفعة فاسية حاضة وهي تلقاها من شفها رابيا.

زفرت في إعياء وقالت:

- احتاج إلى بعض الوحدة، رجاءً.

حين عادت رانيا حاولت الاتصال به مرة أخرى. لكن هاتفه كان مغلوقاً. لست تتأمل الشاشة المظلمة في سرود. هل تكون قد دخلت المسافر في بعض رواجها نفسها، دون أن ندري؟

...

سارت ربيع برفقة جورج في ممر المستشفى في مكنون كالت شاردة منذ عادرا المكنن، نرد بصاراب محتصرة، وتلهم الضميمة معصر الوقت. سألتها جورج وقد أهقه أمرها:

- هل أنت متعبة؟ تبين ضحية اليوم!  
انسمت لتندد شكوكه وقالت بنفث:

- لا يحف علي.. أنا بحير.

طوال الطريق، كانت كلمات شهاب نرن في أذنيها في إلحاح. فتتعالى بداحلها أصوات متداخلة.. نارة بعلو صوت كرامتها، بفعها بأنها تفعل الصواب. كان عليها أن تفصل حبانها الضحية عن المهينة، وروحها لا يحق له بفاش من ثوب وعص تدافع! ثم نهذا ثأرتها حين ينسلل همس العقل.. عليها ألا تسرع فتحسر روحها، من أحل قصبة مثل كل القصابا!

لكنها تنه على صوت الحففة الساطعة: إنها ليست قصبة مثل كل القصابا!

دلعا إلى العرفة وحلسا على مقعدين متحاورين، فقالة عمر، ثم أعلنت رنيم بداية الجلسة:

- فلحاول أن نريح بعض الوقت.. فربما سنصح الاتهامات واقعا.. لذلك نريد أن سيقهم بخطوة، وبحضر خطنا الدفاعية. أوما جورج وهو يقول:

- سيكون دفاعاً مشتركاً ما أمكن ذلك، لكنني أحتش أن نضطر إلى الانفصال في حال فركوا صفوفنا، نقتديهم لنهزم رئيسي وأحر ثانوي.

أمنت ريم على قوله، وهي ستطرد:

- حتى الآن لا يعرف فحوى الملف الذي يحورهم.. برأسك، ما الذي يعرفونه وقد يستخدمونه صدكم؟

لمهن عمر قليلاً، ثم أنها تقول:

- لقد رأينا تلك السيدة الضعفاء في مكتب الشركة.. وأجرت حوارات صحفية مع الجميع.. هنم وأنا، والمهندسين.

صمت لرهه، ثم أضاف:

- لا شك أن بحركا الحوتة والزينة معلومة لكم.. إلا أن ما الذي على حوار الضعفاء.. أفضت نسعة أشهر في سوريا، ونسوعين في غزة.

نعترت ملامح ريم وهي نسأله:

- هل لهذا علاقة بسناط الشركة؟

- كان ذلك قبل بدء الشركة سي وبس هينم.. لكنها البداية لفكرة المشروع، حيث حصلت على تصميحات طائفة التحسين من المقاومة الفلسطينية، ثم عملت على تعديلها وتطويرها.

وقفت ريم فجأة وقالت:

- جورج، هل يمكنك معاداة العرفة قليلاً.. أحنأ إلى الحديث مع موكلتي بشكل حاض!

نهت الاثنان، لكن أحدهما لم يعترض. أغلفت الباب ثم رجعت في أنحاه عمر. همست في قلق:

- لقد حسب هينم المتهمة الرئيسي.. كونه مدير الشركة، وإصابانه بوحى بأنه المسهدى! لكن ما ذكره مد حين نضب سوقعاني عرص الحائط!

قال عمر ببساطة:

- أنت لم نسالي.. وأنا لم أنكر. أنا المسؤول الأول عن المشروع. هبتم نعاون معي، أنشأ الشركة باسمه.. لأنه فريسي الحسنة. في حين أنني واجهت صعوبات حقة مع الإدارة الفرنسية في وقت سابق. ثم عمل على البرمجة الخاصة بتوجيه الطائرة بدون طيار.. لكنني كنت الواجهة بالنسبة إلى التواصل مع المقاومة الفلسطينية.. وهو لم يكن يعرف أحدًا منهم!

زفرت ربيم في صبق. هذا بقلب الوضع رأسًا على عقب. تعلم أن عمر لن يُحاول تزييف الحقائق إذا ووجه بها في المحكمة، وسيفعل ما يوسعه لتحمل المسؤولية كاملة ورفع العبء عن صاحبه. فالتفتي تحذير:

- لا تعرفي كل شيء، هكذا أصر المدعي العام والمحققين! دع لي مجالاً لأضع خطة دفاع مناسبة! أنت لا تريد أن تُمضي بفترة حياتك حليف الفصان، هل تريد؟

قال في مرارة:

- لا أريد أن يدفع شخص آخر ثمن ما اقترفته يداي.. هذا كل ما في الأمر! بكفي ما طاله من أذى حسدي حتى الآن...

قاطعته ربيم في حدة:

- في الوقت الحالي، الرم الإيكار.. أنت لا تعرف شيئاً! إن سألوك عن نشاط الشركة، يمكنك الرد.. إن تحذروا عن نقلاتك إلى سوريا وعرة، جد أعداداً أخرى.. التجاره مثلاً! التسويق لمنصات الشركة! لا تضع على عاتقك أي مسؤولية. وإذا أحواء، الرم الضمت!

- لكنني أكون قد رميت المسؤولية على هبتم!

- لا تقلق على هبتم.. لديه محام بارع بدافع عنه!

قالت ذلك، ثم دعت جورج إلى الدّاخل.

- هل انتهيتما؟

- انتهيا هـا.. لكني أحياح منك خدمة. أرحو أن نسي ما قبل قل  
حب عن تصاصم الطائرات الموحهة، والتواصل مع المقاومة!

حدف فيها جروح لبرهة، ثم هز رأسه وهمس:

- فهمت. لم أسمع شيئاً بهذا الصدد.

- فصار. بمكنا أن بسأف المقاتلة إذن.

قأطعها عمر بشكل مفاجئ وهو يقول:

- قبل أن يحطو أبعد.. جروح، أريد منك أن نمتلى في هذه العضة!

نستقر ريم مكانها في دهنه وارنيك، بينما لم تكن مفاجأة جروح  
نقل عنها وهو يقول في الصياح:

- إن كانت هذه رعبك فلا مانع لدي.

ثم حوّل نصره إلى رسم الي بدب مصدومة رغم ثابها الطاهرى.  
قالت بصوت مهتر:

- طبعاً.. هذا حبارك في نهاية الأمر. لكن.. هل لي أن أعرف السب؟

ابتسم عمر وهو يقول:

- سأشعر بالارتياح إن دافعت عن هينم بالسراسة التي عهدتها فيك!

تعال لعط حارج العرفة على حين عزة، وتدافع خطوات ثقيلة في  
الممر، قبل أن يفتح المدعى العائم الحلسة ويرفقه عدد من رجال

الأمس. نطلع إلى ريم وجروح بانساعة وقال بلهجة ساحرة:

- أسنادة رسم شاكر، سحب برؤيتك.. المحاسبة «الجمعة» لا بقوت  
القصابا المميتة.. هذا مؤكدا

ثم تحوّل بطرانه إلى عمر وهو يردى سرة صارمة:

- دكتور عمر الزنبيدي، أنت رهس الاعتقال، نهمة التعاون مع جماعة  
إرهابية.. من حقك الاحتياط بالضم، لأن كل كلمة نقولها قد نستخدم

صدك في المحكمة.. من حقك الحصول على دفاع، ويدو لي أن لديك



محامين اثني هـا.. أنكما يمثل المتهم؟

تصدى جورج على الفور:

- أنا.

- جيد.. سحذد موعداً لالتصحيات المتهم كرسا. ونظراً للظروف  
الصعبة، سضع حراسه على العرفة.. حتى يسمح الطبيب بمرجه. في  
الأكساء، بمكر للمتهم بلفى الزيارات المعنده.

جباها بحركة من رأسه ثم اسدأر على عصم آخر إلى رجلين بالبهاء  
عند الباب، سها اسعد برفقه بقية أناعه.

همن جورج إلى زهم:

- ادهي.. إنهم ينجهون إلى برفه همن!

...

وعم عدم ارتاحها إلى ما آلت إليه الأمور، فإنها شعرت بالاسرحاء  
وهي تركت ستارنها بهابه النهار. لقد كانت أعصابها مشدودة طيلة  
الوقت. قدوم المدعي العام أدى إلى تسارع الأحداث.. وهي قد وجدت  
نفسها تمثل همن في نهاية المطاف! لم تكن تلك رعتها الضممة، لكن  
التيحه ماسنة من أكثر من زاوية.

رارت باسمس في عرقنها في قسم الولادة، ثم - أثناء فحص الطبيبة  
لباسمين - شرحت الوضع أمام والدي همن باحصار. سيكون هناك  
محاكمة، وهي سمدافع عن همن. ثم حاولت الاتصال بنهاب مرة  
أخرى، وحين لم يصلها في كالعارة، كتبت إليه رسالة.  
«لن أدافع عن عمر في هذه الفصة».

حسب أن ذاك الفرار - وإن لم يكن فرارها - سيؤدي إلى عودة البهاء إلى  
محاربتها. فذاك كان مطلبه الوحيد، وسب رجله!

في محبئتها، كانت جباها حرة لا بحرأ من «قصص الحبباء» التي  
تروى على مسامع الأطفال، حيث كل شيء مبالغ فيه، مثير وساحر.

كانت ترفض العلاقات السليطة والأحداث الرتيبة، ونحنت عن الإنارة بلا هواده. وقد عاشت تلك المشاعر المتأخحة، في وقت ما، تحاه مشال، فأهدته قطعة من حسدها، لينتهي عند قدميها ويس كقبه نافه خفراء، بحجم هنره فراقها. ثم حسنت قصة «المتهم والمحاضة» مضمرها المحسوم، فعاشت القور بالعميل تامر، حتى نمدد السراب فحاه. ثم كان لغاؤها ونهب حسداً للملارمة «مارس الأحلام» التي نسكن لا وعها. وإن فسلت في إبداء مشاعر حث حبيته رغم محاولاتها، فإنها قد خطيب بكل ما تربو إليه بطلاب الحكايات، جاتر ماسي فانس، حفل رفاي فاجر، شهر عمر مدهل، وأمر وسمر بفتح في حنك من أول بطرة، ويمصي حياته متما متفاني في إرضائها. لذلك فلها لم سنك حظ في استمرار عاطفته بحاهها، مهما بدت عنها من بصيرت غير مسؤولة.

كانت في قراره نفسها تضم بقاء شهاب إلى حوارها.. إلى الأبد!

بعد دوقس، رن هانفها. انسمت وهي تطالع رقم شهاب. كانت محقه. هنم في لهة:

- أين أنت؟

لكن شهاب فاحاها بصوته البارد:

- ما الذي جعلك تعيرين رأيك؟

- ما المهم في هذا؟ لقد عبرت رأي واسهى الأمر.

- هل كانت تلك رعسك؟ أم أنك أحررت على ترك القصة؟

ساد الضمت لتواي قبل أن يقول شهاب بلهجة ساحرة:

- هذا ما ظنته!

حافظت رنيم على ثباتها وهي ترد:

- لقد سارت الأمور وفق هواك.. وهذا يفرض به أن بحل المشكلة..

أليس كذلك؟

- لا يا حبيبي.. هذا لا يحل المشكلة! هذا بحري على أحد موفى أكثر

صرامة.. لأنّ الحبة نعمري! أنت لم تفعلي شيئاً لإرضائي.. وتوقعين  
معي الرضا؟ بهذه البساطة؟

رفرت بقوة، وتردد نفس عميق في صدرها. بعد لحظات، كانت ريم  
تقول في لبس، محاولة تخفيف حدته التي باتت نخشاه:

- ما الذي برصك إذن؟

- أن أتركي العمل في باريس.. أن استقرّ معي في القاهرة، مثل أيّ زوجين

طبعين، بنفاسمان نفاصل الحياة الحقيقية لا تشعرونها

سيطر عليها الأوهام.. لقد أطلق العنان لعربي المقيم فحسنت

محاوفا تقف إزاءها، ترهبها وملؤها رعباً

- لم يكن هذا الاتفاقاً...

- لم يكن.. صحيح. كنت أحاول طيلة سنة ونصف أن أكسبك إلى صقي..

أن أجعلك تقنعين بلقائنا ونديحتنا بمعنى الحياة كائن، لا كفرد مطلق

وحز. لكنني أفق اليوم لأعلن استسلامي.. لقد أخطأت في تقدير. هذه

الحياة ليست ممكنة. هذا الاتفاق كان خطأ مد البداية. وهذه فرصنا

للتصحيح...

نزل كلماته واحدة إثر الأخرى مثل الضاعفة. التصحيح؟ ما الذي

قصده تحديداً؟ المراق؟ الانفصال؟

تابع بلهجة أكثر لبناً:

- ريم يرتك.. ألا نريدبن عائلة حقيقية؟ أنا أريد! أريد طفلة تشبهك..

أريد أولاداً يملؤون حياتنا بهجة. فكيف نحقق أحلامنا بالذرية ونحن

عربان يلتقيان في فندق كل حين وآخر؟

قالت في اعتراض:

- هذا ليس حلمي. ليس الآن! مارالت أمامي طموحات كثيرة.. والأطفال

سيعطّلونها لا محالة!

زفر في إعياء، ثم قال بفتور:

- أظننا وصلنا إلى طريق مسدود إذن...

في الحلقة، سمعت صوت إعلان عبر مكتر صوت ماء، بدعو ركب رحله  
الفاخرة الذولبة للالبحاق بقاعة الرحل. ارددت لعابها في نوثر وهمهمت:

- هل سترحل؟

- أنا داهب. ولا داعى لمحنك الشهر القادم.

تواصل الضمت الثقيل لحظات بعد، قبل أن ينابع شهاب في حفاء:

- الوداع.

تركت هاتفي في صدمه.

لقد حذرتها باسمي. لكنها لم يرد أن تسارل لفظ عن دور بظنه الحكاه.



ONE PIECE

BOOKS



طرفت انه باب العرفة يهدوء، بعد أن نأكد رجل الأمر بالحارج من هوشها ومهرت دفت الزبازات تنويعها. برقت لحطات، وحس لم يصلها ردة، دفعت الذقة وحطب إلى داخل العرفة. كان عمر يردد على سريرته وحيداً، وقد سكن الحق إلا من صغر الألفاظ الطينة.

تعلكتها رعه مسيدة بالسكا، وهي تطالع الضمائر التي تلف كفه ودراعه والحر، الأعلى من صدره. فتح عمر عيونه على صوت بهننها الخافقة. كانت عساها محترس والعراة تسكن على وجهها دون توقف. اقتربت حس الشبه إلى أطراف بحوها، وحاولت أن تتسم:

- كيف أصبحت؟

نعم بصوت ضعيف:

- الحمد لله.

جلست على أحد المقعدين المزدبب بالعرفة، واستمرت تسبح. كلما حاولت السيطرة على ارتجافها وتخفيف دمعها، بدأت نوبة جديدة من السكا على أثرها. كانت قد تأخرت في القدوم لزيارته، ولم يكن يحد لذلك تفسير. بلعنه رسم تشبهها للمهمة التي عهد بها إليها. فتوقع ظهورها في أي لحظة. لكن الكل أن، ما عداها. فكرر كثيراً بأن ذلك أفضل. لم يكن بؤد نوريها، لكنه لم يستطع الامساع عن التساؤل في حيرة حيناً وفي قلق طويلاً عن أسباب تأخرها. أمّا وهو يرى عيونه مدح تأثرها، فإن كل العنايت ثلاثي من قاموسه، ولا يحد في قلبه إلا الضرور. قال مهووناً عليها:

- أنا حير.. كمفكي دمعك. ليس ما أصابي بالخطر.

ثم أضاف يمازحها:

- ظننتك أقوى من هذا، ترتب في ساء مقاومة وشهادة!

لكن العبارة التي رآها بها شد أزرها زادت الطير لئلا بعد وفائق، لذا  
أنها قد تحدث في إيفاء السبل المتدفق من مقلتها أخيراً، تحدث  
لجمل صوبها، لم ظلمت همي:

- ظننتك أقوى من هذا، ترتب في ساء مقاومة وشهادة!  
مخطئة، الإطلاقات بالرحمة.



ساد الشمت لرفه، فقل أن تقول بصوت مهمل:

- لقد توددت في المحرقة.

أصابع السمع في بوحه، فإعلم:

- لم أعرف، أن قائمت بهاني مستقر في صاعقه من أكله من نعلها

تسم علاقتك بالسلطانية، وتوطينك أكثر العلف في غنى من هذا.

ملائة الاتساع وهي تطفئ تلك الكلمات، لقد أرا السعادة.. خوفا عليها.

وتأخوت في السحب، خوفا عليه، فاطمئنها في صبر.

- علاقتي بالفلستين ترف لي، ولم يحظر بهال فت أن أنكر

تهدت بعقود، ترتب أفهها، لعلها توفقت صوفة الكوه، أحسنها

لمز إلى الخطوة العظيمة التي جاءت من أجلها، قالت وقد استعادت

رباطة جأشها.

- طالي عظام تفرلك السلام.

تمت حواته وقد أدرك أن ما يجعلها نجاح بخره، عادت:

- قال أنهم مسجونونك فريسا، وألم يحتاج لوصفها تحت ذلك في

توربا ولاءة، أنهم يعرفون علاقتك بالمقاومة.. لن يمكن أن تنكر، لكن

حقاً فملك العقوبة أن تُسدهم بعض المعلومات.

هتف بصوت متحرج:

- ماذا تقصدين؟

- ليست أكثر من نصح كي معروفة لديهم.. لكنها ستثبت صدقك  
ونعافيتك. إذا ادّعى أنك محدوع، وبمّ استندراك، وكشفت تلك  
القائمة من المطلوبين.. تصم حكام محققاً. اسمع واحفظ!

أصغى إليها في أنشأة، وهي تكرر أسماء المجاهدين المعروفين الذين  
لا يهتمون على الاستحسانات الدوائية، بعضهم سبق له لقاءه وأجر عرس  
عنه، حين فرغت، كرّر القائمة على مسامعها، فأومأت موافقة. رفرت من  
حديث، وقد انتهت من مهمتها، فاسرحت ملامحها قالت أحبر بصوت  
مهتر:

- لقد كنت أسمع عن هذه العراويات ورابطة حنونة، نحتلهم  
للضغاب وهم يترددون على الشحون، وهم غنود (زوج أو خاطب أو  
شقيق).. لكني لم أكن في الأحياء النحرة بهذا الشكل.. لم أنوّع أن  
يهبط الضاعفة عليا في هذا الوقت، قبل أسوعين من الزفاف!  
راى الصمت طويلا عليهما، ثم قال عمر بغور:

- أنت ما رلت حرة، لست محبرة...

فاطعنه على الفور بلهجة فاطمة وهي تزيو إليه بقوة:

- لست هذا ما قصدته! سأنتظر.. مهما طال الأمد سأنتظروا لكني  
محرجة من صعفي وفله حيلتي. لست أملك كلمات شافية، تحقّق عنك  
أو نواسبك.

اسم يوهن وقال:

- هوّي عليك. ما أصابي لم يكر ليحطني.. وأنا راجس، رغم كل شيء..  
ولا أريدك أن تفكر لي لحظة واحدة بأنك مسؤوله عما ألب إليه الأمور  
ابتسمت بدورها وهي تقول:

- أرايب؟ أنت نواسبي الآن! أنا حقاً بلا فائدة!

صحك عمر، رغم الحرارة التي ترع فؤاده، ثم قال:

- أفتر لك محبتك اليوم.. وأفتر لحالك عزام اهتمامه وتكثده عاء

استنساخ محرج لي. لكنني لا أريد لأني مكسر أن يظاله أدى بسبي.

- أنت لا تريد الاعتراف بهذا، لكنها فصتنا قبل أن تكون فصتك

قال بصوت حاد:

- أمة، أرحون.. هلاً سافرت ووالدك لقضاء بعض الوقت في بروكسل؟

سيطر عليها الذهول لبرهة. لقد اقترح حالها الأمر دانه مدد عرق

الحرير. قال أنه سرتب لها ولأنها معز إقامه ماسنا بالقرب منه. لم

يكن يماؤها في باريس هذا يأتي شكل. وما هو عمر يكرر عليها الطلبة،

كانما قد انقعا عليها. قالت في إباء:

- سأستطرد!

- مدّة المحاكمه وحسب، أرحون! لا أريد أن أفسدني لشهادة، ولا أن

نعرضي للمصاهة. هل نفهم؟

أومات في إدعان. ثم هب وقد انزعجت عباها دمعا من حديد:

- لكنني سأستطرد!

...

في المساء، دخل المحقق برفقه أحد أعوانه، وحلسا فباله عمر، سيما

لست حورج واقفا في ركن الحجرة. أعلن عن انطلاق الاستجواب موخها

سؤاله الأول إلى عمر:

- دكتور عمر الزنسيدي.. أبين كتب في الفترة الفاصله بين ديسمبر ٢٠٠٨

وسبتمبر ٢٠٠٩؟

- في سوريا.

- ماذا كنت تفعل هناك؟

- سياحة!

- من قابلت هناك؟

- أشخاصا كثيرا، مثل أبي سانج.. لا أسحصر قائمه بالأسماء.



- هل تدرّبت على حمل السلاح في فترة إقامتك هناك؟

- لا!

- هل المقيّد بأعضاء إحدى المنظّمات الإرهابية؟

- لا!

- في الفترة الفاصلة بين أوّل سبتمبر ونصف الشهر ذاته، أين كنت؟

- كنت في فلسطين المحتلة.

- ماذا فعلت في تلك الفترة؟

- ذهبت في زيارته لأهل النساء التي أفكر بالزواج بها.

- ما اسم المرأة؟

- أبة العريّ. ONE PIECE

- مقرر إقامتها؟

- بروكسل.

- هل حصلت على محطّطات لصناعة طائرات بدون طيار من أعضاء

المقاومة؟

- لا.

◆ انتهى الاستجواب خلال نصف ساعة، سنّد خلالها المحقّق أسئلة غاية في الدقّة والخصوصيّة، وأدرك عمر أنّ ما يحورنهم من معلومات بعيد رسم تاريخه كاملاً.. لكنّه أنكر إنكاراً تامّاً كما أشارت رنييم. حين فرغ المحقّق، ألقى ملفّاته في حركه مساهمة وقال:

- لن نستطيع الإنكار طويلاً.. لدينا سبلنا لاستخراج المعلومات مهما طال الأمد.

ألقي عمر نظره فلقه على جورج، فأشار إليه أن أحسّت صعباً.

زفر بقوة حين حلت العرفة من الروّار أخيراً. ربّما سيأتي وقت بصطرّ فيه أن يعترف. لكنّه سيحاول كسب الوقت كما طلبت منه هيئة الدّفاع،

لعلهم يتمكنون من إيجاد مخرج ما.

\*\*\*

استمرت الجلسة حتى الساعة الثامنة مساءً، لليوم الثالث على التوالي. انكب جورج وربيم على مراجعة ملفات القضية بشأن وبركير. بطران في الأدلة بنرو وبمختصان التهم بأسماء لكن أبا من مسارات الدحص التي نافشاها لم تسفر عن نصيب نور.

قالت ربيم وهي ترسف كوب فهوها الثاني لذلك المصير -  
البح علي فكره لا أمكن من طردها.. أن عليا. النصيحة بأحدهما حتى  
سقط الآخر! إن تحول قصته حشرة بهذا الشكل يعني صدام العفوية  
القضوي لكليهما! ليس بداي أني حظه دفع مجملته. لكن وضع اللوم  
على واحد فقط. فله يمكن الثاني من التحاة. أحدهما يتحمل اللوم  
عن صاحبه.. ويكون هو الذي حطط لكل شيء.. والثاني كان شريكاً في  
المشروع دون دراية بأبعاده كافة!

هز جورج رأسه في فهم وهو يقول:

- عمر الرشيدي هو صاحب الفكرة، وهو متيق التواصل مع الجهات  
السلطانية.. وهو مصمم الطائرة ومخترع الطائرة.. وقد دخل عزة  
سانفا وتدرّب على أيدي رجال المقاومة في سوريا!

أومأت ربيم وهي تستطرد:

- العاطفة تقول أن هينم يستحق التحاة، لأنه شريك بسنة أقل أولاً،  
وبسبب روحته وطفله تائباً..

هز جورج رأسه موافقاً، فأردفت:

- والعقل يقول أن عمر هو الذي يجب أن يحو! حظوظ هينم في  
استرجاع صخته صنبلة. تحيل.. أتما جعل عمر يتحمل اللوم كاملاً -  
وهو ليس بفاع- وأنفدنا هينم.. ثم بصوت هينم! ألن تكون قد خسرت  
خسارة مضاعفة؟

ضحك جورج في مرارة ثم قال:

- لا نسي أنك نقابل هينم يا عزيزي! هل هذا أقصى ما لديك؟

زفرت في ضيق وقالت:

- يؤلمني أن أقول هذا.. أحببنا أفكر أن موت هينم سيكون حلاً للمشكلة!  
إن كان لا نذ أن يموت، فأرحو أن يموت في الوقت المناسب.. لا بعد فوات  
الأوان!

لم ينس جورج سب شقة، فأرذفت ربيع بلهجة منهكة:  
- هل فقدت أخلاقيات المهنة برأيك؟  
أحد جورج يلهو بالقلم بين أصابعه في سرجل، ثم قال:  
- أنت بانسه.. هذا كل ما في الأمر! والتفكير المنطقي يدفع نحو الحلول  
المنطوقة والصحيحة.

- أيا لا أقول أنني قد أنسلل ليلا وأنوقف جهاز نفسي.. لكنني...  
- لكنك تمني أن يموت بلغاتنا، قبل بدء المحاكمة.  
- أيا فقط أدعو الله.. إن كان هينم سيموت في كل الأحوال، فليكن ذلك  
الآن!

انتم جورج ثم نسم:

- آمين! ◆

...

وففت باسمين إراء الحارس الذي يتصب عند مدخل قاعة الصايه  
المركرة. سلمته هويتها ووقعت دفتر الزيارات، ثم دلفت إلى العرعه ومن  
حلمها ممرضة تدفع المحصه الاصطاعية ويدخلها طفلها. همست  
شاكرا وهي تنظر إليها بتفريب المحصه من سرير هينم. كانت قد  
حصلت على إذن استثنائي من قسم الولادة حتى تأخذ ولدها لرؤية أبيه.  
استماتت في المحاولة، وداومت على طرق أبواب الأطباء والمسؤولين،

حتى حطبت بالمواقفة أحرا. كان على الرصيع أن يرور والده المحتصر  
ولو مرة وحيدة!

- لديك خمس دقائق.

أومأت باسم في استسلام مع إعلان الممرضة الضارم. خمس دقائق  
ثمينة هي كل ما لديها من أجل الاحتضار العائلي الأول. جلس على  
المقعد، وقالت نحاطب هبثم كما بفعل مد أتيام:

- لم أحصر بمفردي اليوم.. حنت عزّ الذير' تأخر لفاكلم عني الآن!

كانت نحرّ في أمانها صورة محلقة للولادة الضائية. أن برامها روحها  
إلى غرفة الوضع، فبمسك بكفها وبحفّ شديدا بهمسات وظلمات.. نقر  
يحمل وليده بين دراعيه، فمؤدّر في أدن ويهيم في الحزن: بعد ذلك يأتي  
به إليها، فتضج على صدرها، نضر دفنه وملمه التاعم، ويتبادل  
ثلاثتهم بطراب حتّ وحنان.

لقد جربت كل ذلك. لكنّها سمّعت دكريات أخرى، حتّى لو حالت  
الصعوبات دون اجتماعهم في خمس عائلي مشترك، فستسعى إلى تقريب  
المساافات، الآن، تمسك بئساها كف هبثم المسخى على التبرير ولا  
حراك، ونندش بئساها داخل الحصنة لتلامس برفق كف عزّ الذير  
الهنة الفرمرية. نغمص عينيها وبهمس:

- نحن عائلة.. سنمستك بأيدي بعضنا بعضا، وسنقصي هذه المحبة.

تسلأ العرات في عينيها. ندرك أن حالة عزّ الذير مستفزة، لكنّ وضع  
هبثم ليس كذلك. لم بفل الطبيب الصابع أي شيء، مطمئن. لم يتعبّر  
شيء من العمايّة. لا شيء، بدعو إلى التناول، لكنّها تكثف الدّعاء له في كلّ  
ساعة. إنها ترقّب معجرة.. ونعلم أن معجزتها الأولى تحتاج ثابتة تلبها  
ليكتمل هناؤها.

يعنفدون أنّها في عملة عمّا يدور حولها. يتحسّون الحديث عن حقيقة  
الحادثة، من وراءها وما هي دوافعها، والتأنيح المترنّة عنها. لكنّها

تلتقط الكلمات الحافنة ونجمع العبارات الفائرة، على ألسنة الممرّصات المتهامرات، والهمسات المتبادلة عند رأسها أبصار، حين يعتقدون حلولها إلى التوم.

حين يسبّط هُثم، سيكون عليه أن يواجه اتهامات قاسية. تنفادها مشاعر شتى، بين فخرها به واعتزازها بالتمسّك به إلى المقاومة الفلسطينية، بشكل أو بآخر، وإشفاقها ممّا سطره من حُميقا من مصير محمول الصالك. لم يكن يوسعها أن تلومه. لأنّه لم يفكر فيها وفي وبسببها. ليس يدرك على وجه الدقّة ما كانت طبيعة بكتها تعرف أنّه وطأ موطنها بعبط الكفّار. وقال من العدو بلا، حتّى جذوا في أثره حتّى باريس.. فكيف بالله تلومه؟

استسلمت لأفكارها المتنافضة التي تمرّقها من الدّاحل وتندمي قلبها، حتّى شعرت بصعطة أصابع هبة على راحتها. انقضت، والتسّ عليها الأمر بداسة. نقل بظرفها بين رجليها، الكبير والصّغير، ويتوه منها الإدراك. من مهمما صعط على كفّها بأنامله؟ الرّصيع الذي لا نحنمل لمسته أكثر من الدّععة، أو الرّجل الرّاقد في عسوبة؟

مرة أخرى، صعطت الأصابع المستنفرة في بياها، فحدّفت في وجه هبثم غير مصدّقة. تركت كفّ ولبدها واستأثر والده بانتباهها. لمحت رموشه تتحرّك، نهّز برفق دون أن يفتح عييه واسعنين، ثمّ أتاها همسه بصوت خفيض منحشر:

- باسمي!

اقتربت أكثر، وقلها يتلصّ بين ضلوعها. أصغى غير مصدّقة إلى همسه، نحال نفسها نحلم.. أو ربّما من قرط نعبها نهباً إليها أن الأماي تتحقّق والمعجزات تصير واقعاً.

- كيف أنت؟

- أنا بخير.. حمداً لله على سلامتك!

نَشَتَتْ بِدِرَاعِهِ، تَرَبُّوْا إِلَى عَيْبِهِ بَصَفِ الْمُعْلَفَنِيِّ، وَنَقِصِ الْعِرَاتِ عَلَى  
وَحْشَتِهَا بِسَحَاءٍ، بِمَا تَمْتَمُ شَفَتَاهَا دُونَ نَوْقُفٍ:

- اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ.. اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ!

جَاءَهَا صَوْنُهُ مِنْ حَدِيدٍ، مَكْدُودًا، بِكَادٍ بِحِفْهِ الْأُنْسِ:

- عَمْرُ؟

- عَمْرُ بِحَبْرٍ.. حِرَاحَهُ لَسَبَ حَطَرَةٍ.

أَسْلَحَ حَمِيهِ، فَطَرَأَ عِلَامَاتِ الْأَكْمَرِ عَلَى وَجْهِهِ وَصَحْفِهِ بِرَكْبِ كَفِّهِ  
وَهَمَّتْ بِاسْتِدْعَاءِ الْمَرْضَةِ، فَمَقَصَ عَلَى مَعْصَمِهَا هَيْلًا. هَمَّ بِصَوْتِ  
لَا يَكَادُ يُسْمَعُ:

- ابْقِي قَلْبِي..

أَوْمَأَتْ، رَعِمَ الْخَوْفُ الَّذِي يَعْمُرُ فَوَادِهَا. فَالَتْ وَهِيَ بِشَيْءٍ إِلَى  
الْمَحْصَنَةِ:

- هَلْ رَأَيْتَ عِزَّ الدَّسِّ؟

- عِزَّ الدَّسِّ؟

فِي صَوْنِهِ رِبَّةٌ لَهْفَةٌ وَدَهْشَةٌ، وَعَسَاءُ نَحْتَانِ فِي مَحَالِ رُؤْيَاهِ الْمَحْدُودِ.

- أَيْنَ هُوَ؟

بَرْقَقَ، سَحَبَتْ الْمَحْصَنَةَ حَتَّى الصَّفِيفَةِ بِالتَّرْبِيرِ. فَتَحَبَّ الْعَطَاءُ،  
وَرَفَعَتْ صَعْبِهَا بِحِمَارٍ لَتَصْعَهُ عَلَى صَدْرِ أَيْمِهِ. التَفَتَ الْعِيَانُ لِرَهْفَةٍ،  
فَمَاقَصَتْ الدَّمُوعُ مِنْ عَيْنَيْهِ هَنَمٌ، وَأَصْدَرَ الْوَلَدُ صَوْنًا رَقِيمًا مَعْرُفًا عَنْ  
ارْتِبَاحِهِ فِي تِلْكَ الْوَصْعَةِ.

انْتَسَمَتْ بِاسْمِهِ وَهِيَ بِرَمَقِهَا بَحْتًا. وَبِمَتَّ أَنْ يَنْوَقِفَ الزَّمَنُ طَوْبِلَا  
عِنْدَ تِلْكَ اللَّحْظَةِ، لَتَمْلَأَ عَيْنُهَا مِنْ مَشْهَدٍ رَانِقٍ رَعِمَ الْإِطَارَ الْمَحْرُورَ.  
تَمَتَّ أَنْ يَحْتَمِي رِحْلَا الْأَمْسِ مِنْ أَمَامِ السَّابِ، وَنَلَاشَى الْأَبَابِ الطَّبِيبَةِ  
وَالْأَلَابِ الْمَحْطَةِ بِهِمْ، وَأَنْ يَحْزَنَ فِي دَاكِرِهَا حِلَاوَةَ الْمَشْهَدِ وَحْدَهَا، دُونَ

أوجاعه وأحراجه.

ارتفع بكاء الطفل فجأة، بصوته الحافت الذي يكشف ضعفه وفلّة  
حبلته. همست:

- لعلّه ينزع بالنرد.. المحضه بفيه دافئا.

رفعته عن صدر أمه وأعادته إلى المحضه، فاستكان سريعا واستسلم  
لنوم. ثم سرعان ما دخلت الممرضة لتصطحب الطفل إلى الحضانة.  
رجعت باسم بصرها إلى هبته بعد أن ودعت وليدها فتأحباب للمرج  
الثانية أمارات وجع شديد على ملامحه. هممت في قلبي:  
- هل تألم؟

استدار إليها وقال:

- الغرفة باردة، هلا خفضت السكيف؟

سارعت لرفع درجة حرارة الغرفة، ثم عادت إلى حوارها، وهمست:

- والآن؟ هل نشعر نحس؟

تعلفت عباه بوجهها وقال:

- تدب أنحف.. لكك أحمل.. من كان بطر أن الأمومة تليف بك!

أطلقت صيحة قصيرة. نعلم مدى الشاعرة التي تدعو عليها، بهالاتها  
السوداء العميقة والعيس المحقرن المتورمتين من أثر الكاء، والعظام  
الباردة والسنفرة الشاحمة لعله شهتها. عن أي حمال بنحذث؟ أضاف  
أمام استنطالة صمتها:

- لا نحري.. سنأب أنك حملة، ولو بعد حين...

عصت على شفتيها، تعالبت رعة ملحه في الحجب، وهزرت رأسها بقوة،  
تؤيد كلماته.

- سأنادي الممرضة.. يجب أن يراك الطبيب.

همس بخفوت:

- أشعر بالنعاس.. ابقى حتى يغلبني النوم.

جلست فريه، وقد احتفظ بكفها في كفّه. أحدث أنفاسه تنظّم،  
فتهدّدت كانت تشعر بالارتجاج لاستبقاطه، لكنّها بعيدة عن الطمأنينة  
والاسترخاء.. ما إن أعلق صميه حتى سرحت أفكارها بعيداً. لكن لا شيء،  
يهمّ، ما دام هنتم إلى حورها، ستكون قادرة على مواجهة ضاعة العالم  
بحصارة. يكفي أن تكون حباً بنفسك ويسم ويسم ونسها الذف، والتكينة.  
حين تراحت أصابعه، أفلتت كفّه وهرولت إلى النعس. على الفور،  
انصلبت بالجميع. رهور، مساء، سكية، ربيع. كانت تربطان بشاركها  
الشري أكثر عدد ممكن من الأحباب.

...

ارتفع ريس هاتكنا رسم وهي مهمكة في مطالعة ملف القصبة للمرة  
العاشرة. طالعت الشاشه لنقرأ اسم باسم. رفعت حاحيها دهشة،  
وشعرت بوحرة في صدرها، كأنها مدبلة أحدث بالخمر المشهود! جاءها  
صوت باسمين يملؤه العرجة:

- لقد استبقط يا ربيع! هينم استبقط!

- يا إلهي! هذا مدهل.. تهابا!

كانت ترفّ إليها التآ وهي تلهج بالحمد والشكر، لأن المعجزة التي  
نمتها ونزقنتها نحققفت. قالت رسم وقد بدا حلب في عقلها مشاعر  
الصدبقة وواحان المحامسة:

- أنا قادمة حالاً.

رهوت بحرارة بعد أن أنهت الأتصال. تشعر بالارتجاج الآن. لقد نحلصت  
من عبء أميتها الحقة الفبيحة التي تنفل صميرها. لكن بات عليها أن  
بواحه الكابوس الثقل بكفها العارية!

حُب خطاها في ممرّ المستشمى. كان عليها أن تصل إلى هينم قل  
أن بطير حر استبقاطه إلى المدعي العام. يحب أن نُعدّه للاستحواص



على انفراد، كما فعلت مع عمر. لكنها تشعر بنقل في ركبها وحدر في ساقها. لقد عدت المهمة شائكة أكثر بهذا الشفاء المعحر!

نعال ربي هانها قبل أن نخطو عبر مدخل قسم العباة. رجعت أدراجها في بوّس وهي تطالع الرّم المألوف الصّخل عندها.. مكّبت المدّعي العام!

- أستاذة ريم.. بلعي أن موثّق قد استيقظ. بهابا!

أبتسمت في بهكم وهي نرد:

- سيدي المدّعي العام، أرى أن الحر لم يتأخر في الوصول

- المهمة.. أود أن أهديك هذا العرض الاستثنائي، قبل أن تنفني وجهها لوجه.

- عرض؟

زوب ما بين حاحبها في بركر واهتمام.

- أبا وأنت بعري المظومة القابوينة جيّدا.. إذا بدأت المحاكمة، فستسفر لسنوات رتعا. سنكون هناك صعوبات دوليّة وندخلات خارجيّة، في حين أن الطّف بسيط.. بإمكاننا الانتهاء من كلّ هذا بسهولة.

- هات ما عندك!

قال بلهجة حاسمه وواضحه:

- خمس سنوات باعده. بعترف موثّق على صاحبه، بقدّم كلّ ما بحورته من أدلة.. ويحكم عمر الزنبيدي كمّتهم رئيسي.. ماذا قلت؟

هوى قلبها بين قدميها. عمّغت بصوت مرتحف:

- سأبّلع موثّق بعرضك.

- سأكون في الانتظار أستاذة ريم.. العرض سار لنهار وأربعين ساعة فقط. بعدها، سيكون لقاؤنا في المحكمة!

ترنّحت خطوات ريم في الممر. لا ندرى إن كان عليها احبار المدخل

في ذلك الوقت أم تأجيل اللقاء. لقد كان عرض المدعي العام معريا  
ومرئلا في أن. كمحامية تمثل هينم، وتذكر حجم القضية والعقوبة  
المنوطة، كان عليها أن تشجع هينم على الاعتراف. لكنها تذكر أيضا أن  
اعتراف هينم سيؤدي إلى عياب عمر وراء الشمس.

لمر أنها نحسب هينم لن يفعل ذلك بصاحبه.. منلما لم يكن عمر  
القبل بعرض مناهه.

توقفت فجأة وقد راودها خاطر ما. تناولت هاتفها من جديد. اتصلت  
بحورج، فألقى الخط مشغولا. براديت بصانها في علب. هذا ما كانت  
تحشاه. برقت بصع نوبن نمر كزرت المجولة. ما أن وصلها صوت  
حورج حتى هتفت:

- هل اتصل بك مكلمك لعم في العام؟

نوبت حورج قبل أن يسأل في حذر:

- هل اتصلوا بك أيضا؟

زفرت بحدّة. هذا ما يسعون إليه إدس. رزع الشقاق بين طرفي الدفاع.

- ماذا كان العرض؟

- عشر سنوات نافذة.. مع الاعتراف على هينم.

فغرت فاهها دهشة. لماذا الاختلاف في المدة؟ عرض هينم أكثر من  
مغبر! خمس سنوات فقط؟ كأنهم يسحبون عمر سحنا نحو الكرسى  
الكهربائي لكن هينم لن يفعل.. تنق بأنه لن يعترف! غير أن الثغوبت في  
قوضة المساومة مع مكتب الادعاء بعنبر عملاء.. خاصة حين تكون فرص  
الحياة معدومة!

نشعر برأسها يكاد يمحى من التفكير، وبالأرض تميد تحت قدميها.  
تنقست بعنق، واستندت بذرعاها إلى حدار الممر. قالت أحيرا بلهجة  
بدو واثقة:

- لن سمح للمدعي العام بتفريق صفوفنا الآن.. هيئة الدفاع سنظل

متناسكة.

- بالتأكيد. لم أحر عمر بعد بشأن العرض، لكن أنت تعرفين كيف هو.. لإعطيه سهنة حتى...

عبرت ثم قالت في ابرعاج؛

- أعرف. لكن مهنة المحامي هي إقناع الموكل بمصلحته.. وأنا وأنت سترك أن عرض الادعاء يستحق التفكير.

سكت جورج لحظة ثم أردى:

- هذه القضية.. لست متعائلا بشأنها.

انقسم في سحرة، ثم قالت بامره العوار:

- أتترك الآن. ثم وصلني عبد هتم.

أهت الاتصال وهي تسحر بالحجر. لو كان المتهم أي شخص آخر، لكأنت الآن تستعين في إقناع هتم وباسمين بالموافقة على العرض. لكنها ليست قضية عادية.. إنها متورطة أكثر مما يسعى!

حين أقصت إلى قاعة الاسطار، ألق باسمين تقف خلف النافذة الزجاجية، وقد تحمق الطاقم الطبي حول سرير هتم داخل غرفة العيادة.

- هل كل شيء على ما يرام؟

استدارت باسمين لتواجهها بانسامة متعبه ووجه مكدود. قالت في وحل:

- لقد استسلم للنوم منذ نصف ساعه...

- إذن دعيه يستريح، نعالى.. سأوصلك إلى غرفتك.

منبت برفقها باتجاه قسم الولادة. قالت ربيم وهما تسيران ننودة، لصعوبة المشي على باسمين:

- كب أود الحديث إلى هتم.. عن القضية. أنت تعرفين؟

أومات ياسمين في صمت.

- لم يرد الإنفال عليك بهذا الشأن، لذلك كنت أحاطب والديه بهذا الصديق لكن الآن، سيحصل استجواب وربما محاكمة قريفة، وكنت ستعرفين الحر عاجلاً أم آجلاً...

أفرب ياسمين في أنى وهمت:

- ما كنت أنس بعودته، حتى فتحت في وجوهها أنوار الحبيم! أي عصر ينتظربا؟

لم نحاول رسم طمأنها، لم تكن بحورها الكلمات، بلارمة. في القديم، كانت ياسمين تعرف كيف تواسيها وتطيب خاطرها، لكنها يخفق دوماً في دور الصديقة. لم تملك إلا أن تعافها بقوة، بمنزلة أمة روحها ونبتها نعاطفا ونصيحة أو لا.

...

تركت ياسمين بعد أن بكت طويلاً على كتفها. عادت أذراعها إلى قسم الحراة. طرقت باب عمر ودلفت. وقعت فماله، وهي تشعر بالحرج. لم يكن لحضورها أي صعة رسمية مد أعلى رقبته في استلام جورج مهمة تمثله في القصة. لكنها رعفا عنها، تسحبها خطواتها إلى محاله، مثل قوة جذب معاطيصة مجهولة المصدر. كان سريره معدلاً في وضعية الجلوس، وبني كعبه كتاب ما قالت مجاورة أن نمدو مسترجية رغم نوثرها:

- أحضر لك جورج كتاباً؟

- طلت من إدارة المستنم.

- أه.

استعادن في صمت تاريخاً بعيداً، حين كانت تحضر إليه كئناً في عرفة مشفى آخر. قالت فجأة بنبرة اعتذار:

- تلك الكتب.. كانت من اختيار ياسمين.

عقد حاحبه دهشة واستعرايا. عن أي كتب تتحدث؟ ثم استوعب أنها تشير إلى الكتب التي أحصرتها إليه منذ سن سنوات. لماذا تعرف بهذا الآن؟ بدت كأنها تتخلص من حمل يتقل صدرها. كانت مشوشة وهي تتقل من موضوع إلى آخر بلا تناسق:

- أليس خطبتك؟ اسمها أمه.. اليس كذلك؟ لم أرها قط في الحوار.. إلا كبروك؟

شعرت بصفه لبرهه، ثم قال في انصاف:

- لديها أنفعالها...

لم يبرصها رنم ما عدا ذلك، فإنها منذ لمهبت في سلكوك الغداة وانفعالاتها لتعلم واصحها بعمير، لذلك يبدو عياها عجز أو موقف.

- لقد بدت لكها كلها.. فلم تطيقه. هل هي كذلك؟

- نعم.

- وهل لها علاقة ما بالمشروع؟

- لا.

ثم أضاف في صبق:

- لماذا أشعر بأنني في استحواب؟

رفعت كتفها في براءة وقالت:

- نحن نتحدث وحسب.

مررت لحظات من الضمب، هل أن نردف بانسلاسه:

- هل نذكر، كما نتحدث كثيرا، هكذا.. في السابق.

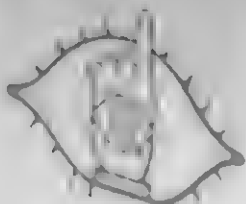
عسى عمر وقد عادت إليه ذكريات بشفيه استرجاعها، قاطعها فحاة بصوت هادي:

- أستاذة رنيم.. لماذا أنت هنا؟

شعرت بصفه لا مرتبة نهوي على صدعها فربح لها دماغها. حملت

في الأرض بعينين بديتين. هي نفسها لا تعي ما الذي تفعله هما في غرفته!  
ما الذي تريده منه بالضبط؟

لم تلق موكلها بعد، ولا رُئت ملقاةً فصَبَّه سَكْبَةً التي نبدأ في العد،  
ولا صالحت روحها الذي عادر معاصنا.. لكنها تقف في عرفة رجل عريب  
وتستدعي ذكرى باع عاطفة قديمة.. من طرف واحد وذت لو نشق الأرض  
وسلعهما. لو نحسب من أمامه كأنها لم ندخل قط.. لكن كبرياءها  
استمرت ندود عن دناها في إباء:



- هل فعلت هذا من أجلها؟  
- فعلته من أجل إيمان بالقضية!  
قالت في عناد:

- لكنها ليست القضية التي بربطك تلك الأرض العبيدة وباسها؟  
كل شعب دافع على مر التاريخ عن أرضه، وردَّ المحلبي.. مصر فعلت  
صدَّ الإبحر.. والمغرب، صدَّ الفريسيين. وما تفعل فلسطين أيضاً. فما  
علاقتك أنت؟ انظر.. الاحتلال مرحلة.. ثم يأتي الاستقلال. فلسطين  
تأخر احتلالها عن باقي الدُول العربية.. في الوقت الذي كما عبه نتحرر،  
جاء دورهم ليذوقوا من كأس الاحتلال.. تلك سنة الحياة!

انسر في مرارة:

- تفكير عجيب! كأن الاحتلال سنة الحياة وقانونها الذي بنعبر؟ كأن  
الاحتلال يحيى ويذهب تلقائياً، فلا يحتاج أن نواجهه وندَّه!  
هزّت كنفها وهي تقول في بساطة:

- أهل البلاد يفعلون!

- لكن هذه البلاد مختلفة. إنها مقدسة في وحدان كل عربي ومسلم!  
شعرت سرّة الأنهام في صوته. كأنها لا تنتمي إلى تلك الفئة التي يتحدث  
عنها. قالت باندفاع:

- كما يعرف أن الفلسطينيين باعوا أراضهم لليهود. تارلوا عنها عن

طلب حاطر وقصوا النّص.. فلماذا النّاسي الآن على الأرض المفقودة؟  
تهدّ عمر، ثمّ قال:

- قد يكون ذلك حصل، في وقت ما من الماضي البعيد.. قبل المكة  
والنكسة.. قبل وعد بلفور والمستوطنات، قبل التّحرير لفسري  
والاحتجاب، لكنّ البعض ظلّ يؤاخذ الكثرة المصطهدة، بفعل القلة  
الصّفيّدة، إن كان البعض قد ناع، فإنّ الأغلبية طردت من مساكنها  
وأرسلت إلى مصر مجهول، وهذا با استدلال حرم، إجمال.. والاحتمال  
أنواع.

أصبح إليه و إسلام، كطالب يلبّد بلفقه إلهاد التاريخ درسيه.  
- العماليه الفرنسيه للمغرب الأقصى، كانت مؤمنا من الحصاريه..  
كانما يقولون نحن لم نقاتلهم بالمواط على طريق المدية الحديثة، دعونا  
نعلمكم شيئا من مايربا العظيمة، أو هذا على الأقل ما ندعونه. وهناك  
نوع ناب. انطرى إلى أراضي فرنسا التي يقع وراء الحارة، تلك الحرر  
العبدية والمعزلة.. الماريسك والمورينوس والريوسون، وغيرها.. ذلك  
احلال يعتمد على طمس الهوية واستبدال أخرى بها.. تعمير الدّين  
واللغة والانتماء. رغم عودة الفرنسيين إلى ديارهم، فقد هؤلاء استقلالهم  
وعدوا ولايات فرنسيه لا تتصل جغرافيا بالأرض الأم، غير أنّ ما يحدث  
في فلسطين هو نوع ثالث، الاحتلال الأكثر وحشية وعداره.. وله سوانق  
في التاريخ... أرأيت حين دخل الإنجليز أمريكا وأسرواها، أسد السكان  
الأصليون واستوطنوا الأرض المحتلة حتى لم يعد للبقاعه الأولى وجود  
بعد فروا من «اكتشاف» الأراضي المجهولة، أصبحت هويتها ممتوخة..  
هذا ما يحصل حين يركز الاحتلال على الإبادة والتّحجير، استئصال  
هوية وورع أخرى واستبدال شعب أصلي بأخر واعد، بتحجير المهاجرين  
وبدخول الفالين بالنساء. وهو ما حصل في الأندلس أبصا.. مع الوقت،  
لا نعود هناك فلسطين كما لم يعد الأندلس.. نحوّل الساحد إلى  
معاند، كما حوّلت إلى كنائس في إسبانيا.. غير أنّ الساحد لا تساوى وإن

كأنها كلها صوت الله التي يحيا المودعها- لكن حين يتعلق الأمر بأولى  
الفتن وتآلت الحرمات القريبة ومصرى قبيحا، فالأمر يتجاوز مجرد  
الدفاع عن الأمر تحضر مجموعة من البشر.. تحولت إلى قضية عظيمة  
تهم كل مسلم

تهدد به قالت امرأة مهتمة:

- يجب أن تعلمي أننا في كل قضية

انضم وقال للهجة عاتية:

- ولعلك لا تعلمي الطريق السليم.. أم أن أحدكم أحمق؟ هاتع إلى  
درجة لا يمكن معها التسامح؟

نوهت حين التفتت فجاءت وعاص فلما كبرت في حدتها لم يكن  
التفادع ممكنا، وهما لم يفلتا من ذلك يوما ما حصة ثوبتا بمثل  
مداوذه، بدلو في نظره أواليا لا يستقيم الحياء بوجهه، عتاراك بكلمات  
مشطه وفترت من العرفة لا تكوي على شيء.

حين صارت في العصر مفردة، تناولت هاتفيها والصلوات تصاعدتها  
دسا، قالت للهجة حريمة

- أوه ووالله محمد العربي، أريد كل معلومة ممكنة عنهما.. دلال أزع

وعصر من سائنة



ظهر أمامها فجأة كما تعود أن يفعل في الأونة الأخيرة. لم تعد تعاديه أو تلتهت حلقه مثل السابق. يعرف مواعيد محاصرته ونفاصيل حياته التي يسكنها في مواقع التواصل، لكنها لا بدى اهتماما. كانت تشعر بفتور ومثل من سلوكه المارد. وقد كان عليها أن للذهاب من الكنس التي لطالما سافها فيها.

- أنت هنا اليوم أيضا.

تنهدت رانيا، وعلقت صفحة كتابها، وهي لتجاهل حضوره فالتنها. ما دام لم يكن لطفا بها مكينة، فهو غير حدير باهتمامها. جلس على المفعد وأطال تأمله لكتابها.

- ماذا تدرسين؟

رفعت رأسها لحدده بظرة صارمة ثم نهضت في استياء:

- ماذا تريد الآن؟ هيا.. تكلم!

شحنت ملامحه واكتست بعلامات الازعاج. قال في عوس:

◆ - أشعر أنك الشخص الوحيد في العالم الذي يعرف عني أكثر مما أعرف عن نفسي.. وأن السر الكتيب الذي يسكن ماضي مكنوف أمام عيبك.. لذلك أحدي أنحت عك كل يوم، ونفودي حطوا إلى المكنة حيث أنوقع أن أحبك...

توقف ندق الكلمات على شفتيه. رفر، ثم أضاف سره مهنمه:

- أحتاج من حين إلى آخر أن أنحدث مع شخص يفهم ما أمر به.. ولا أجد أحدا غيرك تنطبق عليه الشروط!

رق قلبها لحاله، فلاب ملامحها. قالت بهدوء:

- أما مستاءة، لأنّ صديقاني يمررون بأوقات عصيبة. وسكينة.. لديها جلسة استماع في العدد. لا أستطيع حتّى أن أركّز على الدراسة.. سأرافقها عدّا إلى «نانت»...

رفعت بصرها إليه وقالت في رجاء:

- ليس ألخ عليك.. لكنّ حضورك سينسّج فرقا. أعلم أنّ بداخلك رغبة في لقائنا، لكنك نفاومها.. كما فعلت يوم حراجتها. فهل ستقاوم أيضا هذه المرة؟

حدّثني فيها في سرود، ثمّ قال بطريقة المسفرة التي تعودنيها:

- ألم تباشر صديقتك بعد؟ ليس هناك ما يدعو إلى رؤيتها. أنا لا أعترف بها أمّا.. لكنني أودّ أن أعرف مبرر سبب هذا كلّ ما في الأمر! زمرحت في خطّة:

- سندم!

لوى شفتيه في سحرية وقال:

- أودّ أن أرى كيف سيحصل ذلك!

مرّة أخرى، تركت مقعدها وهي تقول في حدّة:

- لا فائدة.. الجلسة ستكون طهر العدد، في محكمة الأسرة بهانت... ♦

انسمت وهي تسير إلى حارج المكنة. تعرف الآن أنّ المكينة سنسك عقله، ولعلّه بسنسلم لفصوله ويحصر الجلسة.. وذلك كلّ ما نرجو.

...

كنّ يتناول وجبة الإفطار مغا، مخمعات حول المائدة، وقد سرحت الأفكار في اتّجاهات شتّى. كان دهر ربيع مشطورا بين فصبة هبثم الشائكة، وفصبة سكينة المتاعدة جلساتها. كان يحذر بها أن تحرر تقدّما ملموسا في جلسة اليوم لنحصر المسافات، ولا نصطرّ إلى تكرار الرحلات إلى نانت. أمّا سكينة، فقد اصنّت حبالانها كلّها على صغيرتها التي تتوقّع

أن تلفاها وجهها لوحه بعد سواوت من الساعد اليسرى، في حين كانت رابيا تسأل إن كان حاسر سيفعلها ويحصر الجلسة!

وحاة، وفمت ريم وركضت إلى الحمام وعلى وجهها علامات العنبر. أفرغت ما في خوفها، ثم عادت شاحنة والعرق يتصبب منها. قالت سكبته في فلق:

- هل أنت بحير؟

هزّت رأسها نظمتها، رغم ارتخافها ولهاثها. فلبس وهي تمالك أنفاسها:

- لعلها برله معوية.

تدخلت رابا تقول:

- هل يمكنك حفظ الشعر حتى تأت وأنت بهذه الحال؟

- والمراغة بعد ذلك؟

أشارت إليهما في نهم:

- لا تحضبا شيئا.. سأكون بحير!

تبادلنا نظره موخسة، لكن إحداهما لم نحاول ردعها.

لقد نرقب سكبته بعد صبر وفلة حيلة أن نحدّد المحكمة تاريخ جلسة الاستماع. لا يمكنها بعد ذلك أن تفوت الجلسة مهما حصل. ثم ريم شاته بالغة، ويمكنها الاهتمام بنفسها. فكّرت أن تفويت الجلسة ليس حيازا مناخا لكتبتهم. لذلك لم نعلق.

حرج إنر ذلك وركس الستارة حتى محطة الفطار. حملت سكبته سلة ملأته بالفواكه والمقبلات الحبيبة، لبسّتي بها خلال رحلة الذهاب والإياب التي تدوم ساعين ونصف في كلّ اتجاه. لكن ريم التي اسمرت انصابت معديها، استعبت عن الأكل بعد ذلك.

دخلت قاعة المحكمة، ولرمز مقاعدهن في وحل، سعا أحد لحاب

بيادي أصحاب القاصيا واحداً تلو الآخر للمنول أمام القاصية. تالت المرافعات من طلاق وبفقه وحصانة.. فيما كانت سكية تسترق النظر إلى الطفلة الجالسة في طرف القاعة، إلى حوار راهبة عحور.

كانت سيلين نصمم أظافرها في توتّر، بينما تتردّد بظرائها بين الحاصرات، بحثاً عن وجه مألوف. ثمّ توقفت عند سكية وربيم. بدت عيناها مشتتين رائعتين، لا تكاد تستقرّ على ملامحهما حتّى يهرّ بصرها إلى المعيد.. كأنها لحنتي أن بصطها أحدهم وهي تتطّلع إلى العريبتين. أمّا رابيا، فكانت تلنعت إلى مدخل القاعة كلّ حين وأخرى. ظلما حدّنها حدسها بحبّنه يوم الحراجة، تكاد تحرم بأنّه سيكون هنا اليوم. بدأت رحلة التفتيش عنه على رصيف محطة الفطار في باريس، إن كان سيحضر، فهو سيركب القطار بالتالي، غير أنّه لم يستقلّ الرحلة دانها. أو على الأقل، لم يلمحه في محال بصرها. إن لم يكن قد استقلّ قطار التاسعة والتصف، فس يكون في الفطار التالي، بعد ساعة واحدة.

- سيلين دبببب.. قصيّة حصانة!

همست ربيم وهي تسرق سكية نحو منضّة القواء:

- هبّا، حاء دوربا.

وقفنا على بعبب المنضّة، بينما تقدّمت الراهبة العحور وهي تعسك بكفّ سيلين ولا تفلتها إلى الجهة اليسرى. في الأساء، انعمست القاصية في مطالعة ملفّ القصيّة على عجل. رفعت عيبيها أحبراً ورمقت سكية في نبرة متعالية:

- أنت الأمّ؟

- نعم!

- وقد أخذت منك حضانة البنت؟

- نعم، منذ عشر سنوات.

- ما الذي تغيّر منذ ذلك الحين؟

- لقد تعلّمت درس عمري يا سَيِّدِي القاصية، لن أكون مهملة بعد اليوم.. إطلافاً لن أسام الليل، وسأنت أحرصها كل ساعة. سأكون إلى جوارها في كل لحظة، لن أتركها أبداً!

ندخلت ريم وهي تضع على المصدة ورقة كانت بحوزتها:

- هذه فائمة بالأشخاص الذين توسّعهم الشهاده بحس سره سكت واصفاة حياها.. سهم رهلات عمل وحرها وثرىكا سكر.

تاولت القاصه الورقه المملنه عن أحرها بأسماء كثيره وصفتها إلى أوراقها، ثم رعت بصرها مرة أخرى:

- أين روحك؟

- انفصلنا.

- من بعلك؟

- لهد عملت في السواب القاصيه، وأدحرت كل ما حينه تقريبا.. لم أكن أحرص الكثير على معيشي، حتى أخفط بصلح مناسب لمستعمل أطفال.

- أين نسكن؟

- أعيش في شقة مشتركة مع بعض الصديقات، محاسني، ونفبقها طالسة بالجامعة. بحس عائله.

ألفت بطرة على ريم ورايا، ثم اسدارت باحبه الراهنة:

- كيف هو حال الطفلة؟

- إنها مكتشفة ومسرلة. منذ جاء عندنا قبل سنة ووصف، لا نحدث أحدا تقريبا.. نهتم بالأنشطة البدوية، ونعمر من الدراسة. برأي، إنها تحتاج محبطين أسرتنا مستقرًا حتى تتحسن حالتها النفسية.

هزّت القاضية رأسها ثم خاطبت سيلين:

- صغيرتي، هل تحبين حياتك في الدير؟

بطء، وبحركة قاطعة، هزّت سيلين رأسها في علامة نفي حارمة.  
تدخلت الراهبة:

- الراهبات مشغولات بأعمالهن طيلة الوقت.. أصغر الراهبات عدنا في  
العشرينيات، ومهما حاولت القرب من الصغيرة فإنها لا تفتح بسهولة.  
إنها لا تتكلم نفوسا.

ألمت الفاصية نظرة حابية على العاة وقالت بانسامة متعاطفه:

- هل نحتس أن تنقلي للعيش مع هؤلاء الفئات؟

للآلات في عيها عرة حسنة وومضنا نغيب عريها وهي تومض بعلامة  
الإيجاب. نقلت الفاصية نهرها بين الأم التي ندمت على مشارف الانهيار،  
والصغيرة الهشة التي تكاد تكسر، ثم قالت:

- الاستماع إلى الشهود والنطق بالحكم خلال أسوعين.

قاطعتها سكية في رحاء:

- هل يمكنك أن أعانفها على الأقل؟

شرحت ربيم:

- سكية مصوغة من الاقتراب من طفلتها أكثر من مائة متر بحكم  
قصائي عمره عشر سنوات. وجودهما في نفس العرفة يعني معجزة  
بالنسبة إليها.

أشارت الفاصية في نفهم:

- نفصلي.

برلت سكية على ركنيها وفحنت ذراعيها، فحطت الطفلة بحوها  
في وجل أولا، ثم بخطوات ثالثة وضيقئة، حتى استكانت على صدرها.  
أحدث سكية تمسح على شعرها وتندف عرات حري، ونهمس في أديها  
بصوت يقطع نياط القلوب:

- يا صغيرتي.. يا حلوتي.. لقد كبرت. صرت عروسا جميلة.. يا حمامتي

الودبعة.. هل نعلمين كم أحبك.. هل نعلمين كم اشتقت إليك

لصع دقائق، احسنت أبعاس كل من في القاعة، وهم يتابعون مشهد  
لقاء الأم بأسها بعد عذاب دام عقذا كاملا، ضابت خلاله الأم الشابة،  
وعذب فيه الرضعة فتاة بافعة على أبواب المراهقة. تلمعت السمت في  
تردد وحذر، كأنها تندوى الكلمة على لسانها:

- أمي

- نعم يا روح.. أنا أمك

رعدت من حديد، في زمن هذه المرة:

- أمي

- يا حياة أمك، يا كل دينا أمك

هتفت ريم مسهرة لحظة أنائر العائقة:

- ستندي الزينة.. نظرا لطروى القصة العصبية وحالتها النفسية  
المتروكة، وإنني أفرج على حناكم التحميل بالتطقي بالحكم.. وذلك  
لمصلحة الضعيرة. إسناد حصانها إلى شخص يهتم لأمرها من صميم  
المواد، وخاصة أنها من لحمها ودمها، من أهداف محكمة الأسرة الأولى..  
ولا أرى داعيا لإطالة الاسطار الذي لا معنى ولا فائده منه!

تهتت القاصبة وبدا عليها التفكير لرهة، نقلت بصرها بين الزاهية  
المتعة، الفناء الدائلة والأم الدامعة، ثم تحزكت دراعها في حركة بطيئة..  
توقفت لنواب نور قرارها بعين العفل ثم بصعي لصوب العاطمة،  
لتصرب أحيرا بطرفها على الطاولة معلنة الحكم:

- أسدت الحصانة إلى الأم، سكية البيطار!

نعال صراح رابيا في حذل غير مصدفة، وفمرت من مقعدها لتحنص  
سكية وسيلس اللنس لم يعصل عاقهما بعد، بسما هتفت ريم التي  
لم تعتقد أن محاولتها البائسة قد نحد نحائنا عند القاصبة تلك  
البساطة:

• شكرًا لك سديق الرتبة! ليس في الكلمات ما يكفي لشكرك. على  
جمعك الأمر باليتها بعد انتظار دام عشر سنوات!  
ثم سارت تظم البهز في عناق جماعي احتلقت فيه الضحكات  
بالعبرات.

غادر قاعة المحفمة - وسلي لا تقارق حضرة واللاه في ممة تمسك  
ألمها بكفها الأمامي مثل الحقيقة كبرى. فأخبرت مهن بالم وضع خطوات  
حتى لحظت الأمامة. وقالت في أصلا.

• شكرًا لعامله، ولاهتمامه بسلي في الفهم العام، كمن وحيدة  
وفائدة للسط الظالمين مثله. قال سلي أن يضع من الجاهل بسهولة.  
تهدى الرتبة وقتها.

• لقد رسمت في الرتبة بعد إيلادك الشاقة. ولذا لم ألتها بعد. هذه  
العائلة، لالها فعلت ما توسعي حتى أحفظ بها في انتظار طسة اليوم.  
- إذن. سأمر بعد قليل إلى الأيو اتجمع سليل حاضيتها...  
صحب الأمامة وقالت:

• لقد جمع سليل حاضيتها كلها في حصة وأحضرتها. لقد خمت عليها  
هذا الضياح من حماسها. أحبرها بأن الأمر غير مقصور بعد. وأنها لن  
تغادر الأيو اليوم. نكتها أصرت من لطفا الله أن أميتها لم أحب.

انتمت رسم في مروز. لم تلمعت عسها ألما وهي تفصل عن  
سكنة وبستها فجأة وتركض في مصر المعكمة. بعثت في توكم في محال  
زوتها عما تبعه باليد. حتى حطت نظراتها على شاة بحث الحصى  
مبعدا. وتلقينا في حذر.

كزافي!

وقفت رابا أمامه وهي لهث، وقالت: تطفر:

• لقد عرفت أنك ستأني أهل قوت الحلسة!



نظر إليها في الرعاح، وقد كشف أمره. قال في صبح:

- لقد رأيت كل شيء.. أنا سعيد من أجل سيلين. لم أكن أتصق لها أن  
تكسر في اللدير...

قالت في رجاء:

- بما أنك هنا.. لماذا لا نحدث إلى سكبنة؟

اقتربت رسم على عجل، وقالت في اهتمام:

- أنت كرافي، أليس كذلك؟

اكتسبت ملامحه مسحة عدائه وهو يحذو فيها وقال في غور:

- من تكوين أنت؟

- أنا شقيقه وأبلى وصيفك بكبة.

- أه، أنت الصحابة.. لقد رأيتك بالذاحل.

- لماذا لا تجلس جميعا وسأول العدا؟

عمهم في صبح:

- يجب أن ألحق الفطار...

- هناك رحلة على رأس كل ساعة، إذا فوّت رحلة، تلحق بالتألبه. ما دما

جميعا هنا.. أراها فرصة سانحة. —

ودون أن تنتظر، البعت وراءها وبادت:

- سيلين تعالي.. تريدان لقاء شفيك؟

تسفر سكبنة في صدفة، وهي نرمق كرافي بطرات مهترّة. كان حضور

الصّخرة بين ذراعيها قد استعرفها حتّى أنّها لم تلتفت إلى عياب الأحنس.

استفاقت حين تركت سيلين حصنها وتقدّمت إلى نصف الدائرة التي وقف

على حدودها كلّ من راسا ورسم وكرافي. قالت الست فحاة:

- لقد رأيتك. أنت تجيء للدير كثيرًا.

امتنع وجهه وقد أحبط به من كلّ جانب. فترحب ربيم:

- أنتما أحزان، شقيقان... لكن كراقي يعيش مع عائشة أخرى الآن.  
رفع كراقي نظره لواجه نظرات سكية المستعربة، وقال بصوت:  
- لذي، ألم واحدا

قالت سكية لا شيء

- لا بأس يا صغير، لا بأس

- لست صغيرا

- أليس صغورا ألا أسمع من جثك أن لا يصح... لكن ثم متعبة كراقي

أطبق سكية ولم يجر حوارا، ثم حرفا بحكي المدة في الضلالتا وهذا  
بلا إسقاء، وحشي لو أنكر وجود تلك الأمة المرسى والخطايا فإنه سيعبر  
تتعلق لا إراقي فتظن انصعبي اليانة السيمة لكن السرالهما في المصير  
بوحدة مآسياهما لتزنيهما يذكر عمريري

على حين غفلة منه، أقبلت سكين وأمسكت يده وأخذت تسد  
وإياها قالت بصوتها اللطيف الشاحرة:

- هنا يا..

لم تكن تتكلم كثيرا، لكن حروفها القليلة غالبا ما تكون حاسمة  
وحارسة، وقد أتت ألتها سريعا. إذ استسلم لها أنها لمودة، بل القودهم  
حصصا وهي تسبق خطواتهم خارج بناء المحكمة. استلمت اسم الحصة  
من الزاهية، ثم انصقت إلى جمعهم حول مائدة مطعم صغير يقع  
فلاة المصير الإندازي. أشارت إلتا إلى السائل، وظلت عيني يراها غائبة  
للمسارعة.

هضمت سكية وهي تحرق الصمصا المحلوم على الجلسة بسيرة  
متحمسة:

- عندي مفاجأة لكما!

أخرجت أروم صور قديمًا لطالما ناهد أطباء سكية ووجدتها في

جوف الليل. لكن مشاركة ذكرياتها مع تلك الوحوش الحبيبة كانت أميرة  
عبدة الصال، والآن هي نرغبة أنهى مّا بشع له صدرها. وصعت  
الأسوم على المائدة في انتظار وصول السرا، وأحدت تصفح الصور على  
مهبل وتشير إلى المشاهد التي نحفظها عن طهر قلب وتحدث:

- هذا أنت يا حاسر، حس كنت في سن الثالثة.. هذه الدراحة الحمراء  
التي كنت تركها في ماء السن.. وهذه أنت يا صار، بعد يومين من  
ولادتك. انزرى لك والدك هذا السوار الذهبي، فرخا بحبك إلى  
الدين...

سألت سبلي في دهشة:

- ميار؟

- اسمك هح مزار يا حاسر.. معناه بالعربية هو «حالة الحيرة»،  
وبالفارسية «صو، القمر».. وبالتركية «وردة الحنة»  
فهرت الطفلة فاها بأعجاب، فاستطردت سكية تقول:

- أمّا حاسر، فهو الزحل الشجاع!

كان حاسر يتابع كلماتها مطاهاً بعدم الاهتمام. يجلس ناسجاً، على  
مقعده، متكناً إلى الحلف، عافذاً ذراعيه أمام صدره، ويلقي من حين إلى  
آخر نظرة مصغصة على الصور التي تشرح سكية تفاصيلها.. حتى قالت  
وقال مال صوتها إلى البكاء:

- وهذا رامر.. شيفكما.. أسأل الله أن يعفر لي، ويحجها به في الجنة!

راو صمب عميق على المجموعة، واعتنى الضيف ملامح كراهي، بينما  
كانت سبلي تحذو في ملامحه باهتمام، ثم هضت:

- إنّه يشبهني!

انسمت سكية وهي تشدّ على كتفها يسراها وأومات موافقة:

- أنت ورامر تشبهاني.. وحاسر يشبه والدكما. اطري...

فتحت صفحة السوم تحوي صورة لطيفها وحاسر يجلس بينهما.  
فنتطلع كرافبي بحدرد لبطر إلى وجه الرجل الذي ندعى أنه شبيهه.  
توقفت عياله طويلا على الشات الثلاثيني الذي كان والده رمز التفاض  
الصورة. حذق في الوحتين البارزتين والأنف الطويل الذي يحاكى أنفه،  
والى الشارب الحفيف الذي يعطو شفتين غليظتين. انسه إلى سكة التي  
كانت ترفقه حبة وانسامه حابة توتر مسهما، فلعلم بطرانه وأماح  
بعيذا.

جاء التادل حاملا البترا، فأشارت إليه رابيا وهي تقول هلاهما!  
- هلا التفطت لنا صورة جماعية؟

استدار الحبيب إلى العدسة بوجهه مسرعة، ليحافظ كرافبي  
على حموده بغير نظره لتذبذب نصيب ساه تحت الطاولة، فتأوه  
بحسوت، وهو يبحث عن الفاعل بطران رائعة. اصطدمت عياله سطرة  
رابيا الثارتة. كانت تتوعده في صمت. حذوها في استياء، فأشارت إليه أن  
بسم! هز كتفيه استهانة وعاد إلى عرلته.

- عائلة مبره!

قال التادل وهو يعد إلى رابيا هاتهما، فانسمت شاكرة، ثم قالت  
لسكبة:

- سأطبعها حين يصل إلى باريس.. هكذا يكتمل السوم صورك!

نادلتها سكبة بطرة امتنان، وتمت في سرها أن بليس حاسر ويعود  
ليكون واحدا من أفراد عائلتها حقا.

...

تركتهن عند مدخل الصبي وقالت:

- أحتاج المرور إلى الضيدلية.. سآني حالا.

ثم هرولت إلى رأس الشارع. كانت معدتها قد هدأت، لكن هواحسها  
لم تحفت. عانت في الداحل لحمس دفائق، ثم رجعت إلى الشقة.

في المطبخ، كانت سكببة تنشط في همة، وإلى حوارها الطاهنتان  
المندرجات، راسا وصبار. انسمت وهي ترمق ثلاثهن سطرة راصية. كن  
سدون مثل عائشة حقيقتة. تركت حقيقتها، ودلعت على المور إلى الحمام.  
- أبن ريم؟

فتحت سكببة، حن تأخر ظهورها.

- العشاء حاراً

كانت قد عابت في الحمام مد نصف ساعة أو لم تنصف أمام المرأة  
وحدق في ملامحها المعهدة بطران رائعه.. نمر يعود غباها في صدمة،  
إلى احتبار الحمل الساكن قرب المعسلة. كل سطي للإنساره أن نحتفي  
بعد بضع دقائق، لتعلن قتل الاحتبار. لكنها باقية، صريحة  
بما لا بدع مخالاً للهناء.

- ريم، أنت حامل! نهابنا!

قالت لنفسها بسحرة لادعة. يبدو هذا مثل كابوس لعين. لم يصدق  
أن هذا ممكن أصلاً، فهي لم نهمل حموب مع الحمل قط. لقد كانت  
مطمئنة لاتحادها الاحتباطات الآرمة، ولم يحطر سألها أن الانزلاق إلى  
الهاوية محتمل. رمت الاحتبار في سلّة المهملات، نمر انهمكت تفرك  
كفيها ووجهها، كأنما تريد الانشاء من الحلم المريع.

لم تكن قصص الحشرات مطرق إلى حياة الأميرة بعد الزواج. لا أحد يتحدث عن خلافاتها مع الأمير، رفضها للإحباب، أو نفلانها امراجة، بدأ الحياة الحقيقية من حيث سهر قصة الأميرة و الحكاه!

لم تقصد المكتب في الصباح التالي. لم يكذب المصور حشها حتى الحجر، وكاتب الام الرأس رفقها حين صعد نحو النافذة ارتدت ثيابها على عجل وخرجت إلى المشفى دون أن يجازي أحدا. جلست في قاعة الاسطر من عصر العبادات الخارجة الحائكة بالنساء والولادة. برمق نظرات من عتبة السطوح المسفحة التي تحيط بها، وسير صاحبانها مثل الشيطان العرجاء!

حين جاء دورها، تناقلت في الوهوف، وكان يطها بسحبها إلى الأرض لعب، حمالي. نمر استسلم لمصيرها، ودخلت العيادة. استقلتها طسه ذات اسم أسبوي، تعبى صيفين ووجه محقد. اسمنت وهي تفحص بطها، نمر أخذت نسمع إلى بصان الحبيب. كانت ملامحها لكنسي جديّة نالعه وهي تدفق حتى كاد حاحاها الرقيقان يلتقيان.

سألت ربيع في نوحس:

- ما الأمر؟

- كل الخير يا عزيزي.. كل الخير. لكنني أريد استأخذ قبل ذلك.. بضلي إلى عرفة التصوير بالموحاج فوق الضوية!

على الشاشه، ظهرت صورة تكشف عن دواحل رحمها. لم تكن سنويع شينا عمّا نراه، لكنها تابعت حركات الطيبة في اهتمام. شعرت بحمار الرصد البارد بصغظ بقوة على بطها، بينما سمعت صوت الطيبة تقول:

- هذا الرأس...

حدقت في الشكل الكروي الذي يحيط به سواد كثيف وجبوت متداخلة.

- وهذا الرأس الثاني!

بقلت عبيها من الشاة نحو وجه الطيبة في صدمة. يا للهول!

- آهائنا عرسني.. أنت حامل بتوأم. مدة الحمل القريبة، سبعة أسابيع!

غادرت العيادة، وهي سكاك نغم نواربها. لفي تحبب سنة واحدة. أن تستمر عن سبل أمه للحلص من الحبر. لكن الضم الحماها وأخرمت لسانها توأم! إن قتل حين واحد كان حلاً يرحح حبه صميرها فسحقه، فكيف باتبر؟

عرت المسار الطاصل بين العبادات الحارحة وقسم التويم. فادنها حظوانها نحو عرفة باسم، لكنها لم تكرر هناك. حقت على الفور أنها سنكون إلى حوار طفلها.

لوحنت لها من وراء الحاجر الرحاحي لعرفة الحصابة. كانت بحمل عز الدبر برقي وتهدهده، بعد أن تناول وحنه الصاحبة. نرقت حتى انتهت من إشباع عريرة أمومتها وحاحتها إلى الحان، ثم حلستا معا في قاعة الانتظار. قال ريم وهي تخفي بوثرها:

- العاية بالأطفال أمر صعب!

نهدت باسمي ثم ابتسمت:

- لكنه تعب حلوا! كل ثانية أمضيها إلى حوارها لها طعم الشهد.. كأنها لحظات شرفت من الحنة!

حدقت فيها ريم في شك. إنها نبدو مبهكة ومسنرة القوى. مارال حرج القبرية يجعلها تنشي ألفا، لكنها تنسم ونشع فسمانها بشرا، كلما ورد ذكر وليدها على لسانها.

لكنها لا تشعر بالأمر دانه نحاه الكائن الذي بات يستوطن خوفها.

بل الكائنات الاثني! لا يمكنها أن تصمر عبر الحوف والسحط والعبط!  
لم يكن الوقت مناسباً لتصبح أمًا. لقد نشاحرت وشهاب لهذا السبب  
بالذات. وهي لا ترى انقلاب المواريس واردة أو ممكنًا. لم تتغير ظروفها  
قط. مازالت العقبات ذاتها قائمة، لذلك لا تستطيع أن تحت  
الجيشين اللذين شرعا بكونان في رحمها. سألت في حذر:

- هل أحسنه منذ اليوم الأول؟ حس عرفت أنك بحملته في بطنك؟

انسمت باسمي في شعبي:

- لقد كانت لحظة ساحرة.. لحظة أبقيت أثرا لتصبح عاتلة! أنا  
وهيتم، كنا سيعبدن مثل ذلك.. لكن طعم الحياة أحلى، بوجود  
حين نصفه مني والنصف الآخر من أبيه. شكل ما هذا الضعف هو  
ساج انصهار أحدهما في الآخر.

انسمت ربيم في حيرة. باسمين العفلاتية حين يتعلق الأمر بالزواج،  
تحوّلت إلى حاملة رومانية في ما يخص الأفعال!

سرحت لبرهه، تمثّل حانها في وجود طفل من شهاب. انفتاح البطن،  
والأم الولادة، ثم ترهل جسمها نتيجة الحمل والرصاعة والهالات  
السوداء من أثر الشهر، ورائحة الحفاط! أمانها إحساس بالذوار. إنها لا  
تستطيع الوصول إلى بقعة الضوء التي يعرض بها أن تظهر في بهابة النقي  
المظلم. إنها لا ترى سوى غيمة النقي!

تهتدت باسمين، فسألت ربيم في قلق:

- ما الأمر؟

- أحمل همّ الأيام المفضلة.. عذا يحب أن أترك عروفي في قسم الولادة.  
لكن أمام عزّ الذب أسموع بعد.. وهينم...

- أه!

لم يكن وضع هينم مستقرًا بعد. كلما سألت عنه، قبل لها أنه نائم!  
تلك النومة التي تستمرّ منذ يومين يوحي بنبيء آخر. لكنها لا نرعب في



بعثرة اطمئنان باسمين الهش. لا يريد أن تكون سنا في تعكير صفوها. إن كان قد استبقت أول أمس، فقد يستبقت في أي وقت آخر.. عليها الانتظار بعد .

كان مرمر رهور واقفاً في الضاحية الشمالية، والمشم في الضاحية الجنوبية. لا شك أن الرحلة اليومية لصداقة ولدها وروحها تستغرق منها ساعة أو يزيد. وهي لا يستطيع بعد أن تسفل بمعزدها، نخناح إلى الرقعة. إن في الأمر مشقة لا محالة.

- لماذا لا نعيش في شقة الشركة؟ إنها قريبة من هل
- الشركة؟
- هل لديك نسخة من مفاتيح هينم؟ سأهمم بتركيب المكنون من أحلك.
- خالتي رهور معها بالتأكيد.. هينم يحتفظ نسخة في مرمر والديه، حتى إذا أصاع مفاتيحه أو سببها.. كان لديه بدل.
- جميل.. سأنتصل بمسباء.

نعال ريس هانفها في تلك اللحظة، فاعندرت من باسمين لترد. كانت مساعدها. أصعبت إلى تقريرها الذي طلبته بخصوص أبة وعائلتها، ثم قالت على عجل:

- لدي عمل الآن.. سأراك لاحقاً.

...

افتحمت عرفة عمر وهي تلهث، مثل عاصفة هوجاء. هتفت دون مقدمات:

- لقد احنت!

حدق فيها في عدم فهم.

- أبة ووالدها.. اخمبا! لا أتر لهما في باريس، بل في فرنسا كلها. البيت حلو على عروشه.. ولا أحد من الجيران يعرف إلى أين مضيا. حتى أن

والدها ترك وظيفته بلا مجرر.

أصغى عمر في صمت، ولم يعقب. فأردعت ريم في شك:

- لا تنبو مصاحنا!

قال يهود:

- لماذا تنمش وراءهما؟

- لأنني لا أشعر بالارساح.. ما الذي جعلهما يجتمعا بعد الحادثة  
بمعا؟

- لكل أسانه!

ثم هلت لرهه ثم قالت حرم:

- هذا يشت علاقهما بالمصيبة  
عاجلها عمر بلهجة صارمة:

- لا أريد منك إقحامهما في الأمر! لا تأتي على ذكرهما أبدا.. هل سمعت؟  
لكنها ألقت في بحث:

- أنت لا تفهم. السبل كلها مسدودة. إن كان لإثارة الشك تجاههما نفع  
في القضية فلن أتردد في نوحيه اللوم إليهما! أي محال للشك في طرف  
ثالث بعد فرصة لا تفوت!

رفع في صبق، ثم تريث قبل أن يقول في حذر:

- ماذا لو كان هناك محال لإلقاء اللوم على طرف ثالث، دون أن يوجه  
اللائم إليهما؟

- ماذا نعي؟

- آية، في ريارتها الأخيرة، قبل رحيلها.. ذكرت بصعة أسماء. قالت أن  
يوسعي - إذا ما اضطرتت إلى الاعتراض - أن أنحي حرة من اللوم عن  
نفسه.

- أي أسماء؟

تَهْد، ثُمَّ قَالَ:

- عائلته أبة، ذات صلات عريقة بالمقاومة.. لكن والدها هاجر حين كانت في سن صغيرة. لقد أراد لها حياة طبيعية ومستقرة.. وهذا ما يأملي كل من يربطه الله بالذرية. برحو لهم حياة أفضل من التي عاشها.. لكنها سبأت على حث فستطو ويطلق ماريحها، ويطلع للعودة إليها.

أعلنت رسم في طمر:

- إذن هي النسب في كل ما حصل لم أكر محظنه!

- بل أنت محظنه بخاصة. لقد بما وعي بالمحنة التي طرقت عائلتها، وهذا صحيح. ولقد ساعدت في سوريا بوضع من حالها، وهذا أيضا صحيح. لكنني لا أنهم بهذا.. بل سبب نشاط الشركة المشروع الذي أنار حقيقته الضمنية، ثم سكر به عين أحدا بعد فكرت وحطط، ثم شارك هنم أفكارى.. وتعاوننا على الإبحار في معرل عن أبة وعائلتها. لم يكن لأي منهم معرفة مباشرة أو غير مباشرة بنشاط الشركة! لقد سافرت إلى غزة، وهناك أنشأت علاقات تحضي.. تواصلت بشكل مباشر مع مهندسي المقاومة، وهي لم تكن تعلم بما فعلت هناك ومن فالت وما أسفرت عنه الزيارة!

صمت لبرهة، ثم واصل أمام وجوم ربيم:

- لكنها -رغم ذلك- كانت نشعر بالمسؤولية نحاهي.. لأنها فكرت منك. أنني لم أكن لأتورط لولا معرفتي بها.. لكنها لا تدرك أنني كنت سأفنى بلا هدف، لولا ظهورها في حياتي! أنا لا أنعم على شيء مما فعلت.. ولا أحسب هنيئ يفعل، لولا أن مصاب عائلته به عظيم.

أخذ نفسا وكتم عبرة ثم استطرد:

- لقد جاءت أبة بمد يد المساعدة، وهي غير محيرة. لكنها لا يملك من أمرها شيئا. حسبت أن بلحفها أدى، وهي فتاة شابة، لا يلبق بها ارتباط المعتقلات ودحول التحقيقات، وهي تربته أساسا. لذلك طلب منها

الرجيل. لكنها انصبت بحالها، وطلب دعمه.. وهو لم يقصر. كلاهما قام بواجبه وأكثر.

نم رفع كفه كأنما يؤذي الفم وقال بلهجة ساحرة:

- لقد فعلت ما فعلت عن وعي وقاعة تأمين.. وأنا في كامل قواي  
الطائلة!

إن الضمب على الطرف حتى فرع من شرجه. سأب ريلم بعد دقيقتين  
استوعبت حلالهما مراده:

- هذه الأسماء، ما بمعها؟

- إذا اضطرب إلى الاعتراف. أهول أنه قد عجزت، ونسب القيت تلك  
الشخصيات، فعرضوا على العمل معهم وتركهم بعد ان الحسن.  
وهل سنعمل؟

انتسم في بهكم وهال:

- هل جاء أوان الاعتراف؟

ارددت لعانها في نوثر. لو أن هنم بعرف بأن عمر هو المسؤول  
الأول في المشروع، سنحصل على صفقة مع المدعي العام. خمس  
سواب بافدة. لكن عمر سنحتر في الراوية. حتى لو اعترف بلك القائمة  
الاسمبة، فلن يصر الأمر إلا عن نصف طفيف للحكم. عضرون عامًا،  
بدل المؤد رتما!

والآن نشعر أن الوقت بعد مهاء سائر حبات الرمل في ساعنها.  
والحلل ساقص باستمرار.

\*\*\*

سحت ريلم قدميها عن ممرات المشفى بلا حماس. كانت تقف  
الفرار أكثر من المواجهة. وقعت نزاح أفكارها عند مدخل قسم العناية  
دون أن نحرو على الولوح. هياك الكنير لنفكر به.. حتى لا نعود إلى سرها  
الصعب الذي نحبه عن الجميع حتى اللحظة.

كانت قد عادت إلى المستشفى بعد أن تأكدت من حاهريّة الشقّة لاستقبال ياسمين ووالدتها. أمضت ساعات طويلة في التّصعّ والثّرويق ضدّ الضّباح. تنفق وقتها في نشاط يشعلها عن الأزمات العصيّة التي لا نجد لها مصرفاً. لم تكن ياسمين في عرفتها حين وصولها، فمضت نفضي أثرها. توقفت عند عرفة العبادة، لكنها لم تدخل على العور.

على امتداد الطّريق من الشقّة، كانت تحادث نفسها بأنّها بحاجة إلى المضغصة. فكّرت بأنّها إن ألقت ياسمين بمفردها، فسيفضي إليها مكنوبات صدرها. تحلّت حلسهما على مقاعد الانتظار، سهامان مثل الأيّام الحوالي، مع اختلاف الإطار المكانيّ. لمحت طبيباً يعادر عرقه ههيم، فاستوقفت للتّسوّال.

- كيف أصبح حليم الأندلسي اليوم؟

هزّ الطّبيب رأسه بانسامة وقال:

- سيكون بحر.. لقد نام للنوّ. لا يريد إزعاجاً. عن إيدك الآن.

طالعت ساعتها في إرباك. تفصلها ساعتان عن انتهاء مهلة المدعي العام. استدارت على عفشها فوراً وهولت في أنحاه غرفة عمر. عانت في الدّاخل لدقّقين ثمّ خرجت مفروعة. تناولت هاتفاها وأنصّلت بحورج. قالت في افعال:

- أنصّل بمكتب التّباة وأفل عرصهم!

- ماذا نقول؟

بدا جورج مشوّشا وغير متّوعيه، فأصاف في استعالة:

- يجب أن نساوم على خمس سوات فقط، مثل العرض الذي جاء لهيتم. أقنعهم أنّ عمر سبدلي بمعلومات وافرة عن جهات الاتّصال بالمنظّمة الإرهابيّة!

هتف جورج في دهشة:

- هل أنت واهم؟ هل تعلمين أنّك نحاطرين بمصير موثّك؟

- لا تقلق.. إنها مخاطرة محسوبة.

زفر في توتر ثم قال:

- ماذا عن عمر؟ هل وافق على هذا؟

قالب على عجل:

- ليس بعد.. لكنه سيعمل.

أخافت أمام برّده:

- لم يسق الكنز من الوقت. سأشرح لك لاحقاً إذا انتهت المساومة.

انصلب على الفور

قال في استسلام:

- حسناً. ONE PIECE

أحدث رسم بعضاً عميقاً، ثم حطب إلى قسم العناية المركزة.

الطبيب العام في مستشفى جامعة القاهرة

الطبيب العام في مستشفى جامعة القاهرة

BOOKS



حين رجعت ميساء من رحلتها إلى «لعل»، حكّت تفاصيل ما رأت في الشقة المروكة ضد أسنوع، وأبطلها نرجف. كاتب قد سافر في وقت متغر رفقة والدها إلى شقة باسمين وهنم لإحصار ملاسهما، وحاحيات عزّ الذير، مع اقتراب معادرة باسمين للمشي.

لم يكن باب الشقة معكم الإغلاق. في البداية حسبت باسمين قد غلبت عن ذلك إنسان رحيلها المسجل.. لكنها أدركت ما حصل ما إن حطت إلى الداخل وأصاحت الأنوار. كان متاع الشقة ههنا في الأجزاء، وأنانها مقلتها رأيت على حالي بدا أن بدا عاتق قد مرت من هناك، وبركب المكار ركما لا يميز بعضه من بعض.

حذفت فاعره فاهها، وقد شلتها الصدمة. ثم أحدثت نجمع ما نصل إليه بدها من نهاب وهي تنحب بلا توقف. عتاب ما حسنته ضروريا من المناع في حقيقي سهر، ثم حذبت الدقة وعادرت لا تلوّي على شيء. أسرّت في تردّد إلى باسمين بما شهدته بأنم عبيها، فلعظت شحوبها المفاجئ. سارت بمحاديثها في صمت بأنحاء قسم الحصابة، وقد شعلتهما الأفكار والهواحي. كان عزّ الذير قد عدا في صحّة أوفر، لكنهم يحفظون به تحت الملاحظة ما دام لم يشرع وره في الزيادة.

وهما يعبران بأنحاء عرفه هينم. أبصرا ريمم تقف في شرود في العمر. بدت ساهمة وعائنه في بوتقة أفكارها هي الأخرى. يادريها ميساء على الفور:

- هل من جديد؟

روب ريمم ما بين حاحيها وهي مارالب تحاول استيعاب كلمات الطبيب الغريبة:

- ما يزال نائماً...

إنَّه بِسام صد يومين. الكلّ يتحدث عن عبوبة جديدة ممكنة، لكنّ الطَّبيب يبدو مطمئناً أكثر ممّا ينبغي. سألت دورها:

- هل حرّ الدُّب بحر؟

- إنَّه يتحرّس باستمرار.

أومات باسمي مطمئنة، فأردفت مساءً:

- لكن هناك شئنا آخر...

ثمَّ سردت على مسامعها تفاصيل ما رأيته في الشِّقَّة، أصبحت ربيم في اهتمام وقلوب متولِّدة. سمعنا نراعي الذَّهول مسطوِّرة على ملامح باسمي، وقد راعت عيائها مجنونة في الصراع. لقد طمَّنا سوا محاورها بفلف إراءها، فإدائها تقف على عظيم جهلها بحقيقة الأمر.

بينما تقف ثلاثهنَّ في الممرِّ، يبادلن بطرات الفلق والبوئر، استرعى أساه ربيم مشهد ممرّضة تركض في أتحاه عرفة العصابة وقد بدا عليها الارباك. ما إن انفجرت دقّنا الباب حتّى سمعت ربيم الرّنين الآتي الذي يصدره الآلات المتّصلة بهنّهم.

هرولن في دعر في أتحاه الغرفة. ندكرت ربيم كلمات الطَّبيب المريبة مدَّ حسن، بينما بلغ بداء الممرّضة للطَّيِّع لتدخّل عاجل. وقفت في برّدد، بفلق بصرها بين العرفة ووجه باسمي السَّاحب، وبين الممرِّ الذي احتفى منه الطَّبيب الذي تحدّثت إليه. ابتاهها هلع مفاخر ودون صافرات الإبدار في رأسها، فتركت صاحبيتها واطلقت تركض إثر الطَّبيب.

حسن صارت في الممرِّ الحالي، أدركت أنّها فقدت أثره، لكنّ حدسها أنبأها بوجهه. حثّت الحظي وهي تدعو أن تصل قبل فوات الأوان. لم تكن قد أشرفت على قسم الراحة بعد، حين لمحت الطَّبيب ذاته وهو يهرول متعجّلاً عن عرفة عمر. هتفت برجل الأمن عند الباب:

- اغبض عليه! ذلك الطَّبيب.. إنَّه مدّع!



حدها رجل الأمر في استعراب وفيل نصره بيها والمصطف الذي  
احتفى منه الطبيب في حيرة، ولم يرح موفعه. خلال نواب أدركت أن  
الرجل قد لاد بالقرار لا محالة. قالت بسرعة وهي تحرر بطاقتها:  
- أحتاج إلى رؤية المتهم في الحال.

حين ولحم إلى العرفة، لم تر عمر على التبرير. سقرت مكانها.. لم  
يكن عمر قد ترك سريرته قط حتى تلك اللحظة. تساءل في وجل.. أين  
يمكن أن يكون؟ هفت بالطرق على باب دوره المصمم لكن أنبا حافنا  
حفلها تحطو للمع بطره على الحاسب الآخر من التبرير. فوجئت بعمر  
ملقى على الأرض. إلى جواره حقه محطمة  
هفت ما إن رآها بصوت منحشر:

- هينم! ONE PIECE

- سأبادي الممرضة على الفور!

كتر في إلحاح:

- هينم.. إنه في خطرا

هز رأسها في أسي:

- أحتي أنه قد فات الأوان...



مصت ساعات النهار بطيئة ورنيصة. لم يكن يقطعها سوى زيارة  
الطافم الطي باره ودحول رسم العاصف طورا، ليرجع عمر بعد ذلك  
إلى صاحبة السكون ومعاشرة الطفل.

ترك كتابه ذلك العصر، وقزّر فتح التلفاز. لم يكن يهوى التقلب بين  
القصاصات العريسة عالتا، وقد بات الأمر أسوأ بعد أن عدت قصيته  
الشعل الساعل للمضات الحوارية والشرارات الإحارية.

كانت الشمس قد مالت إلى العروب، حين دخل عليه الطبيب. لم

يكن موعد الزيارة المسائية المعتادة قد حان. لكن الرجل كان ينسم وهو يسأله بأريحية:

- كيف أنت اليوم؟

- أفصل.. شكرا لك.

بدأ وجه الطبيب مألوفًا، عبر أن الاسم المدون على صدر منزله الأبيض كان مجهولاً لديه. الطاقم الطبي يتغير بصعوبات في اليوم، ومن الطبيعي ألا يحفظ الأسماء كلها.. لكن شيئاً ما حذرنا بشأن ذلك الطبيب. سأله باهتمام:

- دكتور، عفي يؤمني.. حين أحاول الالتفات إلى اليمن. هل لهذا علاقة بكسر الترقوة؟

- بالتأكيد.. أحاول تصقل بساخذك على التوم، وشعرك بحسن.

بدأ ذلك مفاجئاً لعمر. لم يكن ذلك هو الروبو كول الطبي المعتاد. لم يكن الطبيب بروره مفرداً قط، بل يكون برفقته ممرضة أو اثنين، وفرد آخر من الطاقم الطبي. كانوا يأتون في مجموعة في كل مرة. ولم يكن الطبيب يفعل أكثر من المحص وتنفذ الإصابات.. بينما بعهد بتعبير الضمادات وتعلق المحاليل وتجهز الحفص إلى الممرضات حصرياً.

تلك الزيارة في موعد عبر موقع طبيب مفرد ومجهول، وبحورنه حفة حاهرة.. كانت منيرة للشكوك!

كان الطبيب يهمل بتفريع مخنوق الحقة في المحلول المعلق عند رأسه والساري في عروقه، حين قاطعه عمر:

- أشعر بتحسن الآن.. لقد كان ألماً عابراً. لا داعي للمسكن.

لكن الطبيب ألح:

- لا بأس، المسكن لن يضر على أي حال.

- شكرا لك.. لكنني لا أحتاجه الآن. هلاً تركته لوفت لاحق؟

بدا على الطبيب الانزعاج، وتابع:  
- بما أنني هنا، سأضع لك العقار.

وضع عمر كفه على ذراعه ليوقه، فطرط الطبيب في عييه بحدة. في تلك اللحظة، تذكر عمر أبي رأى وجه الطبيب في السابق. كان على إحدى الصور التي عرضها المحقق!

أنشئت عيائه في دهول وفد أدرك مدى الخطر الذي يحق به، وبدأ أن الطبيب أبقر بدوره أن قاعه قد سقط. أراح ذراع عمر بعنف، ودفع بإبرته لتعبر في أسوب المحلول. بحركة قوية، أفلطح عمر الأنوب من ذراعه ليتخلص من تدفق السوائل إلى حسنة.

بادله الزحل مطرة شرسة، ثم استرع العوفة نسبي ثم نزع من محتوياتها، وهوى بها على أطاع عمر مباشرة. لكن عمر كان أسرع. أمسك بمعصم خصمه ونشابت الأيدي في الحمام ساحر، كان من الواضح أن العلة فيه لن تكون للمصاب الذي يلازم سريريه منذ أيام.

هوى عمر على الأرض، لكن سقطته دفعت الطبيب إلى الوراء، فأفلت الحفة التي نهشت على الملاط وسالت محتوياتها. حدق فيه في عبط، وقد أحوضت مهمته. مال على عمر يهّم بحفه بيديه العارنين، فركل عمر ساقه وهو ممدّد على الأرض بكل ما نفّس في حسده من قوة، ثم التفت الإبرة المفصلة عن حطام الحفة التي استعرت غير بعيد عنه، وعرسها في قدمه. نأوه الزحل وانفصت ملامحه. ألقى على عمر نظره متوقّدة، ثم اسحب من العوفة محفيا عرجه.

...

طالع ربهم ساعتها في ارتباك. تفصلها ساعتان عن انتهاء مهلة المدّعي العام. تناولت هانفها واتصلت بحورج. قالت في انفعال:  
- اتصل بمكتب النيابة واقبل عرضهم!

- ماذا تقولين؟

بدا جورج مشوشاً وغير مستوعب. فأصافت في استماته:

- يجب أن نساوم على خمس سنوات فقط، مثل العرض الذي جاء  
لهيتم. أفعهم أن عمر سيدلي بمعلومات وافرة عن جهات الاتصال  
بالمطمة الإهابية!

ثم جورج في دهشة:

- هل أنت وانقة؟ هل تعلمين أنك نحاصرين بمصر موتلك؟

- لا تفلقي.. إنها مخاطرة محسوبة.

زفر في نوثر ثم قال:

- ماذا عن عمر؟ هل وافق على هذا؟

قالت على عجل:

- ليس بعد.. لكنه سيفعل.

أصافت أمام نردده:

- لم يبق الكثير من الوقت. سأشرح لك لاحقاً. إذا أنهيت المساومة،

اتصل بي على الصورا

قال في استسلام:

- حسناً.

أخذت ربيم بنفساً عميقاً، ثم حطت إلى قسم العبابة المركرة. كانت  
تدرك سلفاً أي نوع من المشاهد سيقابلها. كانت باسمين منهارة، تحنصها  
ميساء وتنفاسان اللوعة. في الداحل، لم تتوقف محاولات إنعاش قلب  
هيتم الذي توقف سد دقائقي، بمفعول عمار مجهول سم جسمه  
وأوقف نصاته.

توقفت إلى حوار رجل الأمر الذي يتابع المشهد وينهباً للاتصال  
بمكتب الادعاء في حال تغيب المعطيات الحياتية للمتهم. قالت بهدوء  
وهي تمر حذاءه:

- إنها محرّدة بوية.. سنمّر على خير كما مرّت سابقاتها.

ابتسمت وهي تزيو إليه نبات، وأملت أن تحدعه ثقتها فلا يتحرّج في الاتصال قبل أن تُحسم الصفقة التي يساوم عليها جورج في الوقت ذاته. إنها في سباق مع الزمن.

تعالى ربي هانمها، فتراجعت خطونين وردّت على الاتصال من مكتب التّجارة العموميّة:

- أسنّاذة ربيم، هل نعرّبين أن ربيك قد اتّصل بالملق لإسرام صفقة لموكلّه؟

قالت بيرة ساحرة:

- حقاً، لا أصدّق كلمة من هذا.. أعرف أن جورج لن يعتريني  
- صدقي أو لا تصدقي.. لقد وافق عمر الرّشيدّي على حبانة صاحبه والاعتراف عليه.. وهذا يجعل موكلك في وضع لا يُحسد عليه!

قالت منظاهرة باللاصالة:

- أعرف ما تحاول فعله.. أنت نزرع الشكّ بيسا حقّ بفتح كلّ منّا موكلّه بالاعتراف.. ولصالح من هذا؟ لصالح الادّعاء بالتّكبد! وقرّ أساليبك الملنوية، هبّتم الأندلسي لن يعترى!

حاءها صوت المدّعي العامّ متبعاً بالحقن:

- هذا عواء عبر مسووف أسادة ربيم.. أنت نفونين فرصه ذهبيّه على موكلك! لقد اطلق المحقّق لأحد أقوال عمر الرّشيدّي منذ حين.. إذا سنّنت، يمكنك لقاءه في المشفى قبل أخذ شهادة الميّت، وتكون الصفقة من نصيبك...

قاطعته بلهجة حاسمة:

- يبدو أنّك لم تسمع جيّداً ما قلته. لا صفقة بالنّسبة إليّ. شكراً لاقتراحك!

صرخ في غيظ:

- إسد قولي وداعًا لموتك.. سبسك طويلا، طويلا حدًا حلف الفصان!

أبهت الأفعال وهي ترتحف. اقتربت من رجل الأمر الحي كبت  
المكالمة تحت سمعه ونصره، وقالت بلهجة منهكة:

- هل هو هكذا دائما؟ يحاول فرض رأيه على الجميع؟

ابتسم رجل الأمر لملاحظتها، ولم يعلق. فأصاحت بلهجة واثقة:

- هينم الأندلسي لو يعترف.

ثم سارت حتى عرفت الأسطار. وفهمت ترقب ظهور أحد أفراد الطائفة  
الطبي من الداخل، وهي تلقى في نوثر. إثر حصول شيء، لمهم، فلا يحب  
أن يصل الحر إلى المذبحي العظم الأ. عليها أن نخر أشجار الحر بشدر  
ما يمكنها.

حرجت ممرضة مريكة بعد حين، فاستوففتها ربيم. قالت على عجل:

- نخر بفعل ما نوسعنا...

- هل سبحو؟

هرت الممرضة كنعها في قلة حيلة. أومات ربيم في نفهم، ثم عادت  
إلى حيث تجلس باسمين. وفهمت بمرآك أصابعها في عصبية. نشعر بثقل  
الثواب التي نمر على كنعها. كل لحظة نمر نقرتها من التهابة المحتومة.  
وحدها تعلم أن أمر هينم فد حُسم.

ارفع ربيم هانها من حديد. ردت في لهفة:

- حورح، ما الحديد؟

- سأصل خلال دقائق.. المحقق في الطريق. أنت واثقة من اعتراف عمر؟

- سأحرص على ذلك.

تركت موقفها عند قسم العيادة المركرة وعادت إلى عرفة عمر. بادرها  
فور دخولها:

- هينم ؟

قالت بلهجة حاسمة:

- لقد نجح في حقه.. انتهى أمره!

- هل.. مات؟

كانت تعلم أن أي أمل في حياة هينم سيحبل عمر بتعاضد عن الاعتراف. لم يمتلك الشجاعة للمضي في الضيقة إذا ساوره أي شك في ظلم صاحبه.

هزّت رأسها بحركة بطيئة موحية. لقد مات أخفى وجهه بين كتفيه، وأجهش بالبكاء. لم يره سكي فقط. لقد كان معانينا إلى درجة مدهشة، طيلة فترة محاكمته الأولى. لم ينتظه الأكم ولا عصر الليل. لكنه اليوم بمكي صاحبه، فتوهم الضرائف على وجهه دون مواربه.

طالعت ساعتها في صبح. الوقت يهد. سيكون المحقق عنده خلال دقائق قليلة. قالت في رجاء:

- بحب أن تعترف! المكان الوحيد الأمر لك في الوقت الحالي هو حلف القضاة!

كان بحب أن تدرك ذلك في وقت أنكر. الموصاد لا يترك مهمة غير منتهية! كيف للاعبال أن يفشل بتلك الساطة؟ سيطلون حلمه، حتى ينتهي أمره. في تلك اللحظة، نخر من رأسها حلم الرأفة الحيالي والمرحوق. لم يعد مغرورا أبدا. الرأفة تساوي والإعدام. كان بحب أن يفنى في السحر، حتى تهدأ الأوضاع وتصبح القصة طري السبان. أصافت في اندفاع:

- لقد تحدثت إلى ياسمين. لا بأس بوضع اليوم على هينم...

نظر إليها في صدمة:

- تحدثت إليها.. في مثل هذا الطرف العصب؟

اردردت لعابها في نوثر، نداري كدنتها. سينفهم الأمر لاحقا حين يدرك

دوافعها. باسمين أبصا ستفهم. قالت بحرم:

- الحي أولى من الميت!

الحَيّ والمَيّت! من الحي ومن الميت؟ كل ما يعرفه هو أن هيم حي..  
إبه أكثر حياة من أي وقت مضى، شهيد عند دونه.. (بل أجباء عند ربهم  
ولكن لا تشعرون!) عامت عباه بدموع حمره ولوعة، واكتست فسمائه  
عرقاً وشوقاً. عرقاً لعراق صاحبه.. وشوقاً لسهلة حارها دونه. أردفت  
تستحله:

- المحقق بصل حلال غير دفائق. عليك أن تعترف وتوقع. قل أن  
يستنري حر وهاء هيم. عبها بصح الاعتراف بلا فيحة! هل هيمني؟  
حين بصل المحقق إلى هاء وتوقع الصفة، يحسك أن تعلق الحداد على  
صدبك.. أمع الآن عليك أن تمالك نفسك!

لم يرد عمر. بدا مفصلاً في عالمه، بطرانه عائنة وقد اختفت الدماء  
من وجهه. استدارت ريم لتعادر العرفة في صمت. ستضحه بصع دفائق  
ليستوعب الوضع. قالت قل أن تعلق الباب خلفها:

- لا ندع نصحية هيم تذهب هاء.. بكفي أن بدوع أحدكما النص.  
وفقت في الممر، تدرع المسافة جينة ودهانا، حتى أنصرت جورج  
مقبلاً.

- هل أفقعه؟

- أمل ذلك.

التفت الاثنان حين رُب حصوات المحقق حلمهما. تبادلتا نظرة قلقة،  
ثم تقلم جورج لبسفه نحو عرفة عمر.

- هل المتهم حاهر للاعتراف؟

- نعم سيدي المحقق.

ثم غاب الاثنان وراء الباب المغلق.

\*\*\*



- ساعة الوفاة.. السادسة مساءً واثنان وعشرون دقيقة.

أعليها الطبيب وهو يسحب قناع السّمس عن وجه هيثم ، ويظمن أحهرة الإيعاش واحدًا إثر الآخر. لقد انتهى صراعه مع الموت بهزيمة ساحقة. داك كان قدره.

هرولت ريم في الممرات، وقفت على صعدة، تطالع الوحوش الكالحة في دُعر. لقد انتهى الأمر. على المقعد فالة العروة، انهارت باسمي في استسلام. بين أحضان مساء.. نكي إحداهما روحها والأخرى شقيقتها. شعرت بعضة في حلمها. تامل أن يكون عمر قد أضفى إلى صوت العقل واعترف. حب يجرح المحقق من العروة، يعرف بوقته هيثم. ما لم يكن عمر قد وُقع النصفه بالذاحل، سيكون كل شيء قد ضاع.

خلال دقائقٍ وهي تتنفس وعاطفة وعد الحبيب، واندلعت ماحة جماعته في قاعة الاسطار. لم تمالك ريم نفسها، فركت العنان لعرائنها هي الأخرى واصفقت إلى جموع الناحبين. كان الثقل الذي يبرح نحته صدرها قد فاص بها. لقد فعلت ما توسعها لتحافظ على رباطة جأشها، وحرصت على بقاء صفاء دهبها حتى نحر من الأرملة بأحف الأضرار.

لكنّ كأسها قد فاصت الآن. أحدث تشح في استسلام، من أجل هيثم وباسمي وعزّ الدبر، ومن أجل المحاوف التي كتبتها داخلها.. فقدان شهاب، والنوام الذي يسكن أحشاءها.. ومن أجل عمر الذي لا نعلم يقينًا إن كان سيبترك مجهوداتها نذهب هباءً بعاده المعهود!

كانت طاقتها قد نفذت، كان إعلان وفاة هيثم بسدل الستار على فصل المعاناة الذي عاشته خلال الأسبوع الماضي. والآن سيكون عليها معاناة الحسائر.

تركت قاعة الاسطار التي تعرفها الذمّوع وعادت أدراجها إلى قسم الحراقة. وقعت في نوثر تطالع الباب المعلق. إنها تتمنى أن تكون بالذاحل الآن، نسمع إلى ما يقال. لكنها لا تملك إلّا أن تدعو.

أقربت من رجل الأمر الذي لم يبرح موقعه وسألت في اهتمام:

- هل ما زال المحقق هنا؟

هو رأسه بعلامه الزيجال، فنهضت في الصباح. اصداؤا الجلسه يدعو إلى اللقاؤال. لم إلى ضم رفقير الاعتراف، فكان قد غادر على الفور. استدالت على تفهها وسار في الطاء مكعب ملحق مستقر.

استقبلها الرجل بأحسان وأهماء لقد كنت تعرفها أول، بعد أن أحضرت صها على رجل حراجه عمر في سنة واحدة.

- هذه القصة التي حسنة للعبه لسا لمارك زالك.

هو الممر بأسة في سنة فوجعل.

- هل يمكن تأخير الرحلة الأسرى لوفاء حكم الأم لتي حتى صباح الغد؟

- عفوا؟ ما السبب؟

- لقد كانت هناك محاولة اغتيال ثانية سحجة هذه المرة داخل المستشفى! لقد تسلل شخص ما، مع لاصقة طبيب، وحفر المرمى سني، ما فيل أن تعلم سبب الوفاة، أرجو منكم التعاون معنا في هذا الضد...

حان فيها في الزناك.

- ما المطلوب مني؟

- صور كاميرات المراقبات في المصالح المؤدية إلى قسم عدسة المرمى وقسم الجراحة.. بالإسافة إلى المدخل الرئيس للمصا لا شك أنها ستظهر مرتكب العملية.

- بالتأكيد... لديك إذن للاطلاع عليها.

صاحبه زيم في امسا، ثم غارت وجوبها إلى محبوم من المتبر.

حال يومها بعد عشر دقائق، لسه.. جورج رفقة المحقق، يقفان في

الممرّ. تصافحا بحرارة ورصاء، ثمّ انعد المحقّق مستعجلاً. هزعت ريم  
إلى جورج، فابتسم مطمئناً إياها:

- سار كلّ شيء على ما يرام.

- هل اعترف؟

- لقد فعل.

إقربت في ارتباك واسترحت فسماعها. على الأقلّ، لم يصع كلّ شيء.. قبل  
أن يسألها جورج، همست سرّة حربية:

- مات هبثم.

- يا إلهي! لهذا كنت مستعجلة.. لو أنّا تأخّرنا لفائق لحظة..

استند جورج إلى الجدار، وقد اتّسعت عيانه في دهشة وعدم تصديق.  
لقد كان ذلك وشيكاً. لكنّ ريم خطبت سرعة الديهة الكافية لقلب  
المواريس قبل اللحظة الحاسمة.

همست ريم ثانية في لوثر:

- هل تعتقد أنّ المدّعي العامّ قد بنجاح عن العرص.. حين يصله  
حبر هبثم؟

- بمكس الطّع أمام المحكمة.. لقد وقع المتّهم على الضّعة واعترف.  
أني محاولة للالتفاف على الاتّفاق ستوقّع مكتب التّباة العمومية في مآرق  
أحلافي.

زفرت بحرارة. لم تكن نستطيع أن ننسلم للاطمئنان بعد. ليس قبل  
التّطوق بالحكم النهائي. لكنّها قطعنا شوطاً لا بأس به حتّى الآن. أضاف  
جورج:

- لقد اتّفقنا على نقله صباح العد إلى السّجن المدي.

- سيكون ذلك أفضل.

قالت وهي تصع إدن الاطلاع على صور المرافقة بالمسي بين يدي

حورج:

- ستحتاج هذا.

ثم أضافت وهي تشير إلى نهاية الممر:

- على الانصراف الآن.

رحل هينم.

كانت تدفع عن قلبها إحساناً مريفاً، مؤلفاً وملحاً بانها قد فقدته منذ يومين.

تلك الجلسة العاتية عبر الأمولة التي جمع بين ثلاثتهم، بدت مثل لحظات وداع، لكنها لم تتوقف ذلك على الفور. احتاحت ليلتين من الترقب، ودقاً عريزاً من دمع العبي، لتدرك أنه استيقظ ليلقي نظرة على ولده، ويرودها بدفاني قلبه من صحنه، قبل أن يعود إلى عبابب الظلمات التي ابتلعته.

تستلقي على محفة الطوارئ التي حيء بها من أهلها، بعد أن انخفض صخطها وفقدت وعيها. نهمس فاطمة في أذنها من بين شبيجها وشهقاتها: - إنها الشهادة يا صغبرتي.. الشهادة. لقد نال ما يُدفع العمر في سبيله وما يبدل الزحال فيه العالي والخبس. لقد أبدله الله داراً حير من داره، مع السبين والصديقين والصالحين. لا تحربي عليه، فقد عدا إلى نعيم... كانت تُصعي إلى صونها النافي البدني، بصف وعي، وقد استولى الضباب على عقلها ووهن جسدها. استكانت على السرير، لا تحرك ساكناً، إلا من عبرات استمرت في الهطول بلا إرادة منها. ثم غفت. وفي غفوتها، رآته.

كان وجهه أبيض مضيقاً، وفي عيبيه إشرافه بانضة بالحياة. كانت ما تزال ممددة بلا حراك على سريرها، فافترب منها هينم حتى جثا على ركبتيه بالقرب منها. شعرت بلمس راحته وهو ينحسح حبيها، ثم

يهيمن مواسيًا:

- كوني قوية.. من أجل عزّ الدين.

يتنامى الألم المرح في صدرها، فيشقّه. تتصاعد الآهة فادمة من أعماقها، حتى إذا لفظتها شفاتها، حرحت طويلة وخافنة مثل الجبن المحتضر.

- لست قوية.. لقد كنت قوية بك، فمن أين تأتي القوة الآن؟

رنت إلى عيبه في صعب، فنتها في بطنه ثقة وشحاعة:

- من الأمومة. أنت أم.. إذن أنت قوية!

فتحت عيها فجأة، فتصدت الرؤيا وبلّنت جفنها من بين عيها. تلتفت حولها في شبه هديان، ثم همست في صمت:

- عزّ الدين.. أين عزّ الدين؟

- في الحضنة يا حبيبي.. هل يذهب إليه؟

أومأت في إصرار، فراققتها فاطمة إلى عرفته. وقفت نزاعها حلف الفادة الرجابية، كما فعلت دائمًا. رأتها تجلس على العقد الوثير المهيأ للأمهات، ثم تلتف وليدها الذي أحمرته الممرضة من الحاصص الحاض به. الصفته بصدرها وألفته نديها، للمرة الأولى. تالعتها في دهشة. ما

الذي تحاول فعله؟

شدت ياسمين على كف رصيعها في عموان، واحتصنه بقوة، وهي تهمس في أسي:

- لقد بنا وحدي الآن.. أنا وأنت. ستكون أقوىاء. يجب أن يفعل.

نساقت عرائها لتلّ وجه الطفل، وتساب على وحنه، كأنها عبراته.. بينما يلتصق وجهه بصدرها، وتتحرك عريرة الامتصاص داخله، فباحد فحاة في استدرار اللس. حذفت المعرصة مأخودة وهتفت:

- هذا مذل.. لقد عدا قادرًا على الرصاعة نفسه! هذا مدهش!

استمعت باسمي، ثم اتلعت اللهبان فرحتها، تمتعت والأم يسحق صدرها، فبرذاض ضحطها على حبل الطول كأنما أروم أن تعيده إلى أحضانها:

- لقد أحببت زينة، ولم أحل أبوك. هكذا يولد الأبطال.

...

حذقت اسمي في عذبة التصوير بدمرات راحة، هبت بعد صعوبة في إنقاذ ذهبا سقيما والمحاطة على تركيزها عذبة بيت المراتر - فاسل قصير وجوذا

أعلنت ما تلبه دوسي، بخصامها الضعيف، وحضرت ماسعها، حتى أعطى المخرج إشارة انقطاع البث، رفرت وشي، يستمر ال اسم في فوق.

- ليدس مشوشة أهوم، هل كل شيء على ما يرام؟

- أه، كان أسوأ مرهقا في المكتب، هذا كل ما في الأمر.

- بالتأكيد... متحمسين من ذلك في وقت لاحق.

استمعت اسمي في حرج ولم تعلق، كان من المأمون أن تضطر إلى ترك باسمي وعاشة هتم في المستشفى وسارع إلى المحطة المتفرقة من أجل حلفه «الحقيقة الكاملة»، ودان لو امتلكت راحته الاعتذار والانسحاب، بل لعلها لم تمتلك الشجاعة.

نسبت الشجاعة في مواجهه ما تلبه، بل في النقاء إلى حوار باسمي.

استساق الأسم التي تحقق به الأضواء من حولها، اتلعت العزل على معدة حاوية، واحترار الوجع والدموع، لم تكن فادحة على ممارسة طقوس المواساة، لم تعرف قط كيف تكون سندا، إنها لا تحصل كم البؤس الذي يستحله موت المقرين، لذلك اتصلت برباها وسكينة تقوموا بواجب العزاء، وقررت منحضته بالترامانها المهتة!

- عدنا أحرار في المشاهدين، مرحبا بكم مرة أخرى.

انتهت من شرودها على صوت مايلد بصدق من حديد معلناً استئناف الحلقة.

- تابعها جميعاً خلال هذا الأسوع، بالغ الدهشة والأسف، حيثيات حادثة إطلاق النار على مدينتين بالصاحبة الحموية.. ورأيا كيف انقلبت الضحيتان إلى موقع الأنهام! لو تذكرن، برنامج «الحففة الكاملة» كانت له الأسقية في لقاء الدكتور عمر الزنبيدي مد سنين، بعد إخلاء سبيله.. إثر قضية التمهير في محضر الكيمياتيات..

نقلت الشائنة صوراً من الحوار السابق الذي جمع عمر وزعيم نفوية البرنامج.

- يبدو أن الدكتور عمر لا يخرج من ماروق إلا ليحفظ في غيره! من حسن الحظ، معاً الأستاذة هاجر هاجر، التي نعتت مطلقه أكثر من غيرها على ملاسات الفصبة.. أسادة ريم، هل يمكنك مشاركتنا معلومات حصريّة عن المستحذات؟

كانت ريم ترفها في صدمة، ولم بد عليها استيعاب أن الحديث موجّه إليها.

- أسادة ريم!

- عموا؟

قالت مايلد متصاحكة:

- يبدو أن طلبي صافٍ لصدا السريّة المهنية بين المحامي وموكله.. أعذر منك على الإحراج أسادة ريم، لكننا نطمح في تلميحاته حصريّة للبرنامج، إن أمكن!

مرة أخرى، لم تتحارب ريم بشكل سريع. سكنت طويلاً، كأنما فقدت سرعة البديهة التي تميّزها، ثم قالت أخيراً بصوت محتق:

- لقد كان.. أسبوعاً طويلاً.. بالمفاجآت!

شخعتها مايلد بظرة وهرة رأس. التفتت ريم إلى الكاميرا، ازدردت

ريقها، ثمّ داهمها حاطر مفاجئ. كان بوسعها تحويل المأزق إلى فرصة.  
قالت مستعيدة ثباتها الانفعالي:

- في الحقيقة، كانت هناك محاولتا اغتيال.. لا محاولة واحدة!

- يا الهي! هذا سبق صحفي حقيقى!

- المحاولة الثابتة، كانت مساء اليوم...

- معقول؟!

- أثناء احتجارهما على دمة العدالة، تعرّص المقيمون إلى الاعتداء من  
قبل نفس المجموعة الأجنبيّة.. ولذلك فتردّ عمر التتبيدي الاعتراف  
وقبول عرص المذمعي العام، خوفاً على حياته!

ONE PIECE

BOOKS



هرولت الأقدام في الممرّ منعّلة لاهنة. وصل حورح وبرفنه سبّدة في منتصف الأربعينات، نسج حفية سفرها وتلّث حلمه. قال حين أصبحا عند قسم الحراحة:

- لقد وصلنا.. لم تأن عربة الترحيل بعد.

تفّست عائشة بصعوبة. لم يكن هذا ما حصّيت له. لهد كان في البرنامج حولة سباحة بين معاليم العاصمة العريسة، كمرّ رفاة خلال أسبوع واحد. لكنّ اتصال المحامي كان عبر موقف عال نافصاف:  
- عمر يمز بظرف ملوئ، طلبت متى أن أبلغك بالعاء الرحلة. لن يكون بوسعه استقبالكم الآن. شكرا لنهكمكم.

كانت في معزل عن الأساء العريسة، نأى نفسها عن القبل والقال ولا تتابع من بشرات الأحبار إلّا الحرّ اليسير مقا بسليها، ولا تهتمّ بالعبارات الرئانة التي تفوق إدراكها. لم تتوقّع قط أن نحد فيها ما بعنيها. لكنّها ألحّت حتّى بحرّها الحقيقة، قلها أحرها أن حطنا ما قد وقع. أعلنت أنها لن تلعي الرحلة مهما حصل.. «حتّى لو كانت ستعود بحنة أحيها»، فهي ستأني لا محالة! أثرت به لوعتها وبكاؤها الشديد. كانت تعلم، بحدسها أن مصيبة ما قد حلّت بعمر.. مرّة أخرى. أرادت أن تكون إلى جواره هذه المرّة.

ألعت تذاكر طفليها، وسافرت بمفردها. والآن، تقف عند العرفة، تستظهر وثائق هويّتها إلى رحل الأمن، بكفّ مرتحف، ثمّ تلج إلى الداحل. حدّق عمر بها عبر مصدّق. كانت الممرّصة نساغده على الانتقال إلى الكرسي المنحرك، استعدادًا لمعادرتنه المستشفى. صرحت عائشة في ارتبااع:

- هل قدماك بحير؟ ألا نستطيع المشي؟

احتواها عمر بين ذراعيه في حان، فاستمرت تنحب في حصنه. أحد برئت على طهرها مهوياً نمر أعدها عنه قلبلاً ليقول:

- يمكنكني الوقوف.. انطري!

استند إلى حاسي المقعد لبسيفيم وافقاً، نمر خطا سطء حول العرفة، ليهبها برهاناً لا محال لدحصه على سلامة أطرافه.. نمر عاد ليلقي بنفسه على المقعد في إعباء. قال معالماً ألمه:

- أنا بخير.. أرايت؟

نصمت في حيرة:

- أي حير أنت فيه يا أخي! لا نحوج من مصبة إلا نفعي في أخرى!

تهدد في حرارة. لا يمكنه أن يكرر أي شيء، وقد اعترف بالأمس أمام المحقق. لقد بات كل شيء محسوماً الآن. خمس سنوات نافذة، سيضطرّ خلالها إلى العياب. قال معندراً:

- لم أשא أن أشعلك بأمرى.. هذه حياتي، وقد تعودت على رلارلها وأعاصيرها.. وقد كان يهون عليّ الأمر ألا أحلف وراي وحوها دامعة. لم أرد أن نريسي بهذا الشكل...

فالت في حرد:

- كم الحكم هذه المرة؟

- خمس سنوات.

رفرت بقوة، ثم قالت بلهجة صارمة تداخلها الذموع:

- ستعود بعدها إلى المغرب، هل سمعت؟ وستنقى إلى جوارى حتى أحر أياكمي.. لا غربة بعد الآن!

جاراها ليطمئن فؤادها المكلوم. لقد كانت أما له على الدوام، لا أحناً وحسب:

- لا غربة بعد الآن...

في تلك اللحظة، تعالت طرقات على باب العرفة. أطلَّ جورج ليعلم بصوت حزين:

- لقد حان الوقت!

على الفور، دخل رجلا شرطة. ثوّل أحدهما نفييد معصمي عمر، ثم دفع الثاني كرسيه المتحرك عبر ممرات المستشفى. همت عائشة وهي تلهث خلفه:

- سوف أني لربابتك!

فاستدار لللقي عليها نظرة أسفة، محاملاً تحديق الناس في موكبه غير الاعتيادي. حانت منه الفاقة حين لمح لأكمة نمت إلى قسم العناية المركزة. نمتي لم تكن بوضعه إلقاء نظرة أحيرة على هيثم، تودعيه، وتقديم العزاء لأهله، والاعتماد عليهم. نمتي أن يحذرنهم عن هيثم الذي يعرفه ويحلوله. عن إخلاصه وقوة عريضة.. عن حبه للحبر، ومادراته في الحق.. عن ثباته وشجاعته، عن كفاءته للأبنام ودعمه للطلاب المعتربين...

نمتي أن يعرف الكل ما كان عليه من بطولة وشهامة.. لكن الموكب تقدم بثبات حتى عربة الترحيل الرئيسية عند مدخل المستشفى.

...

يرحل الرّاحلون، والحياة تستمر.

هكذا هي الدنيا.

بعد العزاء، انتقلت باسمين وفاطمة إلى شقة الشركة. إن كان هيثم قد تركها، فلديها عزّ الدبر، وهو بحاجتها. بل لعلها بحاجته أكثر ممّا هو بحاجتها.

إن وجوده في حبانها يبقها صامدة، ويحفظ عقلها من الجيوس، وفؤادها من الانشطار. لولا تلك الساعات التي تمضيها برفقته، تهدده وترصعه،

ترقى أنباه في مسمع منه، لأذهب الحزن لنها، كانت في غاية الامتنان، لأن الله رفعها طفلاً منذ وحشها ويحفظ ذكرى زوجها في وجدانها، قطعة منها وصه - ربيع من كيان نكت لهما الافتراق، لكن أثر اجتماعهما باقي في ذلك العال الثاني.

جاءت الفصل لربالنها، في الغصاء، وقد فعلت في يوم لها نكت تحلى سهر في صكون، لتسمع الى سواد النور ولها رأسها في استسلام وثباته من الألف، طسهر وعلق على الحبل السوم، صررها، فلا تسكه لا في حلوها ربحا.

عبر أنها استقلت صور ميار في فرحة خفيفة، لقد لانا أكثر ما يحزكها عاطفة الرقصة، وقد نكت في شربها الحماض من أجل سعادة سكية نظمتها، اجتمعوا بغوة، لما تحصن من الدنس بك الأثام، حتى لكاه بمترح صلوعهما، ثم ربت الى سكية في دمم - هبنا لكما اجتماع شملكما آخر؟.

وفي تلك الأمسية، أتحت بها رسم حائنا وهمسست في القطار، - كان ليحيا أن أحرك بهذا صد أثار، لكن الوضع لم يكن مناسباً، والوقت ضيق - فاضطربت الى الصبح من اللقاء، نفسي حذف فيها باسمين في تساؤل، فترحت رسم في حبل فعلها، ثم أكملت سيرة أسفه:

• لم يكن عمر ليقل بالاعتراف، لولا موافقتك.

انصمت باسمي وفالت موهنة.

• لقد أحسست الضرر، كان ذلك ما يجب فعله.

ثم اغرورقت عينها وهي تضيف:

• هيثم لم يكن ليرفض.

ما تزال تتحدث عنه كأنه شخص غائب بشكل مؤقت، أو حاصر رعم توارى جسده، لم تكن تشم إليه بالرائحة أو الفقيد أو المرحوم أو حتى

الشَّهيد. لقد كان حبًا، في فؤادها. نسمنزُ نردّد في صبحها ومسانها: هذا  
يعجب هينم، وذاك لم يكن ليرضيه.. سيفرح بكدا، أو يعجب بكذا، لو  
أنّه يراه.

إن كانت ربيم قد شكّت يومًا في حبّ باسمين لروحها، واصطرارها إلى  
ارتباط بحكمه العقل وليس للعاطفة منه نصيب، فإنّ تلك الشكوك  
كلّها قد نخرت مدّ أمد.. وقد اردات بقبًا بعد الفاحصة. لعلّها نصّت  
في سرّها ألا تكون باسمين قد تعلّف به إلى تلك الدرجة، حتّى يكون  
رجله أحفّ وفغًا عليها! لكنّ المشاعر لم تكن فقط طوع بكار صاحبها -  
فصلا عن أصحابه - تشكّل لتوافق متطلّبات المرحلة، فبارة نكو وأخرى  
نعت.

وفي تلك الأمسية أبصرت استجمعت ربيم شخاها لتف أمام جمعهنّ،  
لتنصح فيحلّو صونها، ثمّ نعلن أحيرًا في شكل مسرحي:  
- أنا حامل.. في نوأم!

نعالبت الهتافات الحماسيّة غير مصدّقة، ثمّ التهاى والأماي. لم تكن  
ربيم قد نقلت الوضع بعد، لكنّ الإعلان كان حزةً من طفوس القبول.  
هل تحرّكت عريرة الأمومة داخلها وهي ترفب باسمين نهتمّ بعزّ الذّبن  
وتشرق فسمانها ما إن تقع عليه بظرانها أو تُلقي على ذكره؟ أم أنّ عودة  
مبار إلى سكية وما أضفنه من حيونة على أحواء الشّقة جعلها تتوق إلى  
حياة العائلة التي لم نعرفها قطّ تركت جانبًا نحرناها الضّخبة مع  
عائلة مفكّكة الأواصر، ليربو في أمل إلى حياة عاتلّبة دافئة ممكنة. لكنّها  
لم نحر شهاب بعد، ولم تكن نسوي إحارو في القريب. همست لوانيا  
محدّرة:

- احتفظي بالحر لسفك. لا أريد أن يعرف شهاب الآن.

حدّقت فيها رانيا في دهشة وسالت:

- لعاذا؟

أخذت ربيم نفسها عميقاً ثم قالت:

- لا أريد أن يستغل فرصة الحمل كورقة ضغط. لم يتغير شيء بشأن خططي المستقلة. لن أرحع إلى مصر.. هذا أمر مفروغ منه.  
تعاليت طرفان محتشمة على باب الشقة، فوثقت ربيم على الفور،  
قالت في حماس:

- لا شك أنها عائشة.. لقد دعوتها لمصارتنا.

فتحت الباب ورقت بشيقة عمر في حياوة، ثم قدسها للحاصرات.  
دخلت عائشة في وحل، ووصعت طبق «سلطانية» بالدجاج والمواكه  
الجافة مربي التحصير على العائدة، ثم جلست بينهما. كانت قد  
استفرت في شقة عمر الواقعة في الطابق الأسفل بعد أن تحكى جورج من  
الحصول على نسخة من مفاصل عمر من أهلها.

لقبها ربيم ذلك اليوم في المستشفى، حين أحضرها جورج من المطار  
لنوديع عمر قبل رحله في البرابة. كانت تحز حفيتها ويدو عليها التوهان  
والثقت. أن تصل إلى بلاد عربية لا تكاد تعرف فيها أحداً، لتحذ نفسها  
بعد لحظات وجدة وبلا سند، لم بكر بالشيء الهين. تطوعت ربيم  
لمرافقها إلى الشقة، ثم طمأنتها إلى إقامة باسمين في الشقة فوقها. قالت  
نبرة أسي:

- كلما شركاء في المصاب.. لذلك، يجب أن بدعم بعضنا بعضا.

لم تفهم عائشة لماذا صمت ربيم نفسها إلى جمع المصابين،  
لكنها تقلت نصامها بامتنان. وهي تحلس بينهما في تلك الأمسية،  
عرفت بحدسها أنهن «عائلة واحدة» رغم اختلاف الأصول والانتماءات  
الجغرافية.

كانت قد رازت باسمين مرة واحدة، مد يومين، لتقدم عزاءها. لم  
يستمر اللقاء سوى دقائق معدودة، اعتذرت بعدها على نطقها ومصت.  
ذهبت بعدها لزيارة عمر في سجنه، كما تفعل بشكل يومي، في حين

عادرت باسمين إلى الشمس، حيث تمضي سحابة يومها برفقة رضيعها الذي تزداد بنيته قوّة يومًا بعد يوم.

همست رنيم قبيل نهاية السهرة:

- عدا ستكون الجلسة.. لعلها تكون الفرصة الأخيرة لرؤيته وجهاً إلى وجه.

أومات عائشة موافقة. عدا سيكون النطق الرسمى بالحكم. بعد ذلك، يبدأ العدّ الشاربي لعودتها إلى الدّبار. لقد حلّفت زوجها وولدين، لم يكن يوسعها إطالة العياب عنهم. كان يؤذيها أن تسهر رجليها عن ربي شقيقتها الأصغر إلى بيت الزوجية. لكن سفرتها الأول إلى أوروبا كانت لتشهد سقوطه الصدوي والمكثّر بشكل مفاجئ.

... ONE PIECE

تراحم الحلق داخل قاعة المحكمة وخارجها، صحفيون ومصوّرون بالأساس، بالإصافة إلى الفصوليين والمتعاطفين. دخل عمر يمضي على قدميه. بدا أن إصاباته قد تماثلت للشفاء خلال الأسبوع المصّرم. أم لعلها ظروف الحبس، نحر الحسد على التأقلم، فمحتوشن ونرداد صلابته.

وقعت عائشة، ولوّحت له في شوقي ولهفة، فانسجم قبل أن يتحد مجلسه عند منقطة الدفاع. لم يكن جورج قد وصل بعد. لقد طمأنه بالأمس. الجلسة لن تكون إلا إحراجاً شكلتاً. سيسقط المدّعي العام التّهم ساءة على الاعترافات المدوّنة، فتعلن المحكمة الصّفة مُلزمة، وينتهي الأمر.

في الخارج، وقف جورج بترقب قدوم المدّعي العام. كان يشعر بمراوغته، وقد تسلّح بحطة «ب» رسمت ربيع نفاصلها براعة. لمح الرّجل بفترت محفوفاً برحال الإعلام والمصوّرين. تصافحوا أمام العدسات، ثم قال جورج بصوت خافت:

- اتفاننا سار، أليس كذلك؟

ضحك المدعي العام وهو يقول بكرة ساحرة:

- هل نطق ساءلك المتحلفة أن التصريح بالصفقة في الصباح  
حاضها صلاوي بنزاعي ما الذي يجعلني أتعاون مع عمر الزبيدي الآن  
وقد فقدت عنهم التماسي

- أخلاقيات المهنة، احترام المبادئ والعهود،

تعال فقهات الرجل من حديد، ثم قال:

- هل هذا كل ما لديك؟

- بالتأكيد لا...



انقسم جورج، ثم لوح بملف مكسر في قبضة

- هذه دعوى قضائية بحرم رفعها على الفور إذا لم تتم الصفقة في  
الداخل حسب الاتفاق، شهادات حول تعاون مؤسسة النيابة العمومية  
مع ماجوريس أحاب، لتسريح أعمال موكلتي وصاحبه، مرة أخرى  
- ماذا تعني؟

- الحراسة الكربونية عند معرف الضمى لم تكن كافية لحمايته هنهم  
الأندلسي من القتل المتعمد، لديها هيأ تقرير النطق الشرعي، شهادات  
أفراد الطاقم الطبي، وصور كاميرات المراقبة في أقسام الحراسة والعناية  
المركرة...

صحه جورج ديفيتير ليفقه محادثات العلقا ويبحث صدق التهديد  
ثم أضاف بكرة مستففة:

- أنت تعلم أن قضايا كميرة قد تهاجم نقابا بسبب «عيب إسرائيلي»...  
لذلك لا نحاول التلاعب الآن، فقد تدفع نمنا لا تقدر على تحمله!  
اكتب ملامح الرجل قاعا من الحمود، ثم سقه إلى داخل القاعة  
بحطوات واسعة، تهتد جورج وهو يعلم أوراقه، يعلم أن التهديد



الذي بين يديه قد يتحوّل هباءً منثورًا، بعد سنوات من المرافعات والمراوغات. والمدّعي العام يعرف ذلك أيضًا. كلاهما يقف أمام «عصفور في البند»، ويراقب «العشرة التي تلوح فوق الشجرة». سجن عمر الآن لخمس سنوات يعتبر عصفورًا واحدًا، في حين أنّ المضي في القضية قد يكسب الادّعاء حكمًا طويلًا جدًا.. لكن الدّعوى الثابتة قد تخرب شموخ مؤسسة النيابة العمومية في مقل.

غير أنّها مخاطرة أبصا بالنسبة إلى الدفاع، فتأليبها غير مضمونة.. لكنّها إن أفلحت، فقد يكسب عمر برأيه لعجب في الإحصاءات! إلّا أنّ جورج لا يسيء إهلات العصفور الذي بين يديه. خمس سنوات، خير من المؤبد الذي يلوح شمعه في الأفق.

ضرب القاضي بمطرقته معلنًا بدء الجلسة، ثم أشار إلى مقعد الادّعاء لتلاوة لائحة الاتهام. وقف المدّعي العام، باقلا نظراته بين جورج وموكله، ثم استدار إلى القاضي وألقى بأسلوب مسرحي:

- نظرًا لتعاون المتهم وإقدامه على الاعتراف، وإدلائه بمعلومات قيّمة نحض الجماعة الإرهابية.. فإنّ الادّعاء يرجو من سيادة القاضي إسناد حكم مخفّف، وإغلاق ملف القضية.

- هل من حكم مقترح؟

- خمس سنوات، سيدي الرئيس.

- خمس سنوات إذن!

ثم صرّ القاضي مرة أخرى معلنًا تثبيت الحكم.

...

تعالّت طرفات ملحة على باب السّفة ذلك الصّباح. لم تكن نشه طرفان عائشة المحتشمة، ولا بعمات ربيع الموقّعة. كانت ضربان صارمة وحارمة، تتضمّن تهديدًا حفيًا، تدركه بقلبيها.

تطلّعت باسمين من العين السحرية قبل أن تنفج، فتسمّرت مكانها

وهي تحذف في الحركات الرسمية للشرطة الفرنسية. أفرجت دقة الباب في  
نوحس، فادرها الصابط بكرة آلية:

- سيده ياسمين عند القادر؟

أومات علامة الإيجاب، فأضاف على الفور:

- تقصلي معاً رجاء.

التفت إلى فاطمة التي أطلقت من العرفة الداحلية فرعة، وقالت  
نظمها:

- سأرافق الصابط لعصر الوقت، وأعود مريفاً.

لم تكرر ولنفة مقاً تقرون، لكنها حاولت أن يبت صوتها المهتر طمأنينة  
تفتدها إلى والديها. لم يكرر تعلم أن مرحلة من السخس الحديدة تبدأ  
في التو واللحظة.

وصلت إلى مركز الشرطة في عربة الترحيلات، مثل سجين أو منهم،  
فاقتادها الصابط إلى عرفة التحقيق. هناك، لبنت ثلاث ساعات لم  
يحاطبها خلالها بشر. تركوها فريسة لهواحس ومحاوى لا حصر لها ولا  
عد، ثم دخل صابط ناو، ليسنمز الاستحواو ساعتين أحرين.

انهاالت عليها الأسئلة، سطحية بسيطة أولاً، ثم شائكة مرتصة بدقائق  
حياتها نابياً.

- مند متى تلبسين الحجاب الإسلامي؟

- عشر سنوات.

- هل أحبك زوجك على ارتداله؟

- لم أكن أعرفه حتى آنذاك!

- والدك إذن؟

- لقد عشت برفقة والدي، وهي مطلقة.. في حين نرووح والدي بفرسبة،  
وعاش الثلاثين سنة العاصبة كلها في فرنسا.. وقد كان مواطناً صالحاً جداً،

حسب المعايير الفرنسيّة!

- ما الذي دفعك إلى ذلك إذن؟

- قناعة شخصية!

ثمّ بغيّر الموضوع فجأة:

- هل كنت تعرفين عن نشاط روحك الإلهانيّ؟

تسالكت نفسها، حتّى لا تفكر في وجهه، ونشرح له بلعنه الفحة ماهية  
الإرهاب الحقيقي! أحدث نفسها، وحسنت عرائنها لتقول بصرامة:

- لا!

- هل سبق له الشّرق إلى الشّرق الأوسط؟

قالت في سحرية:

- أستم تعرفون أكثر مني، أنس ذهب ومن أين أني!

- أحبي على قدر السؤال.

- لا!

- هل كان يتحدّث عن المضروع أمامك؟

- نحن عائلة تقليديّة جدًا.. النساء لا يتحدّثن في مسائل العمل!

حدّثها بسطرة مسنّاة، ثمّ واصل: —

- ما هو رأيك في نشاط حركة المقاومة الفلسطينية؟

- لا رأي لي.. لا أهتمّ بالسياسة!

- اسم ولدك، عزّ الذين.. أليس كذلك؟

- نعم.

ارتفع وجيب قلبها عند ذكره.

- من اختار اسمه؟

- والده.

- هل نعرفين من هو عز الدين الفتام؟

- لا أعرف!

- هل تعتدين أن زوجك قد اختار الاسم تيمنا به؟

- لا أعرف!

عادت إلى الشقة مساء وهي ترتعد. غيبت نايها، تحلص من راحة الخوف والظلم التي تلصق بها، وسارت إلى المنشن على الفور. احتضنت ولدها الذي لم يتأخر عنه قط مدولابنة، وأحدثت في بحرقه. لأول مرة، مد رجل هبم، كانت تنظر إلى ولدها في حذر. لا تدري ما وجه التهديد الذي يحيق بهمة لكنه تشفق على كل مسام حلهها، مثل رادار أمومة يعمل بالنقاط أنه يحرق على حرقه. ولم تكن واضحة.

تكرر استدعاؤها في الأيام التالية. ما إن ينعال الطرق العليل على نايها، حتى يسقط فليها بين قدميها. تسير إلى حنقها مستسلمة، نحتل ساعات الانتظار المارة مثل كل كرة، ثم تزد على الأسئلة ذاتها بسماحتها ووقاحتها المعهودة.

قال الصابط ذات مرة، وهو يستمع ياربحاف أطرافها أمام نظرائه

الماكرة:

- أنت فرسيّة؟

- نعم.

- مد مني؟

- مد ولادني.. كان والدي قد نحتس، فأصحت فرسيّة أيضا.

- لكنك لم تعيشي طويلا في فرنسا.

- لقد عادرناها في سن صغيرة.. ثم رجعت لأتابع دراسي الجامعة.

- زوجك فرنسي أيضا.

- نعم.

- هل تعلمين أن الجسيبة الفرنسية مثلما نوهب لمن يستوفي معايير المواطنة، فإنها قد تسحب مقس لا يستحقها!

هزت كتفها في لامبالاة كان الأمر بالنسبة إليها سيار. لم نضع إلى اكتساب المواطنة الفرنسية، ولن يصرفها أن تسحب منها.

- الدولة تصحك فرصة إنسان ولائك واستخفافك للمواطنة.. نعتزين اسم ولدك، بإمكانك بسبه إلى نفسك.. نمر تترتبين من هينم الأندلسي، نسجل اعترافاً بقولبي فيه أنك لا تعرفين شيئاً عن نشاطه، ولا تشاركينه قناعته...

عقدت الضمة لساتها. حقا حلفها، وانضممت الصرات في مفتحتها. همهمت في الخسلة

- وهل يكفي هذا؟ لن يتم استدعائي بعد ذلك؟

هز الصاط كتفه في استهانة، ثم قال:

- ربما. لو كنت مقنعة!

تردد ريقها بصعوبة، إنها تفكر في ولدها. من له إذا حصل لها شيء.. أي شيء؟ لكنها تنوب إلى رشدها. لقد كان هينم فويًا في الحق، وعلمها ألا نحكي أمام الإهانة، وألا نهب حثها الثاني لمن يصفع حذها الأول. قالت في ثبات:

- نحن شرفيون حذا سبدي الصاط.. إذا تراءت من روحي، هل تعلمين لي عائلتي أذا.. سأصبح متبوعة بينهم، وبكبر ولدي بلا نسب ولا أهل! افتر ثغره عن انسامة صفراء ثم قال:

- أرى أنك لم نسأمي رباتنا بعد! أراك في المرة القادمة!

وفي كل مرة تمضي فيها ساعات المهانة في مركز الشرطة، كانت تلامرهما الكوابيس. ترى نفسها في غرفة التحقيق المظلمة، وقد شدت حجابها عن رأسها، ومزق ثوبها. ترى أهوالا سمعت عنها في سجون أخرى، لمصاصات

نَحْمَلُ الْوِيلَاتِ، وَنَمُرُ فِي وَجْهِ حَلَادِيهِنَّ.. فَاَنْتَهِي مِنْهَكَانِ الْكِرَامَةِ أَوْ  
الْحَسَدِ.

نِينَ نَزَعْدُ، يَفْضِدُ حَبِيبُهَا عَرْفًا، وَفَدُ بِحَافِيهَا النَّعَاسُ حَتَّى سَاعَةِ  
مَتَاجِرَةٍ، فَطَلَعَ عَلَيْهَا النَّهَارُ وَهِيَ لَمْ تَدْفُ مِنَ النَّوْمِ إِلَّا الْبَرْدَ السَّيْرِ،  
وَنَجَّوَعَتْ الْكَثِيرَ مِنَ مَرَارَةِ الْكُونِيَسِيِّ وَانْقِصَابِ الدَّعْرِ الْمَكْرُورَةِ.

كَانَ عَلَيْهَا أَنْ نَحْمَلَ، حَتَّى بَشَتْ عَوْدَ عَرِّ الذَّبَرِ، وَبَسَمَحَ لَهُ بِمَعَادَرَةِ  
الْحَضَانَةِ. لَقَدْ نَزَعَتْ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِصَارِعِ الضَّرِّ، فَصَلَّاهَا -عِنَّا- أَنْ  
مَاسَايَهَا سَنَنْهِيَ حَبِيبَ نَزَكِ النَّفْثَةِ.

كَانَ يَوْمَ حَمْعَةٍ. احْتَفَلَتْ فِيهِ بِعَوْدَتِهَا وَصَعَّرَهَا إِلَى حَرَلِ حَذِهِ.  
اسْتَعْمَلَتْهَا رَهْوَرُ بِالْأَحْضَانِ، وَأَحْدَبَ عَلَيْهَا كَمُزَّ النَّهْرِ الْمَدَى كَانَ فِي بَظَرِ  
الْحَمِيعِ عَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُنَّ. نَحْنُصُهُ رَهْوَرُ وَبَطْعُ فِلْتَبِينَ  
سَحَبِينَ عَلَى وَحْبِهِ، وَنَسِي. ثُمَّ بِحَصْبِهِ عَمْدُ الْحَمِيدِ، بِشَمْرِ رَانِحَةٍ  
الْمَقْبِدِ فِيهِ، وَنَسِي. كَانَ قَدْ أَتَمَّ شَهْرَهُ الْأَوَّلَ مَدَّ أَمَامَ قَابِلِهِ، وَاقْتَرَبَ  
وَرَبَهُ مِنَ الْكُلُوعَرَامَاتِ الثَّلَاثَةِ. اكْتَمَلَ بِمَوْ رُسْبِهِ، وَعَادَرْنَهُ عِلَامَاتُ الْبِرْفَانِ  
وَبُرُودَةُ الْأَطْرَافِ. كَانَ مَوْلُودًا كَامِلَ الْحَوِّ، بَهِيَّ الطَّلْعَةِ، وَفَدُ أَحَدُ بِنَحَاوِ  
بِفَدْرِ طُفْيفٍ مَعَ مَدَاعِمَاتِ الْمُحِبِّطِينَ بِهِ، فَيَسْتَحْلِبُ السَّمَانَ وَالْأَهَانَ.

كَانُوا بِحَنْمَعُونَ عَلَى وَجْهِ عَدَاءٍ عَائِلِيَّةٍ، بِعَالِيُونَ الْأَكْمِ وَالْحَرُونَ الرَّاغِبِ  
عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَيَأْمَلُونَ حَبْرًا قَدْ بَحِطَ عَلَى أَوْحَاحِهِمْ قُطْبِي.

عَلَى الشَّائِنَةِ، كَانَتْ الشَّيْثَةُ تَقْلُ أَحْزَارًا عَنِ «ثَوْرَةِ الْبَاسْمِيِّ» الَّتِي  
ابْدَلَعَتْ مَدَّ أَيْامٍ فِي الْوَلَابَاتِ الثُّومِيَّةِ وَاسْتَفْرَتِ فِي الشُّوْلُوعِ وَالشَّحَاتِ.  
أَسْرَى الْحَمِيعَ بِبَاقِيهِمْ وَبَحَلُّوْنَ حَبِيبَاتِ الْإِنْتِصَافَةِ الشَّعْبِيَّةِ الَّتِي أَوْقَدَ  
شَرَارَتُهَا بَانِعَ مَنَحُولِ أَصْرَمِ النَّارِ فِي حَسَدِهِ، احْتِنَاحًا عَلَى طُرُوفِ الْعَبَشِ  
الْمَزْرِيَّةِ.

لَكِنْ بِأَسْمِي كَانَتْ يَرْفُفُ الْمَاءُ فِي وَحُومٍ، وَتَرْفُفُ رَوَّارُ الصُّحْرِ الدَّبَرِ  
لَمْ تَوْفَعْ انْقِطَاعَهُمْ عَنْهَا بِلَاكِ السَّهْوَةِ. نَمَضَتْ بِدِ فَاطِمَةٍ، تَرْتَبُ عَلَى  
كُنْفِهَا وَتَبْتَسِمُ مَطْمَئِنَّةً:

- لن يأتوا إلى هنا.

كانت تريد أن تصدقها. تأمل أن تنتهي فقرة الاستحوانات وتنتهي إلى أيام رتيبة لا رعب فيها ولا إثارة. ذلك كل ما ترحوه.

بانت ليلتها الأولى في غمرة هبثم القديمة، نصارع الأرق الذي صارال يهرعها، فإذا هزمنه أحبراً، صرعتها الكوابيس. تفزع عبيها فحاه في جوف الليل، تستنغم حالسة وهي تلثث، بحثق في الفراغ والظلمة، ثم نظمت طفلها إلى صدرها وتأخذ في السكاء.

يوظف لحبها المنقطع في الذمء سكر الذار، فتجده نوحاءهم، ويستسلمون واحداً إثر الآخر إلى الأكم ببحر صدورهم. ينحون في صمت، كل في سريره، محض العبرات عن حيران العروبة.

تهمس فاطمة إلى زهور وهما تقفان جنباً إلى جنب إزاء أواب الطمح التي تعلو في خوفها وحبة العداء:

- أنا حائفة على باسمي!

تتهذ زهور وهي تقول مؤمنة:

- لقد تحققت الكثير.. فبصريته وافتراق عن روحها ورصبها ونردد على المستشم كل يوم، ثم الزيارات المفاجئة للشرطة والاستحوانات التي لا تنتهي، والكوابيس التي توقفها كل ليلة...

- لعلة اكتئاب طاً بعد الولادة؟

هزّت زهور رأسها:

- لا أشك في هذا.

- هل نراها نقل الذهاب إلى طبيب نفسي؟

- لن نخبرها. سأنصل وأحصل لها على موعد. هناك عبادة قريبة في شارع المحطة...

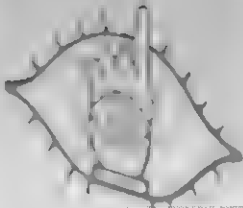
تعالى ريبس حرس الممرل فحاه، فتبادلت السبدتان بطرات متوخسة.

- هل تنتظرين زوّارًا؟

- كلاً.

تركزت رهوو ما بين يديها، حَفَعَت كَفَّيْها في مربلة المطبخ نَحَسَّارَعَت  
لنفتح الباب. نسقوت مكانها أمام مرأى صابط الشرطة الذي طانعهما  
بنظرة متعالية:

- السبدة باسمين عند القادر هنا؟



١٥٦

ONE PIECE

BOOKS





مساءً الخامس عشر من يناير ٢٠١١، كان أفراد العائلة جميعاً عائدين عن العمل، باستثناء ياسمين وطفلها. كانوا قد انصموا إلى المظاهرات التي نظمها الحالية التونسية لمساندة الثورة الشعبية، لتتحول الحركة الاحتجاجية إلى مسيرة فرح عارمة بعد الزجبل المفاجئ للرئيس التونسي وبخله عن السلطة.

انطلقت المظاهرات الحاشدة بحضور نحو ثمانية آلاف من التونسيين المقربين بتونس وصواحيها من ساحة الجمهورية إلى ساحة «شاتليه».

ONE PIECE

سارت رهور وفاطمة وميساء وعمد الحميد، بالإضافة إلى الصغير وأثل، رافعين الأعلام التونسية، منشبين بتحقيق حلم بعبد المال. لم تكن رهور وعائلتها قد راووا موطنهم منذ عشرين عامًا، بعد أن أصبح عمده الحميد مطلوباً لدى النظام السابق، إثر انتخابات ١٩٩٦.. والأول، فتحت أبواب الوطن على حين غرة.

همست رهور إلى فاطمة باكبة، وهي تلوح بالزاوية الحمراء الموشاة بالحمرة والهلال فوق رأسيهما: —

- هل كان يجب أن أفقد ولدًا لأسعبد وطنًا؟ كأن السعادة الكاملة لا تنمض للمرء أبدًا!

رنت فاطمة على ظهرها مؤاسية وقالت:

- لقد فقدت ولدًا وكسبت آخر.. «الولد سرّ أبيه»!

نحج تلك الحيلة كل مرة في تحويل وجهة أفكارها. نسنحصر عيني عرّ الذير المتألمين وراحتيه المكمشين على ستانها، قتلين ملامحها وتبتسم رغماً عنها.

\*\*\*

كانت ترور باسمين لأول مرة صد اتفالهها إلى منزل والدي هبثم.  
مضى أسوعان الآن. لكنها لم تملك الشجاعة لمواجهة الحزن العائلي  
الموقوف. اعلمها استعلت فرصة عبايهم لتفرد بها أحراً.  
جلست رسم إلى حوالر باسمين على الأريكة. يتغير المكان، لكن الجلسة  
نحفظ بروحها الدافئة.

- لماذا لم تحريري.. بشأن الانحجاب؟  
رفعت باسمين كتفها، وقالت رعم ألمها:  
- ظلمت أن الأمر سينتهي.. إذا كنت متعاونة...  
- في المرة القادمة، أنصلي بي على الصور! كلما بطرقون الناف، سأسحبك  
إلى مركز الشرطة.. أي مطفئة؟  
- حرّكت باسمين رأسها بيميناً وشمالاً.  
- لا أعرف!

- لا بأس.. في أي وقت بأنون؟  
- العاشرة صباحاً.. عالتا. لبس بشكل يومي.  
- سأربط عند الباب، العاشرة صباحاً.. كل يوم.  
همست باسمين في أسف:

- لست مصطرة لذلك!

- بلى.. هذا سلوك غير دستوري ولا يمكن التكون عليه! لست محبرة  
على محاطتهم، وحضور المحامي من حقك في صورة الانحجاب!

سهدت باسمين في إبهاك وبصمت:

- أريد فقط أن ينتهي هذا الكابوس...

مسحت رسم على رأسها في تعاطف وسألت:

- هل ذهبت إلى الطبيب النفسي؟

أومأت باسمين ثم قالت:

- لم يأت بجديد.. اكتب حادًا!

هتفت ريم بحماس:

- بجم أن تعادري الصرل.. تعيرين الحق، تَمَثِّين تحت أشعة الشمس

- لا بمكي نرك عز الدب!

كان ذلك هاحسها الأوجد. أن بصاب ولدها سوء. في كل مرة تأتي عربة  
الشرطة لتأخذها، بلارمها ذلك الهاجس الممض، أن نعمل عنه حذاء،  
أو يخطعه عراء...

- حده معك!

- أخاف عليه من الرد.

تأفقت ريم من مماطلتها، فعبّرت باسمين الموضوع على الفور:  
- خترني.. ما الحديد عندك؟

تهدت ريم وقد أدركت ما نرمي إليه.

- سكبته بخلق على أحبه السعادة. لقد أبهت وتأنق حصابة مبار..  
فقلنها إلى مدرسة قريبة، نوافها كل صباح إلى دروسها، ثم نرجع  
لاصطحابها.. حتى أنها تذاهمها في فترة الاستراحة، لتشاركها وحة خفيفة.  
إنها تلامها كطلها!

اسميت باسمين في رصا. لقد عانت سكية طوبلا، وقد من الله عليها  
أخيرًا بالاجتماع بصغيرها. من حقها أن تقدس كل لحظة نمصها إلى  
حوارها الآن. قالت بلهجة داب معدي:  
- الأمومة.. إنه شعور مذهش!


بحسنت ريم نطها بشكل عريزي، وشردت بظرائها لرهة، ثم  
استطردت:

- إنها تتابعان معًا حصص علاج أسري.. السب نعاي من بضرب رهب،  
سنبط على صراحها كل ليله. نتاها بواب عصب، تههم سكية بأنها

ستحلّي عنها.. كما فعل الآخرون.. إنها فائدة الثقة في مؤسسة «العائلة».

ابتسمت ياسمين في مرارة وقالت:

- كلنا ضحايا الثقة بشكل أو بآخر.. أنمئى لو كنت حصرت هذا النوع من الحيلسات في صغري!

رسم إليها رسم في استعراب. لم تكن تبحث كثيراً عن طفولتها، وافتقادها لحضور أبيها في حياتها. إنها تصيح الآن، لأنها نحس على ودها المصير ذاته. ثم نسئلت حواهرها إلى عائلتها، والديها ورانها.. شهاب وهي. كلهم بحاجة إلى إعادته تأهيل.  صدق!

...

حين رجع خموص المطاهرين إلى المنزل، كان هناك شيء غريب في الأحواء، وفي التطراب التي بتنادلونها، شيء آخر، غير الفرح الذي حظ بين حسان القلوب منذ بهار الأمل الأسطوري، لرجيل رعيم عربي بعد حروب شعبه بفتح في الشوارع في ساقفة فريدة من نوعها شيء غير الحر، الذي عشت في الضدور واستنوط، منذ رجيل الابن والأخ العالي، قهنت طعم كل شيء.. حتى جاء الفرح مشوّضاً، كأنما هو جرعة ماء حفت طعم ليمون لادع، دون أن يصحّي على الحموضة ناعماً.

شيء بشبه حبوط حكاية، أحلت نسحها أصابع حفته، لكن ساطها لم يكتمل بعد. وحتى يستوي التسبح، انصرف عبد الحميد مع رهور وفاظطة في الشرفة الحلقية وأوصدوا الباب على مجلسهم.

هصت مساء إلى ياسمين وهي ترمو إلى الباب المغلق:

- فرار مصري بنحمر.. أشتر رائحته!

حين خرجوا بعد ساعتين، اجتمعت العائلة في الضالة. كانت رهور من تكلم أولاً:

- لقد من الله علينا برفع الظلم عن بلادنا.. ووطن - أبنا ووالدكم - أن

الأوان قد حان، لكون جزءاً من قصة الوطن، مرة أخرى!

تأملت ميساء ووائل بطرات مرتبكة، فأردفت رهور:

- لقد حرصنا من دخول تونس طيلة هذه السنين.. اليوم، نفتح الأبواب  
على مصراعها، فهل نوليها طهرها؟ وماذا كسبنا في حياة العربة المديدة  
هذه، لم نرجع القلب وفقد الولد؟  
فأثارت ميساء:

- تقصدين.. العودة بهانينا؟

أومأت رهور موافقة، ثم أخذت فاطمة الكلمة:  
- أن الأوان ليجمع شملنا في وطننا. فقد كنت أشفق أن يشأ حبيدي  
بالقرب مني.. وأن نؤسس صحكاته شبحوحتي ووحدي.. ولم أكن أنخبّل  
أن نرفع الحواجز التي فرقنا في القديم بين يوم وبليلة.. لكنه عوض الله  
الكريم!

رمت إلى ياسمين وهي نصيف:

- ثمّ يا اسني، لم بعد يحدرك بك البقاء في هذه الملاد. لن تشفي إلا إذا  
انعدت عن هذه الأرض المضمومة وناسها الملاعين!

قال عبد الحميد:

- أرضنا ودارنا في «طرفة» موحودة.. تشرف على حمال وسهول وبحر  
وحصرة.. حنّة على الأرض! سيعحكم المكان هناك.

نممت رهور وهي تعال دمعها:

- لم أعد أحتفل هذه الملاد التي يعتز ولدي إرهابنا! أريد أن أكون أمّ  
الشهيد، وأفتخر به على رؤوس الملاء!

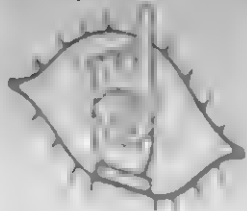
كأنّ عرائنها استدعت بكاءهن، ولعلّ عرائهن مهابة للهطول في كلّ أن،  
فقد انهمرت على الصور بصعطة رز. تحمّح عبد الحميد مقاطعاً وصلة  
الشّيح الجماعية:

- على بركة الله.. باسمين وفاطمة وعزّ الدين، اسبقوا بالسفر في أقرب وقت.

- وأنا أيضا!

هزمت ميساء في حماس، فهزّت رهور رأسها أن لا بأس. واصل غمد الحصيد:

- قد يحتاج شهرين أو ثلاثة، لتصفية كلّ أمورها هنا.. ثمّ يلحق بكم.



BOOKS



## بعد أربع سنوات (مارس ٢٠١٥).

خرجت ريم من المصلى على عجل وهي تقود طفلها أمامها في اتجاه  
المسبارة. لقد استغرق منها تعبير نياهما وتسريع سيرهما ثم تجهيز  
الإفطار وحرم وحسان خبقة من أجل النهار الطويل، ولكن نسياناً لا  
تمنأكه. أحسب كليهما في المظاعد الحاضرة في القسم الحلفي، وربطت  
حزامي الأمان، ثم سارعت إلى عجلة القيادة. الساعة تقرب من العاشرة،  
وهي متأخرة عن وازها في مكتب المحاماة.

ارتفع رين يعلن تلقيها اتصالاً مرتباً، فنبكت هاتفاً على جهاز  
العرض الحاضر بالمسبارة، ليظهر وجه باسمين على الشاشة.  
- صاح الخبر!

كانت تبدو في مزاج جيد، في نياح بينة مريحة، وبين كفيها فجان  
قهوة ينصاعد بخارها.

- أنت تقودين؟

ندمرت ريم وعيناها تركزان على الطريق أمامها:

- يوم سيء! لقد تأخرت على موعد هاتم.. ولا أحد في الشقة لمرافقة  
الطفل!

لوحت باسمين للتوأمين في تودد، فألقيا التحية بصوت عالٍ.

- عرّ الذب.. تعال. تريد التحدث إلى صديقك؟

ملاً وجه الطفل ذي السنوات الأربع وببف الشاشة، وهو يقرب أنفه  
من العدسة ويهتف:

- كيف الحال؟

شدت باسمين الجهار من بين بدبه، وأحلسنه في حجرها، ليظهر  
وجهاهما منجاورين. همست:

- تكلم يهدوء.. إنهما سمعانك.

- هل للهدار إلى المدرسة اليوم؟

أجابت ريم:

- اليوم هو الأربعاء يا حبيبي.. لا مدرسة!

تلك العطلة الأسبوعية الحاضرة بالمدراس الفرنسية كانت مصدر إرباك  
لنظام عملها.

رفع عز الدين رأسه إلى والديه وقال في احتجاج:

- لا مدرسة لي أبضا ماما!

ضحكت باسمين وقالت:

- حسا.. سمعنا في ذلك.

ثم أصافت وهي ترقب وجه ريم العابس:

- ماذا فعلت بشأن السكن؟ هل وجدت شقة الأحلام؟

- ليس بعد.. لكننا نحاول!

بدت نظرة منسعة بالحسب في عيني باسمين وهي تهمس في حمرة:

- هل تترك الشقة (٤٠٤) حقاً؟ لا أنحبك مارس ديويها!

ضحك ريم وهي تقول بحرية:

- لقد صارب مثل علبة سردس الآن! أتوق إلى اليوم الذي يصح فيه  
لكل منا فضاؤه الخاص.

عزحت إلى طريقي فرعني مسعدة عن رحام الشوارع البارسيّة، ثم  
هتفت وقد تذكرت شيئاً:



- كيف حال عروسنا؟

- إنها على وشك الحبور! وستحني معها!

صحبنا معا، ثم قالت باسمين:

- فودي على مهل.. انصلي في لاحقا، حين تأخذين استراحة.

- بالتأكيد... أراك لاحقا.

وصلت ربيم إلى المكتب في وقت متأخر. إنه واحد من تلك الأيام التي تضطر فيها إلى لحظة نظام يومها، والصابغ بالتطويل نفسها. منذ ولادتهما، عهدت إلى سكية بمهفة رعايتهما، لتستألف عملها بشكل طبيعي بعد إجازته وضع قصيرة.

كان ذلك مناسباً للجميع. سكية كانت تخرج مصدراً دخل ثانياً لا يتطلب كثرة حروح وكفالات، فمكنت عرض رسم سرور بالغ. لم تعد ترافق مبار دهان وإيانا إلى المدرسة، بعد أن تطوعت راببا للهوض تلك المهفة. كان تربياً عائلياً مثاليّاً، حيث يصصهن يهنم بعض.

كرّ يمدون مثل عائلة ذات ثلاثة أحيال متعابشة في شقة واحدة. نمدو سكية مثل حذّة بافعة، لما تحطّ الثعاعيد بنرتها. رسم وراسا ومبار بناتها، رغم فروقات السن، والثوامان حبيداها.

يرناد الطفال المدرسة التمهيدية الأولى في فرسا، المدرسة إحصارية منذ سنّ الثالثة. غير أن اليوم هو الأربعاء -يوم إحصارة أسبوعية لطالاب المرحلة الابتدائية- وسكية عائنة.

- سيّد بربار، أسفه على التأخير.. نقصّل أرجوك إلى المكتب، سأتابعك في الحال.

أجلس ربيم الطفال عند مقاعد عرفة الانتظار وتلقّت حولها. لم تكن مساعدتها في مكسها. انحت لتكون في مستوى رأسيهما وهمست:

- كوبا عافلين.. ستأتي لوسي خلال دقائق. ماما ستكون بالداخل.. لدي عمل. لن تحدثا الفوضى، أليس كذلك؟

قالت الفتاة بلهجة تفوق حجمها وسنّها:

- لا تخافي يا ماما.. سنكون بخير.

حلبت الطعنة ذات السموات الثلاث والنصف، وساعدت أخاها على اغتلاء مقعده، ثم أخرجت من حقيبتها الصغيرة قطعة كعك وحلبت تقضمها بهدوء.

ابتسمت ربيم في رصا، ثم عانت داخل المكث.

بعد دقائق، وصل رجل في منتصف الثلاثينات إلى عرفة الانتظار. لم تكن لوسي قد عادت إلى موقعها. من خلف الباب المنق، كانت أصوات حديث مكنوم لتسرب من المكث إلى الخارج. تلقى حوله، ثم انحل مجلسا إلى حوار الضفلى.

بادرت الطفلة بلهجة وانقة:

- أنت هنا من أجل ماما؟ لديها عمل...

رفع حاجبيه في دهشة ثم قال في اهتمام:

- ماما بالداخل؟

هرّت الطفلة رأسها علامة الإيجاب. كان يحب أن يدرك أنها نسخة مصغرة من ربيم. شعرها الكسناوي القصير، وعيناها العسلتان الواسعتان.. وتلك الأنافة العظيمة التي تليق بها، وتديها أكر من سنّها.

- ما اسمك يا حلوة؟

- أنا سمر.. وهذا أخي.. عمرا

ندت الصدمة في عييه، ثم قال في دهشة:

- أنتما توأمان؟

- أنا أكبر منه.. بعشر دقائق.

بينما اهتمت سمر بمحادثة الرجل العريب، كان عمر الصغير منشغلا بأررار معطفه. بفكها ثم بفشل في إعلافها. بعد محاولان مصيبة،

استرسل في بكاء طفولي متدمر.

- لا تغضب يا صديقي.. سأزرره من أجلك.

هبط الرجل على ركبتيه أمام الولد، وأحكم تزيير المعطف بالكامل.  
توقف الطفل عن السكاء لمراقب الغريب في انتباهه، وتحول كسبرته  
تدريجياً إلى انسامه واسعة.

- انتهينا!

فتح باب المكتب فجأة، وظهرت رنيم وهي تصطحب موكليها مودعة.  
حطى السيد برار معادراً، بينما نسفرت رسم مكنها في صدغه حدقت  
في الرجل الذي استوى واقفاً فالتها في نشوة، نظر هبت عمر مصدفة:  
- عمر!

أجاب الولد على الفور:

- نعم ماما!

ارتكبت الكلمات على لسانها، ولم يبقها إلا دخول لوسي. قالت على  
عجل:

- نعال يا حبيبي.. اجلس أنت وأحنك بحاسب لوسي حتى أنتهي من  
العمل.. انقفا!

ثم التفت إلى عمر وقالت بعس مقطوع:

- تفصل!

سفته إلى داخل المكتب وهي تحاول أن تدكر تاريخ اليوم، وتقارن  
بفترة الحكم التي عوقب بها. لكن حساباتها لم تفلح. قالت في ارتباك:

- متى خرجت؟

- اليوم...

أصاف ببرة منهكمة:

- لقد أطلق سراحني منكراً، لحسن السيرة والسلوك!

- أه!

لذلك لم تكن الحسابات صحيحة.

- تفضل، أرجوك!

جلس فالتفتها في استرجاء، ثم قال:

- لم أجد حورح في مكتبه.

- تريد أن تترك له رسالة؟

بدأ عليه التردد، ثم قال أخيراً:

- ربّما يمكنك المساعدة؟

- بالتأكيد.

- هل تعرفين مكان المصباح؟

- باسمين؟ لقد سافرت إلى نوس صمد أربع سنوات.. لكننا على اتصال.

- جميل.

هَمَّت تقول بأنها حادثتها للنوّ. لكنها عدلت. ستجيب على قدر السؤال. راقنه وهو يجرح طرفاً من جيب سترته، ثم بصع على المكتب أمامها صكّاً سكباً ويضيف:

- هل يمكنك توصيل هذا إليها؟

تناولت ربيع الصكّ بين يديها في شك:

- ما هذا؟

- فليقل.. أنها أرباح الشركة، للسنوات العاصية.

عممعت مبهوثة:

- أرباح الشركة؟ أي شركة؟ الشركة التي صودرت منتحاتها وأتلفت؟ أي أرباح قد تكون لها؟

ابتسم عمر وقال:

- لا داعي لتعرف باسمين شيئاً عن هذا.

حدّقت ربيم في الرقم المدوّن على الصكّ، فاردادت عباها أنساءً.  
هتمت غير مصدّقة:

- هذا مبلغ صحم! هذه قيمة التعويض الذي حصلت عليه، في قضيّة  
الابحار.. أليس كذلك؟

لم يكن ما صرفه على المشروع يتجاوز نصف المبلغ. مازال حساب  
مكتوماً، والرقم الذي يظهر على الصكّ يشهد بذلك. لقد شخص لا يعرف  
الرقم الحقيقي - مثل ربيم - سينوّع أنّه لم يلمس التعويض قطّ.  
وذلك ينقل كاهله بشكل لا يوصف.  
زفر في صبق وقال:

- لقد حصلت على تعويض سخي، لكنّ راحة هينم واه لم يحصل  
على شيء، على الإطلاق! لم يعوّض خسارتهما أحد.. وإن كنت قد  
خسرت صخني، فقد خسر هو حياته!  
هتمت ربيم في حرارة:

- أنت تحاول التكفير عن ذنب وهمي! ما حصل لهينم لم يكن ذنبك!  
أنت صحيّة.. مثله نماثا!

انسم في مرارة، وقال:

- ليس هناك من كلام قد يعبّر ما أشعر به.. وما راعفي طيلة سنوات  
الحسن. وقّري جهدك!  
أطرفت ربيم في تفكير ذفر قالت:

- حسناً. لا يمكن لأحد إبداع مبلغ كهذا.. لن يفضل أيّ منك صرف صكّ  
بهذا الحجم، ما لم يكن مصدره جهة معروفة! ستتعرّض باسمين  
للتحقيق، وثّهم بتبييض الأموال...

حلق في الفراغ وقد اتناه الضيق. لقد كان كلّ همّه أن يتحلّص من  
العبء الذي ران على صدره، ولم يفكر في الحينيات. قال بساطة:

- أنت محامية.. ستجدين طريقة ما!

أطرفت رنيم برهة لتفكر، ثم قالت:

- اقترح أن نفتح حساباً باسم عزّ الدين ونودع فيه مبلغاً معقولاً..  
سأخبرها أن هبنا أنشأ حساباً للتوفير بنفسه منذ بداية المشروع.. وأن  
أرباح الشركة كانت نحول إلى ذلك الحساب في السنوات السابقة!  
رفع حاحبه في دهشة، ثم أومأ في استحسان:

- ممتاز!

- يمكن أن أخبرها أننا وحدها الوثيفة السكتة في ملفات القضية حين كنا  
نلغ الأوراق القديمة.. حتى أسرّ معرفتي بالأمر، واختبر أيضاً ظهور  
الحساب المفاجئ بعد كل هذه السنوات.  
- لا بأس.. هذا يبدو معقولاً.

- لا تنس.. بحسب أن يكون مبلغاً مفضولاً! قدر أرباح الشركة الطيعبة  
الممكنة في السنة الواحدة، ثم أودع القيمة الصاسة...  
فكر لبرهة، ثم قال:

- دعي الأمر لي! سأرسل إليك بيانات الحساب حين أنتهي من المهمة.

وقف فحاه، وقد كسنت ملامحه علامات الارتياح. سألت في دهشة:

- هل تعلم أحد بإطلاقي سراحك؟

- لا.. باستثناء إدارة السجن طبعاً.

قالت في نوحس:

- أنت تعلم.. فرنسا ليست أمة بالنسبة إليك.

رفر وهو يحفي كفيه داخل جيبي سطاله:

- أعلم. لن أبقى طويلاً.

- أين نويت الذهاب؟

هرّ كتفيه في استهانة وقال:

- أرض الله واسعة!

انتعد في أنحاه المخرج، ثم استدار فحاة ليقول:

- أنا مدين لك مرة أخرى.. لم توات الفرصة لأشكرك على إبعاد حياتي  
مرة ثانية! لولا حسن تصرفك وسرعة يدبعتك.. كنت لأدفع فائزورة  
مشقة، من سنوات عمري!

أبسمت وقد التهمت وحنانها فحاة، وقالت في سرور:

- هذا ما يفعله المحامي!

شعرت بتردده برهة، كأن على لسانه حديثاً بكنم.. ثم انتهى وهو  
مضفي في سبيله:

- بلغني سلامي إلى الدكتور شهاب.

...

ONE PIECE

تصفت رابيا الصور الحديدية مرة أخرى، وهي نسسم في رصا، ثم  
أرسلتها إلى الرسالة الإلكترونية وصعطت على زر الإرسال. نهدت وهي  
تعلق جوارها وتلفت إلى ميار المستلقية إلى جوارها على السرير. قالت  
بلهجة أمرة:

- أحصري كنتك، لبدأ مراجعة درس الإنجليزية!

تأقفت ميار وهي تُلقي جوارها اللوحي الذي نشعل عليه غالب أوقات  
فراغها، ثم تناولت دفانرها ووضعتها على المصدة. كانت قد رجعت إلى  
السفة مد دفائق قليلة. نهى رابيا مفترانها الصائبة في الجامعة، ثم  
نمر لاصطحابها من المدرسة.

تفقدت رابيا رسائلها مرة أخرى، ثم عادت لتزكر مع ميار في دروسها.  
كانت قد شارفت على إتمام رسالة الماجستير الخاصة بها في تخصص  
الحصارة العربية، ويعمل بدوام حرّ كـ «وسيط اجتماعي»! كانت  
تطلق ذلك اللقب في سحرية على مهماتها الحائبة التي أصبحت حرة لا  
يتحرراً من نشاطها اليومي.

مع انفصال ربيع وشهاب بشكل رسمي، كانت حلقة الوصل الوحيدة  
 بين شهاب وطفله أثناء وجودهما في باريس. فواصل أحارهما باستمرار،  
 ونحضرهما لخصص تصوير احترافية كل أسبوع، حتى لا يفوته شيء  
 بخصوص نمو ولديه وتفاصيل حياته. كانت ربيع تصرف الكثير لأشياء  
 أربابها الممثلة، وتحرص على برهنهما الأسبوعية في واحد من المقاهي  
 المفتوحة في العاصمة الفرنسية. ولم يكن على راسا إلا أن يرافقهما  
 ويثقل الضور.



- هل ياني كرافي غذا؟

- لا أعلم.. دعينا ننهي من هذا أولاً.

عسست مبار وهي تضغط على العلم في صوم الحشيش على الدفتر.  
 الواحان أولاً. لكنها تتوق إلى أمسية العدد. مساء الجمعة بحضر  
 كرافي لمضي بعض الوقت برفقتها. كانت نشاق إلى ريارانه التي  
 ناعدت في السنة الأخيرة، صد التحق بالعمل مدرّس رياضيات في مدينة  
 «روون» (Rouen) بمقاطعة «النورماندي» (Normandie).

في السابق، كان ياني لرؤيتها كل يوم برفيقا. يجلسان بعد ساعات  
 مدرستها في مقهى يقع فالة محطة المترو، تحت إشراف رانيا. كانت  
 تسمح له بعشرين دقيقة فقط، وقد تمزدها إلى نصف ساعة، إذا ما  
 استعطفنها مبار بعينين يرتبين مثل عبون الفطط اللامعة والمرتفعة  
 للقلب، ونحفي ذلك بحرص عن سكبته.

لكنها لم تكن تعلم أن راسا في صف سكبته قبل أن تكون في صف أي  
 أحد آخر! لم يكن توسعها تربية التأخير اليومي عن مواعيد المدرسة  
 أمام سكبته.. حاضه وهي الحريضة على فتاتها أشد الحرص، فكيف  
 يعونها نعتير المواعيد محزّذ أن وصعب ربيع طفلها، وتولت رانيا مهمة  
 التوصليل؟ لم تكن رانيا نموّ حداثها صد البداية. وسكبته لم تكن  
 لنماذج أصلاً. لكنهما صحن الصغيرة امتياز الإحساس بالإنارة، وهي  
 تلتقي أحاسا سرّاً!



- تأخّرت سَكِينَة!

تململت مِبار في مقعدها. وطمأنتها رانيا:

- لعلّها على الطّريق الآن.

أخفت قفلها، وانكتت تخرج الدّرس رغم نَشَت ذَهَب الفِئاة وسرحانها المَكزّر.

كان هناك وَجْه آخر لِسَاطِها كوسيط اجتماعي! مثلما تقف على مسافة متساوية من رِيم وشَهاب، كانت تسعى حَفِيّة إلى تَحْرِيس وجهات النّظر بين حاسر وسَكِينَة. لم ينعَيز موقف حاسر - أو كُرَاهِي - من والدته. لقد أدركت منذ وقت طويل أنّ إعراضه عنها مَدِين، وليس طَرَفِيًا. وكان على سَكِينَة أن تَقْل فشلتها في استمالته، وتكفي نَكْوِها حَسْرًا بِيه وبين شَقِيفته. ONE PIECE

فتح باب الشّفة فجأة ونسارعت الخطوات الصّغيرة في الصّالة. تركت مِبار مقعدها وهرولت لاستقبال رِيم والنّوأمين.

- هل رجعت سَكِينَة؟

هَزّت مِبار رأسها ناعية:

- ليس بعد.

- حسناً.. إلى المائدة جميعاً. أحصرت وَجْه حَاهِرَة.

وضعت الأطباق المعلّنة في المطبخ، ودخلت غُرفتها لتتخلّص من معطفها ولباسها الرّسمي. خطت فوق الأكواب التي نَمَلّا الأَرْضِيّة وصارت تَكْدَس في كلّ ركن بشكل لا يطاق. نَأَقَفَت وهي تزيحها لتُشَلّ طَرِيقها نحو حَزَانَة لُبَانِها.

منذ محيئ النّوأمين، تَمَام رانيا على أُرِيكة الصّالة. لقد أخذت الشّفة تضيق بهنّ إلى درجة عالية. إنّها تحاول منذ أكثر من ثلاث سنوات البحث عن شَقَّة أكبر، تليق بعائلة ممتدّة، يرداد عدد أفرادها باستمرار. قرّرت أنّها تودّ الشّراء الآن، وترك شَقَّة الإيجار (٤٠٤)، رغم مكانتها المعنويّة في

هو سهن حيفا.

لكنها لا تجد الوقت الكافي للمزيد على الوكالات العقارية والتمسح على السقف وسوق العقارات في مارحس صديق للجامعة. مروض المساكن العائلية قليلة، والطلب عليها عريض.

خلال ثلاث سنوات، لم أتمكن من رؤية واحدة من أبنائها الصغار. هذا أكد بحفاها لبحر في محيط لمحة الهدى قليل من الأبناء العارسة الناشئة. أربع عرفت على الأقل واحدة لها، ثلثه لحيته. لانه لوانا بحبار، ورائحة للتوأمين بالاعراف إلى شرفه خارجته. عرفت معضه واسعه سطح مفتوح، مستقر حصر ومحتة بالتكامل.

لعلها لا ترضى للانتقال. لعلها تستمر حكمة القسمة. لسفر على الخصمة النجيلة التي تجعلهم في تلك السعة متعة، لو انفردت كل شهر في عرفتها، ربما تفر حرارة العلاقات.

لقد تحدثت سكية عن الرحيل، منذ سنوات. بعد أن استعادت مزار كان من الطبيعي أن ترغب في الاستقلال بحياتها وحفظتها. في سعة حاضه بها. وفي وقت آخر، كانت تفكر في ترك مريسا كلها والعودة إلى وطنها سوريا. لكن الظروف تغيرت فجأة وما كان ممكنا عدا مستحيلة مع استمرار الحرب الأهلية السورية منذ ٢٠١١، وتحت أهل البلد في أصقاع الأرض.

أقنعها ريم بالقضاء ثانياً بحياتها، لرعاية الطفلين. وقد استحدثت سكية، لكن الطفلين يذبان، وأصبحا يناديان المدرسة الآن. ضمت إلى سكية فـه يعود إلى موضوع الانتقال من جديد. لكن ظروفها الصحية حالت دون اتخاذ خطوة حادة بذلك الشأن.

افتتح الباب مرة أخرى، وظهرت سكية. تركت كل شهر ما بيدها وتحلق حولها. كانت تبدو منهكة ومفرقة من الطاقة. تهاوت على الأريكة. فسارعت إليها لحضر كوب ماء من أجليها. في حين تأطت مزار ذراعها وأسندت رأسها إلى صدرها. سألت ريم في قلق:

- أنت بخير؟

أومات بانسامة واهمة، ورثت على رأس صغيرتها المرتعة. قالت بصوت محجوج:

- أنا هنا يا حبيبي.. لقد خشت!

كأنت تعود على تلك الحال من الضعف، بعد كل جلسة علاج كيميائي. لقد كانت الحراقة محدبة إلى حد كبير، وقد مرز سواب هادئة وهائلة حسنت حلالها أتها فد عادت نعم بالصحة الواقفة لكن الوضع عاد ليعكر في الأوبة الأخيرة. والآن، نصطر إلى تلقى خمصر العلاج لطويلة، مرة كل ثلاثة أسابيع.

وقفت فجأة بعد أن أحدثت نفسا:

- لعنك لم تكن ساعدت نفسك!

- مكانك يا سكية.. هذا اليوم لا مطيح بالنسة إليك.

هصصت ميار في حواس:

- رنيم أحضرت عشاء من المطعم!

نحلف حول المائدة، نرى وحوههن السمات. بخفين فلفهن شأن مستنفل موحش لا يرعى في التفكير فيه.

وقف عمر على معدة من المني المرتفع، يتأمل المندبة الباسقة والقبة الصخرة. تفصله عن ريارته الأخيرة للمركز الإسلامي بروكسيل ست سنوات ولبف، ومحيم ومنروع وفص وحسن! لكنه برسو إلى المنشأة المألوفة، وكأنه كان هـا بالأمس.

لم تعد للزمن القبة ذاتها، بالنسبة إلى الغرباء أمثال، الخاص في اتجاه يعاكس عقارب الساعة.. على هامش الحياة والواقع.

اجتار المدجل وقد افترق الساعة من مؤبد أذان العصر. نوحه مائرة إلى قاعة الصلاة المسبحة. جلس وقد عشيته السكية، بترقب إقامة الصلاة. صلي مع الجماعة الأولى، ثم بهص. سار بين الأروقة، يبحث في الوحوه عن ملامح مألوفة. لكنها لم تكن هـاك.

طرق باب المكتب الذي تناول ذات طهيرة كوب شاي مع صاحبه، ثم دخل. قالت له وحوه بشوشة، أصحابها غرباء. سأل في لهفه المشتاق إلى أهله:

- أبحث عن عزام.. رجل في الحمير، فلسطيني.

- أسف.. أنا حديث عهد بالعمل هنا. لا أعرف عمن تتحدث.

وقف الشاب وهو يشير إلى عمر بالحلوس:

- نفصل انتظر هـا.. سأستعمر عن طلبك، لعل أحد الإخوة يمكنه الإفادة.

عاب لدقائق قليلة، ثم عاد ويرفقه رجل أريعي، يلتحف بالكوفية الفلسطينية. صافح عمر بحرارة، ثم سأل في استعراب:

- أنت تعرف عزّام؟ لقد رحل مد سنين، وترك مطروفاً معلقاً. قال أنّ  
أحدًا سيأتي للسؤال عنه.. وقد مضى وقت طويل حتّى نسيت الأمر، لم  
أحسب أنّ يأتي أحدهم حقاً!

- هل الطّرف في حورتك؟

- إنّهُ محفوظ في مكتبي. نواب، سأبّي لك به.

غلب الرّجل برهه نمر عاد وقد نهلب لشاربيه:

- هاك الأمانه!

شكره عمر بالنسابة معنّه، نمر اختصت كلاً من «رسالة المعالمة»  
برقب حتّى بات وجباً لعضر المعلف وبهذا الكلام القليلة التي حوتها  
الصفحة السبعة. كنهدي في الرّياح، نمر مضى.

سار في طرفات بروكسيل طويلاً بلا وجهة. لم يكن يبحث عن أبة  
وحالها، فقد عرف العواص والبريد الإلكتروني. عواص في مدينة «يون»  
الألمانية. لا شك أنّ الكثير قد فاته. أحد برصف كلمات الرّسالة التي  
سبقتها حال عودته إلى عرفة الصدق في دهمه. سيعرف كيف انتهى  
بهم المطاف في ألمانيا حين يصله رثها. يتجبل لحظات اللّقاء المرتقب  
وينسى.

في الأثناء، يستمرّ بحث عن نفسه.. عن دانه القديمة التي تُقد حماسه  
وتعرف هدفها. لقد لقطه النحر، مثل طفل بأنه تركه أمه على قارعة  
الطريق ورحلت. كان يطوف بالرفاع القديمة التي تُعثر وجدانه بينها،  
بحاول لملمة لحظات نفسه والاستواء رحلاً شامخاً من حديد. لكنّه لا  
يفلح بعد. سيجتاح رماء لا يسعه تقديره، حتّى يخلص دواحلها ممّا  
خالطها من أدران.

من هنا بدأ.. ومن هنا يستأنف الرّحلة.

\*\*\*

فتحت باسمين نافذة غرفتها المطلّة على باحة المنزل، ورفعت  
السّنانر، ثمّ عرت الرّواق المسقوف في اتجاه المطبخ. كانت العرف كلّها  
تضج على السّاحة الصّلبّة، على الطّرار التقليديّ لدور القرية. لكنّ  
عبد الحميد قام بتحديث المسكن القديم لبلائم العائلة، ورؤد كلّ غرفة  
بحمامها الخاصّ، لتوفير قدر مناسب من الراحة.

في مسقط رأس هنرم، قرب مدينة «طرفة»، شمال البلاد النّوبية،  
انتهى بها المطاف. قرية صغيرة، صاحبها حليّ ميسر، نحّذها عابثات  
الدّوّل والملّين، ومزروعات منلحة، وشواطن البحر المتوسّط الصحريّة.  
كانت رهور قد سبقتها إلى المطبخ، وقد جلس عزّ الدين إلى المائدة،  
يرتشف حلسه الذّاق مثل قطّة ودبّعة وباعطه رنّك على رأسه وهمست:  
- لم تنتظري هذا الضّاح!

كان ولدها بشاركها العرفة دانها. لكنّه بسّل من التّبرير حلسة ما إن  
ينته إلى استيقاظ حدّته. انسم في اعتدار وقال:  
- كنت جائعاً.

مدد عودتها إلى نوبس، برفقة عائلتها، كانت تشعر بمريح من الارتياح  
والحنين. لقد كانت حياة القرية المستريحة تلائمها.. كأنّما هي الخطوة  
المطقيّة التالية. بعد انتقالها من العاصمة العرسيّة الصّاخبة، إلى مدينة  
«لبل» الهادئة، كان التطوّر الحتميّ هو القرية! لم تكن نحت رحام  
وقت الدّروة ولا عجلة السيّارات المسرّعة. كانت تستمتع بقضاء حاجاتها  
سيراً على الأقدام. في القرية، يعرف كلّ النّاس بعضهم بعضاً، والمحلّات  
التي تقصدها تجتمع في شارع واحد مركزيّ، لا تملك حيارات غيره، ولم  
يكن ذلك بضايقتها.

لكنّ نوبات الحنين تعكّر صفاء قلبها.

نماثلت للشفاء سريعاً بعد تركها فرنسا. لقد كانت تلك الخطوة

صورتها، لهم جميعاً. نعاقت أرواحهم التي رادت العربة من وطأة  
الحزن عليها.

- صباح الخير

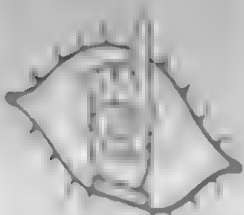
انصمت إليهم مساء على مائدة الإفطار. بدت عيناها منورتين  
وشعرها مكوّناً. ربت باسمين إلى ملامحها العاسية وهمست:

- أنت خير؟

تهدت وهي تقول في وجوم:

- لم أتم حبداً

- نشاحرنا؟



كانت مساءً فقد حصلت لأكس عتفاً مد سبين. بدا لفاؤهما مثل  
«حب من البطرة الأولى». لم يكن أحدهما يعرف شيئاً عن الآخر تقريباً،  
بحكم شأنها في العربة مد بعومة أطفارها. وقد استحسن الأخوان  
ارتباط الأساء ونوئبق عرى المودة الأصرية.

كان الشان يكرها ثلاث سواب، مهندس راعي، اهنم باستصلاح  
أرض حده، وأشأ مرعة حديثة استثمر فيها كل أعمامه مدحرائهم،  
ووصعوا عليها آمالا كبيرة.

- إنه مصر على السكر مع أهله!

قالت بتكثيرة من شمسها وبطبية نعرو حبسها. انصمت باسمين في  
إشفاق. لم يكن يحضر مالها، حين تزوّجت هبتم، أنها سترضى بالسكن  
مع عائلته. لقد كانت استقلاليتها أمراً مفروغاً منه. لكن الظروف التي  
لم تحطر على قلب أحدهم أدت إلى تلك المساكة.

لم يدرك بخلها فطاً أن نحرم رهور وعبد الحميد من صحة حبيبها.  
كانت تدرك بقباً أنّها بحاجة، مثلها هو بحاجة. في غياب والده، كان

جَدَّه بِكَمَلِ التَّقْصِ الَّذِي يَلْقَى بِظِلَالِهِ عَلَى وَجْدَانِ الطِّفْلِ. لَقَدْ كَبُرَتْ  
هِيَ دُونَ أَبٍ، وَتَعْرِفُ كَيْفَ يَكُونُ الْأَمْرُ. وَلَمْ تَكُنْ تَسُدُّ بِمُفْرَدِهَا فِرَاقَهُ.  
كَانَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بِأَخْذِهِ إِلَى السُّوقِ، بِعَلَمِهِ الصَّبْدِ وَتَسْلُقُ الْأَشْحَارُ، رُكُوبَ  
الدَّوَابِّ وَصِغِ الْفَخَاحِ.. يَشَارِكُهُ الْأَنْشُطَةُ الرَّحَالِيَّةُ، وَيُصَحِّحُهُ حُرَّةٌ مِنْ  
حَنَانٍ مِنْ بَوَّعٍ آخَرَ، بِخِلَافٍ عَنِ حَيَاةِ الْأَمْرِ.

لَقَدْ كَانَتْ اللَّحْمَةُ الَّتِي تَوَلَّدَتْ بِهِمْ، بَعْدَ الْمَاجِعَةِ، تَلَفَاتِيَّةً. كَانَ  
مَصَابِهِمْ وَاحِدًا، وَتَكَانِفُهُمْ حَقِيقًا. كَانَتْ تَسْتَشْعِرُ ذَلِكَ الْفِرَاقَ فِي رُوحِهَا،  
وَكَانَتْ رُؤْيَا أَهْنَاءٍ هَبْنِمُ، كُلِّ يَوْمٍ، تَمْلُوهُا أَرْبَابًا، كَأَنَّ عَمِيرَ الْكِرَاهِ مَعْلُوقٌ  
دَائِمًا فِي الْحَقِّ، لِأَنَّ سِيرَتَهُ لَا تَنْفُطِعُ عَلَى أَسْنَنِهِمْ، وَصُورُهُ قَرِينُ حُدْرَانِ  
عَرَفُهُمْ، وَالْحَنِينُ إِلَى أَوْفَاتِهِمْ مَعَهُ بِحَمَمِهِمْ  
لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ مَكَلَّتْهَا الطَّبِيعَةُ.

تَكَلَّمَتْ زَهْرُورٌ وَهِيَ تَمَلَأُ فَجَاجِيبَ الْفَهْوَةِ:

- لَسْتُ مُصْطَرَّةً لِإِنْسَامِ الرِّبْجَةِ.. إِذَا لَمْ نَجِدِ الْإِرْتِيَاحَ، سَيَنْحَدَثُ  
وَالِدُكَ إِلَى شَفِيقِهِ وَيَنْهِيَ هَذِهِ الْمَسَآلَةَ!

خَبَطَتْ مِيسَاءُ نَكْفَهَا عَلَى الطَّائِلَةِ فِي اسْتِبَاءٍ:

- لَقَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ! أَسَيْتُ لَا نَرِيدُ بَيْنِي وَأَنْتَ رُجُوجٌ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ كُلُّ  
خِلَافٍ بِالنَّسَبَةِ إِلَيْكَ مَسْوُوعٌ كَافٍ لِإِلْعَاقِ الرِّقَاقِ! لَقَدْ صَرْتُ فِي الثَّلَاثِينَ،  
هَلْ تَذَرِكِينَ؟ أَمْ تَرَكَ تَفْصِيلَ الْإِحْتِفَازِ.. مِثْلَ عُرُوسِ الْحَرْفِ فِي رُكْنِ  
الْمَوْفِدِ؟

مَطَّتْ زَهْرُورٌ شَفْطِيهَا وَهِيَ تَرُشِفُ مِنْ فَجَائِهَا:

- لَسْتُ أَنَا صَاحِبَةُ الشُّكُوى! كُنْتُ أَحَاوِلُ الْمُسَاعَدَةَ وَحَسْبُ.

- طَبْعًا.. الْمُسَاعَدَةُ!

تَمَتَّتْ مِيسَاءُ فِي اسْتِبَاءٍ قَبْلَ أَنْ تَتْرَكَ مَقْعِدَهَا، لِتُضَيِّفَ مَلْعَقَتِي سَكَّرَ  
إِلَى فَنَاجَانِهَا، ثُمَّ أَضَافَتْ:



- سيأتي هذا المساء.

- ما الداعي؟

- يجب أن ننص هذا الخلاف.. هل يمكن لأبي أن يشترط مسكنا مستحقا؟

- بالتأكيد... سأحدث إليه.

كانت العلاقة معقدة سها وبين نساء العائلة. في بطنهن، كانت الفناء الفرنسية المدللة. لا نعيم التغالب ولا نراعي الحادات. وقد حلدتها بالسنتين السليطة الحاذة حين حاولت أن تأخذ بوجه الأمور في تلك العلاقة. ثم كان عليها الاصباح ونرك النضري بيد والدها.

- لا يمكنه التوضا لأبيه الوحيدة بالمهانة.. أليس كذلك؟

- بالمعاصرة نحن نرؤى والدك، سكنت في منزل العائلة سنين.. ثم جاءت ظروف السفر إلى فرنسا.

عبرت ميساء وقالت في نور:

- ماذا تفصدين؟

- أقصد أن هذا التدبير قد يكون مؤقتا.. حتى يشهد زوحك مرلا حاضا. لقد نرؤجت في غرفة باسمين! والآن قد حلا منزل العائلة من سكاكه وهجره أهله.

إنها نظمت نفسها بأن ذلك التدبير مؤقت. إنها تحن إلى حبانها المستقلة الزائفة. لقد تركت عملها، ولم تطمع في إيجاد فرصة مناسبة في قضاء القرية، حيث لا جامعات ولا مراكز بحثية ولا مؤسسات ثقافية. بوسعها التقديم على وظيفة مدرسة. لكنها ترقب الوقت المناسب، حتى يكرع الدبر ويرناد المدرسة بدوره.

لم يكر العمل هدفا في ذاته. إنها تحت ما تفعل، ونستمتع بالتجارب الاجتماعية التي نخوضها. لكن ما يعورها الآن هو الاستقلال المادي. لقد

أنفق عبد الحميد جزءاً من مذكراته لاستصلاح منزل العائلة القديم،  
 وقسم ما تبقى من نص بيع البيت القريبي بين ميساء ووائل وعز  
 الذبي، بعد أن احتفظ بما يكفيه وروحه في أيام شبخوختهما. في الأثناء،  
 يستعيد أيام محبة السابق في مصمار الفلاحة، ويشارك إخوانه مشروع  
 المزرعة العصرية الواعد، لكنها لا تحرق على لص داك المبلغ أبدًا.  
 قالت وهي تشر إليه أن يمسح رعوه الحليب عن شعبيه:

- سأنتظرك في العرفة، من أجل الدرس الصباحي.

كانا بمضيا ساعات الصباح في أنشطة تعليمية محطمة. تفرقا قصصا  
 وتعلمنا الحساب والعدّ بأدوات مقلّدة عن أسلوب «موبوسوري»، بما  
 ينوّر لها من أعراض مرتبة الضع. كانا ينسجلان كثيرا. ثم نترك له  
 العنان ليلهو في الحوش المشمس، أو يوافق حذو لفصاء بعض الحاحات،  
 بما تهكم في أعمال الممرل التي لا تنهي.

رأى هانفها معلنا عن اتصال صوتي من ريم. انسمت وهي تردّ في  
 استغراب:

- استراحة مبكرة؟

- ليس تماما.. ما رلت في المكتم، لكنني لم أستطع الانتظار. عمدي  
 لك معاحاة!

- معاحاة؟ نصالحت وشهاب؟

عسب ريم وقالت في ضيق:

- معاحاة تخضك يا عربري!

- تخصني أنا؟ كيف؟

- اسمعي.. كان حورج يرث ملقات العصابة القديمة، فوجد وثائق بحض  
 هيثم، رحمه الله.

أعلنت ريم بشكل مسرحي:

- احزري ماذا؟ لقد اكتشفنا وجود حساب نوفمبر فتحه هينم، باسم عز الدين!

- حساب نوفمبر؟ لم بحري هينم عن هذا قط!

- لأنها كانت مفاجأة.. ألقاها حتى بحين موعد الولادة؟

تضمنت في عدم اقتناع:

- ريمًا...

واصلت ريم في حماس:

- المهم.. لقد كنت في ألسك منذ حين، وتحققت من الحساب. أصعب

إلى هذا.. هناك مبلغ أكثر من مئزار في رصيد عز الدين!

- غريب.. من أين أن؟

- يبدو -من حركة الإيداعات المنكزرة- أن أرباح مشروع الألعاب كانت

نقل بشكل مباشر على الحساب!

هتفت باسمين في دهشة:

- أنت واثقة؟ هذا لا يصدق!

- هينا لك عزيزي! لا شك أن هينم كان ذا نظرة استشرافية ثاقبة، حتى

يفكر بمستقبل عز الدين بهذا الشكل الحكيم!

دمعت عيناً باسمين في تأثر. بينما عصت ريم على شفنها السفلى في

توتر. لم ترد أن تفتح محادثة مرتبة، حتى لا تعصح ملامحها كدنتها.

لكنها تفعل هذا من أجلها.

- هل نودين أن أحول المبلغ إلى حسابك الشخصي؟

- لا أدري.. إن كان هينم يريد نوفمبر مبلغ لدراسة عز الدين لاحقاً..

أليس من الأفضل أن أنفيها ههنا؟

قالت رنيم في حيرة:

- لقد حرص جدّه ميراث والده من أجل هذا العرض، من رأي،  
استفدي من المبلغ لإنشاء مشروعك الخاص، فنت في حاجة إلى مدخول  
لك ولولدك.. استثمري المال الآن، حتى تنمو قيمته في المستقبل. حتى  
لو اشتريت عفارًا وأخرته، سيكون ذلك أفضل من إبقاء المبلغ حامدًا...  
مضى حماسها إلى ياسين.

- أنت محقة. لقد كنت أفكر مد حنت إلى الغربة في مشروع محدد..  
لكنني لم أكن أملك رأس المال الكافي.. هذا الحزم، إنه يحل المشكلات  
جميعها. ليس أدري كيف أشكرك!  
أنهت رنيم الاتصال. نهدت، ثم أخذت ترفس رسالة نصية: «تمت  
المهمة بنجاح». ثم صعطت على زر الإرسال.

...

وقف عمر أعلى التلة. ألقى نظرة شاملة على المشهد تحت قدميه.  
كانت الدّور ذات السّقوف القرميَّة الحمراء تظهر مرآضة حبًا ومساعدة  
حبًا آخر، تفصلها مساحات حمراء وحقول أشجار منمرة. وفي البعيد،  
تلالاً مياها جلول صَبَق تحب أشعة الشمس، بلفج مجراه حول النخف  
السكيّ ويواصل تدفقه نحو الحوب.  
اقترب الوكيل العقاري وهال:

- ماذا قلت سيدي.. هل قرّرت الشراء؟

انتسم عمر وقد التمعت في عييه نظرة رصا:

- أودّ تقديم عرض.

- جميل.. اتبعني أرجوك.

كان الممرل التقليديّ الواقع أعلى التلّة، مطّلاً على صاحبة سكبّة نعد مسافة ساعة واحدة عن مركز «لوران»، على أبواب الزيف السويسريّ، قد استحوذ على لته.

نجول في أحباء الساء القهيم الذي يعود إنشاؤه إلى مطلع القرن الثامن عشر. سحره الطّرار العبقّ المشع بالتاريخ: الأعمدة الحشيّة المكشوفة، لأرضيّة التاركة الأصنّته، وموعد الحطب الذي ترتع في صدر فضاء الاسفال الوسع. كان الممرل لمحدّد بالكمّل، مع إحباط على الطابع الأصبل، لمي بحاحته ويريد، يعرفه اللان المشرفة على حفل معتد من الحجة الخلفيّة.

جلس الزحلال في انهاء، وأحد عمر بخط من الشراء. لقد نقل كثيرًا في الشهور الماضية، من مدن أوروبّة عده. مد عادر باريس، كانت بروكسيل محطّته الأولى، ثمّ رار أبه وعائلتها في بون الألمانية، ثمّ فرانكفورت وميونخ، لكنّه لم بعد بعد الراحة في المدن الكبيرة الحافقة. نحره السحر جعلت صدره بصق، وفؤاده ينكدر في الفضاءات المعلفة والمكنّطة. اسمز بحث عن صالّنه، حتّى فاده المسير إلى تلك التلّة. وقّع العرص، وسرحت بطرانه نحو الأفق. فربما تكون تلك الأرض له، وسبكون توسعه إرسال مصره نحو العبد، فلا يحده عمران ولا برده حدار. تلك هي الحرّبة!

وصل سويسرا منذ أسوعس. كانت وجهة منالّة على الورق. واحدة صمن عدد محدود من «الملاذات الضريّّة» في قلب أوروبا. لم يكن بحناح نهريّ نروه أو نبيص أموال، ولم يكن بقر من سطوة الحباية.. لكنّه بفدّر مدى تكئم السوك السويسريّة وحماتها لمعطبات عملاتها الشخصيّة.

طلب موعدًا مع مدير فرع السك الفدراليّ السويسريّ في أحد أحباء

«لوزان»، فتلقى إجابة بالقبول خلال أسبوع واحد. استقبله الرجل بحفاوة وهو يقول مصافحًا:

- أعرف من تكون.. أنت مشهور هنا!

رفع عمر حاجبه في دهشة، ثم سأل منهكًا:

- هل هي نهرة إباحة أم سلبية؟

مطّ الرجل شفتيه ثم قال صاحكا:

- ما دامت لديك أموال للاستثمار، فهي إباحة!

شاركه عمر الضحك، ثم جلسا متقابلين. أنشأ عمر يشول بالهجة جادة:

- لقد تركت فرنسا خوفًا على حياتي.. وبقيت على طعنا أمي، لتطوير

مشاريع علمية ونهضة دون مصابقات أو أعطال متعمّده.

- أنت في المكان المناسب يا سيدي. نحن نحترم مشروعك الحاضر،

وبسعدنا أن تكون طرفًا في نيسر عملك. اطمئن، سويسرا لا تنمي إلى

الاتحاد الأوروبي.. والقرارات السياسية النابعة عنه غير ملزمة لها.. وليس

هناك ما ينغضه أكثر من الاعتماد على الحريات الشخصية، والمساس

بالسيادة الوطنية على أرضنا! ما حصل في فرنسا، من المستحيل أن يتكرر

هنا!

كان الرجل مطلقًا على حثيثات قصبته بشكل وافر. أخذ السك الوقت

الكافي للتفصّي والتحرّج قبل أن يرسل إليه بالموافقة على الموعد. رفع

عمر في ارتساح، ثم أضاف:

- ليس هذا كل شيء.. لا أريد أن يرد اسمي مطلقًا على لائحة عملناكم.

- اطمئن يا سيدي.. هويّات عملنا أصحاب الحسابات «المرفقة»

لا تكشف لأيّ كان. هذا مدأنا قبل كل شيء.. علاقة السك السويسري

بالعمل، لا تختلف عن السرّ المهني بين المريض والطبيب، أو بين

الموكل والمحامي. لا شيء يغادر هذه الجدران.. وحتى وجود الحساب من الأساس، لن يعلم به أحد.. باستثنائي أنا شخصيًا، والموظف المنصري في الحساب.. كن مطمئنًا.

...

تحزكت القبان الأوسع حلف الوكيل العقاري، بتفحس على أرجاء الشقة، بينما جلس الطفال بهدوء على الأريكة كما أمرت والدتهما. كانت غرفة المعيشة مهيّنة، شرفتها ذات الإطلالة المباشرة على ساحة المبنى الداخلية المشجرة، ومطبخها العصري والمعتصر. أما العرفاء فكلها ذات مساحات مناسبة، مزوّدة بالندوة القرنية وبواضها واسعة توفر إنارة بهائية طبعية. قال الوكيل العقاري مهيبًا الحولة: - الشقة مطلوبة جدًا.. لدي أربع ريارات محدولة صاح العد، بالإضافة إلى ريارتين هذا المساء. إن كنتن نرديها، فعليكن بالمحلة!

سألت ريم رفيقانهما في اهتمام:

- ها.. ما رأيكن؟

تدخلت رانيا في حرج:

- قبل أن نناقش شأن الشقة، هناك ملعلّي إخباركن به.

قالت سكية على الفور:

- وأنا أيضًا!

حدثتهما ريم في استغراب:

- ما خطبكما؟ نحن نحاول معاينة الشقة الآن. ألا يمكن التأجيل حتى نرجع إلى البيت؟

قالت رانيا بتردد:

- أفضل إخباركن الآن. حتى نكنّ على بينة.

- ما الأمر؟ قولي!
- لقد وجدت فرصة عمل.
- هذا واضح! نهائياً! أين؟
- مؤسسة نرحمة.. في الإسكندرية.
- آه!
- سأبدأ العمل خلال شهرين. لذلك لا حاجة لأعباري بخصوص الشقة الجديدة.
- حاولت ربم تجفيف وطأة الحبة وهي تقول أنت سائلة مخاطبة ميار:
- هنيئاً لك يا حلوة.. أصبحت لديك عرفة حاصفا
- لتصبحت سقيفة وهي تقول:
- يجب أن أقصي لك بني، بدوري.
- التفتت إلى استنها وقالت:
- ميار هلا أحدث مفاتيس العرف رجاء؟
- تناولت الفتاة المنز المعبد وانصرفت إلى مهعتها دون نقاش، فتناعت سكبنة بصوت حافت:
- لا أريد لها أن نسمع هذا.. لكنني أعلم أن أيامي قد نانت معدودة.
- قاطعها رابا بي صبق:
- لا تقولي هذا!
- أشارت سكبنة بكفها نسنوفعها:
- دعيني أواصل حتى النهاية. لقد أردت أن أحدها إلى سوريا لتلتقي عائلتها.. لكننا فقدنا كل شيء هماك. شقيبي ووالدي استقرا مد بصعة أشهر في اسطسول.. سأنتظر انتهاء العلاج، حتى تكون حالتي النضحية



أفضل قلبلا، ثم أخذها لنضم إليهما. إذا حصل لي أي شيء، لا أريد أن تنقضي ميار وجيدة.. لذلك بحب أن تلتقي بأهلها.

سكنت الأخصار، وكأنَّ على رأسيهما الطير. لقد أحببت كل من تلك العائلة الحديدية المختلفة، مثل لوحة فسيفساء. لكن تلك سنة الحفافة شريكات السكر لا يدمر إلى الأبد. إن كانت العائلات الحقيقية تتفرق سبيلها ويمرط عقد أفرادها للدراسة والعمل والروح، فما بالك بالعائلات المرمومة التي نجمعها ظروف العربة؟

همست راسا إلى شقيقتها بالنساعة متعاطفة:

- أظن أن عليك الاحتفاظ بالشفة (٤٠٤).. إنها كافية لك والطفلين. لعل المالك يفكر في السبع

حين حلت ربيم نفسها، بعد أن خلد الولدان إلى النوم إلى حوارها على الشرير المردوح العريض، نهذب في حجرة. لقد حسنت أن الحفاظ على الوضع الزاهر ممكن. ومشروع الشراء العقاري المشترك داك كان في نظرها تنويحا لمسيرة سنوات من الضعاب التي احزبها مغا وتمجيذا لعلاقة شريكات سكر استثنائيات.

ندحرجت العبرات على وحنيتها في صمت. لقد كان الحلم في محبتها وحدها. لقد عقلت عن رعاتهن ومشاريعهن الشخصية. والآن نكتشف أنها كانت واهمة، واهمة جدا.

ارتفع ربيم هاتعها فجأة. الشعة نشير إلى الثامنة والنلت مساء. طالعت الشاشة ثم ردت سرعة، حتى لا يروع الضوت يوم الطفلين.

- شهاب، كيف حالك؟

كأنا من داك النوع من الأرواح المصقلين. طلنت علاقتهما ودبة وباصحة، رغم الخلافات التي فزمت بينهما. كان توسعهما الحديث بشكل مسترح الآن، مثل صديقيين قديمين. لقد احتاحا وفنا طويلا، لنسويه حساباتهما،

ووضع أساسات تلك العلاقة العصرية والمفتحة. لكنهما بخير الآن. ما  
بيهما لم يكن من الممكن مسحه أو تجاهله.. بينهما طفلان رائعان  
ومدهلان، يمثلان أحمل شيء في الزواج. لا تحلّد علاقة إلا حين يكون  
هناك أطفال في الوسط.

- هل فيكيس؟

- لا.. لا، إنه.. الصل!

ضحك شهاب وقال للهجة غير مصدقة:

- بصل؟ في هذا الوقت؟ ربيم شاكر.. مني كانت آخر رهارة لك إلى  
المطبخ؟

تضحكت وهي تنظره العجائب وكانت:

- رثما.. درأت العمار.

- أين أنت؟

- في عرقي...

- درأت عبار إدن؟ ربيم.. أنت نمكيس. ما الأمر؟ مشكلة في العمل؟

ابتسمت، تعلم أنه لن يطاع الإصعاء إلى شكواها إن هي انترسلت  
في الحديث، لكنها لم تعد تريد استعلال طيبه أكثر. قالت معيرة  
الموضوع:

- أنت في باريس؟

- نعم.. وصلت مد ساعة واحدة.

- آه، تريد رؤية الطفلين؟

- سيكون ذلك رائعا.. انصف إليهما أكثر من أي شيء في العالم! أنا  
مفزع النسب والأحد، نقر سأسعل في بداية الأسوع في المؤتمر العلمي.  
- يمكنك اصطحابهما للتره بعد المدرسة أيضا.

- سيكون ذلك مناسبًا جدًا.. شكرًا لك.

- على الرحب.

استمر الضمت لرهة وفكرت لوهلة أن تستفسر عن الشخصات التي  
لقتها إنها لم تدر بعد بلوحة شعاعه لم تحف عليها.. صواب.. خروجها  
انظري إلى وحدة كالمهمة..

لقد تركت ضباب كانت هي الدلالة.. والآن لا يمكنها أن تقوم أو تسأل الله  
إذا ما أتى اهتمامها أمواه أخرى.. لكن الوصول جعلها.. هي هي؟ تيمنا  
شكلاها؟ ما هي فمها؟

كان هو من قطع الضمت آخرًا..

- أن وصلت في مشروع الطفل الرئيسي؟

قالت سره تهكم:

- ألم تنقل بيت رانيا المسحقات؟ لقد صرفت النظر عن الخطأ كلها.

- لا شيء.. نبال.. رضاك؟

- بل لم يعد هناك شربة.. محتفون.. الحصى يفكر في بدء مرحلة  
جديدة.. بعيدًا عن هنا.

- لعنها الخطوة الصائبة.. لك أيضًا.

- بقصد أن أشرك باريس؟

- أعني الاستقلال عن شركات التفتق.. والاسفرار في مكان عالمي.

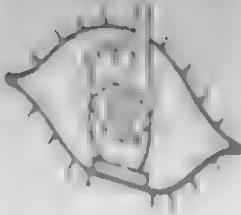
مفصل..

تهدت.. أخذ صعوبة في تقبل الوحدة التي عليها مواجهتها قريبًا..  
صوت في داخلها تصرخ: أحناك إلى حوار.. لكن إرادتها تحرسه وتقيه  
ساكنًا في الأعماق.. يمكنها تدبر أمرها بمفردها.. لقد فعلت في السابق..  
وستفعل في المستقبل.

- بعد غدٍ.. العاشرة صباحًا؟

- نعم. سيكونان جاهزين.

أغلق الحِطَّ، نَمَّ انهارت على وسادتها، تشج بصوت متقطع. نبي  
فشلها على الأطلال المحورية لعلاقة كانت تملك كل مفومات النجاح،  
والفراع الهائل الذي يلتهم خوفها. لقد ضيَّعت شهاب بعلها، ولا شيء  
مما أحرزته في عبابه بحَقَّ عنها عبء تلك الحسارة.



ONE PIECE

الطبعة الأولى: ٢٠٠٨  
الطبعة الثانية: ٢٠١٠

جميع الحقوق محفوظة  
لدار النشر

جميع الحقوق محفوظة لدار النشر

BOOKS

نزلت ربيم إلى الطابق الأرضي للسابعة، وفادت الطفلين أمامها بالتحية  
 وهو الاستقبال. لصحت شهاب بقى في انتظارهم في الخارج. فتحت  
 الباب وأرسلت الولدين. قالت وهي تلوح لهما من بعد:  
 - استمتعا!

رافقته وهو يساعدهما على الزكوب في المفاعل الحفنة للستارة  
 المسنحة، يربط أحدهما، ثم يعود إليها. نظرت إليه في حرج. لم  
 يلتقيا وجهها لوجه منذ سجن رتبا. كان ذلك بعد شجار عيب فخرا  
 خلاله كل الأعلام الضيقة على أرض معركتهما، وبقي كلاهما عن عضه  
 بالقدر الكافي. ثم هدأت الأحواء بينهما ومالت إلى المسالمة.

كان يبدو مختلفا اليوم. رتبا تلك الشجيرات البضاء التي أحدث  
 نرجف على فودبه، لم يسبق لها ملاحظتها. وتلك التطارات الشمسية،  
 إنها علامة تجارته حديدة، وشكلها البضاوي الذي يتسع نحو الأعلى  
 يناسب ملامحه ويريده وسامة. باردها فجأة:

- هل نودين المحي؟

ارتكبت. لم بجمعهما فضاء واحد، مد الطلاق الرسمي. كانا قادرين  
 على تسوية خلافاتهما عن بعد، وسبق أوقات العابة بالطفلين على  
 الهانف، مكالمات قصيره، عملية وهادئة. لم يلتقيا، حتى خلال رياراتها  
 لمصر في الإحارات الضيقة، كانا يتعاملان بوسائط. رابا أو والدتها  
 ناريمان، توصل التوأمين إلى بنته، أو تستقله حين يأتي لتوصيلهما. لكن  
 الدعوة كانت مغربة. قالت في تردد:

- أنت واثق؟

- بالتأكيد.. إن لم تكن لديك أشغال.

نظرت إلى بنطالها البيّ الأسود ويلورنهما الواسعة، ثم قالت بلهجة معتذرة:

- خمس دقائق.. حتى أُعبر ثيابي!

عادت بعد عشر دقائق. ارتدت فستاناً طويلاً بطفات من الشيفون وسترة من الحبر، وانتعلت حذاءً رياضيّاً. وقفت دقيقتين تختار أقرانها، ثم انتفت فتعنين على شكل فطرة ماء لامعة، تتدلى منها جيوب رقيقة مثل شلال ذهبي ناعم. رفعت شعرها، وتركبت حصانها المنموجة تنهمر بشكل جذاب. لقد أسرع، بقدر طاقتها. لكن كل أنثى تحتاج وقتاً لتكتمل أركان جمالها. هولمت في الممر، وهي تجعل ملامحه المزعجة لتأخيرها. لكنه فاجأها بانسامة صافية، كادت تسي تأثيرها عليها.

جلست إلى جواره، ثم استدارت تتفقد الطفلين، وهي تغالب إحساساً أسراً بالإثارة. كانت تلك المرة الأولى التي يجتمعون فيها كـ«عائلة». في العادة، هناك «وقت ماما» و«وقت بابا». ماما وبابا لا يلتقيان في جملة واحدة، فما بالك في سيارة واحدة!

توقّف شهاب عند رصيف السّين، حيث تطلق الرّحلات الحرّية. عاب لدقائق قليلة، ثم عاد بالتّذاكر. هتفت ربيع في حذل، ما إن وطئت قدماها سطح السفينة:

- المطعم العائم!

استقرّ أربعتهم على المائدة المحصّصة لهم في الفضاء المكشوف. كان التّسيم منعشاً والسّماء شديدة الرّزقة عوفهم، وأشعة الشّمس تدفّئهم سخاء. عند السّاعة الحادية عشرة، أبحرت السفينة، من أحلّ العداء المبكر.

كان شهاب يجلس قبالتها، إلى جواره سمر، بينما كان عمر الضّعير

يشعل المفعد المحاور لها. تناولوا العداء دون أن يتادلا حديثاً كثيراً،  
فقد شغل الطفلان اهتمامهما.. بحرّبان أنواع الطعام الغربية ثم  
بلفظاتها، بتقادفان قطع البطاطس أو يتشاحران من أحل حبات الفراولة،  
ثم بسكي أحدهما أو كلاهما. كان عداءً صريحاً وطبيعياً بالشغب، لكنهما  
صححا كثيراً.

بعد ساعة ونصف، كانت السمعة ترسو في المباء. عايرتها العائلة، ثم  
انطلقت السبابة في اتجاه آخر. توقفت بعد نصف ساعة، عند حدائق  
«فرسي» الحلابة. استغلّتهم الناعورات المائجة العملاقة، والمناهاث  
المشجرة، والممرّات الواسعة المروشة حصي ومناجات العشب  
الشاسعة. خلال دقائق، كان التوأمان قد انطلقا بروجع الحربة.

جلست ربيتم على مفعد خشبي، نرفب لهوهم، فيما عاب شهاب  
عجاء، ليعود ويبب كفيه كوما عصير. شكرته بانسامة، فأنحد مجلساً إلى  
حوارها. قال دون أن يطر إليها:

- ما هي أخبار عمر الرضبيدي؟

فأحأها سؤاله العريب. لقد نجسنا حوص الحديث في تلك القصبة  
بشكل كامل، كل هذا الوقت. لكنه لم يغفر لها أن أطلقت اسم عمر  
على طفلهما. لقد كان عاتياً، ولم بعلم بولادتها إلا بعد أسوع. حتى إن  
لم يتمكّن من تعبير الاسم في وتأنق الهوية الزميمة، فقد رفضه بشكل  
قاطع. أسماه «إياد». كاد سمر وإياد بالنسبة إليه.

حافظت على ثنائها وهي تقول:

- لقد غادر السحن.

- أه!

- ثم غادر البلاد.

- إلى أين؟

هَرَّتْ كَتِفِيهَا وَهِيَ تَقُولُ:

- لَا أَدْرِي!

ثُمَّ عَادَتْ إِلَى أَرْضَافِ عَصِيرِهَا يَهْدُوهُ ظَاهِرِي، وَيَاطِيهَا بَعْلِي قَلْبًا  
وَشَقًّا. لَمْ يَكُنْ يُوَسِّعُهَا تَحْمِيْنٌ مَا يَدُورُ مَخْلَدُهُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ.

- وَكَيْفَ حَالُ مَا يَبْلُدُ؟

قَالَتْ فِي صَبَقٍ:

- بَغْبِصَةً.. كَعَادَتِهَا!

- أَلَا تَتَفَكَّرِينَ فِي نُرُوكِ الرِّبَاحِ؟ لَقَدْ مَصَّتْ سِتْرَ سِتْرَاتِهَا حَيْثُهَا حِمَاسَةٌ  
مُوقِفَةٌ.. لَكِنَّكَ اسْتَمَرَّرْتَ أَكْثَرَ مِمَّا نَوَقَعْتَ.

تَهْتَدُتْ وَسَرَّحَتْ نَظَرَهَا إِلَى الْعَبْدِ، حَيْثُ يَلْهُو الْوِلْدَانُ عَلَى الْعُشْبِ.

- لَقَدْ فَكَّرْتُ بِالْتَّوَقُّفِ.. كَثِيرًا. فِي كُلِّ مَرَّةٍ اصْطَرَّطْتُ فِيهَا إِلَى نَعْطِيَةِ قِصَّةٍ  
سَاحِبَةٍ، أَوْ خُشْرَتٍ فِيهَا فِي الرَّأْيَةِ، فِي أَدْلَى بِنَصْرِيحَاتِ تَنَاقُصٍ مَسَادِنِي!  
لَكِنِّي كُنْتُ أَفَكِّرُ بِكُلِّ الْعَائِلَاتِ الَّتِي سَاعَدَهَا الرِّبَاحُ، وَكُلِّ الْحَقَائِقِ الَّتِي  
كُشِفَافُهَا لِلرَّأْيِ الْعَامِ.. فَتَرَحَّحَ كَفُّهُ الْاسْتِمْرَارُ. لَقَدْ تَضَيَّعَتْ فِي وَفْتِ مَا  
أَنْ أَمْسَكَ بِرِمَامِ الْإِنْتِاحِ.. أَنْ أُعْرِضَ وَجْهَهُ بِطَرِّ مُخْتَلَفَةٍ، وَأَصْغَعَ لِمَسَّهُ  
حَاضَةً.. لَكِنَّ الطَّرُوفَ حَالَتْ دُونَ ذَلِكَ!

- تَقْصِدِينَ الْحَمْلَ وَالْوِلَادَةَ؟

- نَعْرِفُ أَنِّي أَقْصِدُ ذَلِكَ!

نَادَا ابْتِسَامَةً مُتَوَاطِنَةً، ثُمَّ أَصَافَتْ رَيْمَ:

- أَفَكَّرْتُ حَقًّا فِي طَيِّ الصَّفْحَةِ. لَعَنَافُ أَنْ مَرَحَلَةَ حَدِيدَةٍ نَسْتَطِرِّي.

- مَا الَّذِي تَصْبُو إِلَيْهِ رَيْمُ شَاكِرِ الْآنَ؟

- مُوَاصِلَةَ الدِّرَاسَةِ!

- حَقًّا؟



- لطالما رغبت في التدريس الجامعي.

- الدكتوراه إذن؟

- أوتكر في نوك المبرامح عند بهابة الموسم .. والتسجيل في الجامعة العام المقبل.

هز رأسه مؤبدا وقال:

- يبدو ذلك جيدا. ربما شاكر، أنتمى لك التوقيع في مرحلتك الجديدة!

اتسعت انسامتها. كانت راضية، عن حديثهما الحبل الهادي، وعن فراراتها الناصحة المرثية، وعن المشهد العائلي الداني. لكنها كانت تنتظر أكثر من تلك الترهة. فعاة تعالت حوفة موسيقية قرب التافورة المركزية. وفجأة شهاب وأشار إليها أن تسعه:

- سيدأ العرض!

أحدا الطملي وحنا الخطى إلى موقع عرض التافورة الموسيقية. وفما بين الجمهور الكثيف، برفار قادهات الماء ترنمع ونزل ناعا في نسق مدروس، متوافق والعرف المنوت عبر مكترات الصوت. كان الولدان يناعان شعف مرفق تصميق ووثات مرحة، في حين قال شهاب وعيساه ترفان حركات الرقص الماتية:

- والذي نبحت لي عن عروس مد فترة.. ولم أكن لاتخذ هذه الخطوة قبل أن أحادثك في الأمر...

انقطع تنفسها فعاة، كأن طعنة سددت إلى صدرها. هل يستشيرها بشأن زواجه؟ هل اخنار أكثر أوقات الترهة روماسية كي يمسد يومها؟ همهمت في تشوش:

- طبعاً.. هذا أمر يخصك وحدك.

- أردت أن تعلمي أن هذا لن يؤثر على اهتمامي بالتوأمين.

- أعرف أنك لن تقصّر.

استلعت عضنها ورُكّرت عليها على التافورة. لم تنظر إليه بعد ذلك  
أبداً. سارت باتجاه السيارة فور انتهاء العرض. في صمت مطبق. كان  
الولد أن مصغر. فعلم ما إلى تحرك السيارة. وساد تسون طمله وحله  
الإياب بها وسير نهال

حين وصلت إلى مبنى سكنها. حملت حصر من درعها. ثم تبعها  
شهاب وهو يحمل حصر. لم يقل شيئاً. ترك الباب من يده. رايها ثم  
جاءهما في اقتصاب وانحدف

دخلت العروسة ولم تخط إلى حوار الطفلة الثالثة. كان الأسم بعنصر  
صدرها. لم يمر به تلك الخرجة الحائلة من صمما تات الفراشات  
ترفرف داخلها طيلة اليوم. لم تنزع قط بالشد والحدال والهوان. كما  
تفعل الآن. هل كان عليه أن يفتح باب الأمسات أمامها. يعريها بالولوح.  
نم يصنها؟

انهمرت عرائنها في سحاء على الوسادة.

\*\*\*

جلست رايها ومبار مقابلي إلى مائدة المقهى. طلبا كوني عصير  
ليمون. وأخذنا برشقات في صمت. كانت عسا مبار مغلفتين بالمدجل.  
ترقب ظهور كرافتي من لحظة وأخرى. بينما التفت رايها على هاتفها.  
بعثت في مواقع التواصل الاجتماعي على غير هدى.

- لقد وصل!

هفت مار في حدل. فوقف رايها على الفور وقالت بلهجة حادة:

- سأعود خلال ساعة.. اتفقنا؟

- ساعة ونصف؟ أرجوك!

رفرت في استسلام، ثم أنجحت إلى المخرج. التفت بكزافي الذي كان  
يعبر البوابة الزجاجية في الوقت ذاته. ألقى بلهجة ساحرة:

- هل رأيت شيئاً؟

هزّت كتفها في نجاح وسارت مبتعدة. لكنّه سارع بمسك ذراعها  
يستوقفها. حرّزها بحركة حادة وحدجته بأصابعه.

- ماذا تريد؟

- لماذا تصرّين كالأطفال؟

- ولماذا لا تصرّين كرجل؟

احتففت طامحه ونظير الشرر من نظرائه.

- إياك، أن تكفري هذه الكلمة.

- اذهب.. شفيفك في انتظارك.

حانت منه التفاتة يلمح مبار تلوح له بحماس. رفر في صيق، ثم سار  
إلى الداخل للقبائها.

انعدت راب من المفهي محطوات واسعة. تسكّعت في الجوار، تأمل  
واحداث المحلات، تتوقّف لتعابير حفية بد أو تحرك قطعة ثياب، ثم  
تسأنف هبماها الحرّ. كانت تشعر بالارعاج. لكنها لا تستطيع السوح  
لأحد.

لقد كانت تفعل ذلك من أجل سكية. طيلة الوقت. لم نهزم به  
شكل شخصي، فهو لا يناسيها من كل النواحي. إنه «فرنسي حدّا» في  
شكله وسلوكه وعاداته.

لكنّه لا يتركها وشأنها.

يستمرّ يرسل إليها تلك الدعايات الحريئة على هاتفها. يعاملها أحياناً  
كصديقة مغربة، يعصي إليها بهوموه، يشاركها مشاريعه الصنفلية،

ويطلب مشورتها. لكنّ ما يشير غيظها هو الغموض الذي يتلبس علاقتهم.  
كلّ تصرفاته تحسب على سبيل التلويح. لم يطلب ودّها بشكل مباشر،  
حتى تهلك نرف الاختيار.. القبول أو الرفض!

يتأبها إحساس ببعض تألّه يقيها مغلقة، شيء، في نفسه. لو أنها  
نصّده، سيّتهمها بثفتها المالغة في نفسها وتأويلها المملوط لتصرفاته  
ولو أنها تتقرّب إليه، وستحده يهيبها ويسخر من عاطفتها. لذلك وجدت  
الحلّ الأمثل في التجاهل. إنها راحلة خلال شهرين عن أيّ حال.  
ارتفع ربح هاتفها حذاء. لم تكن قد مضت سوى نصف حذاء على  
نركها مبار برفضه. جاءها صوت الطغلة العاقسة وهي تقول:

- هل يمكنك المحي، الآن؟ كرافي على موعد هنا.  
تعلمت في العودة إلى المفهى. ما إن أشرفت على الواحدة، حتّى لمحت  
مبار تجلس بمفردها، وقد علت ملامحها علامات الحزن.

- ماذا حصل؟

- لا أدري.. لقد وقف حذاء وقال أن عليه الزجل!

- هل أغضبه؟

- بالتأكيد لا.. كذا نتحدّث عنك، ثمّ تتجرّموه حذاء.

تسارعت نبضات رابا في دعو. همهمت في استعراب:

- تتحدّثان عني؟

- أخبرته أنك ترحلين فريّا إلى مصر.

- آه.

كانتا قد اقتربتا من المصى الشكي، حين وردت رسالة نصيّة على  
هاتفها. «هل يمكننا أن نتحدّث؟».. المرسل: كرافي.

- اصعدي أنت.. سألق بك.

اطمأنت إلى ولوج ميار إلى المصعد، ثم عادت أدراجها إلى المفهى. كان يقف في الخارج، مستنداً إلى الحدار مثل شاب منسّج. قالت في ضيق:

- لقد كبرت خاطر الست. كانت تنتظر الموعد منذ أسوعين!

قال في لهجة حادة لم تتعودها منه:

- هل ذكر صديقان؟

- أنت شقيق ميار، واس سكية.. وهما صديقتاي!

- لم تكوني لتحريبي رحيك، صحيح؟

هزّت كتفها منظاره باللامبالاة وقالت:

- حين يحسن الوفاء، كنت ستعرف شكل أو تاكبر

- لكن الأمر ليس مهمًا لي نظراً إلى

زفرت في ملل، ثم قالت:

- هل نصرى ما هي مشكلتك؟ أنت غير قادر على اتخاذ قرار واحد بمفردك! كزافيي، لقد كبرنا.. أنا كبرت على كل حال، أنا في الخامسة والعشرين.. في هذه السن، يتحمل المرء المسؤولية، بحد عملاً، بتروّج أيضاً، بحد أطفالاً.. وأنت غير قادر بعد على تحديد ما تريده بالسط!

قال في صدمة:

- ستروّحين؟

ضحكت رعباً عنها، ثم قالت:

- أنت ميؤوس منك! عليّ الذهاب...

حلّفته وراءها وسارت على الزصيف، فتبعها بخطواته الواسعة. قال فجأة:

- ما رأيك لو نبدأ صفحة جديدة؟ أريد أن تكون صديقين...

حدثته بنظرة شاملة، ثم قالت بلهجة ساحرة:

- جاسر السوري قد تكون له فرصة.. لكن كرايفي الفرنسي، لن ينفع!

- ماذا تقصدين؟

قالت في تصميم:

- ما أهمه. إن أردت أن ترى ميار بعد الآن، فستكون سكبنة برفقتها، ولن تعلم أنهما سترحلا أبصا.. خلال أشهر.

- إلى أين؟

- تركيا! العالم يتحرك يا صديق، وأنت ساكن مكائك.. عليك أن تجاري الحركة من حولك، وإلا خلفك الآخرون وحبذا! ثم لوحنت يدها وهي تتحدث دون أن تلتفت.

إنها تعرف ما تريده الآن. ولن تقدم تارلات أبدا.



لم تخرج للقاءه في العد. رافقت رابيا الطفلين إلى مدخل البناية، وكذلك فعلت في اليومين التاليين، حين جاء لاصطحابهما بعد العدسة. كانت سمر ترتثر في المساء: بابا قال، بابا فعل. لكن ربيم لم تكن تجاوب مع حكاياتها.

سألته سكبنة في قلق:

- تبدين شاحمة.. هل هي مشكلات في العمل؟

كانت ساهمة طوال النهار، تركبها مشئت ودهبها غائب. لم تدع قط حياتها الشخصية تؤثر في نشاطها المهني. لكنها على شفير الانهيار. معوياتها في هبوط مستمر. قبل أن تنطق، ارتفع ربيم هاتفا. نطأعت إلى الشاشة، ثم اعتذرت لتدلف إلى عرقها. ردت بصوت مبجوح:

- أهلا شهاب.

قال دون مقدمات:

- أنا أمام المبنى.. هل يمكنك العزل؟

ارتدت عطفها طويلا فوق ثيابها، وغادرت الشقة دون تفكير، لصحت  
خياله يروح ويحي، في توتر على الوصف. افترست لتهنئ في قلق:  
- هل كل شيء على ما يرام؟

حدق في عبيها في حرم ثم قال:

- ربي.. هل يمكن أن يعقد اتفاقا، ويكون أكثر نصحا هذه المرة؟  
هتفت في استياء:

- هل توهم نفسك الآن بأنني من حرق اتفاقا الأول؟  
- لم يكن اتفاقا مفضولا، حتى تتمكن من احترامه، يجب مراعاة الواقعية  
ابتداءً.

شبكت ذراعها أمام صدرها وقالت في لهجة دهابة:

- أنت تحاول وضع اللوم علي، في حين أنك من قبل الشروط، ثم  
نزاعا!

- حسنا.. هلا تركنا هذا الخلاف العظيم وراء ظهورنا؟ لصع أسسا  
جديدة.. من أجل الطفلين.

لم تكن تستوعب طبيعة طلبه. قالت وقد استبد بها الذعر فحاة:

- لا تريد أن يستمر في ريارتك في الإحازات المدرسية فقط؟ إنهما دون سن  
الرشد، لا يمكنك طلب الحصانة الكاملة الآن!

أشار إليها بكفه أن تهدأ، ثم قال بتأن:

- ما أريده هو.. أن نهب أنفسنا فرصة جديدة.. كعائلة.

تسخرت مكابها غير مصدقة. كان بظالعتها في اهتمام، مترقبا ردّة فعلها.  
لكن الصمت الذاهل كان ردّها الوحيد، فتابع بشرح:

- لقد رأيت البهجة في عيبك، نهار السبت، حين كنّا معًا.. وقد أحببت تلك السويحات الزائفة مشاعر في داخلي.. حسبتها مانت. ولقد لاحظت كيف غادرت السمّة شفّيتك حين أعلنت مشروع رواجي. لقد نيّقت في تلك اللحظة أنّ كلّ شيءٍ لم يكن.. وأنّه من الجيّد أن تكابر دون مراعاة وجود طفلين يسا. ألا نوافقيني؟

كان أمامها حباران: أن تلزم العباد الذي هو طبعها، أو ننسلم لنداء قلبها. لكنّها بدل ذلك، انهارت باكياً. قالت بين دموعها:

- وكيف سيعمل؟

- نفكر في حلّ.. قلت أنّك ستتركين البرنامج؟

- نعم.. لكنّ ملأنا عن مسألة الدكتوراه؟

- ألا يمكنك العمل عليها عن بعد؟ وترورين باريس مرّة كلّ شهر؟

قالت في ندم:

- أنت لا تبحث عن حلّ.. بل نطلب منّي التخلّي!

قال في ابرعاج:

- أنت تعلمين.. لو كانت لديّ حباران، لما تردّدت. كلّ ما أريده هو أن نجتمع تحت سقف واحد.. مثل أيّ عائلةٍ طبيعيّة!

سكنت في امتعاض، ثمّ رفرت. لقد منحت نفسها أربع سموات مستقطعة، افتقدت خلالها اهتمامه وشغفه ومرجه مرّات، وتمنّت حياة أكثر استقراراً وهدوءاً لطفليها مرّات أخرى. لقد كرهت إحساسها بالحبسة، بعد صفقة يوم السبت، ولا يمكنها أن تولّي اقتراحه طهرها ببساطة، دون أن تحزّع كؤوس التدم بعد ذلك. قالت أخيراً:

- دعني أفكر...

أخرج علبة مخملية حمراء من جيب سترته وقال ناسحاً:



- هل تساعدك هذه على التفكير؟

حدقت فيه ذاهلة، ثم انصهرت ضاحكة. تأملت الخاتم العاسي الذي

يحطف الأبرار وقالت:

- شهاب صادق.. أنت لن تتغير أبدًا!



BOOKS

فحكت باسمين جوارها، ولست نحدق في الشاشة، حتى أضاءت بانئصال  
مولى وارد. ظهرت أولاً صورة ربيع من القاهرة، ثم شطرن الشاشة  
بصفين، لتظهر إليها صورة رابعا من الاسكندرية. وأخيراً انشق عنها  
فسم ثالث حوى صورة سكية ومبار مغا من اسطنبول، هنصر بصوت  
واحد:

- مبارك!

فضحكت باسمين في حذل  
- هل أخذكن في حولة حول المكتبة؟

وقفت وبين كقبها هانفها، وأخذت تمشق بين العرف ونشرح  
لصديقاتها وطائف الفصاءات المختلفة. كانت المسألة أكثر من مجرد  
مكتبة. كانت قد اشترت الساء الواقع في طابفين. في الطابق الأول،  
غرفة قراءة معروشة بمقاعد وثيرة وإضاءة حافتة، لأجواء تركيز حميمية  
وهادئة، وقاعة اجتماعات، بالإضافة إلى ورشة حرف بدويّة وقاعة  
عرض. أما الطابق الأرضي، فيضم المكتبة الهائلة المكوّنة من أقسام  
عثة: القرطاسيّة والأدوات المدرسيّة ثم الكتب العلميّة والأدبيّة المحليّة  
والتعليّة. قالت في حماس:

- سأشرع على الفور في التّواصل مع مدرسة القرية والقرى المحاورة..  
سيكون من الرائع نص دوات ثقافيّة وبنقاشات أدبيّة لطلبة الثانوية هنا!  
شاركتهنّ أحلامها والحرر بشعّ من عبيها. أخيراً أمكنها أن تُسني  
منروعها الحاضر والعزير على قلبها. منذ حدّثها ربيع عن حساب  
الاذخار الذي تركه هبثم وذهنها في غلبان مستمر، تحطّط ونصمّم

وتَحْبَل. الآن، أصبح الحلم حقيقته، ولم يكن هناك أغلى من شريكات  
الغرفة (٤٠٤) ليقاسمها الفرح.

- كيف حال رسالة الدكتوراه؟

تَهَدَّت ربيع، ثم قالت في وجوم غير متوقع:

- سيكون علي السفر إلى باريس يوم السبت!

كان الإنبيان على ذكر باريس دوماً مبعث سرور لذيها، أما الآن وقد  
اجتمع شملها وشهاب والطفلين في القاهرة، وتفرقت هريكات السكن،  
فقد حفت حماسها نحاهما. كانت قد اشترت البقعة، منذ ستة أشهر،  
لتكون موطن قدم لها في باريس، كلما رزها من أجل متابعة رسالتها

مع المشرع ONE PIECE

لقد بات روتبها الحياتي مردحماً بالكثير، تعاقب السهرات المسهدة  
والأيام المصيبة بين مكتب الحمامة في القاهرة، وواجبات الأسرة ومسودة  
الرسالة. لكن الشهور الماضية اتسمت بالهدوء. استقالت من مكتب  
الحمامة الباريسي على مضض، وتركته برامح «الحقيقة الكاملة» غير  
أسفة.

غير أن السفر الشهري بطل مريكاً لظام حباتها الحديد، برفقة شهاب  
والطفلين. لم تكن قد عرفت معنى الحياة الأسرية الطبيعية حتى ذلك  
الحين. لكن الشهور الأولى لاجتماعهم تحت سقف واحد في صانقة ٢٠١٥،  
كانت مثل حلم ساحر. كانت أروع من «أشهر العسل» السابقة كلها  
مجتمعة! وحين نعين عليها في مطلع السنة الدراسية أن تركهم ونعادر  
بمفردها إلى باريس لأسبوع واحد، عانت من أعراض اسحاب «الدَّفء  
العائلي» بشدة.

كانت تستبقي كل يوم وفي عسيها نظرة رصا. لقد حازت الحياة المثالية  
التي أرادتها، ولم تكن لتستبدل بها أيًا من كنوز الدنيا.

- ماذا ستفعل ميار بشأن الجامعة؟

سألت ياسمين، فأجابت سكية في فخر:

- ستدخل كلية الطب!

نصحت هنادان التهنئة والفرح، ثم قالت رانيا بطهحة الأخت الكبرى:

- أخيراً، سنكون لدينا طبيبة في العائلة!

كان مفهوم «العائلة» مختلفاً عن المعتاد بالنسبة إليهن، ومثيراً للذهشة عند العرباء. العائلة تفرق في أصفاح الأرض، لكن أفرادها ينشركون الأفراح والأحراج. ولا يتحلمون عن الماسحات العائلية، حتى لو كان الحضور افتراضياً. بقي «مينا فهن» ملددي وقعر عليه ذات أمسية صافية نصح عيونهن لاهل ولولوبهن، في انغلق ضامت وضمي.

قالت ريم في نهكم:

- شهاب طيب.. هل سبت؟

هرت رانيا كتفيها وراوغت:

- فصدت الإناث.. ليست لدينا طبيبة أنثى!

قالت ميار فحاة بحماس لا يخفي:

- حاسر قادم لزيارتنا الأسوع القادم!

لم يكن جاسر قد رضي بهاتين بأومنة سكية، لكنه لم يعد يعارض وجودها في حياته. كانت والدته ميار وحاضنتها، وهو مضطر للتعامل معها. بعد رحيلهما إلى إسطنبول، زارهما خلال الإحارة الصيفية. وفي أوقات أخرى، تسافر ميار وحدها لإمضاء بعض الوقت برفقته. قالت ريم وهي تلحظ تعبير رانيا في حذر:

- مناسبة جيدة للاحتفال. استمتعا!

ضحك في مرج، ثم امتدت الجلسة ساعة بعد، تشاركين فيها الأخبار

ومستحذات الحياة الخاصة بكلّ منهنّ، مثل أيّ جلسة اجتماعيّة سبق وظلّنتهنّ بظّلها، في الشقة الباريسيّة القديمة.

\*\*\*

تأمّلت رانيا الرّسالة المغلقة المواردة إلى بريدها الإلكترونيّ دون أن تجرؤ على فتحها. مارال «مطل حرب التّحوم» بطاردها، مثل مراهق لم يضح بعد. لم تعد تلك المحادثات الصباحيّة تثير اهتمامها. نهّدت وهي تقدف بها إلى سفّة الموقلات مقررة على حمارها. استهت إلى الاتّصال الوارد من ريم. لقد كنّ يتحدّثن مدّ حين في لفه جماعيّ. أمّا رالت في حجبها حكايات أخرى؟

- رانيا، هل يمكن أن نتحدّث بصراحة؟

توحّست رانيا من لهجتها الضارمة، لكنّها قالت في انساه:  
- بالتأكيد.

- هل هناك شيء بينك وبين كرافي؟

زفرت رانيا في امتعاض. لم تعرف أنّ الأمر مكشوف حتّى تلك اللّحظة.  
قالت في فتور:

- لا تشغلي بالك.. ليس هناك ما يستحقّ الاهتمام.

لكنّ ريم ألحّت:

- أنت شقيقتي ومصلحتك نهمني. أعرف مدى تعلّقك بسكينة وميار..  
وربّما تكون علاقتك بكرافي حادّة..

قاطعتها رانيا بضحكة ساخرة:

- كرافي والحديّة.. في جملة واحدة؟ إنّهُ يفتقر إلى الوضوح والعبارة..  
وأنا فقدت الشّغف والثّقة!

استمعت إليها ريم في اهتمام ثمّ قالت:

- فهمت. أردت فقط أن تعرفي أنني أدعمك مهما كان خيارك.

أصغت رانيا في سكون وألم. إنها تعرف ما تعنيه ريم. في ذلك الوقت، لم يدعمها أحد. لقد سحق والداها إرادتها وأملها شروطهما. ذلك الإحساس القاسي بالوحدة والهوان، كانت ريم تريد حمايتها منه. انتصمت في امتساك وقالت:

- أعلم أنك تفعلين.

...

دخلت منجرة الممرل الرتعالبة الدببة دان السجرات الخمسين وليف عرفة المعيشة، ورفعت صوتها لتقول:

- سبدي، العشاء جاهز.. هل أضع المائدة الآن

رفع عمر رأسه عن كتابه وقال بانساعة:

- شكراً لك.. سأنتصرى بمضي بعد حين.

تهتدت بصوت عالي، ثم انبرت تصيح الغبار عن اللوحات المعلفة على الحدار الرئيسي للعرصة خلفه. كان قد انسجم في القراءة من جديد، ونسي أمرها. إلا أنها انتقلت من استغرافه وهي تقول في فصول:

- هذا الولد.. إنه لا يشبهك. من يكون—

التفت عمر لبطالع صورة طفل صغير في الثالثة أو الرابعة، يقف وحيداً قرب شجرة معقرة. انسم وهو يقول:

- إنه اس أخي.

أشارت إلى صورة أخرى، يعلوها شريط أسود، وقالت:

- أخوك الراحل؟ إنه يشبهه فعلاً!

أوماً في صمت وعاد إلى كتابه. لكنها بدت مصرة على الترتبة:

- لماذا لا يأتي إلى ريارنك؟ لقد جاءت شقيفتك وأولادها الضيف

الماضي...

كانت تشير إلى صورة تالئة، تظهر عليها عائلة حبيبة.. هو وعائشة وولداها، التقطها في حديقة المنزل، حين جاؤوا جميعًا لقضاء أسبوعين برفقته كان يشعر بالأسى، لإفساده الرحلة الباريسية التي انظرها ثلاثهم كثيرًا. لذلك أراد أن يعوّضهم. «لوزان» ليست باريس.. لكنّ المنفعة كانت في الموعد. والطعم الأول للمصاح الأوروبي بفسى ساحرًا، حاضنة على أبواب الزيف السويسري! انطلق أربعمهم في رحلة شملت السواطي الحبلة الشمالية ومقاطعة البحيرات الحلاة.

شرد في أفكاره ولم ينتبه إلى سؤالها المعلق، فمرت كتمها وعادت إلى عملها في صمت. «إنه غريب الأطوار».. همست في نفسها. شات وسيم -لولا الندبة التي تظهر على خابه الأيسر وحيد، وغريب الأطوار!

- متى تصل سيّدة الصول؟

- قريبًا يا لوزان.. قريبًا.

انسم. لقد أصبح كلّ شيء حاصرًا الآن لاستقبال العروس. لقد انتظرنه أية طويلا حتّى يللمر شتات نفسه وتنت قدماه من حديد. زار «بون» الأماقية مد شهرين، وأنفقا على نفاصيل الرّافاف. قريبًا تنهي وحدته.

- هل نحتاج متي شينا بعد، سيّدي؟

قال دون أن يرفع رأسه:

- لا، شكرًا لك لوزان.

- إذن أستاذك في الانصراف.

خطت لوزان نحو المدخل، حيث علفت مريلتها وارتدت معطفها ثم عادت. كانت نحصر كل يوم، ترتب العرف، تعدّ الوجبات ونهتم بالغسيل والتنظيف، ثم تصرف. إنّه الزّيون المثالي في نظرها. شاب أعزب، وثري. لا أطفال يجعلون البيت في فوضى دائمة. ولا سيّدة بيت

تدقق حلمها وتتبع الأخطاء. وفي نهاية الأسبوع، يدفع لها بسخاء.  
تأدبه «سيدي»، ويعرفه الجميع بالحوار «المحري». كانت تلك صفته  
الممبزة والمفيدة في تلك القرية السويسرية التي قلما يستقر فيها الغرباء.  
كان لديه حار فرنسي، يقطن على عدة شوارع، يُعرف «المنكر» تلك  
صفة ملاصقة للفرنسيين في سويسرا عمومًا. الفرنسي كسول، منعجرف  
ومنطَلَب. هكذا تحاكمه النظرة السويسرية النافذة!

التفتبا وحفا إلى وجه أمام كشك الحرائد ذات مزلة، هباده الفرنسي  
بالثَّجبة، مثل عريس بنالكاه من بطرة. قال متفمرا:  
- لا شيء يحصل في القرية.. إنها الحياة الجملة دائما كل يوم. أفكر في  
الانتقال إلى «لوزان» حيث أعمل.  
ابتسم عمر وقال بلطف:

- حسنا تفعل!

ثم حباه متعذرا. إنه ينحسب الاحتكاك بالناس. يحافظ على مسافة  
أمان، وينحسب الضدافات والعلاقات الحميمة. لقد بات يدرك أنه  
مصدر خطر على المحبطين به. بفضل أن نفى هويته مجهولة وحياته  
باردة وحالية من المشر.

ترك عمر مجلسه عند الموقد التفليدي الذي نصطرم نبراه في  
الحطب الحاف الذي قطعه ببذبه الأسبوع الماضي، ثم وضع الكتاب  
على المصدة.

استدار نحو الحدار الذي كانت تتعهد لوبرا بالنظيف سد حس.  
كانت ذاكرته كلها نحتمع على تلك الرقعة الضعيرة. «حائط مكاه»  
الحاض. عصارة ألامه وحلاصة كوابسه. كان الممرل المعزل قد عرف في  
الشكوى في تلك الآونة من النهار، بعد انصراف المدثره الترناره، فيملى  
صدره وحشة وترداد وطأة الوحدة على روحه.



يتّحه إلى التّافذة العريضة المطّلة على الحديقة، ويفتح الدّفتين على مصراعيهما. يقف على الشّرفة المرصوفة بحشب أشجار استوائية، يتأمّل المساء الهادئ والمظلم الذي يترّجّع على عرش القرية، ثمّ يأخذ نفساً عميقاً بارداً لادغاً. يقف وحده مع اللّيل والسّماء والسّكون، ويتهدّ بقوة في شكوى صامتة. ثمّ نفضاه سكبنة تططّب على وحدانه، فيسحب إلى الدّاخل.

يبدأ بهاره في وقت مبكر. كلّ صباح، يقصد المكتبة الواقعة في مركز «لوران». احنار هذه المرة أن يقف على الدّرجة الأهل من سطر تطوير الأجهزة الكهربائيّة، يعمل المحنر على الصّميم نماذج مختلفة من البطاريّات، حسب حاجة الحرفاء. يتعامل بالأناس مع مصنعي الآلات المنزليّة، من أخته إلى المكيف الصحراويّ. كلّ آلة تعتمد على نوع معايير من البطاريّات. لقد عرض معياراً حديثاً على السوق، وتسايق المنحون لتوقيع عقود حصريّة تمكّهم من الاستفادة من البطارية المميّزة. منذ أربعة أشهر، تعمل خمسة خطوط إنتاج في مصنع صينيّ في الشّرق الأقصى بشكل حصريّ وبطاقة قصوى، لتصنيع البطاريّات عالية الكفاءة.

أعلنت شاشة حاسوبه المحمول عن رسالة واردة. انتسم وهو بطالع اسم وليد. قرأ على مهل الكلمات العرّصوفة على الشاشة. تحدّثه الشاب عن تفاصيل أسوعه سخاء. منذ وصوله إلى بريطانيا من أجل التّحضير لرسالة التّذكوراه في القابول الدّوليّ، بتراسلان بانتظام. ترك المحيّم أحبراً وحلّق نحو لفاق أخرى، لحله بوفاً ما بنصّدر المشهد الإعلاميّ مدافعاً عن حقوق المهخّرين ويرفع في فخر اسم فلسطين.

كانت ساعة من أهما ساعات يومه، حين يتلقّى تلك الرّسائل المعشّة والمفعمة بالأمل.

لقد كانت فكرة هبهم، كماله شابّ في المهجر حتّى يستكمل الدّراسات

العليا في واحدة من أفضل جامعات العالم. منذ حدّثه عن مخيم اليرموك، وطموح الشباب هناك، عاهد نفسه على أن يكفل شابًا كل عام. وها هو يحمل المشعل من بعده.

قبل أن يغلق الجهار، توقّف ليتأمّل الاسم المجهول الذي ظهر في صندوق البريد. تردّد لحظة، ثم ضغط على الرسالة، وقرأ فحواها بعينيه في صمت. لقد تعودّ على هذا النوع من الرسائل مؤخرًا، بعدما كانت تفاجئه في المرات الأولى.

لقد أصبح «بطاقة محروقة» الآن، بعد المحاكمة والإعتراف. لم يعد بوسعه السعي أو التقلّ مثل السابق دون أن يستجلب الشكوك لكلّ من حوله. لكن هناك سبيلًا دائمًا لمواصلة الرحلة..

منذ الحادثة، تلقّى عشرات الرسائل على بريد الشركة، من علماء مسلمين من مختلف أنحاء العالم. كلّهم يريدون التعاون مع المقاومة الفلسطينية!

يستهلك وقتًا غزيرًا قبل أن يردّ على أحدهم. يتنبّث من خلفيّة كلّ منهم قدر المستطاع، ويكلّ الأساليب المتاحة. يحاول التأكّد من هويّته ومساره المهنيّ ومحيطه المباشر، ليضمن عدم السقوط في فخاخ المندسّين. ثمّ يصله بغيره من المتطوّعين الذين يشاركونه الاختصاص والاهتمامات. قريبًا، ستكون هناك شبكة في مختلف أنحاء العالم من العلماء والمهندسين، الحاملين لهمّ القضية، قادرين بتعاونهم على تغيير شكل العالم.

يؤمن بأنّ هذا اليوم سيأتي قريبًا. وحينها، لن تكفي عمليّة اغتيال واحدة، ولا عشر عمليّات، لقطع شرايين المقاومة.

لقد أرادوا أن يكون هيثم «عبرة»، لكنّه كان «قدوة» رغم أنوفهم! تنهّد، ثمّ سار باتجاه المرآب المتّصل بالمنزل عبر بوابة داخلية. أدار

المفتاح في القفل ثم دفع الدفة ليشرف على مستودع واسع، تتوقف داخله سيارة حديثة، يستخدمها في تنقلاته الضرورية إلى المدينة، وفي ركنه الخلفي أنشأ ورشة ورفوف تخزين عريضة.

على الطاولة الخشبية المرتفعة، كان نموذج تجريبي للطائرة الجديدة التي شرع في صنعها منذ أسابيع. كان حذرًا. لم يكن يدخل المستودع في حضور مدبرة المنزل. ولم يكن يسمح لأحد بالولوج إليه. لا البستاني الذي يحضر مرة كل أسبوع لاقطلاع الأعشاب الضارة وتجهذ الأشجار بالرعاية - فقد احتفظ بأدوات البستنة في الركن الخارجي المسقوف - ولا السباك الذي استأجره لتجديد شبكة التطهير الخاصة بالمنزل.

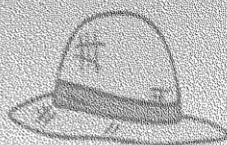
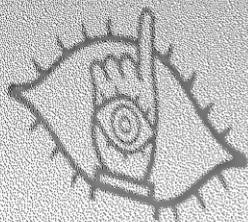
أنهى تعديل المحرك منذ يومين، وها هو يقضي مساءاته الطويلة يحاول تشغيل برنامج هيثم عليه. ضغط على زر فتح البوابة الآلية، فارتفعت الدفة مفرجة عن الطريق المؤدي إلى الشارع. حمل طائرته ولف حول السور لينفذ إلى الحقل الخلفي الساكن. ضغط على زر التشغيل، فانطلقت الطائرة الصغيرة لتحلق فوق رأسه.

يتخيلها وهي تمضي في مهمتها المبدئية الأولى، تعبر مساحات شاسعة من حقول البرتقال والزيتون، ثم تنزل بخفة حتى تقترب من الأرض الندية، فتنبجس ذراع معدنية من جوفها، تقبض قبضة من تراب بلدة «صويريف» في رام الله، تسحبها إلى الداخل بعناية، ثم ترتفع مجددًا لترجع أدراجها.

لم يرضه قط أن يعود بتراب غرة وحدها. لقد رضيت أم محمد، لكنه لم يرض. بكى بحرقة، حين حمل إليها كيس التراب ذاك. أدرك وهو يرقب تأثرها أن المهجرين قد باتت طموحاتهم هزيلة، حتى أنهم يكتفون بالفتات من رائحة الوطن! فبحر ذلك في نفسه ويزيد من تصميمه.

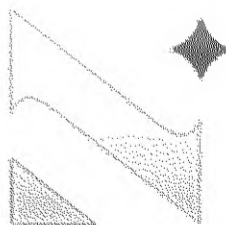
راقب الطائرة التّموذجيّة بابتسامة خفيفة وهي تؤدّي سلسلة الحركات التي أمرها بها، قبل أن تعود لتحطّ عند قدميه بهدوء. على جانبيها الأيسر، تظهر حروف عربيّة واضحة: الرّمز (هـ أ - ٢).

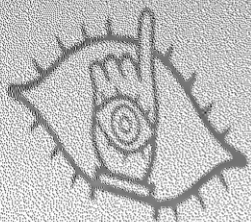
تمت بحمد الله



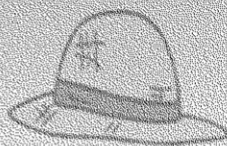
ONE PIECE

BOOKS





شكر



ONE PIECE

إلى لورا فاطمة إبراهيم أحمد عدوان

المعلومات الخاصة بمخيم اليرموك وفلسطيني المهجر مستقاة من رسالة الماجستير الخاصة بها، في برنامج علم الاجتماع من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين.

دراسة بعنوان: «صورة فلسطين في روايات اللاجئين الفلسطينيين

(دراسة مقارنة بين مخيم قلنديا في فلسطين ومخيم اليرموك في سوريا)»،

صادرة في أغسطس ٢٠٠٩.

BOOKS